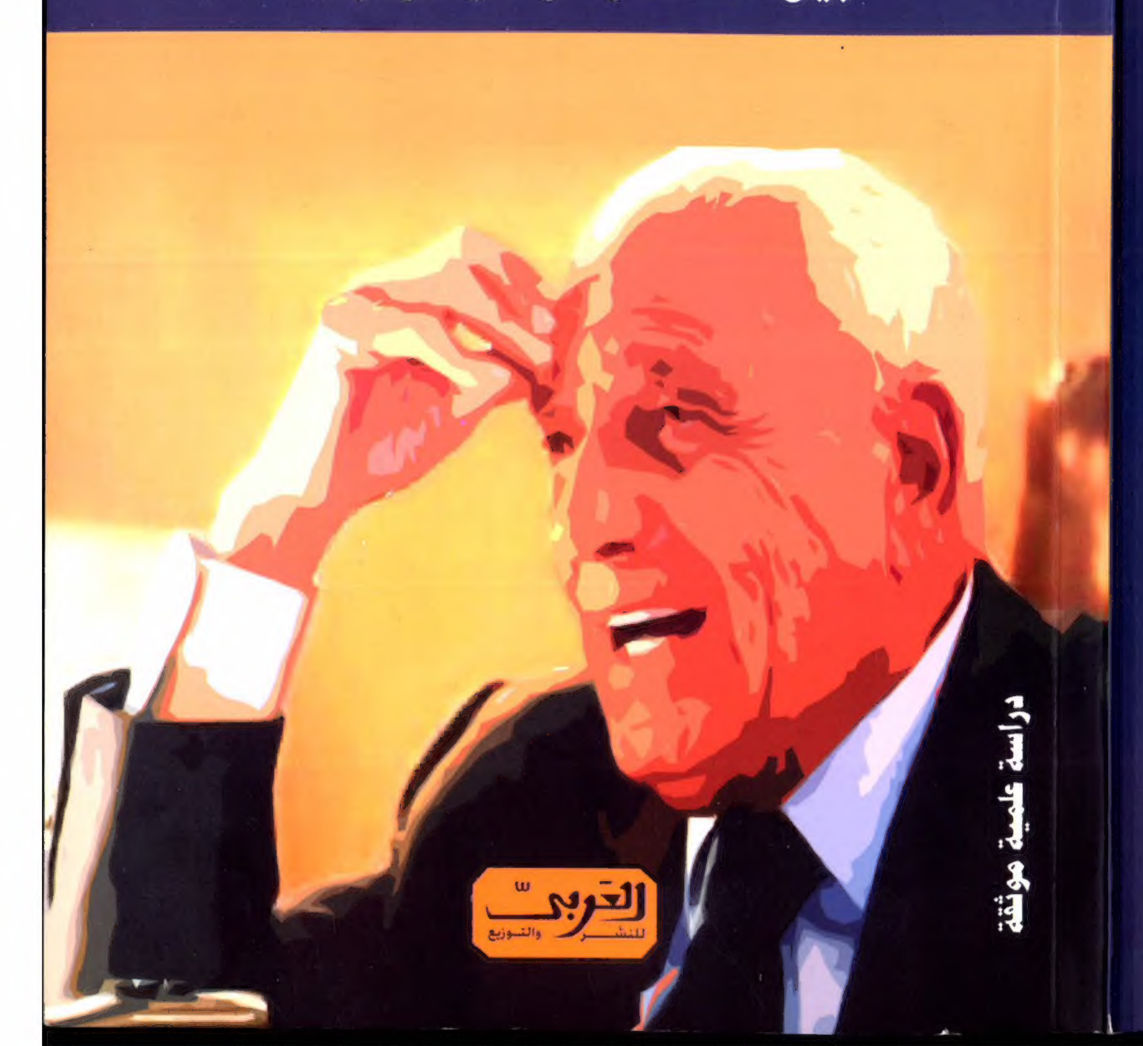
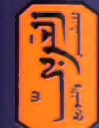
يحيى حسن عمر

كتابات هيكل بين المصداقية و الموضوعية



دراسة علمية موثقة



عرفتُ الأستاذ "هيكل" مثل ملايين القراء منذ فترة دراستي، ثم كانت الصُّحْبَة، إذ صحبتُه - عبر كتاباته - أكثر من ستّ سنوات كاملة، من خلال رسالة الماجستير عنها، أَطْعَمُ كتاباته وأَشْرَبُهَا، تُحَاوِرُنِي وأُحاورها، تحدِّثني عن تاريخ مصر وأسألها عن تاريخها وتطوُّرها، تنطلقُ مُعْتَزَّةً بصيتها وقُدْرَتِهَا، وأسعى وراءها محاولًا ترويضها بمحددات الموضوعية وكواشف المصداقية، وأرصد زِينَتَهَا اللغوية وحُلِيَّهَا اللفظي ما بدا منها وما خفي.

كانت رحلة طويلة مُضْنِيَةً جدًّا، طوَّفت خلالها في جميع ما كَتَبَهُ الأستاذ "هيكل" وجلّ ما كتب عنه، ووصلت إلى الأرشيفات الخاصة بمتابعيه، وعقدتُ مقابلات مع بعض المقربين منه، وحاولتُ لقاءَه مرارًا فحَالَ بيننا مشاغلُه وأسفاري وكان من الراحلين - رحمه الله - وأكملتُ الرحلة من بعدها عامًا ونصف العام، فكان تمام ستة أعوام ونصف في تلك الرحلة العلمية التي أبحرت فيها وأبحر فيها معي أساتذتي، حتى إذا بلغت منتهاها وصلت مرفأ الرضا، وكان الكتاب على حد وصفهم من أشمل وأجود الدراسات في العَشْرِ سنوات الأخيرة في مجالها عامة، ومن أشمل وأدقّ ما كُتِبَ عن كتابات الأستاذ "هيكل" مُطْلَقًا.

لذلك أرجو أن تَحُوزَ تلك الفصول من الكتاب من رضاك (عزيزي القارئ) ما حَازَتْهُ من رضاهم، وأن تَنَالَ عندك من المَرَاتِبِ العُلا ما نَالَتْهُ على أيديهم، وأن تُثِيرَ عندك من النِّقَاشِ الداخليّ ما أَثَارَتْهُ من الجَدَلِ الصحفيّ والإعلاميّ.

وأسألُ الله أن تكون رحلتُك مع هذا الكتاب مفيدة، وأن يكون ما تُنْفِقُهُ فيه - من وقتٍ ومالٍ - تجارةً ذهنيةً وفكريةً رابحة.





تصميم الغلاف : عصام أمين

WWW.alarabipublishing.com.eg

9 789773 194444 >



60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة

ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

كتابات

هيكل

بين المصداقية والموضوعية

كتابات هيكل

بين المصداقية والموضوعية

يحيى حسن عمر

الطبعة الأولى: يناير2019

رقم الإيداع: 2018/19751

الترقيم الدولي: 9789773194444

الغلاف: عصام امين



60 شارع القصرالعيني - 11451 - القاهرة

ت: 27921943 - 27954529 فاكس: 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

بطاقة فهرسة

عمر، يحيى حسن

كتابات هيكل .. بين المصداقية والموضوعية

يحيى حسن عمر، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2018 - ص؛ سم

تدمك: 9789773194444

1- الأدب العربى - تاريخ ونقد

2- هيكل، محمد حسنين

أ- العنوان 810.9

كتابات

هيكل

بين المصداقية والموضوعية

كتابات هيكل

بين المصداقية والموضوعية

يحيى حسن عمر

الطبعة الأولى: يناير2019

رقم الإيداع: 2018/19751

الترقيم الدولي: 9789773194444

الغلاف: عصام امين



60 شارع القصرالعيني - 11451 - القاهرة

ت: 27921943 - 27954529 فاكس: 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

بطاقة فهرسة

عمر، يحيى حسن

كتابات هيكل .. بين المصداقية والموضوعية

يحيى حسن عمر، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2018 - ص؛ سم

تدمك: 9789773194444

1- الأدب العربى - تاريخ ونقد

2- هيكل، محمد حسنين

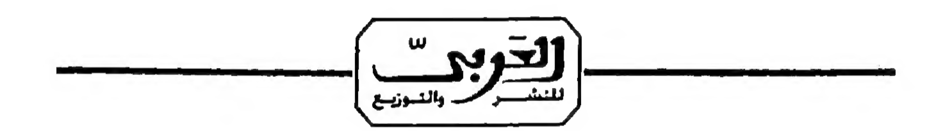
أ- العنوان 810.9

كتابات

هيكل

بين المصداقية والموضوعية

يحيى حسن عمر





شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما يسره لي من إتمام هذا العمل، فله الحمد والشكر سبحانه وتعالى ملئ السماوات وملئ الأرض وملئ ما بينهما، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم.

أتذكر في هذا المقام بكل التبجيل والتمجيد ذكرى والدي الحبيب، وذكرى والدتي الحبيبة، المعلمة المثالية على مستوى الجمهورية، ثم الموجهة الأولى للمواد الإجتماعية، والتي حببتني في التاريخ قراءة ودراسة.

وأتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى العلامة الجليل أ. د. سيد عشماوي على رحلته الطويلة معي في هذه الدراسة صحبة الأستاذ القدير أ. د. عماد عبد اللطيف، فقد كانا خيرا معين لي منذ البداية وحتى المنتهى، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان لكل من ساندني وصاحبني في هذه الرحلة الطويلة الطيبة، وأخص بالذكر زوجتي الحبيبة، التي لولا تفهمها ومساندتها ما كنت لأتم رسالتي هذه على النحو الذي تظهر عليه، فلها مني خالص الشكر والتقدير.

كذلك أتوجه بجزيل الشكر لكل من وفر لي مادة علمية ساعدتني أو ساهم بالنصح والرأي، وأخص بالذكر العم العزيز محمود راضي الذي كان لأرشيفه العظيم الحجم والمتميز في الفهرسة أثر بالغ في هذه الرسالة، وقد نوهت لذلك في موضعه، فله مني خالص الشكر والتحية، كما أخص بالشكر أخي العزيز الكريم د. حامد إبراهيم، والعم العزيز محمد مبارك.

والله الموفق والمستعان.. والحمد لله رب العالمين

المقدمة:

يكاد يكون من المُتَّفَقِ عليه أن الأستاذ محمد حسنين هيكل هو الصحفي الأكثر تأثيرًا في العمل الصحفي في مصر والعالم العربي خلال الستين عامًا الأخيرة، كما أنه - بالدرجة نفسها - الكاتب السياسي الأكثر تأثيرًا في الفكر والحياة السياسية في الفترة ذاتها، وذلك ليس فقط لإنتاجه الصحفي خلال تلك الفترة، وليس فقط للدور الذي لَعِبَهُ في تحويل مؤسسة الأهرام من مؤسسة خاسرة مُعَرَّضَةٍ للإغلاق إلى صَرْحٍ من أكبر صروح الصحافة العالمية؛ وإنما – أيضًا - للمَكَانَةِ المرموقة التي حظي بها إلى جوار الرئيس جمال عبد الناصر - الشخصية الأكثر تأثيرًا في العالم العربي في القرن العشرين حسب رأي عدد كبير من الأكاديميين والعامة - وأَهَّلَتْ تلك المكانةُ "هيكل" للَعِبِ أدوار سياسية في عهده وعهد خَلَفِهِ الرئيس السادات، كما كفلت له شهرة عالمية باعتباره (موضع الثقة) و(الناطق الرسمي) بلسان عبد الناصر، وهي الشهرة التي دعمها باتصالاته الواسعة مع نجوم الصحافة ووسائل الإعلام العالمية، وهو أيضًا الكاتب الأكثر إثارة للجدل في تلك السنوات وحتى الآن.

وللأستاذ هيكل باع كبير في مجال الكتابة التاريخية؛ حيث تتعدد كتاباته ذات الصِّبْغَةِ التأريخية، ومنها رصده للمراحل المختلفة لتاريخ مصر الحديث والمعاصر، وكذلك تعرض لتاريخ الأقطار العربية، ودول الجوار مثل إيران وتركيا، وهو ما ظهر في كتب كثيرة له مثل: إيران فوق بركان، ملفات السويس، سنوات الغليان، الانفجار، أكتوبر 73 السلاح والسياسة، خريف الغضب، إلى غير ذلك من كتبه.

أصل هذا الكتاب هو رسالة ماجستير نوقشت وأُجيزت من كلية الآداب جامعة القاهرة بتقدير (امتياز)، وكان ذلك في نوفمبر2017، وعنوانها "تاريخ

مصر في كتابات محمد حسنين هيكل 1942- 2003"، وقد أخترت عددًا من فصولها الهامة لتكون عماد هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ الكريم.

تمت مناقشة تلك الدراسة من قبل قامات من أعلى القامات العلمية في مصر والعالم العربي، حيث قام بمناقشة الباحث الأستاذة الدكتورة/ عواطف عبد الرحمن، وهي قامة علمية ووطنية كبرى، وعلم من أعلام كلية الإعلام جامعة القاهرة، وكذلك قام بمناقشة الباحث الأستاذ الدكتور/ محمد عفيفي المؤرخ المعروف، ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة، والأمين العام السابق للمجلس الأعلى للثقافة، فتوفرت لها بذلك من عوامل الرعاية والتدقيق الأكاديمي ما يندر اجتماعه لرسالة علمية واحدة، فلهم جميعًا أرفع يدي بالدعاء إلى الله أن يجزهم عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

هذه الرسالة التي جمعت - بإجماع الأساتذة الكبار المناقشين – بين جزالة الأسلوب وبين الالتزام بأعلى الضوابط العلمية للمنهج التاريخي والتوثيق، قدمت أشمل دراسة عن كتابات الأستاذ محمد حسنين هيكل المتعلقة بتاريخ مصر، وقدمت إسهامًا مهمًّا في تحليل كتاباته حول محور بعينه هو تاريخ مصر، ومن رحمها جاء هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ.

لقد استغرق هذا العمل ست سنوات من الجهد والتدقيق الواسع، بدأت عام 2011، وذلك تحت إشراف قامات علمية سامقة، حيث كانت الرسالة تحت إشراف علم من أعلام المدرسة التاريخية المصرية في عقودها الأخيرة وهو الأستاذ الدكتور/ السيد عشماوي، وهو المشهور بتاريخه النضالي والأكاديمي معًا، وحظيت الرسالة كذلك بإشراف مشارك للأستاذ الدكتور/ عماد عبد اللطيف، النجم الأكاديمي البازغ في مجال تحليل الخطاب السياسي عبر مؤلفاته الهامة في السنوات الأخيرة.

خلال تلك السنوات عكفت على جمع المادة العلمية ودراستها وتحليلها، حيث اعتمدت على منهج المَسْحِ الشامل القائم على جمع وتحليل مقالات الكاتب التي تتعرض للتاريخ المصري في الصحف والدَّوْرِيَّاتِ المختلفة، واستدعى ذلك التَّرَدُّدَ بِصِفَةٍ دائمة على دار الكتب، وإدارات أرشيفات جرائد الأهرام والأخبار ودار الهلال وروز اليوسف وغيرها، بالإضافة إلى الأرشيفات الإلكترونية الحديثة، مثل أرشيفات جرائد الأهرام والشروق والمصري اليوم وغيرها، كما اشتمل الجهد البحثي على العودة لكل كتبه التي تَتَعَرَّضُ لكتابات تاريخية، ودراستها دراسةً تفصيلية، وكذلك الاطلاع على المصادر والمراجع العربية والأجنبية المُعَاصِرَةِ لتَطَوُّرِ الكاتب، التي تَنَاوَلَتْ كتاباته ومواقفه، ومن ضمنها الوثائق المصرية، ومنها مَحَاضِرُ اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، وكذلك وثائق الخارجية البريطانية والأمريكية.

كذلك جمعت مادة شفهية خصبة من عدد من الشخصيات التاريخية التي عَاصَرَت الأستاذ هيكل، أو شاركت في مواقف ذَكَرَهَا الأستاذ؛ لتدعم الوثائق المكتوبة، ومن تلك المقابلات مُقَابَلَةٌ مع قائد سرب طيران في حرب أكتوبر، تَرَكَّزَتْ على دور الطيران في الحرب، ومراجعة ما ذَكَرَهُ الأستاذ هيكل عن ذلك[1]، ومقابلة مع الأستاذ/ حسنين كروم الكاتب والمُفَكِّر النَّاصِرِيّ المعروف، حيث إن له كتابًا عن الأستاذ هيكل من أوائل ما كُتِبَ عنه[2]، ومقابلة مع المستشار/ عبد الرحيم نافع وكيل مجلس الشورى سابقًا، ومساعد المُدَّعِي العام الاشتراكي أثناء التحقيقات مع الأستاذ هيكل عام 1978[3]، ومقابلة مع الأديب/ يوسف القعيد، أحد أقرب أصدقاء الأستاذ هيكل، وله مُؤَلَّف مهم عن حواراته معه[4]، ومقابلة مع الأستاذ/ حلمي النمنم الكاتب السياسي المعروف -

---

(1) مقابلة شخصية مع لواء أركان حرب طيار/ سامي المندور (مقدم أركان حرب وقائد سرب طائرات أثناء حرب أكتوبر)، تمت المقابلة بالقرب من بيته في 2011/6/16.

(2) مقابلة شخصية مع الأستاذ/ حسنين كروم، تمت المقابلة في مَقَرِّ عمله في 2012/3/21.

(3) مقابلة شخصية مع المستشار/ عبد الرحيم نافع، تَمَّت المقابلة في مَقَرِّه الريفي في 2012/8/25.

(4) مقابلة شخصية مع الأستاذ/ يوسف القعيد، تمت المقابلة بالقرب من بيته في 2013/1/29.

وزير الثقافة لاحقًا - والمهتم بتاريخ الأستاذ هيكل وكتاباته[1]، ومقابلة مع المؤرخ د. جمال شقرة رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط، الذي اطَّلَعَ على كثير من وثائق العهد الناصري المتعلقة بالأستاذ هيكل[2]، وكان هناك حوار هاتفي مع الأستاذ/ صلاح منتصر الصحفي الكبير وأحد أهم مُعَاصِرِي الأستاذ هيكل والمُقَرَّبِينَ منه[3]، إضافة إلى حوارات هاتفية مُطَوَّلَةٍ مع الأستاذ/ إبراهيم أبو السعود الرئيس الأسبق لمركز معلومات جريدة الأهرام، ومساعد الأستاذ هيكل في مجال الوثائق والمعلومات في جُلِّ كتبه التي تَلَتْ خُرُوجَهُ من الأهرام[4]، ومقابلة مع الأستاذ فهمي هويدي المفكر الإسلامي المعروف وأحد تلامذة الأستاذ هيكل والمقربين منه[5].

هذا ولم يَتَسَنَّ لي مُقَابَلَةُ الأستاذ هيكل، رغم الحرص على ذلك، والتواصل مِرَارًا مع مكتبه، وتحديد عِدَّةِ مواعيد لتلك المقابلة كانت تُؤَجَّلُ تِبَاعًا؛ بسبب انشغالات الأستاذ هيكل المستمرة - خاصةً في السنوات الأخيرة - كما ساهمت أسفارُي الطويلةُ خارجَ البلاد في صعوبة تحديد مواعيد أخرى للمقابلة، حتى رحل الأستاذ هيكل عن عالمنا رحمه الله.

كما شمل الجهدُ البحثي السَّعْيَ وراء الأرشيفات الشخصية للمهتمين بمتابعة كتابات الأستاذ هيكل وما يُكْتَبُ عنه والاحتفاظ بها، وهو مَصْدَرٌ للمعلومات قد يتاح للباحثين عند تَعَرُّضِهم للشخصيات الشهيرة التي تَسْتَقْطِبُ اهتمام المتابعين، وقد وَجَدَ الباحث في بعض تلك الأرشيفات من سَعَةِ المادة

(1) مقابلة شخصية مع الأستاذ/ حلمي النمنم، تمت المقابلة في مَقَرِّ عمله في 2013/2/17.

(2) مقابلة شخصية مع د. جمال شقرة، تمت المقابلة في مَقَرِّ عمله في 2013/5/14.

(3) حوار هاتفي اسْتُكْمِلَ عَبْرَ "الإيميل" مع الأستاذ/ صلاح منتصر، 2016/4/2.

(4) حوارات هاتفية مع الأستاذ/ أبو السعود إبراهيم، 2016/4/11.

(5) مقابلة شخصية مع الأستاذ/ فهمي هويدي، تمت المقابلة في بيته في 2017/2/6.

ودِقَّةِ الفهرسة ما لم يَجِدْهُ في بعض أكبر أرشيفات الجرائد المصرية، لا يُسْتَثْنَى من ذلك أرشيفُ الأهرام ذاته[1].

وأتبعت الدراسة مَنْهَجَ البحث التاريخي، الذي يقوم على أساس التحليل والمقارنة والاستنباط، من خلال عَرْضِ الوقائع التاريخية، والرَّبْطِ بين النصوص الوثائقية والروايات المختلفة والشهادات الشفاهية، ومحاولة استنباط الحقائق والاستنتاجات من بينها، من خلال مدخلٍ نقديٍّ يعتمد التحليل والمقارنة والتفسير، ويستهدف الكشفَ عن الأسباب الكامنة وراء النص التاريخي، ويضعُه في سياقاته الزَّمَنية والمجتمعية، وسوف تُرَكِّزُ الدراسةُ على تحليل الخطاب[2] - بصفة خاصة - في جوانبه التاريخية والسياسية مع التطرق إلى الأساليب اللغوية.

خصصت الفصل الأول لإلقاء بعض الأضواء عن حياة هيكل وكتاباته، وتناولت فيهما نشأة الكاتب ومسيرته عبر الحقب المختلفة، **وخصصت الفصلين الثاني والثالث** لدراسة مدى تطابق محتوى أعمال هيكل مع الواقع الذي ينقله أو يشكله، واخترت الفصل بين مفهومي الموضوعية، والمصداقية؛ وخصصت أولهما بالفصل الثاني، وثانيهما بالفصل الثالث، وتتبعت في هذين

---

(1) على سبيل المثال، وجدتُ في أرشيف الأستاذ/ محمود عثمان راضي -وهو أحد الأقارب المهتمين بمتابعة كل ما يكتبه الأستاذ هيكل وما يكتب عنه- الآلافَ من مقالات هيكل والمقالات المتعلقة به، مُفَهْرَسَةً ومَوْضُوعَةً في ملفات مستقلة تبعًا للسنوات، وكان لهذا الأرشيف العظيم -بالإضافة إلى أرْشِيفَي الأهرام والأخبار- أثر مهم في هذا الكتاب.

(2) - د. مارلين نصر: التصوُّر القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1981، ص41.

- د. عبد المنعم سعيد: حرب الخليج والفكر العربي، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1993، ص19.
- نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل في مجال علاقات مصر الدولية في جريدة الأهرام ومجلة وجهات نظر: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2008، ص ص 3، 50.

الفصلين فجوات التوثيق، وآثار التحيز التي وُجِدَتْ في أعمال الأستاذ هيكل، **وبخاصة ما يتعلق** بالصورة التي يبنيها لتاريخ مصر.

ويخصص الفصل الرابع لدراسة أساليب الكتابة الشائعة في أعمال هيكل، وتطورها عبر الزمن، ويحلل كمًّا وافرًا من الظواهر البلاغية والأسلوبية والخطابية المهمة في أعمال هيكل،

واختُتِمَ الكتاب بخلاصة البحث ونتائجه، يتلوها قائمة وافية للمصادر والمراجع.

كما يشتمل الكتاب على أربع ملاحق مهمة ومتممة لمضمونه، **اشتمل الملحق الأول** على رصد لمقالات هيكل في مرحلة ما قبل الأهرام، وهو أول رصد من نوعه لتلك المقالات، **واشتمل الملحق الثاني** على لائحة بكتب الأستاذ هيكل، **واشتمل الملحق الثالث** على الدراسة التحليلية لتوثيق معلومات كتاب (بين الصحافة والسياسة)، مع تقييم للملحق الوثائقي لذلك الكتاب، كما **أشتمل الملحق الرابع** على صورة أول مقالة نُشِرَتْ للأستاذ هيكل بتوقيعه، وكانت بعنوان (كنت أتمنى أن أكون معهم)، حيث نُشِرَتْ في روز اليوسف في 1943/8/19، ولم يُشِرْ أيٌّ من المراجع إلى تلك المقالة قبل هذه الدراسة، كما اشتمل الملحق على صور عدة وثائق أخرى.

وبعد،،

لعل مما أسهم في اطالة الرحلة هو استمتاعي بها، فعندما يصبح الإبحار عشقًا تطول رحلة الرحالة، ولقد كان التاريخ دومًا - والتاريخ المعاصر منه بصفة خاصة - هو الهواية المفضلة منذ الصغر، لا أبالغ إذا قلت منذ المرحلة الإبتدائية، ربما بتأثير الأم العظيمة، أستاذة المواد الإجتماعية، المعطاءة بلا حدود لطلابها حتى أحب كثير منهم التاريخ تأثرًا بها، وربما بتأثير الأب

وحكاياته الكثيرة الجميلة عن الأحداث التي كان فيها شاهد عيان، ولم يزدني تباعدي المهني كمهندس ثم كمدير مشروعات إلا تمسكًا بهواتي المفضلة.

وفي القلب من الشغف التاريخي بتاريخ مصر الحديث والمعاصر كانت كتابات عبد الرحمن الرافعي ومحمد حسنين هيكل تحتل موقع الصدارة، أقبل عليها قراءة وتدبرًا ومقارنة، في علاقة جدلية، ليس فيها قبول مطلق ولا رفض مسبق، وأنما أدافع جمال العبارات ورونق الأسلوب لأنفذ إلى ما وراءه من الأفكار ناقدًا ومحللًا، وتمنيت لو جاءت الفرصة لأقدم دراسة وافية عن كتابات أحد هذين العلمين، فلما جاءت الفرصة وفيت بالنذر القديم أن أوفي الدراسة حقها.

التمهيد

المدرسة الصحفية في الكتابة التاريخية:

في كلمته أمام ندوة (الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952) - التي عُقِدَتْ عام 1979 - أشار د. عبد العظيم رمضان إلى ما أَسْمَاهُ: المدارس غير الأكاديمية في الكتابة التاريخية، وذَكَرَ منها أربع مدارس، هي: مدرسة الحزب الوطني (يُمَثِّلُهَا عبد الرحمن الرافعي، وصبري أبو المجد، وفتحي رضوان)، ومدرسة التفسير المادي (يُمَثِّلُهَا شهدي عطية، ورفعت السعيد، وصلاح عيسى)، والمدرسة العسكرية (يُمَثِّلُهَا جمال حماد، وأحمد حمروش)، أما المدرسة الرابعة، فيمكن إطلاق اسم "المدرسة الصحفية" عليها؛ نظرًا لأن الذين قَدَّمُوا دراساتٍ فيها هم من الصحفيين، ويُمَثِّلُهَا بالدرجة الأولى (محسن محمد، وموسى صبري، ومحمد حسنين هيكل)، وهم أغزر هذه المدرسة إنتاجًا، وأكثرهم اعتمادًا على التوثيق، وإن كان اعتماد محسن محمد على الوثائق البريطانية غير المنشورة يُعْطِي أعماله أهميةً خاصة، كما أن خُلُوَّ عَرْضِهِ في الكتابة التاريخية من الأهداف السياسية - التي تُمَيِّزُ أعمال الآخَرِينَ - يجعل كتابته أقرب إلى منهج البحث التاريخي من الأعمال الأخرى"[1]، ولا تُعْتَبَرُ المدرسة الصحفية في الكتابة التاريخية ظاهرةً مَحَلِّيَّةً؛ بل لها مَثِيلٌ في الغرب كذلك[2].

---

(1) د. أحمد عبد الله: تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبي (أعمال ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952)، دار شهدي للنشر، القاهرة، 1978، ص ص 67-68.

(2) ماري رامبولا: دليل الكتابة التاريخية، ترجمة د. محمد بن عبد الله الفريح، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1434هـ ص ص 27، 40-41.

وهناك خصائص عامة مَيَّزَت الكتابات التاريخية لتلك المدرسة التأريخية التي أشير إليها، والتي يمكن أن نُضِيفَ إلى أَعْمِدَتِهَا كذلك (محمد التابعي)، و(أحمد بهاء الدين)، و(جلال الدين الحمامصي)، وغيرهم، ومن هذه الخصائص: شهرةُ كُتَّابِهَا مقارنةً بالمؤرخين الأكاديميين في الغالب، وهذا يكفل لتلك الكتابات الذيوع والشهرة، والتأثيرُ في عدد أكبر من المُتَلَقِّينَ، خاصة مع وجود روابط سابقة في الغالب بين القراء وهؤلاء الكُتاب من خلال تَوَاصُلِ القارئ مع مقالاتهم وكِتاباتهم، ومن هذه الخصائص سهولةُ العبارة وتَدَفُّقُهَا مقارنةً بالكتابات الأكاديمية المتخصصة، ومنها التَّخَفُّفُ من الضوابط الأكاديمية في التوثيق والنقد الظاهري والخَفِيِّ للنصوص المنتقاة من الوثائق والمصادر، ومنها الجنوحُ نحو أساليبَ تَجْذِبُ القارئ وتَأْبَاهَا الكتابةُ التاريخية الأكاديمية، مثل الاستطراد في وصف الأماكن، والشرود من الأحداث التاريخية نحو القصص والوقائع المثيرة من وجهة النظر الصحفية - مثل العلاقات العاطفية، والفضائح.. إلى آخر ذلك - وكذلك تَلَوُّن الكتابة التاريخية تبعًا لتَقَلُّبِ السياسة، والقرب أو البعد من صانع القرار، وكذلك تغيُّر المصطلحاتِ المُسْتَخْدَمَةِ في الكتابات التاريخية مع تغيُّر الأنظمة، والميل إلى تَبَنِّي مصطلحات وتَوَجُّهَاتِ الفترة التي يَتِمُّ فيها تقديم تلك الكتابات التاريخية، ثم الرغبة في سرعة تقديم الكتابة التاريخية فَوْرَ انقضاء العصر؛ تَأَثُّرًا برغبة الصحفي في ملاحقة الحدث قبل أن يَفُوتَ أوانُ تغطيته ويصبح قليلَ الأهمية صحفيًا؛ فالصحفي يَشْعُرُ أنه مُطَالَبٌ برواية الحدثِ قبل غيره[1].

ويبقى الأستاذ محمد حسنين هيكل هو النموذج الأهم في هذه المدرسة بالمعايير النَّوْعِيَّةِ والكَمِّيَّةِ؛ فهو الأكثر شهرة بين تلك الأسماء التي زخرت بها هذه المدرسة، وتَعَدَّتْ شهرتُه مصرَ والعالمَ العربي إلى الخارج، ونَشَرَتْ له

(1) هيكل: خريف الغضب، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى (في مصر)، القاهرة 1988، ص21.

كُبْرَيَاتُ الصحف العالمية العديدَ من المقالات، ونَشَرَتْ له دُورُ الطباعة والنشر في بريطانيا والولايات المتحدة تِسْعَة كتب صَدَرَتْ طَبَعَاتُهَا الأصلية باللغة الإنجليزية، هذا غير الكثير من كتبه التي تُرْجِمَتْ للعديد من اللغات في أنحاء العالم، كما أن كتاباته التاريخية هي الأكثر شهرة وذيوعًا بين القراء مقارنةً بأي كاتب آخر - أكاديمي أو غير أكاديمي - كما أنها غَطَّتْ بشكل شبه كامل تاريخَ مصر المعاصر منذ عام 1942 وحتى ثورة يناير 2011، كما غَطَّتْ مواضيع أخرى مُتَدَاخِلَةً مع التاريخ المصري، مثل الصراع العربي الإسرائيلي، لذلك مَثَّلَ الأستاذ هيكل النموذجَ الأنسب للدراسة والتحليل؛ باعتباره مُمَثِّلًا لهذه المدرسة في الكتابة التاريخية.

كتابات هيكل التاريخية

أما من ناحية الكم، فقد قَدَّمَ الأستاذ هيكل خلال مسيرته أكثر من 1400 مقالةٍ وتحقيقٍ صحفي وحوار، منها أكثر من 300 مقالةٍ وتحقيقٍ صحفي في عَهْدِ ما قبل الأهرام (روز اليوسف، وآخر ساعة، والأخبار)[1]، ثم حوالي 745 مقالةً في الأهرام في الباب الشهير الذي حَمَلَ عنوان (بصراحة)، ثم حوالي 400 مقالة وتحقيق وحوار صحفي في فترة ما بعد ترك الأهرام وحتى الانصراف.

كما قَدَّمَ الأستاذ هيكل ستة وخمسين كتابًا، أولها كتاب (إيران فوق بركان) عام 1951[2]، وآخرها كتاب (مصر إلى أين.. ما بعد مبارك وزمانه)[3]، ومن هذه الكتب الست والخمسين، فإن هناك اثنين وعشرين كتابًا أصليًّا، وثلاثة وعشرين كتابًا هي تجميع لمقالات نُشِرَتْ في الصحف، وثمانيةَ كتبٍ هي في الأصل محاضرة أو مجموعة محاضرات طُبِعَتْ في كتاب بعد ذلك، وإن هناك كتابًا جمع الأحاديث الصحفية التي أدلى بها خلال سنوات مَنْعِهِ من الكتابة في مصر، وكتابًا كان أصلًا ورقةً بحثية قَدَّمَهَا لمؤتمرٍ ولم يُلْقِهَا بنفسه، وكتابًا جَمَعَ بين المقالات والأحاديث - وهو كتابه الأخير المذكور آنِفًا - فهذا هو تصنيف الكتب البالغة ستة وخمسين كتابًا[4].

وهذه الكتب - بكل ما تشمله على النحو السابق - مُقَسَّمَةٌ على الحِقَبِ التاريخية كالتالي: كتاب في عهد الملك فاروق، وسبعة كتب في عهد عبد الناصر (جميعُها تَجْمِيعٌ لمقالات)، وأحد عشر كتابًا في عهد السادات - منها خَمْسَةُ كتبٍ أصلية، وستةُ كتبٍ تجميع لمقالات - وأربعة وثلاثون كتابًا في عهد مبارك - منها

---

(1) ينظر الملحق رقم (1) بهذا الكتاب.

(2) هيكل: إيران فوق بركان، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1951.

(3) هيكل: مصر إلى أين - ما بعد مبارك وزمانه، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012.

(4) يُنْظَر الملحق رقم (2) بهذا الكتاب.

خمسة عشر كتابًا أصليًا - وثلاثة كتب في عهد المجلس العسكري، منها كتاب أصلي أخير هو (مبارك وزمانه (1) - من المنصة إلى الميدان)[1].

ويلاحَظُ أن لهيكل كتابين أَصْلِيَّيْنِ فقط قبل الخروج من الأهرام، وعشرين كتابًا أصليًا بعدها، مما يُؤَكِّدُ موضوعيةَ التَّحْقِيبِ الذي ذهب إليه الأستاذ هيكل خلال استعراضه حياتَهُ في كتابه الختامي (استئذان في الانصراف)، وهو الذي اعْتَمَدَتْهُ هذه الدراسة؛ من حيث تقسيم حياته المِهَنِيَّةِ ومسيرته في الكتابة إلى حِقْبَتَيْنِ أساسيتين: حقبة العمل في المؤسسات الصحفية (1942- 1974)، ثم حقبة الكتابة من مكتبه الخاص بعيدًا عن المؤسسات الصحفية وحتى إعلانه الانصراف (1974- 2003)[2].

وبعض الباحثين يشير إلى اقتراحاتٍ أخرى لتَحْقِيبِ أَطْوَارِ كتابات الأستاذ هيكل؛ فيذهب أحدهم إلى أن حياتَه ثلاثُ حِقَبٍ، الأولى مرحلة ما قبل التَّعَرُّفِ على عبد الناصر، ويُسَمِّيها الحقبة الصحفية غير السياسية، ثم مرحلة القُرْبِ من عبد الناصر (المرحلة الناصرية)؛ حيث أصبح هناك أبعاد أخرى لما يَكْتُبُ، ثم مرحلة ما بعد رحيل عبد الناصر (المرحلة الساداتية)[3]، وهذه الإشارة للتَّغَيُّرِ النَّاجِمِ عن قُرْبِ هيكل مع عبد الناصر - وبالتالي أصبحت كتاباته مُعَبِّرَةً بشكل كبير عن تَوَجُّهَاتِ العهد الناصري - إشارة سديدة، فالاختلاف النوعي لقيمةِ كتاباته - وكذلك لتَوَجُّهِهَا - اختلافٌ واضح؛ حيث أصبحت (بصراحة) أشهر مَسَاحَةٍ مُخَصَّصَةٍ لمقال صحفي، ليس في مصر وحدها، بل في العالم العربي كله، ولم يكن مجرد مقال صحفي يتناول شأنًا سياسيًا، بل كان يُقرأ كمؤشرٍ دقيق ومُعَبِّرٍ عن مُجْمَلِ تَوَجُّهَاتِ السُّلْطَةِ في مصر آنذاك، لكنني أَسْتَبْعِدُ أن

---

(1) هيكل: مبارك وزمانه (1) - من المنصة إلى الميدان، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012.

(2) هيكل: استئذان في الانصراف، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003، ص49.

(3) جمال الشلبي: محمد حسنين هيكل - استمرارية أم تَحَوُّل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1999، ص303.

يكون هناك اختلافٌ نَوعِيٌّ عكسي حَدَثَ بمجرد رحيل عبد الناصر، بل ظَلَّتْ لكتاباتِ هيكل الأهميةُ نفسها والتعبيرُ العام عن تَوَجُّهِ العهد حتى حرب أكتوبر، وأدق من هذا من أَوْرَدَهُ الأستاذ طارق البشري؛ حين أوضح أنه "يمكن القول إن هيكل كان صحافيًا سياسيًا في الأساس حتى قامت ثورة 23 يوليو، فلما ارْتَبَطَ بها وتَوَلَّى رئاسة تحرير صحيفة الأهرام صار سياسيًّا حَرَكِيًّا يَسْتَخْدِمُ الصحافةَ في التعبير عن موقف ثورة 23 يوليو أو عن موقفه السياسي في هذا الإطار، ومع تَرْكِهِ صحيفة الأهرام في 1974 صار مُفَكِّرًا سياسيًّا في الأساس.. وإن إبراز هذه الملامح العامة لا يَقْتَضِي فَصْلًا صارمًا بين المراحل، ولا يُخِلُّ بالتداخُلِ بين هذه المراحلِ"[1].

ويمكننا أن نشير إلى اختلافٍ نَوعِيٍّ آخر يمكن أن نعتبره مُنْعَطَفًا واضحًا في حياة هيكل وكتاباته بعد التعرف على عبد الناصر، ألا وهي هزيمة 1967، تلك الهزيمة التي أَحْدَثَتْ زلزالًا هَزَّ ثقة النظام الناصري – بكل مكوناته – في نفسه حتى الأعماق، خاصةً مع الضغوط السياسية والاقتصادية التي نَتَجَتْ عنها، والتي جعلت هذا النظام محتاجًا إلى طلب الدعم من خصوم الأمس، فاخْتَلَّت الثِّقَةُ المُطْلَقَةُ الممزوجة بالخُيَلاء الذي كان طابَعَ هذا النظام وأقطابه، وبدأت اللغة والمفردات التي يستخدمها في خطابه الخارجي تصبح أقل ثِقَةً في النفس وأقل حِدَّةً مع الآخرين، فبدأت تختفي مصطلحات مثل (الرَّجْعِيَّة العربية) و(عملاء الاستعمار) لتحلَّ مَحَلَّهَا – عند الحاجة – مصطلحاتٌ مثل (الأنظمة التقليدية)، ويُعَبِّرُ عن هذا المنعطف صديقُ الأستاذ هيكل وأحد أهم تلامذته المِهَنِيِّينَ وهو الأستاذ/ مكرم محمد أحمد، في شهادة مهمة قَدَّمَهَا في حياة الأستاذ هيكل: "كان هيكل فخورًا بنفسه ومهنته، وكان ينفش ريشه خُيَلاءَ وهو يمشي وسط صالة تحرير الأهرام مُسْرِعًا إلى اجتماع (الديسك المركزي) في الرابعة عصر كل يوم،

---

(1) طارق البشري: الأستاذ، السفير اللبنانية، 2/1/2004.

تَتْبَعُهُ نظراتُ إعجاب تلاميذه الذين كانوا يحاولون تَقَمُّصَ شخصيته بصور شتى.. لكن الكثير من هذا الخيلاء ذهب مع الريح بعد هزيمة 1967، خاصةً أن عناوين «الأهرام» كانت قد أَسْرَفَتْ كثيرًا في التَّبْشِيرِ بنَصْرٍ مُبِينٍ، يسدّ عين الشمس.. غير أن هزيمة مصر وقعت في غضون ست ساعات على نَحْوٍ صاعق، وغَيَّرَتْ كثيرًا من توجُّهات الأهرام ومواقف شبابه وشيوخه"[1].

ومن بين كتب هيكل الستة والخمسين، فإن عَشْرًا منها فقط يمكننا القول إنها تبتعد عن الحديث عن تاريخ مصر، إما لأنها مُخَصَّصَةٌ لمواضيع ليس لها صلة مباشرة بمصر - مثل (إيران فوق بركان)، و(الزلزال السوفييتي)[2]، و(الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق) - [3]وإما لأنها مُخَصَّصَةٌ لرؤى مستقبلية أكثر منها متعمقة في التاريخ مثل (آفاق الثمانينات)[4]، و(مصر والقرن الواحد والعشرين)[5]، بينما باقي الكتب الستة والأربعين تَعَرَّضَتْ - بالكثير أو القليل - لتاريخ مصر في عصوره المختلفة، خاصةً في القرن العشرين.

كذلك فإن المئات من مقالات هيكل تناولت تلك العصور المختلفة من التاريخ المصري، وهذا شَكَّلَ المادة التي أسهم فيها هيكل في الكتابة التاريخية.

---

(1) مكرم محمد أحمد: أستاذ الأساتذة، الأهرام، 21/9/2015.

(2) هيكل: الزلزال السوفييتي، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 1990.

(3) هيكل: الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003.

(4) هيكل: آفاق الثمانينات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1981.

(5) هيكل: مصر والقرن الواحد والعشرين – ورقة في حوار، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1994.

الفصل الأول

حياة هيكل وكتاباته

من البدايات حتى الرحيل



1.1 النشأة والعصر الملكي:

وُلِدَ محمد حسنين هيكل في حي الحسين بالقاهرة في 23 سبتمبر 1923، وكان أبوه تاجرَ غِلَالٍ بسيط متنقل من قرية باسوس القريبة من القاهرة[1]، كان الأب لا يعرف القراءة والكتابة، أَنْجَبَ من زوجته الأولى ثلاثة أولاد وثلاث بنات، وأنجب من زوجته الثانية ولدين وخمس بنات، أكبرهم محمد[2].

تَحَسَّنَتْ أحوال الأب بعد زواجه من والدة هيكل، فأقام في بيت والدها بحي الحسين، وهناك وُلِدَ هيكل ونَشَأَ، وكانت لجدِّ هيكل صاحبِ البيت مكتبةٌ كبيرة أسهمت في اهتمام هيكل بالقراءة، ولكن بقي الفضل الأكبر في الاهتمام بالقراءة والفن القصصي إلى والدته[3].

وعلى الرغم من رغبة أبيه في تعليمه تعليمًا أزهريًّا، فقد الْتَحَقَ هيكل - مُعَزَّزًا بإصرار والدته - بمدرسة (خليل أغا)[4]، على أن الأزمة العالمية التي ضَرَبَتْ مصر والعالم في الثلاثينيات قد أَلْقَتْ بظلالها على تجارة الأب التي أصابها الكساد بدَوْرِهَا، ويتكفل أخوه غيرُ الشقيق عبد الحميد بنفقات تعليمه في المدرسة الابتدائية[5]، ثم يدخل هيكل مدرسة التجارة المتوسطة عام 1935، وتَخَرَّجَ فيها عام 1939 حاصلًا على دبلوم التجارة المتوسطة[6]، ويشعر هيكل أن الشهادة التي حصل عليها لا تتوازى مع طموحاته، وأن مستقبلها محدود، فيُقْبِلُ على تنمية قدراته، وبدأ في تَلَقِّي دورات في القسم الأوروبي من الجامعة

---

(1) عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، الفرسان للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص81.

(2) صلاح منتصر: قراءة في تاريخ محمد حسنين هيكل (4)، مجلة الشباب، 2004/5.

(3) عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، مرجع سابق، ص ص 67-70.

(4) - عادل حمودة: المرجع السابق، ص82.

- سناء البيسي: في يوم ميلادك، الأهرام، 2015/9/21.

(5) إبراهيم الويشي: خريف هيكل، دار النمر، القاهرة، 1988، ص19.

(6) - ضياء الدين بيبرس: هوامش على قصة محمد حسنين هيكل، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1975، ص29.

- عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، مرجع سابق، ص91.

الأمريكية، وتَلَقَّى كذلك دورات في الفرنسية في مدرسة الليسيه[1].

وفي القسم الأوروبي من الجامعة الأمريكية تُتاح له الفرصة لحضور محاضرات في الصحافة يلقيها "سكوت واطسون" الصحفي المعروف وقتها في جريدة "الإجيبشيان جازيت"، فيَجِدُ هيكل فيها ضَالَّتَهُ المنشودة، ويوجِّه سكوت واطسون الدعوةَ لمن يريد من الطلاب أن يتلقى تدريبًا في الجريدة ذات التوزيع المرتفع وقتها؛ بسبب ظروف الحرب، ووجود مئات الآلاف من قوات الحلفاء - وأغلبهم من دول الكومنولث الناطقة بالإنجليزية - في مصر، فيسارع هيكل للالتحاق بهذا التدريب في الإجيبشيان جازيت، ويحفر يوم البداية باعتباره يومَ دخوله إلى عالم الحياة الصحفية، وهو يوم 8 فبراير 1942[2].

أمضى هيكل في التدريب داخل الإجيبشيان جازيت قُرَابَةَ سنة، ساهم خلالها في عدة تحقيقات، ومنها تحقيق عن إلغاء البغاء، وتحقيق عن تَفَشِّي وباء الملاريا، وتحقيقات أخرى في صفحة الحوادث[3].

وفي أواسط عام 1943 ينتقل هيكل إلى مجلة روز اليوسف كسكرتير تحرير[4]، ومن خلالها تُنْشَرُ له أولى كلماته في الصحافة الناطقة بالعربية، وكانت مقالة كَتَبَهَا في مَعْرِضِ التعليق على دعوة الملك للأوائل الخمسة من خريجي المعاهد الدراسية لتَنَاوُلِ الشاي معه في قصر عابدين[5]، وعلى غِرَارِهَا يكتب مقالة أخرى تعليقًا على رحلة الملك فاروق إلى كفر الدوار[6]، ثم يكتب (إنه الفاروق) تعليقًا على زيارة الملك للصعيد التي تَوَاكَبَتْ مع عيد ميلاده[7]، ويكتب

---

(1) عادل حمودة: هيكل (الحياة - الحرب - الحب)، مرجع سابق، ص ص 92-95.

(2) المرجع السابق، ص ص 99- 100، 104.

(3) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/8/4.

(4) رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003، ص16.

(5) هيكل: كنت أتمنى أن أكون معهم، روز اليوسف، العدد 792، 1943/8/19.

(6) هيكل: ليس لأنه الملك، روز اليوسف، العدد 809، 1943/12/16.

(7) هيكل: إنه الفاروق، روز اليوسف، العدد 818، 1944/2/17.

في عيد جلوس الملك (في يومِ عيدِكَ يا مولاي)[1].

ولم تكن جميع مقالاته في روز اليوسف سياسية، بل تَخَلَّلَتْهَا مقالات في متابعة الشأن الاقتصادي[2]، وكانت هناك كذلك مقالات اجتماعية أحيانًا، مثل كلمة كتبها عن حبه الأول[3].

وينتقل هيكل إلى آخر ساعة في أواخر عام 1944، ولا يَحْظَى في البداية بنفس الدور الذي كان له في روز اليوسف، فتَمُرُّ ثمانية أشهر قبل أن يُنْشَرَ له في آخر ساعة – للمرة الأولى[4] – سلسلةُ لقاءات مع السَّاسَةِ، وكان يقوم بأعمال سكرتارية التحرير، يُلَخِّصُ تقارير المراسلين[5].

وفي عام 1946 تنتقل مِلْكِيَّةُ مجلة آخر ساعة من الأستاذ التابعي إلى الأَخَوَيْنِ مصطفى وعلي أمين، فينتقل هيكل معها إلى مؤسسة أخبار اليوم، ويصبح بذلك أحد أعضاء جريدة أخبار اليوم، وهي المعروفة بولائها للسراي[6]، ويتوقف هيكل من جديد لعدة أشهر أخرى قبل أن يعود في تغطية لمؤتمر بلودان لرؤساء الحكومات العرب، وهي باكورة ما نُشِرَ له في أخبار اليوم[7]، ثم

---

(1) هيكل: في يوم عيدك يا مولاي، روز اليوسف، العدد 830، 1944/5/11.

(2) – هيكل: رجل الدولار، روز اليوسف، العدد 803، 4/11/1943.

– هيكل: أحاديث تهمك، روز اليوسف، العدد 827، 20/4/1944.

(3) هيكل: الغرام الأول، روز اليوسف، العدد 837، 29/6/1944.

(4)عدا مشاركة نُشِرَتْ له في موضوع صحفي بعنوان (مواقف حَرِجَة في حياة مُحَرِّري آخر ساعة الغَرَّاء) في العدد 546، يروي فيه بعض مُحَرِّري المجلة بعض ما تَعَرَّضُوا له، وقد تَمَّتْ الإشارة إليه في الصفحة السابقة، في مَعْرِضِ حديثه عن فترة التدريب في "الإجيبشي ان جازيت"، وما حدث له في موضوعه الأول فيها عن البِغَاء.

(5) جمال الشلبي: محمد حسنين هيكل – استمرارية أم تحوُّل، مرجع سابق، 1999، ص28.

(6) -كريم ثابت: ملك النهاية – فاروق كما عرفته، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة، 2003، (ص19، مُقَدِّمَة بقلم محمد حسنين هيكل).

-هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 22/9/2005.

-هيكل: العروش والجيوش (ج2)، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص194.

-هيكل: سقوط نظام، دار الشروق، الطبعة الثانية، ص ص 351، 552.

(7) هيكل: رسالة مؤتمر بلودان، أخبار اليوم، العدد 83، 8/6/1946.

نُشِرَتْ له عِدَّةُ تحقيقات صحفية متباعدة، ثم أشرف على باب أسبوعي عن الحوادث بعنوان (جرائم الأسبوع).

ويبدأ هيكل صعوده عام 1947 حين قَدَّمَ تحقيقًا عن "خُط الصعيد" وعصابته التي شغلت مصر في تلك الفترة[1]، ثم قَدَّمَ عدة تحقيقات صحفية عن مرض الكوليرا وانتشاره[2]، ليفوز عنها بجائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية للمرة الأولى[3].

وينضم هيكل إلى نقابة الصحفيين في يناير 1948، وكان قد تَقَدَّمَ بطلب الانضمام في ديسمبر 1947[4]، وبعد حوالي شهر كانت الداخلية قد أَتَمَّتْ تحرياتها، وبعثت بتقريرها رقم «و/53 /56 سري» إلى محكمة مصر، متضمنًا أنه حسن السير والسلوك وليس له لون سياسي[5].

وفي أوائل عام 1948 ينطلق إلى فلسطين ليُقَدِّمَ تحقيقاتٍ عن تَصَاعُدِ الأحداث هناك تحت عنوان (النار فوق الأرض المقدسة)، وفيها يَصِفُ الاشتباكات قُبَيْلَ الحرب في فلسطين، ويدعو القوات النظامية إلى التَّدَخُّلِ[6]، ويفوز عنها بجائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية للمرة الثانية[7]، وعاد إلى

---

(1) هيكل: خُطّ الصعيد، آخر ساعة، العدد 668، 1947/8/13.

(2) هيكل: الموقعة الأولى في حرب الكوليرا، أخبار اليوم في ميدان المعركة (1)، أخبار اليوم، العدد 151، 1947/9/27.

هيكل: الموقعة الأولى في حرب الكوليرا، أخبار اليوم في ميدان المعركة (2)، أخبار اليوم، العدد 152، 1947/10/4.

(3) الأهرام، 1948/2/16.

(4) محمد حماد: الرئيس والأستاذ، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012، ص80.

(5) -ملحق رقم (4).

- عادل حمودة، هيكل أسرار وحكايات، صوت الأمة، 2003/9/8.

- محمد حماد: الرئيس والأستاذ، مرجع سابق، ص81.

(6) - هيكل: النار فوق الأرض المُقَدَّسَة، أخبار اليوم، العدد 182، 1948/5/1.

- هيكل: أسرار سقوط حيفا - الهاجاناه وأسرار العاصفة التي تجتاح فلسطين، أخبار اليوم، العدد 183، 1948/5/2.

(7) الأهرام، 1949/3/18.

فلسطين بعد أن أُعْلِنَت الحرب ودخلت الجيوش العربية، فكتب في الشهر ذاته يصف الخطوط الأولى للقتال، ثم يصف تَطَوُّرَ المعارك بعدها، ويَهْتَمُّ بحصار القوات المصرية في الفالوجا ويُقَدِّمُ عدة تحقيقات عنه[1].

وفي عام 1949 يُقَدِّمُ عدة تحقيقات عن الصراع في البلقان، فيكتب عن الحرب الأهلية في اليونان، ويُلاحَظُ تَبَنِّيه مَوْقِفَ الحكومة ضد الشيوعيين، ثم يُقَدِّمُ تحقيقات عن تركيا[2]، ثم تحقيقات عن الانقلابات السورية[3]، ويُحَذِّرُ في آخرها من التغلغل السوفييتي في المنطقة، ويفوز عنها بجائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية للسنة الثالثة على التوالي[4].

وفي عام 1951 يكتب سلسلةَ التحقيقات التي أجراها عن تَطَوُّرِ الأحداث والاضطرابات السياسية في إيران، واسْتَهَلَّهَا بالتحقيق في اغتيال رئيس الوزراء[5]، ثم رَصَدَ إرهاصات التَّوَجُّهِ نحو تأميم البترول[6]، وهو ما عُرِفَ لاحقًا بثورة مصدق، ويعرض لقاءاته مع الشاه[7]، وقد قام بجمع هذه التحقيقات الصحفية مع بعض الزيادات في كتاب هو باكورة كُتُبِهِ باسم (إيران فوق بركان)[8]، ويتولى قبيل الثورة منصب رئيس تحرير آخر ساعة[9].

---

(1) أخبار اليوم، أعداد 186، 187، 198، 199، 212، 225، وآخر ساعة الأعداد 714، 734، 751.

(2)أخبار اليوم، أعداد 229، 231، آخر ساعة، أعداد 752، 755، 757.

(3) أخبار اليوم، أعداد 268، 269، آخر ساعة، أعداد 774، 792.

(4) الأهرام، 1950/3/10.

(5) هيكل: أخبار اليوم تطير إلى طهران للتحقيق في مصرع رئيس الوزراء، أخبار اليوم، العدد 332، 1951/3/17.

(6) هيكل: صحفي من شُرْفَةِ الزوار يقترح على مجلس النواب الإيراني تَأْمِيمَ البترول، أخبار اليوم، العدد 339، 1951/5/5.

(7) -هيكل: شاه إيران يتحدث إلى أخبار اليوم، أخبار اليوم، العدد 333، 1951/3/24.

- هيكل: شاه إيران يتحدث.. سر ابنته الأميرة شاهناز، آخر ساعة، العدد 858، 1951/4/4.

(8) هيكل: إيران فوق بركان، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1951.

(9) علي أمين: آخر ساعة، العدد 921، 1952/6/18.

2.1 بعد قيام الثورة:

بدا هيكل مدركًا لما قد يترتب على الثورة من حلول جديل جديد محل الجيل القديم من الصحفيين، فبدأ في أول مقالاته بعد الثورة بمهاجمة المتكلمين القدماء بعنوان مُوحٍ (اسْكُتُوا أنتم ودَعُوا غَيْرَكُمْ يتكلم!!)[1]، ثم كانت المقالة التالية عن (تطهير الصحافة)[2]، وهذا يُوَضِّحُ تَعَجُّلَهُ وراثةَ مقاعدِ عهد ما قبل الثورة.

ثم يكتب للمرة الأولى عن أعضاء مجلس قيادة الثورة دون ذِكْرِ أسماء؛ إذ كان وقتها هناك اتفاق بعدم نشر أسماء الضباط أو الدعاية لهم، وكان الأول في تلك المقالة هو عبد الناصر، تحت عنوان (الأول: السكون الذي تَرْقُدُ تحته عاصفة)، ومما كتب عنه أنه سمع عنه في الفالوجا ولم يَرَهْ، "ثم إلتقاه لأول مرة وكان ذلك في بيت محمد نجيب قبل الثورة بأيام[3]، ثم ينطلق في رحلة تدريب للصحفيين الشبان إلى الولايات المتحدة، ويتابع المعركة الانتخابية التي انْتَهَتْ بتَوَلِّي أيزنهاور الرئاسة[4]، ثم ينتقل إلى كوريا واليابان وتايوان في متابعة للحرب الكورية[5].

---

(1) هيكل: اسْكُتُوا أنتم ودَعُوا غَيْرَكُم يتكلم!!، آخر ساعة، العدد 927، 1952/7/30.

(2) هيكل: تطهير الصحافة، آخر ساعة، العدد 929، 1952/8/13.

(3) هيكل: مَنْ هُمْ ضباط قيادة محمد نجيب، آخر ساعة، العدد 931، 1952/8/27.

(4) هيكل: مستوى الأدب ينحدر بسرعة في المعركة الانتخابية، أخبار اليوم، العدد 410، 1952/9/13.

(5) -هيكل: أخبار اليوم في كوريا.. هيكل أول صحفي مصري يطير إلى ميدان القتال، أخبار اليوم، العدد 426، 1953/1/3.

- هيكل: النجم الأحمر فوق أُفُقِ اليابان، أخبار اليوم، العدد 428، 1953/1/17.
- هيكل: أخبار اليوم في الصين.. هيكل عائدًا من فورموزا، أخبار اليوم، العدد 431، 1953/2/7.

3.1 مع عبد الناصر:

كان لقاءُ عبد الناصر وهيكل لقاءَ القَدَرِ وكذلك لقاءَ الاحتياجات المتبادلة، احتياج عبد الناصر المُتَعَطِّشِ لمعرفة أسرار السياسة وكواليس الحكم والمعلومات المهمة عن الداخل والخارج وما وراء تلك المعلومات وما بين السطور، وهذا بالتحديد ما يبرع فيه هيكل، فالْتَقَى هذا مع طموح هيكل الصحفي والنفسي لأن يكون قريبًا من مَوْقِعِ السلطة[1].

وسرعان ما أدرك هيكل بذكائه - وبما تَوَفَّرَ له من المعلومات - أن خيوط القوة تنتهي في يد عبد الناصر[2]، وفي عام 1953 بدت انحيازيات هيكل نحو عبد الناصر تغدو واضحة، فزادت المقالات التي تَكِيلُ المديحَ له في آخر ساعة التي يَتَرَأَّسُ هيكل تحريرها، ومعظم تلك المقالات بقلم هيكل نفسه[3]، ولم يَنْتَهِ العامُ إلا وقد وصفه بالنجم الساطع في سماء الشرق الأوسط[4].

في العام ذاته خرج كتاب (فلسفة الثورة) الذي كان نِتَاجَ حوارات بين عبد الناصر وهيكل، وصاغها هيكل بأسلوبه[5]،[6]، والكتاب يتحدث عن دوائر عربية وأفريقية وإسلامية كمجال لاهتمام مصر، لكن ركائز الفكر الناصري مثل

(1) يروي فتحي غانم مقولة سمعها منه وقتها "لقد انْتَوَيْتُ أن أضع نفسي قريبًا مِمَّنْ في يده القوة"

Stewart, Desmond: The Rise and Fall of Mohammad Heikal, Encounter Magazine, London, 6/1974, p. 89.

(2) هيكل: النجم الذي يَسْطَعُ في سماء الشرق الأوسط، آخر ساعة، العدد 992، 1953/10/28.

(3) رياض الصيداوي: هيكل - الملف السري للذاكرة العربية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000، ص ص 105-115.

(4) هيكل: النجم الذي يَسْطَعُ في سماء الشرق الأوسط، آخر ساعة، العدد 992، 1953/10/28.

(5) -هيكل: جمال عبد الناصر يَرْوِي فلسفة الثورة (1)، آخر ساعة، العدد 981، 1953/8/12.

- هيكل: جمال عبد الناصر يَرْوِي فلسفة الثورة (2)، آخر ساعة، العدد 986، 1953/9/16.

- هيكل: جمال عبد الناصر يَرْوِي فلسفة الثورة (3)، آخر ساعة، العدد 1002، 1954/1/6.

(6) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص ص 20، 21.

القومية العربية والاشتراكية لم تظهر في هذا الكتاب؛ حيث تَبَلْوَرَتْ لاحقًا وتباعًا على مدار السنوات العشر التالية.

وخلال أزمة فبراير ومارس عام 1954 حاول هيكل أن يتحسس خطاه بتوازن بين الفرقاء فكتب: "إن محمد نجيب هو قلب الثورة، وعبد الناصر هو عقلها، يجب أن يمضي القلب إلى مسعاه بين الناس ينشر الحب ويُبَشِّرُ بالمبادئ ويُوَثِّقُ الصلات، ويجب أن ينصرف العقل إلى التفكير والتدبير، وإلى تحديد المشاكل ورَسْمِ الخطط والإقدام على التنفيذ.. القوات المسلحة يجب أن تكون بعيدة على الحدود"[1].

لكن عبد الناصر حَسَمَ الصراع وأصبح الحاكم المطلق، وتزداد مكانة هيكل واقترابه منه، وفي ذلك العام أثناء مفاوضات الجلاء زار عبدُ الناصر "هيكل" في مكتبه في أخبار اليوم، وكان ذلك حديثَ الوسط الصحفي يومها؛ حيث كان دلالة على قوة العلاقة والمكانة الجديدة لهيكل عنده[2].

وفي يناير 1955 تزوج هيكل وعمره 32 عامًا من الآنسة هدايت تيمور، قد حضر عقد القران الرئيس عبد الناصر والصاغ صلاح سالم"[3]، وهذه أيضًا إشارة إلى العلاقة الخاصة المبكرة مع عبد الناصر.

وفي مارس من نفس العام يَتَوَجَّهُ عبد الناصر لزيارة الحدود الشرقية عقب الغارة الإسرائيلية على غزة، وكان هيكل هو الصحفي الوحيد في صحبته[4]، في إرهاصات للظاهرة التي ستُسَمَّى لاحقًا في الستينيات بالصحفي الأوحد.

---

(1) هيكل: مشكلة الشهور الأربعة القادمة، آخر ساعة، العدد 1012، 1954/3/17.

(2) ضياء الدين بيبرس: هوامش على قصة محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص59.

(3) رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، مرجع سابق، ص33.

(4) هيكل: أنا قادم من الصفوف الأمامية، أخبار اليوم، العدد 543، 1955/4/2.

3.1 مع عبد الناصر:

كان لقاءُ عبد الناصر وهيكل لقاءَ القَدَرِ وكذلك لقاءَ الاحتياجات المتبادلة، احتياج عبد الناصر المُتَعَطِّش لمعرفة أسرار السياسة وكواليس الحكم والمعلومات المهمة عن الداخل والخارج وما وراء تلك المعلومات وما بين السطور، وهذا بالتحديد ما يبرع فيه هيكل، فالْتَقَى هذا مع طموح هيكل الصحفي والنفسي لأن يكون قريبًا من مَوْقِعِ السلطة[1].

وسرعان ما أدرك هيكل بذكائه – وبما تَوَفَّرَ له من المعلومات – أن خيوط القوة تنتهي في يد عبد الناصر[2]، وفي عام 1953 بدت انحيازيات هيكل نحو عبد الناصر تغدو واضحة، فزادت المقالات التي تَكِيلُ المديحَ له في آخر ساعة التي يَتَرَأَّسُ هيكل تحريرها، ومعظم تلك المقالات بقلم هيكل نفسه[3]، ولم يَنْتَهِ العامُ إلا وقد وصفه بالنجم الساطع في سماء الشرق الأوسط[4].

في العام ذاته خرج كتاب (فلسفة الثورة) الذي كان نِتَاجَ حوارات بين عبد الناصر وهيكل، وصاغها هيكل بأسلوبه[5]،[6]، والكتاب يتحدث عن دوائر عربية وأفريقية وإسلامية كمجال لاهتمام مصر، لكن ركائز الفكر الناصري مثل

---

(1) يروي فتحي غانم مقولة سمعها منه وقتها "لقد انْتَوَيْتُ أن أضع نفسي قريبًا مِمَّنْ في يده القوة"
Stewart, Desmond: The Rise and Fall of Mohammad Heikal, Encounter Magazine, London, 6/1974, p. 89.

(2) هيكل: النجم الذي يَسْطَعُ في سماء الشرق الأوسط، آخر ساعة، العدد 992، 1953/10/28.

(3) رياض الصيداوي: هيكل – الملف السري للذاكرة العربية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000، ص ص 105-115.

(4) هيكل: النجم الذي يَسْطَعُ في سماء الشرق الأوسط، آخر ساعة، العدد 992، 1953/10/28.

(5) –هيكل: جمال عبد الناصر يَرْوِي فلسفة الثورة (1)، آخر ساعة، العدد 981، 1953/8/12.
– هيكل: جمال عبد الناصر يَرْوِي فلسفة الثورة (2)، آخر ساعة، العدد 986، 1953/9/16.
– هيكل: جمال عبد الناصر يَرْوِي فلسفة الثورة (3)، آخر ساعة، العدد 1002، 1954/1/6.

(6) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص ص 20، 21.

القومية العربية والاشتراكية لم تظهر في هذا الكتاب؛ حيث تَبَلْوَرَتْ لاحقًا وتباعًا على مدار السنوات العشر التالية.

وخلال أزمة فبراير ومارس عام 1954 حاول هيكل أن يتحسس خطاه بتوازن بين الفرقاء فكتب: "إن محمد نجيب هو قلب الثورة، وعبد الناصر هو عقلها، يجب أن يمضي القلب إلى مسعاه بين الناس ينشر الحب ويُبَشِّرُ بالمبادئ ويُوَثِّقُ الصلات، ويجب أن ينصرف العقل إلى التفكير والتدبير، وإلى تحديد المشاكل ورَسْمِ الخطط والإقدام على التنفيذ.. القوات المسلحة يجب أن تكون بعيدة على الحدود"[1].

لكن عبد الناصر حَسَمَ الصراع وأصبح الحاكم المطلق، وتزداد مكانة هيكل واقترابه منه، وفي ذلك العام أثناء مفاوضات الجلاء زار عبدُ الناصر "هيكل" في مكتبه في أخبار اليوم، وكان ذلك حديثَ الوسط الصحفي يومها؛ حيث كان دلالة على قوة العلاقة والمكانة الجديدة لهيكل عنده[2].

وفي يناير 1955 تزوج هيكل وعمره 32 عامًا من الآنسة هدايت تيمور، قد حضر عقد القران الرئيس عبد الناصر والصاغ صلاح سالم"[3]، وهذه أيضًا إشارة إلى العلاقة الخاصة المبكرة مع عبد الناصر.

وفي مارس من نفس العام يَتَوَجَّهُ عبد الناصر لزيارة الحدود الشرقية عقب الغارة الإسرائيلية على غزة، وكان هيكل هو الصحفي الوحيد في صحبته[4]، في إرهاصات للظاهرة التي ستُسَمَّى لاحقًا في الستينيات بالصحفي الأوحد.

---

(1) هيكل: مشكلة الشهور الأربعة القادمة، آخر ساعة، العدد 1012، 1954/3/17.

(2) ضياء الدين بيبرس: هوامش على قصة محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص59.

(3) رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، مرجع سابق، ص33.

(4) هيكل: أنا قادم من الصفوف الأمامية، أخبار اليوم، العدد 543، 1955/4/2.

ثم يأتي أهم أحداث العام وهو المؤتمر الكبير للدول الأفرو - آسيوية، والمعروف باسم مؤتمر (باندونج)؛ نسبة للمدينة التي أقيم فيها في إندونيسيا، وكان النواة الأولى لنشأة حركة عدم الانحياز، ويبدو أن هذا المؤتمر وكواليسه قد ساهمت في حصول هيكل على موقعه المتميز إلى جوار عبد الناصر مقارنةً بغيره من الصحفيين؛ فقد كان هذا هو أول ظهور عالمي كبير لعبد الناصر، الذي وجد أن كل الصحفيين الذين اصْطَحَبَهُم معه يسألونه عن الأخبار بينما كان هيكل يُقَدِّمُ لعبد الناصر الأخبارَ التي يريد سماعها، وكان يجمعها من اتصالاته في المؤتمر، خاصة مع الصحفيين الأجانب[1].

وهكذا لم ينته عام 1955 إلا وقد أصبح هيكل الصحفيَّ الملاصقَ لعبد الناصر، ويأتي عام 1957 ليبتعد عن مملكة أخبار اليوم الصحفية الخاصة بمصطفى وعلي أمين وتكون له مملكته الخاصة في الأهرام التي تَزْدَهِرُ على يديه.

وأصبح هناك خط تليفوني مباشر بين عبد الناصر ومكتب هيكل في الأهرام، وأصبحت هناك مكالمة تليفونية يومية لمدة نصف ساعة – كما يروي هيكل – يستعرضان فيها الأحداث الدولية وتداعياتها خلال اليوم السابق، ويُسْتَثْنَى من هذا يومُ الجمعة؛ حيث يكون هيكل في بيته الريفي في قرية برقاش، ويُصِرُّ هيكل على أن هذا الاتصال اليومي ليس من باب تقديم تقرير خاص لعبد الناصر بقَدْرِ ما هو جزء من الإعداد للاجتماع اليومي لهيئة تحرير الأهرام[2].

ولم تقتصر علاقتهما الخاصة على التقرير الصباحي، بل كانا أحيانًا يقضيان الساعات الطويلة يناقشان عبر الهاتف السياسات الخارجية والداخلية

(1) هيكل: أسرار أزمة غزة، أخبار اليوم، العدد 553، 1955/6/11.

(2) Nasser, Munir K.: Press, Politics, and Power- Egypt's Heikal and Al Ahram, Ph.D. Thesis, the Iowa State University Press, First Edition, Iowa 1979, p. 53 (during interview with Heikal at July 20th, 1976).

والمواضيع المختلفة[1]، وكان هيكل يذهب لبيت عبد الناصر كثيرًا، خاصة في الصيف حين يُرْسِلُ كلٌّ منهما أُسْرَتَهُ للإسكندرية، فيَتَّسِعُ لهما الوقت للمناقشات المُطَوَّلَةِ في المساء، التي يتخللها تناوُل العشاء، ومشاهدة الأفلام الأمريكية التي يَعْشَقُهَا عبد الناصر[2]، وهكذا كانت العلاقات بينهما علاقات عمل ممتزجة بصداقة تَشْمَلُ العائلتين كما ذكرت ابنة عبد الناصر.

ويوضح هيكل أنه كان يُسْهِمُ في صنع القرار وليس صانعًا له، إذ يؤكد أن مناقشاته المُطَوَّلَةَ مع عبد الناصر حول القرارات المختلفة كثيرًا ما أخذها عبد الناصر بعين الاعتبار، وكانت العلاقة الحميمة مع عبد الناصر هي السبب الرئيسي في رفض هيكل المتكرر للموقع الوزاري؛ حتى لا تَتَغَيَّرَ مَعَالِمُ تلك العلاقة وتتحول إلى علاقة مرؤوس مباشر برئيسه[3]، ومن الواضح أن هيكل لم يُوَجِّهْ عبد الناصر لأيديولوجيا مُحَدَّدَةٍ، ولا لتَغَيُّرَاتٍ سياسية حادة، وكان من الحَصَافَةِ بحيث يفهم خط عبد الناصر، ثم يساعده في صياغة أفكاره العامة[4].

وطوال سنوات ما قبل النكسة كان تركيزُ هيكل على المعارك السياسية الخارجية للنظام الناصري، وكان المُعَبِّرَ والمُنَظِّرَ السياسي لقضاياه الكبرى، مثل حَمْلِ لواء القومية العربية، ومعركة الأحلاف، والحرب الدعائية ضد الاستعمار والأنظمة الرَّجْعِيَّةِ، ثم ضد مزايدات ومراوغات حزب البعث في سوريا والعراق، وكان طابع تلك المرحلة الثقة بالنفس، ومحدودية النقد الذاتي، وإضفاء الهالة الكاريزمية على

---

(1) منى عبد الناصر: الوَفِيّ لجمال عبد الناصر، السفير اللبنانية، 2003/9/23.

(2) Ibid, p. 55)during interview with Heikal at July 20th, 1976).

(3) Ibid, p. 55)during interview with Heikal at July 20th, 1976).

(4) Idriss, Shahira: The Political Role of a Journalist: The Case of Mohamed Hassanein Heikal (1952-1974), Master Thesis, The Department of Economics, Political Science, and Mass of Communication, AUC, Cairo 1987, p. 62.

الزعامة الناصرية، خاصة عد حرب 1956، ثم بعد الوحدة عام 1958، واستثمار تلك الانتصارات السياسية في ترسيخ صورة الزعامة الكاريزمية[1].

وعلى هذا فقد بَرَزَ اسمُه على صعيد الوطن العربي عمومًا طوال العهد الناصري كناطق غير رسمي بلسان عبد الناصر، وكانت المهمةُ الإعلاميةُ المَنُوطَةُ به تَتَلَخَّصُ في تسويق الرؤية الناصرية للأحداث التي كانت تُحِيطُ بالأمة العربية آنذاك، وتسويقِ سياساته الخارجية والداخلية، وإعطائها الأبعاد التَّنْظِيرِيَّةِ الفكرية والتاريخية[2]، وكذلك تسويق تقييم عبد الناصر للشخصيات السياسية البارزة في الدول العربية مَدْحًا وذَمًّا[3].

ومع هذا فلم تخل جعبته من بعض لمحات في (نقد التجربة)، ولم يقتصر فيها على مقالاته الشخصية في الأهرام، بل أَفْسَحَ المَجَالَ للنقد الرمزي من خلال الأدب؛ فنَشَرَ على حلقات رواية (ثرثرة فوق النيل) لنجيب محفوظ، التي تتناول بالنقد بعضَ الأوضاعِ في المجتمع، ونشر مسرحية (بنك القلق) لتوفيق الحكيم في الإطار ذاته.

ثم جاءت النَّكْسَةُ فزَلْزَلَت الجميع، فزاد تَوَجُّهُ هيكل للكتابة في الشأن الداخلي، وزادت جرعات النقد الذاتي بوضوح، ولكن مما يُلاحَظُ على هيكل أنه لم يَنْتَقِدْ أبدًا شخص عبد الناصر ولا سياساته، وإنما كان ينتقد أَوْجُهَ الضعف في النظام الناتج عن عدم تطبيق سياسات عبد الناصر وأفكاره[4]، وتَنَاوَلَ بنفسه في مقالاته بعضَ الظواهر السلبية مثل زوار الفجر، ومثل ضرورة التغيير، حتى إنه كتب في إحدى المقالات أن النظام الذي لا يُرِيدُ أن يُغَيِّرَ فلا بُدَّ

(1) شمس بدران: مذكرات شمس بدران، مركز النخبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014، ص ص 74، 141-142.

(2) Idriss, Shahira: op. cit., p. 61.

(3) سليمان البواب: محمد حسنين هيكل وسقوط المُحَرَّمَات - العروش والجيوش، الطبعة الأولى، دار المنارة للدراسات، بيروت، 2000، ص ص 6-7.

(4) Idriss, Shahira: op. cit., p. 74.

أن يَتَغَيَّرَ، ويومها - كما يروي هيكل - عاتبه عبد الناصر في مرة نادرة على ما يكتب، وذكر له أن ما بينهما من العلاقة يَسْمَحُ بتواصلٍ أفضل من أن يكون على صفحات الجرائد، وأنه لا يتوقع أن يَكْتُبَ عنه كما يكتب غسان تويني[1] عن شارل حلو[2]، ومع ذلك صَبَّ المتظاهرون غَضَبَهُم على هيكل؛ باعتباره الرأس الأكبر في المنظومة الإعلامية التي اتَّهَمُوهَا بتَضْلِيلِهِم، ولذلك حَاصَرَ المتظاهرون الغاضبون الأهرامَ دون غيرها[3].

وتَعَرَّضَ هيكل لمشكلات كثيرة بسبب هذا الصراع بينه وبين بعض الأجهزة الأمنية، فتَعَرَّضَ بعضُ أشهر كُتَّابِ الأعمدة في الأهرام للاعتقال، ومنهم جمال العطيفي[4] الذي اعْتُقِلَ بسبب مقالات كتبها في نقد النظام التشريعي في ذلك الوقت، وأصر هيكل على إطلاق سراح العطيفي فورًا، مما أغضب عبد الناصر، وأدى هذا إلى قطيعة بينهما لمدة أسبوع، أَنْهَتْهَا وساطة من السادات، وتم إطلاق سراح العطيفي[5].

وكان الصراعُ بين ما سُمِّيَ (مجموعة علي صبري) وهيكل مُطَوَّلًا ومُتَعَدِّدَ الجولات، لكن هذا الصراع لم يَتَّخِذْ أبعادًا واضحة وملموسة ولم يَظْهَرْ على السطح بقوة إلا بعد هزيمة 1967، وتصفية المجموعة العسكرية التي كانت تُعْرَفُ باسم جماعة المشير عبد الحكيم عامر، وكان سامي شرف وشعراوي جمعة يميلان إلى جانب علي صبري في الصراع ضد هيكل الذي كان يتواصل مباشرة بعبد الناصر

(1) غسان تويني (1926-2012): صحفي لبناني شهير وكاتب ونائب برلماني، تَقَلَّدَ مناصبَ وزاريةً، وكان مندوبًا للبنان في الأمم المتحدة (1977-1982)، وهو مؤسس جريدة النهار عام 1948.

(2) Nasser, Munir K.: op. cit., p. 59)during interview with Heikal at July 20th, 1976).

(3) محمود حسين: الصراع الطَّبَقِيّ في مصر (1945-1970)، دار الطليعة، بيروت، 1971، ص ص 291-292.

(4) جمال العطيفي (ت 1983): كاتب مرموق في الأهرام في الستينيات، ووكيل مجلس الشعب في أوائل السبعينيات، ثم صار وزيرًا للإعلام في عهد السادات.

(5) Ibid., p. 59.

ويستطيع أن ينقل له أي شيء دون المرور بهؤلاء الثلاثة، وهذه المجموعة لا تُرَحِّبُ بأن يحظى أي إنسان غيرهم بمثل هذه الحظوة لدى عبد الناصر.

ولم يقتصر الأمر على الصراعات الداخلية، إذ سَبَّبَ بعض مقالات هيكل إزعاجًا خارجيًّا لعبد الناصر، خاصة أن معظم السَّاسَةِ يَرَوْنَ أن مقالات هيكل ما هي في النهاية إلا صدًى لتوجهات الحكم المصري، وزاد من ذلك الاعتقاد أن إذاعة "صوت العرب" أصبحت تذيع مقالات هيكل في يوم صدورها، وبالتالي كانت مقالات هيكل تُعْتَبَرُ أيضًا في نظر الكثير من السَّاسَةِ الخارجيين - خاصة الملوك والرؤساء العرب، بما عُرِفَ عنهم من حساسية شديدة - مُعَبِّرَةً عن آراء عبد الناصر نفسه، وعَبَّرَ الملكُ فيصل عن هذا صراحة في لقاء مع عبد الناصر عام 1969 حين قال له إن المشكلة أن هناك اعتقادًا قويًّا أن كل ما يُنْشَرُ في الأهرام إنما يُعَبِّرُ عن رأيك أنت مباشرة، فردَّ عبد الناصر قائلًا - كما يروي هيكل - إنه أبلغ هيكل أن كتاباته تتسبب له في كثير من المشاكل مع السعودية، وإنه رغم ذلك لا مسؤولية له عما يُنْشَرُ في الأهرام، لأنه - رغم صداقته مع هيكل - لا يتدخل فيما يكتبه[1].

شمل دور هيكل كمستشار سياسي مصاحبة عبد الناصر في معظم رحلاته الخارجية، بدايةً من رحلة التوجه إلى باندونج عام 1955، ونهاية برحلة موسكو 1970، وكانت الرحلة الخارجية الأخيرة لعبد الناصر، وكانت بعض تلك الزيارات تشمل العائلة أيضًا، كما حدث في رحلة يوغوسلافيا عام 1958 التي صحبهم فيها قرينات عبد الناصر وهيكل ود. محمود فوزي، والتي تَغَيَّرَ برنامجها فجأة بسبب قيام ثورة العراق، مما دعا عبد الناصر لاصطحاب هيكل ود. محمود فوزي فورًا إلى موسكو، وتَرْكِ العائلات لتَعُودَ إلى القاهرة[2].

وشمل دورُه مهامَّ سياسيةً غَيْرَ رسمية، لكن بعضها كانت له أهمية كبيرة، مثل مصاحبته لخروتشوف في رحلته البحرية إلى مصر عام 1964، التي صحبه فيها

(1) Ibid., p. 61.
(2) Ibid., p. 63.

لعدة أيام تَحَدَّثا فيها مُطَوَّلًا عن كل المواضيع المتعلقة بتاريخ الشرق الأوسط وسياسته، وأجاب فيها عن الكثير من أسئلة خروتشوف، وزيارته إلى لندن عام 1959 ليساهم في إذابة الجليد حول العلاقات المقطوعة منذ أزمة السويس، وكذلك زيارته كمبعوث من عبد الناصر إلى ديجول بعد النكسة، وزيارته إلى ليبيا كمبعوث غير رسمي من عبد الناصر إلى رجالات الثورة الليبية عَشِيَّةَ قيام الثورة[1].

كذلك ساهم هيكل في تعريف عبد الناصر بالعديد من الشخصيات المهمة وتقديمهم له، ومنهم قادة منظمة التحرير الفلسطينية مثل ياسر عرفات، الذي قَدَّمَهُ هيكل لعبد الناصر عام 1968[2]، وعَرَّفَهُ كذلك بأعضاء من السفارة الأمريكية ومسؤولين من المخابرات الأمريكية مثل وليم ليكلاند، وأصبحت قناة الاتصال التي تشمل (عبد الناصر - هيكل - ليكلاند) هي القناة الرئيسية في الاتصالات بين القيادة المصرية والولايات المتحدة[3].

وفي عام 1969 بعد إصابة عبد الناصر بالأزمة القلبية الأولى كان هيكل أحد أعضاء لجنة رئاسية عَهِدَ إليها عبدُ الناصر بإدارة البلاد، وأوضح لهيكل سبب اختياره أنه يعرف طريقة عبد الناصر في التفكير في المواقف المختلفة[4].

ولم يكن هيكل جزءًا من "شِلَّةٍ" أو مجموعة سياسية حول الرئيس عبد الناصر، فقد كان يحافظ على خصوصية تُمَيِّزُهُ؛ حيث كان يُشَكِّلُ ما يمكن تسميته (كتلة فرد)، فهو بمفرده يُمَثِّلُ جناحًا بأكمله، اعتمد على صداقة عبد الناصر ليستطيع أن يعمل داخل النظام بدون أن يُقْضَى عليه من قِبَلِ الآخرين، ونَسْتَبْعِدُ في مَعْرِضِ ذلك رَأْيَ الأستاذ فؤاد زكريا الذي كان يرى أن هيكل من

---

(1) Ibid., p. 64.
(2) Ibid., p. 65.
(3) Ibid., p. 66.
(4) Ibid., p. 66.

جناح السادات، كما نَسْتَبْعِدُ مبالغات بعض تلامذة هيكل القائلة بأنه كان الرجل الثاني في الدولة[1].

بقي أن نشير إلى أن تلك الصداقة ظلت صداقة عمل، أهم مظاهرها الحوار المُطَوَّلُ يوميًا عبر الهاتف، وأحيانًا كثيرة في زيارات عمل يقوم بها هيكل لمنزل عبد الناصر[2]، على أنها علاقة لم تُرْفَعْ فيها الكُلْفَةُ، وكانت دومًا مُحَدَّدَةً بالعمل[3]، ويُوَضِّحُ هذا صيغةُ الرسالة التي قَدَّمَهَا هيكل لعبد الناصر في مايو من العام الأخير من حكمه محاولًا الاعتذار عن الوزارة، ورغم أنها رسالة من صفحتين فقط فإن هيكل كرر عبارة (سيادة الرئيس) ثمان مرات فيها، وأورد فيها تعبيرات مثل (الزعيم والقائد الذي تَتَجَسَّدُ فيه الوطنية المصرية في مرحلة من أهم مراحل التاريخ وأَحْفَلها)، (الزعيم والقائد الذي تتمثل فيه كل أماني التقدم الاجتماعي وآمال الوحدة العربية)، (حسكم الصافي وإيمانكم العميق)، (ويكفيني للتاريخ أن يقال عني إنني أديت دوري في الخدمة العامة للوطن تحت رايتك المُنْتَصِرَةِ بإذن الله)، (سَلِمْتَ وعِشْتَ لوطنٍ مَنَحْتَهُ من حبك وإخلاصك وجهادك الكثير)، (سَلِمْتَ وعِشْتَ سيدي الرئيس لكل الذين يؤمنون بقيادتك ودورك التاريخي وبقدرك الذي هو قدر مصر)[4]، كل هذه التعبيرات الرسمية في رسالة موجهة لعبد الناصر فقط ولم تَكُنْ للنشر العام، فهذا يدل على أنها لم تكن صداقة بالمعنى الشخصي وإنما صداقة عمل بالدرجة الأولى، وأنها لم تكن (نِدِّيَة) (أفقية) كما ذهبت الباحثة شهيرة إدريس في رسالتها[5].

---

(1) نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص106.

(2) شمس بدران: مذكرات شمس بدران، مصدر سابق، ص ص 129، 145.

(3) حلمي النمنم: ندوة هيكل وثورة يوليو، المجلس الأعلى للثقافة، 2013/2/14.

(4) هيكل: بين الصحافة السياسة، مصدر سابق، ملحق الوثائق، وثيقة رقم (26).

(5) Idriss, Shahira: op. cit., p. 9.

وكانت علاقة العمل مُوَجَّهَةً من قِبَل الرئيس[1]؛ فعلى سبيل المثال اطَّلَعَ د. جمال شقرة على الكثير من الوثائق في أرشيف عابدين عليها تأشيرة عبد الناصر "هيكل.. يكتب في كذا وكذا، ومصطفى أمين يكتب في كذا وكذا"، وبعض هذه التأشيرات كما يظهر من تاريخها وتوقيع (البكباشي أركان حرب) جمال عبد الناصر تدل على أن تَبَعِيَّةَ كتابات هيكل لإرادة عبد الناصر وتكليفاته المباشرة بدأت من مرحلة مبكرة في عصر عبد الناصر، وقبل حتى أن يتولى الحكم ويزيح نجيب بصورة رسمية[2]، ومن ذلك تعليمات عبد الناصر لهيكل وأحمد أبو الفتح بعدم نشر أحاديث وصور لمحمد نجيب في جريدتيهما إلا في الحدود الضَّيِّقَةِ جدًّا[3]، وكتبوا مرة مقارنةً بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم فعَنَّفَهُم عبد الناصر على هذا، وأَمَرَ أَلَّا يُقْرَن بين اسم عبد الناصر وغيره من الزعماء العرب"[4].

4.1 عصر السادات:

وَحَّدَت الظروف بشكل كامل بين هيكل والسادات منذ تَوَلِّيهِ السُّلْطَةِ حتى الإطاحة بمراكز القوى، فقد وقف السادات إلى جواره عقب نشر مقالتيه (عبد الناصر ليس أسطورة)[5] و(تحية للرجال)[6] حيث تعرض وقتها لهجمات شديدة من الصحافة الموالية لمراكز القوى كما تعرض للتحقيق في الاتحاد الاشتراكي[7]، ويَذْكُرُ هيكل عن تلك الفترة أن السادات كان لطيفًا جدًّا معه، وكان يعطيه نفس

---

(1) ويلتون واين: عبد الناصر.. قصة البحث عن الكرامة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010، ص149.

(2) د. جمال شقرة: الحركة السياسية في مصر من ثورة يوليو 1952 إلى أزمة مارس 1954، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب - جامعة عين شمس، 1985، ص605.

(3) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1977، ص54.

(4) د. جمال شقرة: ندوة هيكل وثورة يوليو، المجلس الأعلى للثقافة، 2013/2/14.

(5) هيكل: عبد الناصر ليس أسطورة، الأهرام، 1970/11/6.

(6) هيكل: تحية للرجال، الأهرام، 1971/3/11.

(7) أنيس منصور: من أوراق السادات، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2010، ص421.

الميزة في الاطلاع على معلومات الدولة ووثائقها[1]، وفي المقابل أَيَّدَ "هيكل" السادات في استعداداته لاستفتاءِ الرئاسة، باعتباره الرجلَ الذي اخْتَارَهُ عبد الناصر ليَخْلُفَهُ، وباعتباره الخيار الدستوري، ووَجَّهَ هيكل الرأي العام في هذا الاتجاه، ثم أفاض في الهجوم على مراكز القوى وفي كَيْلِ الثناء لمن أطاح بهم [2].

على أن الأجواء بدأت تتغير بعدها في العلاقة بينهما، وكان لذلك أسباب موضوعية؛ فبينما كان السادات يجمع خيوط القوة في يده، كان هيكل ما زال مستمرًا في إعلان وجهة نظره الخاصة في السياسة الخارجية، كان مختلفًا مع السادات في التعامل مع الاتحاد السوفييتي، وبدا مؤيدًا بحرارة للتقارب مع القذافي في الوقت الذي كان السادات يبتعد، وكان يطرح أفكارًا مختلفة في التعامل مع المقاومة الفلسطينية والملك حسين، وكان هذا كله يُرْبِكُ النُّخْبَةَ الْمُثَقَّفَةَ في العالم العربي، الذين تعودوا عليه كمُسَوِّقٍ رسمي للسياسات الحكومية، وأصبحوا لا يعرفون هل يتعرفون على توجهات السياسة المصرية من كلمات السادات أو كلمات هيكل، بدا السادات هادئًا في ذلك الوقت، لكننا الآن نعرف أنه كان ثائرًا بسبب هذه الْمُنَازَعَةِ والفوضى السياسية التي سَبَّبَتْهَا مواقف هيكل[3].

كانت حرب أكتوبر نقطة تَحَوُّلٍ في هذا الأمر، لقد أصبح السادات قائدًا منتصرًا يَلْتَفُّ الشَّعْبُ حوله، لكن هيكل استمر في منهجه، وبينما قَرَّرَ السادات الموافقة على وقف إطلاق النار، كان هيكل يُحَبِّذُ استمرار الحرب، وبينما كان السادات يتحرك في اتجاه الولايات المتحدة، كان هيكل يقول إن كلًّا من نيكسون

---

(1) Nasser, Munir K.: op. cit., p. 74)during interview with Heikal at July 20th, 1976).

(2) - هيكل: ماذا أقول؟، الأهرام، 1971/5/21.

- هيكل: السؤال الأول والأكبر، الأهرام، 1971/5/28.

(3) Milton Viorst: Egypt and Israel -Two nations and their press, Columbia Journalism Review Magazine, 5-1974.

وكيسنجر غَيْرُ أَهْلٍ للثقة، وبالتالي آنَ أَوَانُ خروج هيكل، وعندما تَمَّ إبعاده من الأهرام في الأول من فبراير 1974، فإن كلمة اعتراض واحدة لم تَظْهَرْ في العَلَنِ[1].

وقد أصدر السادات قرارًا – نظريًّا – برَفْعِ الرقابة على الصحف بعد يومين من خروج هيكل من الأهرام[2]، فكأن هيكل كان يُمَثِّلُ الرقابة على الصحف، وأن الحرية ستعرف طريقها للصحافة مع خروجه.

ولم يَكْتَفِ السادات بذلك، بل جاء بعلي أمين – أَخِي مصطفى أمين – ليكون رئيسًا للتحرير بدلًا من هيكل، وكان علي أمين قد أُبْعِدَ، ومصطفى أمين قد سُجِنَ منذ أواسط الستينيات، وهكذا بدأت الحَمْلَةُ المُعَادِيَةُ للناصرية تتصاعد برحيل رمز الناصرية الأكبر عن الأهرام، وقُدُومِ علي أمين[3].

ويرى صلاح عيسى – في امتدادٍ لرؤيته لدور هيكل في العهد الناصري وأنه أَشْبَهُ بدور الكاهن للفرعون – أن هيكل مَارَسَ الدور نفسه مع السادات، فكانت كهانة هيكل المُدَرَّبَةُ هي التي اقْتَرَحَتْ على السادات أن يختار قضيةَ الحريات العامة والشخصية، والاعتقالاتِ غَيْرَ القانونية، والتَّنَصُّتَ على التليفونات، موضوعًا للصراع مع علي صبري ومجموعته – الذي تَفَجَّرَ في 15 مايو 1971 – بينما كان السادات يريد أن يعلن السبب الحقيقي للصراع، وهو سعي المجموعة لمشاركته في السُّلْطَةِ، ورفضها اسْتِئْثَارَهُ بها منفردًا، كان هو الذي أشار عليه، بعد أن فشلت الجولة الأولى من مباحثات فك الاشتباك الثاني في مارس 1975، بأن يفتح قناة السويس للملاحة البحرية، وأن يختار يوم 5 يونيو موعدًا لذلك الافتتاح، ليَمْحُوَ عَارَ هزيمة 1967، على أن السادات – الذي كان يَطْمَحُ أن يكون آخر الفراعنة – أراد "كَهَنَةً" لم يرتبطوا في وجدان الناس بأحد سواه، وخاصة بعبد الناصر[4]

---

(1) Ibid.

(2) صلاح عيسى: مثقفون وعسكر، مرجع سابق، ص419.

(3) Ibid.

(4) صلاح عيسى: شخصيات لها العجب، مرجع سابق، ص254.

5.1 ما بعد الخروج من الأهرام وحتى نهاية عصر السادات:

كان عام 1974 عامًا فاصلًا آخر في حياة هيكل، فَصَلَ بين مرحلة العمل في المؤسسات الصحفية ومرحلة التفرغ للكتابة من مكتبه الخاص، فقَبْلَهَا كان عمله الصحفي - من مقالات وتحقيقات صحفية ورئاسة تحرير - هو شاغله الشاغل - ولم يَكْتُبْ في تلك المرحلة إلا كتابًا أصليًّا - كما سلف - هو (عبد الناصر والعالم) عدا الكتب التي كانت تَجْمِيعًا للمقالات، وبعدها انْصَبَّ اهتمامه على كتابة الكتب ذات الأبعاد التحليلية السياسية والتاريخية، وإن لم يتوقف عن كتابة المقالات وتجميع مجموعات في كتب.

وفي مايو عام 1975 يَصْدُرُ لهيكل ثاني كتبه باللغة الإنجليزية (The Road to Ramadan)[1]، وتَصْدُرُ له في العام نفسه طبعته العربية بالاسم ذاته (الطريق إلى رمضان)[2]، واشتمل على مقدمة للطبعة العربية للرد على الجدل الذي أحدثته الطبعة الإنجليزية[3]، ثم تتلوها سبعة فصول، وكان فيه ما شَكَّلَ حساسيات كبيرة مع السادات[4]، ومنها قوله "لقد كانت الأيام الخمسة الأولى للعملية فترة نجاح للسلاح العربي كاد يبلغ حد الكمال.. ثم أعقبت هذه الأيام الخمسة خمسة أيام من السكون أخذ الإسرائيليون في نهايتها عنصر المبادرة، وتَحَوَّلَت الأيام الخمسة الأخيرة من أيام القتال الخمسة عشر إلى مصلحة

---

(1) Heikal, Mohammed: The Road to Ramadan, Ballantine Books, First USA Edition, New York, 1976.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، دار النهار للنشر، بيروت، 1975.

(3) المصدر السابق، ص ص 2-8.

(4) أنيس منصور: من أوراق السادات، مرجع سابق، ص351.

إسرائيل"[1]، كما وجه نقدًا صريحًا للوقفة التَّعْبَوِيَّة[2]، بل وذكر قصة توحي بوجود تَوَاطُؤٍ ما في القيادة المصرية مَنَعَ تصفية الثغرة في أول مراحلها، وهي القصة التي لم يذكر لها هيكل أي مصدر[3] [4]، ولا شك أن مثل تلك المرويات كانت غير مقبولة على الإطلاق للقيادتين السياسية والعسكرية في مصر، وتُفَسِّرُ تَصَاعُدَ غضب الرئيس السادات على هيكل خلال تلك الفترة.

ولذلك سرعان ما عادت رياح الخماسين تهب على هيكل أكثر ضراوة وسخونة، وبدأت من جديد سلسلة المقالات التي بدأت تهاجمه سواء في الداخل بقيادة موسى صبري. الذي اسْتَأْنَفَ قَصْفَ هيكل بمدفعيته الثقيلة من موقعه في قلعة أخبار اليوم، وانضم إليه مصطفى أمين في عموده اليومى "فكرة"، ثم في مقالاته التي كان ينشرها في بعض الصحف اللبنانية التي شارك بعضها في الحملة على هيكل، وكان أعنفها ما نُشِرَ في مجلة الحوادث عن اتهامه بالعمل في المخابرات الأمريكية كعميل ضد الاتحاد السوفييتى، بناءً على ما أَكَّدَهُ "مايلز كوبلاند" في كتاب صدر له في هذه الآونة[5]، وشارك توفيق الحكيم في تلك الحملة ونشر مقالًا في أخبار اليوم هَاجَمَ فيه "هيكل" هجومًا ضاريًا، واتَّهَمَهُ بأنه مُتَاجِرٌ باسم عبد الناصر[6].

وتتأزم العلاقات أكثر بينهما بعد الإعلان عن اتفاقية فض الاشتباك الثاني بين مصر إسرائيل، التي تَمَّتْ برعاية أمريكية في سبتمبر 1975، والتي تَعَرَّضَتْ مصر

---

(1) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص224.

(2) المصدر السابق، ص233.

(3) ولم يَجِدْهَا المؤلف في أي من المراجع التي تَحَدَّثَتْ عن حرب أكتوبر.

(4) المصدر السابق، ص254.

(5) حنفي المحلاوي: السادات بين هيكل وموسى، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1994، ص223-224.

(6) حسنين كروم: سقوط الحكيم، دار مأمون للطباعة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1975، ص35.

بسببها لحرب إعلامية عربية واتهامات بالتفريط خاصة من قِبَلِ سوريا وليبيا والعراق، ويَذْكُرُ هيكل أن الرئيس السادات اتصل به طالبًا منه الكتابة في هذا الشأن مدافعًا عن الموقف المصري، ولما رفض هيكل أغلق السادات الهاتف غاضبًا[1]، ولم يقتصر الأمر على رفض هيكل للكتابة مدافعًا عن موقف السادات في تلك الحرب الإعلامية المُسْتَعِرَةْ، بل أكمله بسلسلة مقالات تهاجم هذا الموقف[2].

وفي مارس عام 1976 يبدأ سلسلة مقالات (لمصر لا لعبد الناصر)، التي أَصْدَرَهَا لاحقًا في كتاب في العام ذاته[3]، ينسب فيه الحملة على عبد الناصر إلى الرغبة في التربص بتجربة الأمة بأسرها، ويدافع فيه عن عصر عبد الناصر في الملفات المفتوحة وقتها مثل: قمع الحريات، والتعذيب، وحرب اليمن، وحرب 1967، والصراع الطبقي، والتطبيق الاشتراكي، والعداء غير المبرر للولايات المتحدة، وجعل لكل موضوع فصلًا يستعرضه فيه مدافعًا عن التجربة الناصرية.

وتزداد العلاقات توترًا بينه وبين السادات عقب انتفاضة الخبز في يناير 1977 التي اندلعت بسبب زيادة أسعار بعض السلع الأساسية بطريقة فجائية، وتَخَلَّلَهَا بعضُ أعمالِ التخريب وقَطْعِ الطرق، واتَّهَمَ السادات اليسارَ بالمسؤولية عنها، وأَصَرَّ على أنها ليست انتفاضة شعبية وإنما (انتفاضة حرامية)، وكانت المكالمة الأخيرة بينهما عاصفة حين أراد السادات من هيكل أن يكتب مدينًا هذه الانتفاضة، ورَفَضَ هيكل معتبرًا أن لها أسبابًا اجتماعية واقتصادية ولا يجب أن تُعَالَجَ أَمْنِيًّا.

---

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص395.

(2) - هيكل: حول اتفاقية سيناء (3)، صحف عربية، 1975/10/17.

- هيكل: حول اتفاقية سيناء (4)، صحف عربية، 1975/10/19.

(3) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1976.

ويُدْلِي بحديث لوكالة تاس السوفييتية يصف فيها انتفاضة يناير بأنها انتفاضة شعبية، فتهاجمه الجرائد الحكومية بشراسة، وتكتب الأهرام تحت عنوان (هذا الحقد الأسود) "هل 18 و19 يناير "انتفاضة شعبية" كما رَدَّدَ هيكل في حديثه الذي أذاعته تاس؟! هل هذا التخريب وهذا الدم الذي أراقه المخربون انتفاضة شعبية؟! .. هل أصبح الترويج للتخريب وسفك الدماء الذي يعجب موسكو عملًا وطنيًا في رأي هيكل؟!"[1].

ثم تأتي زيارةُ الرئيس السادات للقدس فتُوقِفُ مشاريع هيكل للكتابة مؤقتًا، ويتفرغ لدراسة الحدث وأبعاده، متوقفًا عن الكتابة لعدة أشهر[2]، وإن أبدى رأيه في الحدث وتَبِعَاتِهِ عَبْرَ عِدَّةِ أحاديث صحفية وتليفزيونية، كان أولها يوم 14 نوفمبر 1977، وكان ذلك بعد خمسة أيام بالضبط من إعلان المبادرة، وكان ذلك أمام عدسات التليفزيون لمحطة "إيه. بي. سي" الأمريكية[3]، ثم قَبْلَ الزيارة بيومين، وفي 17 نوفمبر أمام عدسات تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية[4]، وبعد الزيارة بشهر يُدْلِي بحديث مُطَوَّلٍ لجريدة "التايمز" اللندنية، كانت عناوينه "هيكل يُحَذِّرُ من مخاطر اتفاق بغير قبول عربي، تحذير من سلام مصنوع من ورق الكرتون[5]، أسهمت هذه الأحاديث – رغم التوقف عن الكتابة – في رَدِّ فِعْلٍ حَادٍّ من الصحافة المصرية، فصَدَّرَتْ صحيفة أخبار اليوم أحد عناوينها الرئيسية

(1) كلمة للأهرام – هذا الحقد الأسود، الأهرام، 1977/4/2.

(2) هيكل: حديث المبادرة (1).. واحد من مصر، النهار اللبنانية، 1978/3/1.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

عن موقف هيكل بعنوان (واحد ضد مصر)[1]، وصَدَّرَتْ صحيفة الأخبار عنوانها الرئيسي في عدد آخر بكلمة واحدة (الكذاب)[2].

ولم يَعُدْ ممكنًا أن يَطُولَ التَّوَقُّفُ عن الكتابة، وبدأ هيكل سلسلة مقالات بلغت سبع عشرة مقالة نُشِرَتْ في عدة صحف عربية عن المبادرة، نُشِرَتْ خلال شَهْرَيْ مارس وأبريل 1978، والمقالات ككل لا تحمل فقط طابع معارضة زيارة الرئيس السادات للقدس، ولكن ترسم صورة سوداوية للمستقبل تؤكد حتمية فشل جهود السلام المبنية عليها، واستبعاد الوصول لاتفاق يعيد حتى الأراضي المصرية، وتُصَادِرُ المقالات مُسْبَقًا على أي فرص ممكنة من وجهة نظر كاتبها، وسرعان ما جُمِعَت المقالات وصدرت في كتاب اتَّخَذَ عنوان المجموعة الأولى من المقالات (حديث المبادرة)[3]، نُشِرَ في بيروت قبل أقل من شهر من انتهاء نشر المقالات[4]، وكان هذا أقصى مما يستطيع الرئيسُ السادات تَحَمُّلَهُ من المعارضة، وسرعان ما جاء الرد بعد أيام من نشر الكتاب، ففي يوم 28 مايو خرجت صحف القاهرة وعناوينها تشير لإحالة هيكل وأربعة صحفيين آخرين إلى المدعي العام الاشتراكي؛ لتشهيرهم بمصر وتهديدهم لسلامة جبهتها الداخلية[5]، وأصدر المدعي العام الاشتراكي قرارًا بمنع الخمسة من السفر إلى الخارج[6].

وكانت الطبعة العربية من مذكرات السادات قد صدرت في الشهر السابق تحت عنوان (البحث عن الذات)، وفيها تَعَمَّدَ السادات عَدَمَ ذِكْرِ اسم هيكل، ومع ذلك

---

(1) أخبار اليوم، 1977/12/10.

(2) هيكل: حديث المبادرة، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000، ص10.

(3) هيكل: حديث المبادرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1978.

(4) المصدر السابق، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000، ص7.

(5) الجمهورية، 1978/05/28.

(6) الخمسة هم: محمد حسنين هيكل، ومحمد سيد أحمد، وأحمد حمروش، وصلاح عيسى، وأحمد فؤاد نجم (المصدر السابق، ص8).

أشار إليه باعتباره أهم مستشاري عبد الناصر، وأنه كان وراء دفع عبد الناصر لاتخاذ قرارات التَّنْكِيلِ بالعائلات الكبيرة لِحِقْدٍ قديم في نفسه على تلك العائلات[1].

وتَزَامَنَ هذا كله مع ضجة فَجَّرَهَا الأستاذ محسن محمد عندما نَشَرَ مقالًا عن بحثه في الوثائق الأمريكية عن عهد الملك فاروق، وذكر عَرَضًا في المقال أنه وجد وثيقة من السفارة الأمريكية إلى الخارجية الأمريكية بتاريخ 25 يوليو 1949 - ونشر صورتها في المقال ضمن عدة وثائق - وفيها أن محمد حسنين هيكل مراسل مجلة آخر ساعة الأسبوعية قَدَّمَ تقريرًا مُطَوَّلًا إلى السفارة الأمريكية عن حقيقة التغيير الوزاري المفاجئ، وأرفق معه صورة من محضر جلسات مجلس الوزراء المصري[2]، فزاد ذلك من حِدَّةِ الهجمات على هيكل، وأعاد إلى المشهد تلك التهمة - التي تَرَدَّدَتْ سابقًا ثم ذَكَرَهَا بعد عامين (ويلبور إيفيلاند)[3] في كتابه المعروف (حبال من الرمال) - أن المخابرات المركزية الأمريكية قد اسْتَخْدَمَتْ ثلاثة من رجال الصحافة المشاهير كعملاء رئيسيين لها، وهم محمد حسنين هيكل، والأخوين مصطفى وعلي أمين[4].

ثم نزل السادات بنفسه إلى ساحة التراشق، فعقد مؤتمرًا صحفيًّا يوم 30 مايو لمراسلي الصحف العالمية، ورد على سؤال لمراسل النيويورك تايمز عن هيكل تحديدًا، فقال "أنتم أعدمتم اللورد (هاو هاو)"، واصفًا هيكل وكتاباته في الخارج بأنه مثل صحفي إيرلندي يُدْعَى (وليم جويس) عاش في ألمانيا وكان

---

(1) السادات: البحث عن الذات، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1979، ص184.

(2) - محسن محمد: "الوثائق السرية الأمريكية عن تاريخ مصر قبل الثورة"، الجمهورية، 1978/5/21.

- محمود فوزي: اعترافات مصطفى أمين بين عبد الناصر وهيكل والسادات، دار سفنكس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992، ص98.

(3) ويلبور إيفيلاند: مُمَثِّلُ البنتاجون في التفاوض على صفقات السلاح مع مصر في أوائل عهد عبد الناصر.

(4) Eveland, Wilbur C.: Ropes Of Sand, W.W. Norton & Company, First Edition, New York 1980, p. 320.

يدير إذاعة ألمانية باللغة الإنجليزية تذيع أكاذيب لتحطيم الروح المعنوية للشعب البريطاني أثناء الحرب العالمية، فأطلق عليه الإنجليز (اللورد هاو هاو) في تشبيه لكلامه بنباح الكلاب، وكُتِبَ هذا الشرح في جريدة الجمهورية في اليوم التالي تحت عنوان (اللورد هاو هاو) ومعه صورة كبيرة لهيكل[1]، واستغرقت التحقيقات مع هيكل ثلاثة أشهر عَبْرَ عشر جلسات مُطَوَّلَة، بدأت في 14 يونيو 1978[2].

ولا شَكَّ أن هذه التحقيقات كانت كَيْدِيَّةً وانتقاميةً؛ لأنها لا تَتَنَاوَلُ تُهَمًا جنائية، وإنما هي تحقيقات لدواعٍ سياسية، وتشمل تحقيقات عن مقالات كُتِبَتْ قبل أعوام طويلة، لدرجة أنها شملت مقالات مثل مقالة (تحية للرجال) التي كُتِبَتْ قبلها بسبعة أعوام! كما شملت التحقيقات مواقف ووقائع جَرَتْ في العهد الناصري وكان الكثيرون - ومنهم الرئيس السادات - أولى بها وأكثر تداخلًا فيها، فلم يكن من المنطقي التحقيق مع هيكل في ذلك الوقت بخصوصها، ولا يمكن تفسير هذا إلا بالرغبة في تَكْدِيرِ الكاتب وإزعاجه وتعريضه لبعض المُنَغِّصَاتِ مثل تفويت الزيارة الصيفية السنوية لأوروبا عليه. وإرهاقه بالتحقيقات، وربما لولا صلات هيكل الخارجية الجيدة ورغبة الرئيس السادات في الحفاظ على صورته البراقة في الإعلام الغربي لاتَّسَعَ نِطَاقُ العقاب والتكدير عن هذا الحد، وفي عام 1979 يبدأ هيكل في نشر سلسلة مقالات مطولة في عدد من الصحف العربية عن تلك التحقيقات، وهي المقالات التي جُمِعَتْ في العام نفسه لتَصْدُرَ في كتاب بعنوان (وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي)[3].

---

(1) الجمهورية، 1978/5/31.

(2) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000، ص ص 7-8.

(3) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1979.

ويَتَلَقَّى هيكل تحذيرات من عدة أطراف عربية ودولية في يناير 1980 أثناء زيارته للندن دَفَعَتْهُ - كما قال - للتوقف عن الكتابة في تلك الصحف؛ مَنْعًا للمزيد من تدهور العلاقات مع السادات مما قد يُعَرِّضُ حريته الشخصية للخطر[1].

وفي مساء 3 سبتمبر 1981 يُلْقَى القبضُ عليه في الإسكندرية ضمن حملة اعتقالات شملت 1500 من الرموز السياسية والفكرية في مصر، وكان هيكل وفؤاد سراج الدين على رأس قائمتها، وكانت المرة الأولى التي يَذُوقُ فيها هيكل مَرَارَةَ الحبس، وكان يتوقع أن السادات رغم كل شيء لن يجرؤ على المساس به؛ لما له من المكانة في الصحافة العالمية التي يحرص عليها السادات، وهي الحماية التي ارْتَكَنَ إليها هيكل طوال سنوات الخلاف مع السادات[2]، وأخطأ هيكل في تقديره تلك المرة، فقد فاق غَضَبُ السادات وقتها قُدْرَتَهُ على التوازن، وأَلْجَأَتْهُ أعصابُه المشدودة إلى اعتقال الجميع، وكانت تجربة قاسية في حياة هيكل رغم قصر مدتها، فلم يكد يمر شهر بعدها حتى تم اغتيال السادات، وأفرج مبارك عن المعتقلين بعد شهر ونصف آخر، فكانت فترة الإعتقال أقل من ثلاثة أشهر، ومع ذلك اورثته مرارة صبغت كتاباته التالية عن عصر السادات، كما أورثته حذرًا في التعامل مع أصحاب السلطة لاحقًا خشية تكرار التجربة[3].

---

(1) أخبار اليوم، 1986/1/25.

(2) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص21.

(3) مقابلة شخصية مع الأستاذ فهمي هويدي، 2017/2/6.

6.1 عصر مبارك:

عقب اغتيال السادات في 6 أكتوبر 1981، خرج هيكل من المعتقل - أواخر نوفمبر عام 1981 - بعد حوالي ثلاثة أشهر من الاعتقال مع مئات من السياسيين الآخرين، وقَابَلَ الرئيس مبارك وفدًا منهم فور الإفراج عنهم كان هيكل أحد أعضائه، ثم يروي عن مقابلة مُطَوَّلَةٍ بينه وبين الرئيس بعدها بأيام في القصر الجمهوري، مما يدل على رغبة مبارك في فتح صفحة جديدة تصالحية مع الجميع للخروج من المأزق السياسي الذي وَرِثَهُ[1].

ويمكننا تقسيم مواقف الأستاذ هيكل من عصر مبارك إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى منذ الخروج من المعتقل وإلى عام 1995، وفيها انشغل هيكل بإصدار كتبه مثل (خريف الغضب)[2] الذي صدر عام 1983 وشن فيه هجومًا حادًا على السادات وعصره، وأثار ضجة واسعة لما تضمنه من عبارات فيه مساس مباشر بشخص الرئيس السادات ووالدته وعائلته[3]،[4]، ثم كتاب (بين الصحافة والسياسة)[5] عن صراع في كواليس الصحافة والسياسة بينه وبين أستاذيه مصطفى وعلي أمين، ثم يصدر عام 1986 كتاب (ملفات السويس)[6]، وهذا الكتاب هو الجزء الأول من سلسلة من أربعة كتب عن حرب الثلاثين سنة بين إسرائيل والعرب، وقرب نهاية العام التالي 1987 يعلن في حوار صحفي تأييده بوضوح لولاية ثانية للرئيس مبارك، ويرى أن أصوات الرفض أو

---

(1) هيكل: مبارك وزمانه - من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص20.

(2) هيكل: خريف الغضب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1983.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر السابق، ص ص 35.

(4) "النص الكامل لمناقشات المجلس الأعلى للصحافة"، الأهرام، 1983/4/29.

(5) هيكل: بين الصحافة والسياسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1984.

(6) هيكل: حرب الثلاثين سنة - ملفات السويس، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1986.

مقاطعة الانتخابات صادرة عن حيرة وتَخَبُّطٍ[1]، ويكرر ذلك في العام التالي، وأن السياسات التي لا يرضى عنها معظمها ورثها مبارك ولم يصنعها، ولذلك فهو ليس في معركة معه رغم خلافه مع تلك السياسات[2].

وفي عام 1988 يصدر الكتاب الثاني من سلسلة حرب الثلاثين سنة بين إسرائيل والعرب، وهو كتاب (سنوات الغليان)[3] عن فترة ما بعد حرب السويس وحتى نهاية عام 1964، وفي النصف الأول من عام 1990 يَصْدُرُ الكتاب الثالث من سلسلة حرب الثلاثين سنة بين إسرائيل والعرب، وهو كتاب (الانفجار)[4] عن مقدمات ووقائع حرب 1967 وحتى انعقاد قمة الخرطوم، وفي 1993 يُصْدِرُ هيكل الكتاب الرابع والأخير من سلسلة حرب الثلاثين سنة بين إسرائيل والعرب، وهو كتاب (أكتوبر 73 - السلاح والسياسة)[5] [6].

وفي أغسطس عام 1990 تأتي أزمة اجتياح العراق للكويت، ويتَفَجَّرَ الجدل مع صدور كتاب هيكل عن حرب الخليج في 1992 باللغة الإنجليزية تحت عنوان (Illusions of Triumph: An Arab View of the Gulf War)[7]، وترجمته الحرفية (أوهام النصر - رؤية عربية عن حرب الخليج)[8]، ثم تَصْدُرُ طبعته العربية بعد أشهر بعنوان مقارب (حرب الخليج - أوهام القوة

---

(1) "هيكل يقول لـ أخبار اليوم: أصوات المقاطعة والرفض كلها صادرة عن حيرة"، أخبار اليوم، 1987/10/3.

(2) "حوار مع هيكل"، مجلة أكتوبر، 1988/6/5.

(3) هيكل: حرب الثلاثين سنة – سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1988.

(4) هيكل: حرب الثلاثين سنة – الانفجار، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1990.

(5) هيكل: أكتوبر 73 - السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1993.

(6) وهو بذلك ثالث كتبه عن حرب أكتوبر بعد كِتَابَيْهِ (الطريق إلى رمضان) و(عند مُفْتَرَقِ الطرق - أكتوبر وما قبلها وما بعدها).

(7) Heikal, Mohammed: Illusions of Triumph: An Arab View of the Gulf War, Collins, London 1992.

(8) هيكل: حرب الخليج – أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1992.

والنصر)، وتَبَنَّى وجهة نظر تَتَفَهَّمُ - إلى حد ما - دعاوى العراق وأسبابه، ويعيب عليه بالدرجة الأولى خطأ الحسابات أكثر مما يَدِينُ الغزو مبدئيًّا، لذلك تَعَرَّضَ لحَمْلَةٍ شَرِسَةٍ من الأوساط الخليجية والمصرية، جعلت من هذا الكتاب ثاني أكثر كتبه إثارة للجدل بعد (خريف الغضب).

وهكذا يمكن القول أنه حتى نهاية 1994 كانت مواقف هيكل السياسية خافتة جدًا لمعارض، وذلك في غمرة انشغاله بإصدار كتبه المتتابعة.

وفي يناير 1995 تبدأ المرحلة الثانية في علاقته بعهد الرئيس مبارك، وهي مرحلة تشتد فيها نبرة تلك المعارضة ولكن مع استمرار تأييده للرئيس لفترات ولاية تالية بدعوى عدم وجود بديل، لكنه يلقي محاضرة مهمة في معرض الكتاب في يناير 1995 أَثَارَتْ ضَجَّةً كبيرة وقتها، ولم يُدْعَ هيكل إلى المعرض بعدها، وأثار فيها عدة مواضيع مهمة؛ منها التفاوت البعيد جدًّا بين الفقراء والأغنياء، والضغوط التي تتعرض لها الطبقة الوسطى والطبقات الأدنى، وقال إن (النار اقتربت من الحطب)[1]، ثم تشتعل أزمة القانون 93 لعام 1995، الذي اشتهر باسم قانون حبس الصحفيين؛ حيث أصدر مجلس الشعب - في عُجَالَةٍ مَشْبُوهَةٍ - قانونًا يُجِيزُ حَبْسَ الصحفيين في جرائم النشر، فثارت ثائرتهم، وزاد هيكل الأمر برسالة شهيرة وَجَّهَهَا لمجلس النقابة وَصَفَ فيها القانون بأنه تعبير عن أزمة سُلْطَةٍ (شَاخَتْ في مواقعها)، وكان تعبيرًا طار ذِكْرُهُ وأثار حفيظة السُّلْطَةِ[2].

ثم يتعرض الرئيسُ مبارك لمحاولة اغتيال في أديس أبابا، فيرسله له هيكل برقية مُهَنِّئًا بسلامته، يَذْكُرُ فيها أنه يعتبر دور الرئيس مبارك في هذا البلد "لا بديل له ولا غِنى عنه.. ذلك أن أحوال التاريخ تعطي في مراحلها الدقيقة والحساسة لبعض

(1) هيكل: 1995 - باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995.
(2) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص ص283-284.

الأدوار أهميةً تتجاوز الأفراد"، واسْتَطْرَدَ هيكل "وظَنِّي أن مصر الآن في حال مماثل، ودوركم فيها أكثر من ضروري وأكثر من حيوي لسلامة الأمة وحماية مستقبلها"[1].

وفي العام التالي 1996 يُصْدِرُ هيكل باللغة الإنجليزية كتاب (Secret Channels: The Inside Story of Arab- Israeli Peace Negotiations)[2]، وترجمته الحرفية (القنوات السِّرِّيَّة – القصة من الداخل لمفاوضات السلام العربية الإسرائيلية)، وقد صدرت الطبعة العربية للكتاب في العام ذاته بتَوَسُّعٍ، في ثلاثة أجزاء تحت عنوان (المفاوضات السِّرِّيَّة بين العرب والإسرائيليين)[3].

وفي العام 1998، وبمناسبة مرور خمسين عامًا على حرب فلسطين وقيام دولة إسرائيل، صدر لهيكل الجزء الأول من كتابه (العروش والجيوش)[4]، وله عنوان فرعي (قراءة في يوميات الحرب)، ويحتوي بصفة أساسية على يوميات الحرب من الجانب المصري، وهي البرقيات والمراسلات من وإلى هيئة العمليات الحربية المصرية.

وفي فبراير 1999 تَصْدُرُ مجلة شهرية جديدة في مصر هي "الكتب – وجهات نظر"[5]، فيتعاهد الأستاذ هيكل كتابة مقالة شهرية فيها على مدار سنواتها الأولى، وتصدر تلك المقالات في كتب لاحقًا، ثم يُدْلِي في أغسطس من نفس العام بحديث للتليفزيون الألماني يُوَضِّحُ فيه – بمناسبة اقتراب الاستفتاء

---

(1) عادل حمودة: حوار مع هيكل حول لعبة السُّلْطَة في مصر، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 1995، ص38.

(2) Heikal, Mohammed: Secret Channels: The Inside Story of Arab-Israeli Peace Negotiations, Collins, London 1996.

(3) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج1) و(ج2) و(ج3)، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1996.

(4) هيكل: العروش والجيوش (ج1)، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998.

(5) وهي مطبوعة شهرية، صدرت عن دار الشروق في فبراير 1999، اسمها الأصلي "الكتب – وجهات نظر"، واشتهرت اختصارًا باسم (وجهات نظر)، وهي تُعْنَى بشؤون الكتب والمطبوعات وتقديم نبذة عنها، وكان أشهرُ كُتَّابِهَا الأستاذين هيكل وسلامة أحمد سلامة.

الرئاسي على الولاية الرابعة للرئيس مبارك - أنه يؤيده لفترة رابعة وخامسة؛ لأنه لا بديل عنه في النظام الحالي[1].

وفي أوائل عام 2000، صدر الجزء الثاني من كتابه (العروش والجيوش)[2]، ثم في صيف ذات العام كان اعتذارُه الضمني للسادات أمام جموع الحاضرين في نادي الصيد بالإسكندرية[3]، حيث قال "رغم معارضتي لاتفاقية كامب ديفيد الأولى، فأنا الآن سعيد بأثر رجعي بما فعله السادات فيها؛ لأنه أنهى ارتهان أرض مصرية بالسلاح؛ لأن السلاح لا يُلْجَأُ إليه إلا كملجأ أخير، وعند ضرورات كبرى، وأكثر شيء يقلقني باستمرار هو أن يظل جزء من الوطن محتلًّا"[4].

وفي عام 2002 حيث ذكرى مرور خمسين عامًا على ثورة يوليو، ينشر هيكل سلسلةً من عشر مقالات شهرية في مجلة (وجهات نظر) بعنوان (ثورة يوليو: خمسون عامًا)، بدأت من أبريل 2002 حتى يناير 2003، ثم جَمَعَهَا في كتاب صدر فور انتهاء السلسلة، بعنوان (سقوط نظام)[5] ليُقَدِّمَ فيه إجابته عن سؤال: لماذا كانت ثورة يوليو 1952 لازِمَةً[6].

وفي 14 أكتوبر 2002 ألقى هيكل محاضرة في الجامعة الأمريكية أثارت ضَجَّةً كبيرة؛ لأنها أَلْقَتْ حجرًا في الماء الراكد بشأن التوجهات نحو توريث السُّلْطَةِ في مصر، وقال هيكل بلغة غير مباشرة إنه يربأ بالرئيس مبارك عن ذلك، وإن الرئيس قد نفى

---

(1) الوفد، 1999/8/3.

(2) هيكل: العروش والجيوش (ج2)، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000.

(3) خلال ندوة عُقِدَتْ في نادي الصيد بالإسكندرية في 2000/8/25.

(4) - مجلة أكتوبر، 2000/9/3.

- ثروت أباظة: إنصاف، الأهرام، 2000/9/9.

(5) هيكل: سقوط نظام، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 2003.

(6) وهو السؤال الذي جَعَلَهُ العنوانَ الفَرْعِيَّ للكتاب تحت عنوانه الرئيسي (سقوط نظام).

بالفعل ذلك، فطرح هيكل الموضوعَ بصيغة المَنْفِيِّ والمحسوم، وقد نُشِرَتْ هذه المحاضرة بعدها بسنوات تحت عنوان (المستقبل الآن)[1].

7.1 إعلان الانصراف:

وفي 23 سبتمبر 2003 يُكْمِلُ الأستاذ هيكل عامه الثمانين، وبعدها بأسبوع يكتب مقالته الشهيرة في الأهرام على يومين متتاليين بعنوان (استئذان في الانصراف – رجاء ودعاء وتقرير ختامي)، يقدم في القسم الأول منها تقريرًا ختاميًّا سريعًا عن المرحلة الأولى من حياته المهنية منذ 8 فبراير 1942 وحتى اختلافه مع الرئيس السادات بعد حرب أكتوبر، مما أَدَّى لخروجه من الأهرام في الأول من فبراير عام 1974، [2]، وفي النصف الثاني من مقالته بعنوان فرعي (أسباب متعددة.. وسؤال عما بعد!) يبدأ بشرح تَدَرُّجِ راتبه منذ بداياته وحتى خروجه من الأهرام عام 1974، وكيف أنه اعتمد على راتبه فقط وعلى دَخْلٍ إضافي من حصيلة توزيع مقالاته في الخارج، ثم استعرض رحلته مع النشر خارج مصر حتى عام 1986، ثم بدأ يُحَدِّدُ الأسبابَ المُلِحَّةَ عليه للانصراف وقتها، حيث أشار للأخطار المَرَضِيَّةِ؛ ثم أشار إلى أخطارٍ أَمْنِيَّةٍ تَمَثَّلَتْ في اقتحام مكتبه أثناء سفره الأخير للعلاج؛ ثم ذكر أخطارًا سياسية معقبًا على المضايقات التي تعرضت لها القناة تليفزيونية المصرية (دريم) عقب إذاعتها محاضرة الجامعة الأمريكية[3]، وفي الشهر ذاته تُطْبَعُ المقالة المُطَوَّلَةُ بِشِقَّيْهَا في كتاب يحمل العنوان نفسه (استئذان في الانصراف)[4]، ويُحْدِثُ هذا الإعلان دَوِيًّا كبيرًا في الأوساط الثقافية بجميع مستوياتها، ويكتب الكثيرون بين سارِدٍ لتاريخ

---

(1) هيكل: المستقبل الآن، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.

(2) هيكل: استئذان في الانصراف – رجاء ودعاء وتقرير ختامي، الأهرام، 2003/9/30.

(3) هيكل: استئذان في الانصراف – أسباب متعددة.. وسؤال عما بعد!، الأهرام، 2003/10/1.

(4) هيكل: استئذان في الانصراف، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003.

الأستاذ هيكل ومُحْتَفٍ به[1]، ومحاولٍ إثناءه عن مبتغاه[2]، ومُتَوَقِّعٍ ألَّا ينجح الأستاذ هيكل فيما أراد ولو حاول[3].

8.1 ما بعد الانصراف:

لم يَعْنِ الانصرافُ للأستاذ هيكل الغيابَ كُلِّيَّةً عن المشهد السياسي والإعلامي، فبعد استراحة طويلة عاد الأستاذ من بوابة البرامج التلفزيونية، فقَدَّمَ عدة لقاءات لقناة المحور، ثم قَدَّمَ مجموعة من عشر حلقات لقناة الجزيرة عن الحاضر السياسي ورؤيةٍ استراتيجية لمستقبل الصراعات في المنطقة، ثم بدأ سلاسل حلقات مَوْسِمِيَّةٍ مُطَوَّلَةٍ على قناة الجزيرة بعنوان (مع هيكل- تجربة حياة)[4]، استعرض فيها تجربة حياته منذ بدأ في الصحافة.

وفي عام 2006 يتم إنشاء (مؤسسة هيكل الصحفية) ويقوم نشاطها على وَقْفِيَّةٍ يُوَفِّرُهَا الأستاذ هيكل دون مشاركة من أي طرف آخر، وتهدف المؤسسة – كما جاء في إعلان تأسيسها – إلى الإسهام في تحقيق أعلى قَدْرٍ ممكن من تعريف العاملين في الصحافة بآخر التطورات في ميدان الصحافة بالعالم، وتنفيذ برامج

(1) - إبراهيم نافع: الاعتزال فوق القمة، الأهرام، 2003/10/2.
- زكريا نبيل: الأستاذ ونجومه الثلاثة، الأهرام، 2003/10/4.
- ألفريد فرج: قلم المؤرخ والمثقف، الأهرام، 2003/10/12.
- عادل حمودة: سر هيكل، الأهرام، 2003/9/20.

(2) "ملحق خاص عن هيكل"، الأسبوع، 2003/9/22.

(3) - أحمد عبد المعطي حجازي: الأستاذ هيكل وأزمة المثقفين، الأهرام، 2003/10/15.
- محمد سيد أحمد: هيكل في سن الثمانين، الأهرام، 2003/9/18.

(4) بدأت يوم 2004/7/8 بسلسلة من عشر حلقات عن الشأن العربي الجاري وقتها، ثم بدأت حلقات (تجربة حياة) عن سيرته الذاتية ممتزجة بعرض تاريخي للأوضاع المحلية والأقليمية والدولية المصاحبة لكل مرحلة في حياته.

لتدريب الصحفيين الشبان، وتشجيع ورعاية الحوار وتبادل الخبرات بين الصحفيين في مصر والعالم[1].

وفي يناير 2008 تُعِيدُ جريدة (المصري اليوم) نَشْرَ ست مقالات كان هيكل قد كتبها كرسائل مفتوحة للرئيس مبارك عام 1982[2]، مما أثار غضب مبارك الذي أشار في خطاب عيد الشرطة في الشهر ذاته إلى الأمر قائلًا "إن عجلة التاريخ لا تعرف الرجوع إلى الوراء، وإن الأصوات الآتية من الماضي لا مكان لها في حاضر الوطن ومستقبله"[3].

وتبدأ المرحلة الثالثة مع علاقة هيكل بعد مبارك عام 2009 حين أدرك أن شمسه لابد أن تغيب، فيُثِيرَ غَضَبَ النظام بسبب دعوته إلى التفكير في بدائل للانتقال من العهد الحالي إلى العهد التالي، ودعا الرئيس مبارك إلى إسداء هذه الخدمة لمصر، مؤكدًا أن الأجيال القادمة ستشكره عليها، واقترح تكوين ما يُسَمَّى (مجلس أمناء الدولة والدستور) كمجلس انتقالي من عدد محدود من الشخصيات البارزة لنَقْلِ السُّلْطَةِ من عهد مبارك لما بعده في ثلاث سنوات، ولطرح صيغ لتعديل الدستور، كان هذا الاقتراح خلال حوار مع جريدة (المصري اليوم) افتتحه بقوله (لدينا أزمة عدل، وأزمة قانون، وأزمة إدارة، وأزمة ثقة)[4]، ثم أَطْلَقَ تعبيره الشهير (حوض السياسة في مصر قد جَفَّ)، واستطرد في شرح مقترحه بخصوص (مجلس أمناء الدولة والدستور) فاقترح أسماءً مثل (عمرو موسى) و(البرادعي) و(زويل) و(عمر سليمان) و(منصور حسن) تحت مظلة ورعاية القوات المسلحة والمشير طنطاوي، لكن ظلت تصوراته غامضة بشأن عمل هذا المجلس المقترح[5]،[6].

(1) "الأهرام مَقَرًّا دائمًا لمؤسسة هيكل الصحفية"، الأهرام، 2012/5/21.

(2) المصري اليوم، بداية من 2008/1/15.

(3) ماجدي البسيوني: إلى الأستاذ هيكل، العربي المصرية، 2008/2/3.

(4) هيكل: حوار (حول المستقبل) مع مجدي الجلاد (1)، المصري اليوم، 2009/10/20.

(5) هيكل: حوار (حول المستقبل) مع مجدي الجلاد (2)، المصري اليوم، 2009/10/21.

(6) جميع تلك الأسماء كان لها دور بعد ذلك بعامين حين قامت ثورة 25 يناير 2011.

9.1 ثورة يناير وما بعدها:

عندما قامت ثورة يناير أعلن الأستاذ هيكل تأييده لها كما هو مُتَوَقَّع، بل ظهر في برنامج تليفزيوني ليلة سقوط الرئيس مبارك بعد إعلان تنحيه بساعات[1]، ثم اقترح عدة اقتراحات للفترة الانتقالية أثارت غضب الكثيرين، مثل اقتراح استمرار المشير طنطاوي في الحكم لعامين، فأَحْجَمَ عن الظهور مؤقتًا بعدها، ليُصْدِرَ كتابًا للمرة الأولى منذ الانصراف، وهو آخر كتبه الأصلية، بعنوان (مبارك وزمانه – من المنصة إلى الميدان)[2]، وقد خرج الكتاب على ذات منهاج (خريف الغضب) في التعرض الشخصي للرئيس مبارك ذاكرًا مَثَالِبَهُ الشخصية التي اطَّلَعَ عليها مباشرة أو أَطْلَعَهُ عليها مقربون تحدثوا عن مبارك[3].

ثم التزم حيادًا ما في الانتخابات الرئاسية، خاصة في جولتها الثانية بين الدكتور/محمد مرسي والفريق/أحمد شفيق، ثم أعطى تأييده العام للرئيس مرسي في أول الأمر من باب وجوب إعطاء الفرصة للرئيس المنتخب[4]، ثم أَكْثَرَ من الظهور في البرامج التلفزيونية لقناة CBC ذات التَّوَجُّهِ المُعَارِضِ ليُقَدِّمَ آراءَهُ في الشأن الداخلي والخارجي.

ثم أعطى تأييده بوضوح لحركة (تمرد) التي قَادَتْ حراكًا شعبيًّا بَلَغَ ذُرْوَتَهُ في الثلاثين من يونيو 2013، ونتج عنه الإطاحة بالرئيس محمد مرسي بعدها بثلاثة أيام، واعتبر هيكل ذلك حفاظًا على مصر وإطاحةً بمُخَطَّطٍ لإعادة ترتيب المنطقة تحت مِظَلَّةٍ تركية، وفي عهد (3 يوليو) – خاصة في المرحلة الأولى – كان من الواضح

(1) هيكل: حوار مع منى الشاذلي، قناة دريم، 2011/2/11.

(2) هيكل: مبارك وزمانه (1) – من المنصة إلى الميدان، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012.

(3) المصدر السابق، ص ص 22-36، ص 74، 80-96، ص ص 99-101، ص ص 114-118.

(4) "هيكل ورؤساء مصر.. قصص الصداقة والعداء من عبد الناصر والسادات إلى مبارك ومرسي"، الأهرام، 2012/9/24.

أن الأستاذَ "هيكل" عاد مُقَرَّبًا للسُّلْطَةِ بطريقة مباشرة، وتَعَدَّدَتْ لقاءاته مع الرئيس المؤقت ومع وزير الدفاع، لكن ضَعُفَتْ عُرَى هذا التقارب لاحقًا، فاسْتَمَرَّ الأستاذ هيكل في لقاءاته التلفزيونية، وأَظْهَرَ في آخرها قَلَقَهُ مما اسماه (فقدان البوصلة)، ومُبْدِيًا خَشْيَتَهُ من أن تكون البلاد "أمام حافة الخروج من التاريخ"[1].

10.1 الرحيل:

وفي أواخر يناير 2016 تَتَدَهْوَرُ صحة الأستاذ هيكل فجأة، ثم يرحل إلى جِوَارِ رَبِّهِ في السابع عشر من فبراير 2016، وتُشَيَّعُ جنازته في اليوم نفسه من مسجد الحسين بوسط القاهرة، وتَنْعَاهُ الرئاسةُ المصرية، وجامعة الدول العربية، وحكومات لبنان والجزائر وتونس وفلسطين، وجميع الجرائد المصرية، وأغلب الجرائد العربية، ولَفِيفٌ من الشخصيات السياسية والصحفية المصرية والعربية، كما أشارت في تقاريرها إلى خَبَرِ رحيله العديدُ من الصحف ووكالات الأنباء العالمية[2]، باعتباره الصحفي الأكثر تأثيرًا في عهد الرئيس جمال عبد الناصر.

---

(1) هيكل: حوار مع لميس الحديدي، برنامج "مصر أين.. مصر إلى أين"، قناة سي بي سي، 2015/12/24.

(2) – The Washington Post, " Prolific Egyptian political writer and insider, Heikal, dies", 17/02/2016.

– New York Times; "Prolific Egyptian political writer and insider, Heikal, dies", 17/02/2016.

– Le Monde, "Mohamed Heikal, journaliste et écrivain égyptien, est mort à 92 ans", 20/02/2016.

– BBC, "Leading Egyptian journalist Mohamed Heikal dies aged 92", http://www.bbc.com/news/world-middle-east-35595022, 17/02/2016.

– Jeune Afrique, " Mohamed Hassanein Heikal, mon ami", Lakhdar Brahimi, http://www.jeuneafrique.com/mag/304004/societe/mohamed-hassanein-heikal-ami/, 24/02/2016.

الفصل الثاني

المَوْضُوعِيَّة في كتابات هيكل

ينفر كثير من المؤرخين الجدد وبعض من الباحثين من استخدام مصطلح (الموضوعية)؛ بدعوى أنه ليس هناك وجودٌ حقيقي للموضوعية في الكتابة التاريخية، وأن للمؤرخ - أي مؤرخ - قناعاته وموقفه الفكري، وبالتالي فليس للموضوعية وجود حقيقي[1]، وهذا قولٌ قُوبِلَ بتَحَفُّظٍ مُضَادٍّ؛ إذ ليس المطلوب من المؤرخ أن يُغَادِرَ قناعاته ولا رُؤَاهُ الأيديولوجية، ولكن عليه ألَّا يجعلها حاكمة على نَصِّهِ قائدة له[2]، ولما كان هذا من الصعوبة بمكان، فإنه يمكن القول بنَفْيِ الموضوعية المُطْلَقَةِ، أما نفي الموضوعية مُطْلَقًا فلا يجوز؛ إذ تَبْقَى الموضوعية رُكْنًا أساسيًّا في الكتابة التاريخية، فالموضوعية والمصداقية هما جناحا التَّأْرِيخ، بدونهما لا يعدو المكتوب كونه مجردَ صحائف سوداء مفتقدة للقيمة، ولولا التمسك بمعيار الموضوعية والمصداقية لكَتَبَ مَنْ شاءَ ما شاء، فالموضوعية شرطٌ لا مَحِيدَ عنه للكتابة التَّأْرِيخِيَّة المُعْتَبَرَةِ[3].

ولأهمية الموضوعية في الكتابة التاريخية اهتمت بها المدرسة التاريخية المصرية، وعقدت لها - على سبيل المثال - ندوة كبرى بعنوان (الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر)، اشترك فيها أكثر من عشرين من كبار المؤرخين والباحثين المصريين، منهم د. يونان لبيب رزق، ود. عبد العظيم رمضان، ود. سيد عشماوي، ود. عواطف عبد الرحمن، ود. عاصم الدسوقي،

---

(1) - د. عماد أبو غازي ود. محمد عفيفي: ندوة مناقشة كتاب (نظرات جديدة على الكتابة التاريخية)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2010/10/31.

- حلمي النمنم: ندوة هيكل وثورة يوليو، المجلس الأعلى للثقافة، 2013/2/14.

(2) د. عطية القوصي ود. عاصم الدسوقي: ندوة مناقشة كتاب (نظرات جديدة على الكتابة التاريخية)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2010/10/31.

(3) د. عادل غنيم: ندوة هيكل وثورة يوليو، المجلس الأعلى للثقافة، 2013/2/14.

والمستشار طارق البشري، وغيرهم، بالإضافة إلى بعض الباحثين الأجانب، مثل "رول ماير"، و"جودرون كرامر"، و"بيتر جران"[1].

والموضوعية لا تعني الحياد أو عدم اتخاذ موقف واضح يتناسب مع رؤية الشخص وقناعاته، وإنما هي إبداء الرأي استنادًا إلى قرائن ودلائل تَمْلِكُ من القوة والشمول والمنطق ما يكفي لتكوّن رأيًا متماسكًا حول الموضوع، ويُوَصِّفُ "إدوارد كار" المؤرخَ الموضوعي بأنه مَنْ يستخدم معيارًا صحيحًا في تقييم واختيار وعرض الوقائع، ليَسْمُوَ بذلك على الرؤية المحددة لوضعه الخاص والظروف المحيطة به[2].

تُعَبِّرُ الموضوعية عن إدراك الأشياء على ما هي عليه دون أن تَشُوبَهَا أهواءٌ أو مصالحُ أو تحيزاتٌ، أي تستند الأحكام إلى النظر إلى الحقائق على أساس العقل، وبعبارة أخرى تعني الموضوعيةُ الإيمانَ بأن لموضوعات المعرفة وجودًا ماديًّا خارجيًّا في الواقع، وأن الذهن يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقيقة الواقعية القائمة بذاتها (مستقلة عن النفس المُدْرِكَةِ) إدراكًا كاملًا، وعلى الجانب الآخر، كلمة الذاتيّ تعني الفردي، أي ما يَخُصُّ شخصًا واحدًا، فإن وُصِفَ شخصٌ بأن تفكيره ذاتي فهذا يعني أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه[3].

وهكذا فإن الموضوعية في الكتابة التاريخية هي الإحاطة بالعناصر المختلفة والعوامل الفاعلة للموضوع التاريخي دون إغفالٍ لأيٍّ منها، وإلقاء الضوء

---

(1) د. أحمد عبد الله: تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبي (أعمال ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952)، مرجع سابق.

(2) د. جميل موسى النجار: دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2011، ص169.

(3) عبد الوهاب المسيري: الذاتية والموضوعية،
http://www.khayma.com/almoudaress/takafah/maoudoia.htm 16/3/2012

عليها بقَدْرِ تأثيرها في الموضوع التاريخي دون تضخيم أو تهوين، والاهتمام بالسياق التاريخي للوقائع، وتجنيب المصلحة الذاتية للمؤرخ.

ويقول هيكل نفسه عن إشكالية تَدَاخُلِ الذاتي في الموضوعي "إن الذين عاشوا وقائع من التاريخ لا يستطيعون التَّأْرِيخ لها، لأن رؤيتهم مَشُوبَةٌ بتجربتهم الذاتية، وقُصَارَى ما يستطيعون تقديمه هو شهادة للتاريخ وليست تاريخًا، وهناك فارق ضخم بين الاثنين"[1]، ويقول تأكيدًا على وجوب الحرص على الموضوعية وتوفر عناصرها "الموضوعية حق القارئ وحق التاريخ"[2].

فتبقى الموضوعية أساسًا لازمًا من أُسُسِ التقييم للكتابة التاريخية، يتشارك في هذا الرأي كثيرٌ من مؤيدي الأستاذ هيكل وناقديه، فعلى سبيل المثال يرى د. يونان لبيب رزق أن "هيكل" "كان واعيًا بأهمية الالتزام بالموضوعية"[3]، وذلك في إطار ثنائه على كتابات هيكل التَّأْرِيخِيَّة واحتفائه بها.

---

(1) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص5.

(2) عبد الله السناوي: أحاديث برقاش-هيكل بلا حواجز، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة 2017، ص11.

(3) د. يونان لبيب رزق: محمد حسنين هيكل زيارة جديدة للتاريخ، السفير اللبنانية، 2003/9/23.

دراسة مُحَدِّدَاتِ الموضوعية في كتابات هيكل:

يذكر "دونسباخ" و"كليت" - في مقالتهما الشهيرة عام 1993 - أن للموضوعية أربعَ دلالاتٍ أو مُحَدِّدَاتٍ: غياب الذاتية الشخصية، والنزاهة في تقديم الأطراف المعنية، والتدقيق والتمحيص تجاه كل جوانب الموضوع، وتوفير إطار واقعي[1].

وهناك حَدٌّ أَدْنَى من الشروط يجب أن تتوفر لتَتَّسِمَ الدراساتُ التاريخيةُ بالموضوعية، أول هذه الشروط عدم اتخاذ المواقف المسبقة بكل ما يترتب على مثل تلك المواقف من دفاع عن جماعة سياسية دونما سَنَدٍ، أو هجوم على جماعة أخرى دون ما مبرر، والشرط الثاني مُتَّصِلٌ بالتعامل مع مجموعة الحقائق التي تتوفر لصاحب الدراسة؛ إذ يجب إن يكون أمينًا في هذا التعامل، فلا يُخْفِي حقيقة لأنها لا تناسب هواه، أو وجهة نظره، ولا يعطي حقيقة أخرى حجمًا أكبر من حجمها لأنها تُقَدِّمُ عكس الحقيقة الأولى[2]، فالموضوعية في العلوم الاجتماعية تتمثل في القدرة على تَجَاوُزِ الأحكامِ المُسْبَقَةِ[3].

---

(1) Donsbach, W., & Klett, B., Subjective Objectivity. How Journalists in Four Countries Define a Key Term of Their Profession, International Communication Gazette, 51(1), 1993.

(2) د. أحمد عبد الله: تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبي (أعمال ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952)، مرجع سابق، ص371.

(3) جورج لايكوف: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2009، ص187.

من خلال ما سبق، ورغم أن الموضوعية مصطلح عام، فإنه يمكن الحكم عليه - ولا نقول قياسه - من خلال مُحَدِّدَاتٍ بِقَدْرِ ما تلتزم بها الكتاباتُ التاريخية تقترب من الموضوعية، وبقَدْرِ ما تَتَحَلَّلُ منها تبتعد عن الموضوعية، وهذه المحددات هي:

أ- الإحاطة بمعظم وقائع الموضوع التاريخي ودقائقه:

وتشمل الإحاطة بالأطراف المتداخلة فيه، والعوامل الفاعلة فيه؛ فلا يُسْقِطُ المؤرخ من كتاباته أطرافًا أساسيةً شاركت في الحدث التاريخي أو عواملَ أساسيةً أسهمت فيه، قد يؤدي ذِكْرُهَا لتغيير الصورة التي ينقلها المؤرخ للحدث ووقائعه، ويُعَبِّر عنها بأنها "مطلب متعلق بالشمول والدِّقَّةِ، بمعنى أن معيار الحكم على كتابةٍ ما هو حرصها على استقصاء موضوعها، وعدم إهمال أية نقطة أساسية فيه"[1].

ب – الدِّقَّة في إيراد الوقائع التاريخية، والتحقق من المصادر ذات الصلة والمصداقية:

ويدخل في ذلك مدى دِقَّةِ المؤرخ في إيراد الوقائع معتمدًا على المراجع في مقابل الاعتماد على الذاكرة، كما يدخل فيه أسلوب التوثيق، والتعامل مع مصدر الوثيقة، ومع لغتها، والتعامل اللغوي في التقديم أو التعقيب.

ج- عدم ظهور (الأنا) الصارخة للمؤرخ (عدم طغيان الذاتية):

قِلَّة تَدَاخُلِهِ الشخصي في الأحداث، وعدم تحويل الأحداث للتعظيم من دوره الشخصي أو للإساءة إلى خصومه.

---

(1) د. شريف يونس: نداء الشعب – قراءة في الأيديولوجيا الناصرية، دار الشروق، القاهرة، 2011، ص28.

د- التوزيع المتوازن للكتابة طبقًا للأهمية:

فلا يُسَلِّطُ المؤرخُ الأضواءَ على أحداثٍ بعَيْنِهَا ويُلْقِي الظلالَ على أحداثٍ أخرى ليقود القارئ لنتيجة يريدها.

هـ- استخدام معايير مُوَحَّدَةٍ - أو على الأقل متوازنة - لسرد الأحداث التاريخية وتقييمها:

أو بعبارة أخرى مشهورة: الكيل بمكيال واحد، لا بمكيالين أو مكاييل متعددة، تختلف باختلاف الأشخاص، أو باختلاف العلاقة مع الشخص الواحد وتغيرها.

و- الاهتمام بالسياق التاريخي للأحداث:

فلا يُجَرِّدُ المؤرخُ الأحداثَ التاريخية من سياقها التاريخي مما يقود القارئ لنتائج مغايرة، أو إصدار الأحكام بأثر رجعي، أو محاكمة عصر بمقاييس مغايرة لعصر آخر.

ز- عدم الانسياق وراء ميول دينية أو "شوفينية":

أو عِرْقِيَّةٍ أو طَبَقِيَّةٍ أو سياسية، أو الانصياع لضغوطات سُلْطَوِيَّةٍ، انسياقًا وانصياعًا يُوجِدُ فرزًا يُغَيِّرُ وقائع الحدث التاريخي.

2. 1 الإحاطة بمعظم وقائع الموضوع التاريخي:

هذه أول أسس الموضوعية التاريخية، ولا شَكَّ أن كل مؤرخ وكل كاتب في التاريخ مضطر للقيام بعملية فرز واختيار لما سيقدمه للقراء، وهنا تظهر تفاوتات الموضوعية بين كاتب وآخر، فبقَدْرِ ما يقدم للقراء من الإحاطة بالأطراف المتداخلة في الموضوع، والعوامل الفاعلة فيه - فلا يُسْقِطُ المؤرخ من كتاباته أطرافًا شاركت في الحدث التاريخي وعواملَ أسهمت فيه - بقَدْرِ ما تكون موضوعيته؛ إذ قد يؤدي ذِكْرُها أو عدمُه لتغيير الصورة التي ينقلها المؤرخ للحدث ووقائعه.

2. 1. 1 الشمول والصورة الكُلِّيَّة:

معظم كتابات الأستاذ هيكل التَّأْرِيخِيَّة تُغْرِقُ قارئها في مئات التفاصيل، التي يوجهه من خلالها – عَبْرَ مسارٍ مختار بعناية - نحو صورة انطباعية عن عصرٍ ما دون أن يترك للقارئ فرصةً لأن يحيط بالصورة الكلية لهذا العصر.

فالذي يقرأ عن الخديو إسماعيل في كتابات هيكل لن يحصل إلا عن صورة انطباعية سريعة عن السَّفَهِ غير المحدود عن تبديد الموارد والجيوش دون طائل، ولن يحصل أبدًا على الجانب الآخر من الصورة حيث المنشآتُ العمرانية والحضارية وشَقُّ عشرات التُّرَعِ وغيرها.

والذي يقرأ عن عصر الملك فاروق لن يحصل إلا عن صورة شديدة السلبية عن الملك الغارق في مَلَذَّاتِهِ وفساده المالي ومآسيه الشخصية والعائلية، وعن زعيم الأمة النحاس باشا الذي هَدَّهُ الكِبَرُ ودَفَعَهُ نحو الوساوس وغرابة الأطوار والضعف أمام زوجته الشابة والخضوع لسُلْطَةِ الملك والاستسلام لسيطرة الإقطاعيين على حِزْبِهِ، وعن سَاسَةٍ من أحزاب الأقلية غارقين في صراعاتهم

الشخصية، ولن يتعرف أبدًا على جهاد حزب الوفد في التمسك بالدستور ومقاومة استبداد الملك فؤاد ورئيس حكومته إسماعيل صدقي ودستور عام 1930، ولن يتعرف أبدًا على جهود النحاس باشا وغيره في سبيل الاستقلال ووحدة وادي النيل، ولن يعرف شيئًا عن مجانية التعليم الأساسي منذ عام 1942 ومجانية التعليم الثانوي منذ عام 1950، ولن يعرف شيئًا عن النهضة الفكرية والاقتصادية خلال الحقبة الليبرالية 1923- 1952، ولن يعرف أن مشاريع اقتصادية واجتماعية مهمة جاءت بعد الثورة (مثل: منع الأجانب من امتلاك الأرض، وإلغاء الاحتكارات الأجنبية الخاصة بشركات المياه والكهرباء والغاز، والعمل على فرض الضرائب التصاعدية، وغيرها) كانت جميعها من مطالب الحركة الوطنية المصرية[1]، وكانت إسهامًا للمثقفين المصريين الذين قال عنهم هيكل إنهم لم يكونوا ثوريين ولم يستطيعوا مواكبة الثورة، بينما كانوا هم في الواقع المؤسِّسِين لأغلب مشاريعها، ولن يعرف قارئ هيكل أبدًا أن نسبة كبار المُلَّاك في الوزارة الوفدية الأخيرة كانت أقل بوضوح من جميع وزاراته السابقة[2]، على عكس ما أوحى هيكل بسيطرة كبار المُلَّاك على الوزارة الأخيرة.

وفي المقابل فإن قارئ هيكل سيعرف الكثير جدًّا عن إنجازات العصر الناصري وأغلبها بصورة مكبرة، بينما لن يعرف شيئًا عن حقائق أزمة مارس 1954، وعن الإجراءات القمعية في الصحافة والجامعة وغيرها من مناحي الحياة في الخمسينيات والستينيات، وعن سوء الأداء العسكري خلال حرب 1956[3]،

---

(1) رول ماير: الدراسات التاريخية المصرية المعاصرة (1936-1952)، ترجمة أحمد صادق سعد، دار شهدي للنشر، القاهرة، 1985، ص111.

(2) المرجع السابق، ص29.

(3) ومن ذلك التقصير في التعامل مع الإنذار البريطاني ونقل الطائرات إلى السعودية مثلما اتفق سابقًا بدلًا من ضربها في قواعدها (سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج1)، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة، 2014، ص ص 231، 236، 261)، مما تَسَبَّبَ في خسارة كامل السلاح الجوي المصري.

وعن تجاوزات حقبة الوحدة، وعن مآسي الحرب في اليمن، وعن حجم التعذيب والتجاوزات في حقبة الستينيات، وعن كم التقصير في حرب 1967[1]، وغيرها، ولن يعرف - حتى عَبْرَ مرحلة نقد التجربة التي تَلَتْ نكسة 1967 - إلا القليل عن أخطاء هذا العهد، وفي صورة محصورة في الغالب بأمثلة محددة.

والعكس صحيح بالنسبة للعهد الساداتي وبصورة مشابهة في عهد مبارك؛ فسيُقَدِّمُ المشيرَ أحمد إسماعيل في صورة باهتة كمجرد تابع للسادات، ولن يجد القارئ شيئًا عن المشروعات الكبرى في عهد السادات، ولا التوسع في التعليم الجامعي، ولن يعرف شيئًا عن المدن الجديدة الرئيسية التي بدأ إنشاؤها في عهده، مثل السادس من أكتوبر والعاشر من رمضان ومدينة السادات وغيرها.

2. 1. 2 حرية الصحافة في العهد الناصري (مثال):

عند حديث هيكل عن العهد الناصري، فإنه يَعِيبُ على الذين ينتقدون هذا العهد بعد انتهائه، ويعايرهم بأنه كتب معترضًا على ذلك العهد في وقته، بينما هم لم يكتبوا كلمة في وقتها وكتبوا من بعدها، ويتحداهم أن يكون أحدهم قد حاول نَشْرَ مُعَارَضَةٍ في عهد عبد الناصر، وفي التحقيقات أمام المدعي العام الاشتراكي يقول: إنني كنت الصحفي (الوحيد) الذي شهر قلمه في وجه هذه التجاوزات، وكان ذلك في حضور عبد الناصر، لم أَنْتَظِرْ وفاتَه لأَشْعُرَ أنني صحفي حر[2].

---

(1) يقول د. عبد العظيم أنيس: كتاب هيكل الأخير (سنوات الغليان) يمضي سريعًا على هذه القضايا أو لا يتعرض لها إطلاقًا مع أنها كانت جديرة بمزيد من البحث والتحليل، صحيح أن هناك إشارات تَرِدُ هنا أو هناك إلى بعض الأخطاء، لكنها مُوجَزَةٌ دونَ تأصيل في بعض الموضوعات، وفي موضوعات أخرى يبدو هيكل وكأنه كتب فصولها عام 1959 لا عام 1989 (د. عبد العظيم أنيس: قراءة نقدية في كتابات ناصرية – حوار مع هيكل وعكاشة، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1989، ص6).

(2) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص229.

ولم يحاول هيكل تفسيرَ هذه الظاهرة، ولمْ يُحَاوِلْ أن يُفَسِّرَ لماذا كان هو الصحفيُّ الوحيد الحر، بل سكت عنها مكتفيًا بهذا النقد لزملاء المهنة من خصوم العهد الناصري، كأن سكوتهم في العهد الناصري كان اختياريًّا، أو كأنه كان رُهابًا غير مُبَرَّرٍ أصاب جميع الصحفيين فشَلَّ أيديهم عن الكتابة في هذا العهد، دون أن يكون لهذا الرُهاب حقيقةٌ تُبَرِّرُهُ في الواقع، وهو يطرحها كما لو كانت اختيارًا، فيقول "كان الخيار المتاح للصحافة في ذلك الوقت أن تحدِّد موقفها من السُّلْطَة الواحدة الجديدة، وأين هي منها؟ هل هي عند الرأس تُنَاقِشُ وتُحَاوِرُ، أم هي عند الذَّيْلِ تُمَارِسُ دَوْرَ التابع والأداة، وهكذا فإن درجة الاقتراب لم يكن لها بديل، والخيار المطروح هو أين بالضبط؟ على مستوى الحوار والقرار أو على مستوى التَّبَعِيَّةِ والدُّونِيَّةِ"[1]، ويُعَقِّبُ د. سليمان صالح قائلًا "والحقيقة أن الصحافة المصرية في تلك الفترة لم تَمْتَلِك هذا الخيارَ، بل فُرِضَتْ عليها التَّبَعِيَّةُ والدُّونِيَّةُ فَرْضًا؛ إذ إن الخيار يعنى امتلاك القدرة على تحديد الموقف والاتجاه، وهذا في الحقيقة لم يَتَوَافَرْ للصحافة المصرية، بل أَجْبَرَتْهَا السُّلْطَة - عَبْرَ إجراءاتها وممارستها القَهْرِيَّةِ - على أن تكون في موقع الدُّونِيَّةِ والتَّبَعِيَّةِ"[2].

وأحيانًا - في مَعْرِضِ الدفاع عن العهد كما في كتاب (لمصر لا لعبد الناصر) - يختزل موضوع الصحافة في العهد الناصري اختزالًا فيقول "أصل إلى قصة (سَفْحِ) دم الحرية بمصادرة الصحف، وأظن أن القائلين بها يقصدون واقعة إغلاق جريدة (المصري) التي كان يملكها (الأستاذ محمود أبو الفتح)، والتي كان يرأس تحريرها أخوه (الأستاذ احمد أبو الفتح).."[3]، ويكمل الأستاذ هيكل

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسية، مصدر سابق، ص237.

(2) د. سليمان صالح: أزمة حرية الصحافة في مصر (1945-1985)، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1995، ص226.

(3) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص ص 61، 64.

في التعرض لهذا المثال فقط كأن كل ما أثير عن الصحافة المصرية وما حدث لها في العصر الناصري تَعَلَّقَ فقط بهذه الحالة.

بينما كانت الحقيقة التي لا تَظْهَرُ في كتابات هيكل مطلقًا أن الأمر كان على خلاف ذلك؛ فلم يكن خوفُ الصحفيين نتاجَ رُهَابٍ غَيْرِ مُبَرَّرٍ، بل كان نِتَاجَ هجمات مريرة على حرية الصحافة، بدأ منذ بواكير العهد الناصري؛ حين تَوَعَّدَ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي - المعروف بشراسته - جموعَ الصحفيين عدة مرات عامي 1953 و1954[1]، ثم صَدَقَ وعيده وتَوَالَت الضربات، وتعددت مظاهر القمع والتضييق فشملت الاعتقالات[2]، والمحاكمات، والفصل من العمل والمنع من الكتابة، وتشويه السمعة، وحل مجلس نقابة الصحفيين، وفرض الرقابة، وربط الصحف بالاتحاد القومي[3].

وفي ذلك يرى المستشار طارق البشري أنه أيًّا كانت الأسباب والمبررات والأعذار فسيظل تقدير أن ما حدث في هذه الفترة قد وَلَّدَ آثارًا سلبية ومشوّهة في التكوين الجمعي للشعب المصري فيما تلا ذلك من أعوام، وذلك من حيث قدرة الأفراد والجماعات على المبادرة وعلى النقد الطليق.. وعلى المشاركة

(1) - د. سليمان صالح: أزمة حرية الصحافة في مصر (1945-1985)، مرجع سابق، ص ص 250-252.

- جميل عارف: أنا وبارونات الصحافة، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 2000، ص ص 11-12، 68-70.

(2) هذا بالإضافة إلى تَفَشِّي الاعتقالات والعَزْلِ بين قطاعات أخرى في المجتمع، مثلما حدث مع مئات الطلبة وأعضاء هيئات التدريس عام 1954 (د. شريف يونس: نداء الشعب - قراءة في الأيديولوجيا الناصرية، مرجع سابق، ص ص 80-82).

(3) للمزيد عن تلك المظاهر يرجى مراجعة:

- د. سليمان صالح: أزمة حرية الصحافة في مصر (1945-1985)، مرجع سابق.

- د. رمزي ميخائيل: أزمة الديمقراطية ومأزق الصحافة القومية 1952-1984، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1987.

- د. رمزي ميخائيل: تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يوليو إلى نصر أكتوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.

الإيجابية في الشؤون العامة[1]، ويقول توفيق الحكيم إنه لم يسمع صوتًا واحدًا على صفحات جريدة، أو كتاب، أو مجلس نيابي، أو اجتماع عام، جَرُؤَ على أن يبدي رأيًا معارضًا، ولو كان أحد قد جَرُؤَ لما مَكَّنَتْهُ السُّلْطَة من توصيل هذا الرأي المعارض حيث يسمعه الناس ويعرفه الآخرون[2]، ويُعَبِّرُ أحد الصحفيين عن ذلك قائلًا "إن المكانة الخاصة لهيكل مَكَّنَتْهُ من مساحات حرية والتطرق إلى مواضيع لا يستطيعها غيره، ولو أنني قلتُ بعضًا مما يقوله لأُلْقِيَ بي إلى الواحات، أو إلى المعتقل"[3].

وكان هيكل نفسه أحد المشاركين فيما وصلت إليه الصحافة في العهد الناصري، فهو أول من بدأ الهجمات على الصحفيين ونقابتهم وألقى الاتهامات التي طالت نزاهتهم، ثم شارك مشاركة مباشرة في مناخ التخويف المجتمعي أحيانًا وكان جزءًا من حملة قمع الحريات في تلك الفترة[4]، وساهم في حملة تأميم الصحافة، ليس فقط بالإقناع الإيجابي بها، لكن بالتحريض المباشر على الأوضاع السابقة حيث الصحف الخاصة التي كان هو جزءًا أصيلًا منها، واتهام أصحابها - وكان منهم أستاذاه الأخوان أمين - بشكل شبه سافر بالتآمر[5]، كما مارس دورَ الرقيب في جريدته، فمنع العديد من المقالات والقصائد، نشرها أصحابها لاحقًا في منابر أخرى[6].

---

(1) طارق البشري: الديمقراطية ونظام 23 يوليو (1952-1970)، دار الهلال، القاهرة، 1991، ص331.

(2) توفيق الحكيم: عودة الوعي، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص43.

(3) Stewart, Desmond: op. cit., p 90.

(4) د. عادل غنيم: جمال عبد الناصر وعصره، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013، ص296 (نقلًا عن المفكر اليساري الفلسطيني عبد القادر ياسين).

(5) هيكل: الصحافة: لماذا يَتَحَتَّمُ أن يملك الشعبُ وسائلَ التوجيه، الأهرام، 1960/6/1.

(6) - أحمد عبد المعطي حجازي، الأستاذ هيكل وأزمة المثقفين، الأهرام، 2003/10/15.

- محمد سيد أحمد، هيكل في سن الثمانين، الأهرام، 2003/9/18.

ولم تظهر أمراض الصحافة المصرية في كتابات هيكل في العهد الناصري، فعند هيكل في الستينيات أن صحافتنا في أعلى مستوى عالمي، وأن هجومها على الحكومة والوزراء تَوَقَّفَ لا لقَمْعٍ أو تضييق تتعرض له أو رقابة تُفْرَضُ عليها، ولكن لأن الوزراء ورئيسهم مُبَرَّؤون من استغلال النفوذ، والوزارة تكشف الفساد وتَجْتَثُّهُ قبل أن يصل خبره إلى الصحافة[1]،[2].

(1) هيكل في حوار مع يوسف إدريس: أنا أُزَاوِلُ السياسةَ كصحفي، الجمهورية، 30/1/1960.

يوسف إدريس: جبرتي الستينات، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2009، ص69.

(2) كذا بالنص، ولعل قارئَ التاريخ -فضلًا عن المؤرخ- وهو يقرأ تلك النصوص الآن يُدْرِكُ كيف سِرْنَا في الطريق إلى نكسة 1967، ولماذا كانت بتلك القسوة.

2. 2 الدِّقَّة في إيراد الوقائع التاريخية، والتحقق من المصادر ذات الصِّلَةِ والمصداقية:

2. 2. 1 الدِّقَّة:

تَتَّصِفُ كتاباتُ الأستاذ هيكل عمومًا بالدِّقَّةِ والاهتمام في إيراد التواريخ والشخصيات التاريخية والملابسات، وهذا ما يؤكده عدد كبير من تلامذة الأستاذ هيكل ومعاصريه[1]، وقد روى لي الأستاذ إبراهيم أبو السعود (المدير الأسبق لمركز المعلومات بالأهرام، ومساعد هيكل في إعداد الكثير من كتبه) مَبْلَغَ دِقَّتِهِ في التماس المعلومات من مصادرها، حتى المعلومات اللغوية، فعندما أراد أن يكتب مقالة (عبد الناصر ليس أسطورة) فإنه طَلَبَ منه أن يأتيه بما يتعلق بأصل الكلمة ودلالاتها في اللغتين العربية والإنجليزية[2]، غير أن هذه الدِّقَّةَ تزيد في الكتابات التي تتناول الحقب التي عاصرها الأستاذ هيكل معاصرة مباشرة مثل حقبة الملكية الأخيرة والحقبتين الناصرية والساداتية، وتَقِلُّ نوعًا ما في الحديث عن باقي الحقب التاريخية، كما يندر استعانة هيكل بالمراجع مقارنة بالوثائق، ويندر استعانته بالمراجع العربية مقارنة بالمراجع الأجنبية.

ومن الأمثلة في هذا الشأن ما ذكره في كتاب (سقوط نظام) "إن ملكية الأرض الزراعية أساس التركيب الطبقي في مصر الحديثة لم تُدْرَسْ بالقدر الكافي في وطنها، وإن أكمل وأوفى دراسة جاءت من الجامعة العبرية التي تَنَبَّهَتْ إلى أن معرفة جادة بأوضاع مصر لا بُدَّ أن تبدأ بدراسة التركيب الطبقي فيها، وإذا كان ذلك فمعناه دراسة توزيع ملكية الأرض؛ لأنها الأساس الذي قامت عليه الأوضاع الاقتصادية

---

(1) طلال سلمان: عن صحافي القرن الذي لا يغيب، الأهرام، 2017/2/17.

(2) حوارات هاتفية مع أستاذ إبراهيم أبو السعود، 2016/4/11.

والاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر، وكان الذي أَشْرَفَ على هذه الدراسة في الجامعة العبرية واحد من أكثر أساتذتها دأبًا وجدًّا وهو الدكتور جبرائيل باير"[1].

وكان رد د. عاصم الدسوقي بأن هذا قولٌ يجافي الحقيقة؛ لأن جبرائيل باير حصل على رسالته من جامعة أكسفورد 1962 وليس من الجامعة العبرية بتل أبيب، وأنه لم يَطَّلِعْ على أرشيف دار المحفوظات المصرية فيما يتعلق بملفات حيازة الأرض.. وأن بعض الشيوعيين المصريين درسوا هذا التركيب الطبقي للملكية الزراعية وكتبوا فيه قبل أن يكتب جبرائيل باير كتابه بسنوات، ومن هؤلاء إبراهيم عامر في كتابه (ثروة مصر القومية) ونشره عام 1956، ثم جاءت بعد ذلك ثلاث رسائل دكتوراه نُشِرَتْ تباعًا في كتب لكل من رءوف عباس (النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة) نُشِرَ عام 1972، وكتاب عاصم الدسوقي (كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري 1914- 1952) نُشِرَ عام 1975، ثم كتاب علي بركات (تطور الملكية الزراعية في مصر 1813- 1914) نُشِرَ عام 1978، وهي كتب اعتمدت على الأرشيف المصري أساسًا.. ولكن ما حيلتنا إذا كان الأستاذ لا يقرأ إلا كلَّ ما هو أجنبي ولا يعتقد إلا فيه"[2].

ومن أسباب الحَيْدِ عن الدِّقَّةِ أحيانًا الرغبة في خَلْقِ روابط تاريخية معينة لأسباب سياسية، فيدفعه ذلك للحَيْدِ عن الدِّقَّةِ، ومن أمثلة ذلك اعتباره أن الأحزاب الشيوعية العربية نَشَأَتْ في أواسط الأربعينيات على يد يهود غامضي العلاقات، مثل هنري كوريل في مصر، وقد قابل عدد من مؤرخي الحركات الشيوعية العربية هذا الكلام بالاستنكار ووصفوه بعدم الدِّقَّةِ؛ فنشأة الأحزاب والحركات الشيوعية في مصر تعود لنصف قرن سابقة للتاريخ الذي وضعه

---

(1) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص348.

(2) د. عاصم الدسوقي: هيكل مؤرخًا...وقراءة التاريخ خارج المنهج، الهلال، 1/2004.

هيكل، إذ تعود لنهايات القرن التاسع عشر[1]، لكن رغبة هيكل في الربط بين الشيوعيين ومؤسسين يهود مثيرين للجدل دفعته بعيدًا عن الدِّقَّةِ في هذه المسألة المؤسسة لجزء من التاريخ المصري الحديث.

ومن أمثلتها تعبيره عن التفاوت الطبقي لعصر ما قبل ثورة يوليو، حيث ذكر أن (5%) من عدد السكان كانوا يحصلون على نصف الدخل القومي[2]، وفي موضع آخر ذَكَرَ أن (1%) من عدد السكان كانوا يحصلون على نصف الدخل القومي[3]، ثم استقرت النسبة عنده - كما في باقي الأدبيات الناصرية - على أن (0.5%) من عدد السكان كانوا يحصلون على نصف الدخل القومي[4].

وفي سياق إثبات عَبَثِيَّةِ تصرفات العهد الخديوي ذَكَرَ أن حملة المكسيك التي أرسلها الخديو إسماعيل لمساعدة قوات إمبراطور فرنسا في المكسيك مات فيها عشرات الآلاف من المصريين[5]، وفي موضع آخر حَدَّدَ عدد من ذهب ولم يَعُدْ بعشرين ألف مصري[6]، بينما هذه الحملة أرسلها سعيد باشا وليس الخديو إسماعيل، وكانت مكونة من "أورطة" واحدة من مئات من الجنود وعدد محدود من الضباط وعاد منهم ثلاثمائة[7].

---

(1) - محمد يوسف الجندي مُعَلِّقًا على حديث هيكل في الجزيرة، مدونة الوعي القومي.

- محمود أمين العالم مُعَلِّقًا على حديث هيكل في الجزيرة، مدونة الوعي القومي.

- د. أحمد القصير مُعَلِّقًا على حديث هيكل في الجزيرة، مدونة الوعي القومي.

http://misrdigital.blogspirit.com/files/answering_heikal.htm, 10-09-2010.

(2) هيكل: هل يَقْدِرُ الفلاحون والعمال على تحمل مسؤولياتهم؟، الأهرام، 1962/6/1.

(3) هيكل: لماذا وقع التغيير الكبير في هذا الوقت بالذات، الأهرام، 1961/8/18.

(4) - هيكل: مقدمة للحديث عن الاتحاد الاشتراكي العربي، الأهرام، 1963/2/1.

- هيكل: حديث يتجدد عن العمل الداخلي ومشاكله (3)، الأهرام، 1964/12/4.

هيكل: مناقشة مفتوحة (3)، الأهرام، 1966/1/14.

(5) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص95.

(6) عادل حمودة: حوار مع هيكل حول لعبة السُّلْطَة في مصر، مرجع سابق، ص125.

(7) - عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل (ج1)، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1987، ص43.

وفي أعقاب نكسة يونيو يقول إن إسرائيل التي كانت تمتلك ثلاثمائة طائرة حتى قبل يونيو بشهور أعطتها الولايات المتحدة مائتي طائرة أخرى خلال تلك الشهور، فواجهت الجيوش العربية وهي تمتلك خمسمائة طائرة[1]، ثم رُفِعَ هذا العدد في مقالة تالية بعدها بشهور من خمسمائة طائرة إلى ألف ومائتين إلى ألف وخمسمائة طائرة[2].

ويقول عن اعتقالات سبتمبر عام 1981 إنها شملت ثلاثة آلاف شخص، وإن مئات الأساقفة والرهبان جرى اعتقالهم[3]، وكل هذا بعيد عن الدِّقَّةِ؛ حيث كان عدد المعتقلين نصف ما ذكره هيكل، كان تحديدًا 1536 شخصًا، وكان عدد رجال الدين المسيحي من بينهم أقل بكثير مما ذَكَرَ هيكل، إذ كان إجمالي عدد الأقباط المعتقلين هو 152، ويشمل بعض الأساقفة والقساوسة المقربين من البابا، ويشمل عددًا من المدنيين، كما شمل شخصيات سياسية قبطية أغلبها يسارية[4].

كذلك تعود أخطاء الدِّقَّةِ في كثير من الأحيان إلى الاعتماد على الذاكرة دون العودة إلى المراجع، ربما طلبًا للسرعة ولِقِلَّةِ العناية بالمراجع، أو طلبًا لجَمَالِ الجملة وتناسقها على حساب دِقَّةِ المعنى، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا في كتابات الأستاذ هيكل؛ فمن ذلك قوله "إن شعبنا الذي ثار على نابليون في مطلع القرن التاسع عشر لم يطلب ضمانات من الجنرال كليبر قائد مدفعية نابليون قبل أن يعلن الثورة على الغاصب الفرنسي"[5]،

- مصطفى نبيل: كيف استدرج الفرنسيون سعيد باشا إلى حرب المكسيك؟، مجلة الهلال، 6/1986.

(1) هيكل: أقصى درجات العنف، الأهرام، 16/6/1967.

(2) هيكل: مؤتمر أو لا مؤتمر، الأهرام، 14/7/1967.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 394، 405، 407.

(4) «المصري اليوم» تعيد نشر ملف «اعتقالات سبتمبر» (3)، المصري اليوم، 6/9/2016.

(5) هيكل: أزمة المثقفين (2)، الأهرام، 16/6/1961.

والصحيح أن ثورة المصريين على نابليون لم تكن في مطلع القرن التاسع عشر وإنما في خواتيم القرن الثامن عشر 1798، وقد غادر نابليون مصر عام 1799، ولم يكن كليبر قائدًا لمدفعية نابليون أثناء ثورة القاهرة ولا كان في القاهرة أصلًا؛ لأنه كان الحاكم العسكري للإسكندرية، ومنها قوله "كانت إحدى قنابل الضربة الجوية الأولى هي التي أصابت الجنرال إبراهام مندلر قائد المدرعات الإسرائيلي في سيناء"[1]، والصحيح أن الجنرال مندلر لم يُقْتَلْ في اليوم الأول من الحرب وإنما قتل يوم 13 أكتوبر وهو اليوم الثامن للحرب، ولم يُقْتَلْ بضربة الطيران، وإنما بقصف مدفعي أصاب سيارته إصابة مباشرة[2]، ومنها قوله إنه قابل حسني مبارك يوم 12 أكتوبر وسأله الأخير عن كيفية معرفة الأهرام بتفاصيل معركة المنصورة التي جَرَتْ قبلها بيومين[3]، بينما معركة المنصورة الجوية كانت يوم 14 أكتوبر وليست يوم 10 أكتوبر.

ومنها حديثه عن أحداث الأمن المركزي "وفجأة في أجواء فترة الرئاسة الثالثة وقعت في مصر واقعة، فقد انفجر تَمَرُّدُ الأمن المركزي يوم 25 فبراير سنة 1986، وانفلت الأمن، وانكشف الساتر عن المستور، واضْطُرَّ الرئيس مبارك إلى الاستعانة بالقوات المسلحة لاستعادة زمام السُّلْطَة، وهذه الأزمة كشفت مبارك بقسوة؛ لأنها أوضحت للولايات المتحدة وغيرها من القوى أن مركز مبارك في السُّلْطَة ليس بالثبات الذي تَصَوَّرَهُ بعد فوزه بالرئاسة مرتين"[4]، بينما - كما ذكر - كانت أحداث الأمن

(1) هيكل: إسرائيل، ما يجري وما جرى (2)، الأهرام، 1973/12/14.

(2) https://en.wikipedia.org/wiki/Albert_Mandler

(3) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص ص 23-24.

(4) المصدر السابق، ص141.

المركزي عام 1986، أي في الفترة الرئاسية الأولى وليست الثالثة كما تصوَّر، وبالتالي فلم يكن فاز بالرئاسة مرتين، ولا كان كل ما ذكر من استنتاجات بعدها[1].

ويقول في الكتاب ذاته - وهو آخر كتبه وأقلها دِقَّةً - "شهدت السياسة المصرية في تلك السنوات من أوائل التسعينيات من القرن العشرين أدوارًا حساسة يقوم بها كل من الرجلين (مبارك وأبو غزالة) والأدوار تتلاقى أحيانًا، وتتنافس أحيانًا أخرى، وتتقاطع في أحوال أكثر مع محاولة توزيع الاختصاصات بين الرجلين"[2]، بينما الصحيح أنها سنوات الثمانينيات وليس التسعينيات، فقد خرج أبو غزالة من منصبه عام 1989.

أسباب أخطاء قِلَّةِ الدِّقَّةِ عند هيكل في بعض الأحيان قِلَّةُ الدراية ببعض المراحل التاريخية التي يتعرض لها، فعلى ندرة ما يتعرض للتاريخ الإسلامي، فإنه حين يتعرض له تَقَعُ الأخطاء، فعلى سبيل المثال يقول إن "الحسين رفض أن يعطى البيعة لمعاوية ولا لابنه يزيد"[3]، بينما الثابت أن الحسين (رضي الله عنه) قد بايع معاوية (رضي الله عنه) عندما تنازل له أخوه الحسن (رضي الله عنه) عن الخلافة في عام 41هـ الذي سُمِّيَ عام الجماعة[4]، وظل الحسين على بيعته لمعاوية حتى تُوُفِّيَ الأخير عام 60هـ

---

(1) ومن أمثلة هذا النوع من النَّقْصِ في الدِّقَّةِ -العائد إلى قِلَّةِ العناية بالرجوع إلى المراجع والاستعاضة عنها بالمعلومات الشخصية من الذاكرة المُعَرَّضَةِ للخطأ والنسيان- هناك الكثير في غير التاريخ المصري، وبالتالي هي خارج موضوع الدراسة، فلم أَتَعَرَّضْ لها رغم كثرتها، ومنها على سبيل المثال:

"أن (ميرابو) -أحد زعماء الثورة الفرنسية- قُتِلَ بالمِقْصَلَةِ" (مصر إلى أين؟ - ما بعد مبارك وزمانه، ص85)، والصحيح أنه تُوُفِّيَ وفاةً طبيعية على فراشه بالمرض في 2 إبريل 1791.

"في بيرل هاربر حَطَّمَ الطيرانُ الياباني نِصْفَ الأسطول الأمريكي، ودَفَنَ تحت سطح المحيط أعظم حاملات الطائرات فيه" (تيار التاريخ لم يتوقف، الأهرام، 2/3/1962)، والصحيح أن الطيران الياباني لم يَنْجَحْ في إغراق أيّ حاملات طائرات أمريكية في بيرل هاربر؛ حيث كانت حاملات الطائرات قد غادرت قبلها بأيام.

https://en.wikipedia.org/wiki/Attack_on_Pearl_Harbor

(2) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص147.

(3) هيكل: مدافع آية الله.. قصة إيران والثورة، مصدر سابق، ص108.

(4) السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، 2003، ص156.

2. 2. 2 الوثائق (نظرة عامة على التوثيق في كتابات هيكل التاريخية):

يُعْلِنُ الأستاذ هيكل كثيرًا عن مدى توثيقه لكُتُبِه، فيقول على سبيل المثال في مقدمة كتابه (ملفات السويس) "كثيرون أخذوا عَلَيَّ كثرة ما نَشَرْتُ من نصوص وصور من الوثائق، وقد بلغت قرابة الألف صفحة ضمن الأجزاء الأربعة في مجموعة حرب الثلاثين سنة، وزاد عليها قرابة ألف صفحة أخرى من الوثائق منشورة في كتب: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - والعروش والجيوش - وخريف الغضب، والحقيقة أنني قصدت إلى عرض الوقائع والأجواء دون الاكتفاء بقول (إنني كنت هناك)، والقصد أن أضيف إلى ذلك دليلًا لا يقبل الشك على صدق الرواية ودِقَّةِ المشاهد"[1]، ويقول في مقدمة كتابه (سنوات الغليان) "إنني ذهبت في توثيق هذا الكتاب إلى حَدٍّ يتجاوز المعروف والمألوف.. إنني اضْطُرِرْتُ لقراءة وتحليل ومقارنة أكثر من ستة آلاف وثيقة لم أستعمل منها مباشرة غير أقلها "[2].

يؤكد أنصار الأستاذ هيكل وتلاميذه أن كتاباته عالية التوثيق، بل ذهب أشدهم إعجابًا به وأقربهم خلال السنوات الأخيرة وهو الأستاذ يوسف القعيد الأديب المعروف إلى "أن مشروع الرجل قام كله على قيمة الوثيقة، فما من كلمة يقولها - ومن قبل ما من كلمة يكتبها - إلا وكان لديه الوثائق التي تؤكدها"[3].

---

(1) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص8.

(2) هيكل: سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ص 14، 16.

(3) يوسف القعيد: مشكلة هيكل مع جوجل، العربي، 2008/1/6.

2. 2. 2. 1 الحصول على الوثائق:

ساعدت عِدَّةُ عوامل الأستاذَ "هيكل" في الحصول على الكثير من الوثائق التي استخدمها في كتاباته التاريخية، فقد ساعدت علاقته المباشرة بالرئيسين عبد الناصر والسادات في الحصول على كثير من الوثائق في تلك الفترة التي كان مُقَرَّبًا فيها منهما، وقد وصل كثير من تلك الوثائق إلى حوزته بطريقة العرض الطبيعي، وبينما يؤكد هيكل أن جميع وثائق الدولة المصرية كانت تَمُرُّ عليه في إطار اتفاق بذلك مع عبد الناصر؛ حتى يستطيع أن يُعَبِّرَ عن سياسيات الدولة عن قناعة وإدراك كَامِلَيْنِ[1]، فإن سامي شرف ينفي ذلك تمامًا؛ ويقول إن وثائق محددة فقط هي التي كانت تُعْرَضُ على هيكل، وإن كثيرًا من الوثائق وصل إليه لاحقًا حين عُزِلَ سامي شرف وقُبِضَ عليه، فذهب هيكل - بإذن من السادات - وصَوَّرَ جميع وثائق الأرشيف الذي كان تحت يد سامي شرف باعتباره سكرتير الرئيسين عبد الناصر والسادات للمعلومات، واستشهد سامي شرف بأسماء ستة شهود ذكرهم جميعًا بالاسم كانوا يعملون في مكتبه وهم شهود على تلك الواقعة، أخبروه بها بعد خروجه من السجن "فرادى ومجتمعين، ولم يختلف اثنان منهم في سَرْدِ الرواية"[2]، ويؤكدها هيكل نفسه بطريقة عَرَضِيَّةٍ في معرض حديثه عن وثيقة يقول إنها بخط يد سامي شرف تُوَضِّحُ اشتراكَ السادات ومبارك في اغتيال زعيم سوداني، وأن السادات سَلَّمَهَا إليه ضمن كثير من أوراق مكتب سامي شرف التي سُلِّمَتْ إليه[3].

---

(1) - سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج2)، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006، ص493.

- عادل حمودة، كتابة التاريخ على طريقة ألف ليلة وليلة (1)، الأهرام، 1999/7/24.

(2) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2008/11/13.

(3) هيكل: مبارك وزمانه – من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص25.

وفي جميع الأحوال فالنتيجة واحدة؛ أن الأستاذ "هيكل" تَحَصَّلَ بالفعل على (صور) كثير من وثائق العهدين الناصري والساداتي على الأقل حتى مايو 1971، وفي الأغلب حتى النصف الثاني من 1972؛ حيث بدأت العلاقات تَفْتُرُ بين السادات وهيكل.

ولم تقتصرْ قدرةُ الأستاذ هيكل على الإتيان بوثائق من العهد الناصري أو الساداتي فقط، فقد أبان عن قدرته على ذلك في عهد الرئيس مبارك، ومن ذلك أنه نشر محاضر عدة جلسات للرئيس مبارك مع ياسر عرفات حضر أحدها مدير المخابرات اللواء عمر سليمان، ونشر مقتطفات من الحوار الذي دار بين ثلاثتهم عن مقدمات اتفاق أوسلو[1].

كما أسهمت علاقاته الخارجية مع ملوك ورؤساء ومسؤولين عرب وعالميين في قدرته على الحصول على كثير من الوثائق الإقليمية والأجنبية، كما استطاع شراء بعضها الآخر حين أُتِيحَتْ بمقابل مادي.

ويذكر هيكل أنه يحتفظ بتلك الوثائق خارج البلاد، وتساءل كثير من المتابعين عن مشروعية هذا الفعل، القانونية والأدبية، وأنكره أغلبهم[2]، وقد حاول د. رؤوف عباس وعددٌ من المؤرخين إقناعَه بتقديم نسخة من صور الوثائق تلك إلى الجهات المعنية، أو إيداعها في مكان لائق يُخَصَّصُ لها في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ولكنه لم يَسْتَجِبْ[3].

---

(1) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج3)، مصدر سابق، ص ص 270، 275.

(2) - عادل حمودة، كتابة ثورة يوليو بالحبر السري، الأهرام، 1999/7/17.

- صلاح قبضايا: الأستاذ هيكل - تسوية العهدة، الوفد، 2004/3/18.

- د. سيار الجميل، بقايا هيكل (17)، روز اليوسف، 2009/12/9.

- إبراهيم الويشي: خريف هيكل، مرجع سابق، ص9.

(3) - د. رؤوف عباس: صفحات من تاريخ الوطن، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، 2011، ص48.

- د. رؤوف عباس: كتابة تاريخ مصر.. إلى أين؟، مركز تاريخ مصر المعاصر، القاهرة، 2009، ص247.

وكان إصرار الأستاذ هيكل على عدم الاستجابة المستمر لطلب تسليم نسخة من صور الوثائق التي بحَوْزَتِهِ مدعاةً للتأمل؛ فالأستاذ هيكل يقرِّر أنه لا يَمْلِكُ وثائقَ أصلية، لكن يملك صورًا من كثير من الوثائق، وباستطاعته أن يُقَدِّمَ (صورًا من هذه الصور)، لكنه يخشى من أن يُسَاءَ استخدامها أو تتعرض للتبديد أو الضياع[1]، ولا تبدو حجة الأستاذ هيكل في حجب صور الوثائق التي معه مُقْنِعَةً؛ فإذا كنا نتحدث عن (صورًا من الصور) بنص تعبيره، فقد كان بإمكانه أن يُقَدِّمَ منها عشر نسخ لعشر جهات مختلفة - مثل دار الوثائق القومية، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ومكتبة الإسكندرية، ومكتبة الجامعة الأمريكية، ومكتبات الجامعات الرئيسية، وغيرها - فيأمن عليها بذلك من التبديد والتحريف، فإذا ضاعت من ثلاث أو أربع جهات فستبقى موجودة في الجهات الأخرى، ولذلك فالذي يميل إليه المؤلف هو أن كَمَّ تلك الوثائق وأصالتها ودِقَّتَهَا مما يَعْتَرِيهِ الشَّكُّ، ومن الواضح أنها أقل بكثير مما نُسِجَ حولها، وأن الأستاذ "هيكل" أراد الاحتفاظ بهذه الهالة حول ما معه من الوثائق ليدعم مكانة كتاباته، ويوحي للقارئ دومًا بمَتَانَةِ توثيقها[2].

وقد تشكك بعض الباحثين في بعض الوثائق التي يذكر الأستاذ هيكل الرجوع إليها، فيقول الباحث جمال سليم "إن كتاب ملفات السويس الذي تناول موضوع حرب فلسطين سنة 1948 يستند إلى وثائق مهمة وحاسمة وهي الجلسات

---

(1) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2008/11/13.

(2) وهي الهَالَةُ التي سعى الأستاذُ هيكل وتلاميذه دومًا إلى ترسيخها، ومن ذلك:

الوثائق هي سلاح هيكل الذي احْتَفَظَ به لنفسه واسْتَخْدَمَهُ في الوقت المناسب ووَجَّهَ به الضربة القاضية لكل من افترى عليه كذبًا، وما يزال في خزائن هيكل الكثير من الوثائق والحقائق والأسرار لم يَكْشِفْ عنها بعد (رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، ص78).

السرية للبرلمان المصري، والواقع أن هذه الجلسات ضائعة ولا وجود لها، وبالتالي لا يمكن للمرء الاطمئنان إلى موضوعية هذه المادة التاريخية"[1].

2. 2. 2. 2 التعامل مع مصدر الوثيقة:

يثق الأستاذ هيكل ثقةً كبرى في الوثائق الأجنبية، وتحديدًا الوثائق الإنجليزية والأمريكية، ويُكْثِرُ من النقل عنها، مقابل قِلَّةِ نقولاته من المراجع الأجنبية، والندرة الشديدة في النقل عن المراجع العربية.

واستخدام الوثائق الخارجية الإنجليزية دون تمحيص يؤدي لِمُنْزَلَقٍ موضوعي حَذَّرَ منه المؤرخون؛ إذ إن تلك الوثائق في مجملها عبارة عن تقارير مرسلة إلى هذه الوزارة من موظفين بريطانيين كبار يعملون في مصر، وهؤلاء كانوا على قَدْرٍ غير قليل من التحيز تجاه المصريين عمومًا والحركة الوطنية خصوصًا، وكانوا يرون المصريين بطبيعتهم غير ديمقراطيين وغير قادرين على أن يحكموا أنفسهم[2].

ويذكر د. عاصم الدسوقي أن مشكلة هيكل في التعامل مع مصادره أنه يصدقها جملةً وتفصيلًا دون أن يداخله أدنى شك في مصداقيتها، مع أن منهج البحث يعلمنا ألَّا نَخْضَعَ للمصدر خضوعًا كاملًا وتامًّا أيًّا كانت درجته، وأن علينا التحققَ من صدق المعلومات بواسطة المقارنة بمصادر أخرى، وغير ذلك من أساليب نقد الأصول.. وهذا ما لم يفعله، وحُجَّته أنه لا يكتب تاريخًا[3].

2. 2. 2. 3 التعامل مع لغة الوثيقة:

يستخدم الأستاذ هيكل الوثائق في كثير من المواضع في كتاباته التَّأْرِيخِيَّة الكبرى، مستدلًّا بها بطريقة مباشرة أو موحيًا بها بطريقة غير مباشرة على سلامة

---

(1) د. جمال سليم: تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبي (أعمال ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952)، مرجع سابق، ص175.

(2) زول ماير: الدراسات التاريخية المصرية المعاصرة (1936-1952)، مرجع سابق، ص19.

(3) د. عاصم الدسوقي، هيكل مؤرخًا...وقراءة التاريخ خارج المنهج، الهلال، 1/2004.

أطروحاته، لكن الوثائق التي يطرحها هيكل لدعم وجهة نظره لتطور مجريات الأحداث ووقائع التاريخ لا تؤكد الموضوعية فيما يرمي إليه؛ فالوثائق يمكن الاتكاءُ عليها بطريقة معينة لتوحي للقارئ بنتيجة بعينها.. وهو يوحي للقارئ بأن هذه الوثائق كفيلة ببيان صحة ما يطرحه وصواب ما يقفز إليه من استنتاجات[1]،[2].

ويجنح الأستاذ هيكل أحيانًا إلى التصرف في لغة الوثيقة بطريقة توجِّه إلى معنًى مختلف عن المراد منها، أو يقدِّم لها، أو يُتْبِعُهَا بشرح يوجِّه القارئ إلى خلاف المراد منها، أو يجمع الأمرين معًا، فيتصرف في لغتها - خاصة في حالات الترجمة - ثم يوجِّه القارئ بعدها اعتمادًا على الصياغة الجديدة وليس على الأصلية، ناسجًا عليها ما يريد.

---

(1) ممدوح لطفي: هيكل خلف قضبان السُّلْطَة، مركز الراية للنشر والإعلان، القاهرة، 1998، ص108.

(2) ويقدم الأستاذ جلال كشك تعليقًا مهمًّا على لغة الوثائق البريطانية التي يُكْثِرُ الأستاذ هيكل من استخدامها، فيقول "إن السفير أو الموظف الرسمي للدولة الاستعمارية لا يتحدث ولا يكتب "كاستعماري" في رواية مدرسية، فهو لا يقول في رسائله على سبيل المثال: (ومن أهدافنا الاستعمارية التفرقة بين المسلمين والمسيحيين وذلك بالدَّسِّ بينهما وقد استعنت في ذلك بعميلنا فلان، لكي ينشر شائعات مغرضة)، لا، إنهم يكتبون بروح من يؤدي رسالة لوطنهم وللإنسانية والتقدم بل كذلك للبلد الذي يحتلونه.. وهم يكتبون وعيونهم على التاريخ؛ لأنهم يعرفون أن معظم هذه الرسائل - ولا نقول كلها - ستنشر ولو بعد مائة سنة.. لذلك يكتب: (ولما كانت مسؤوليتنا التاريخية والحضارية هي حماية الأقلية من طغيان الأغلبية، فقد رأيت مساعدة جهود الكاتب المتحرر فلان، الذي لمست فيه حبًّا شديدًا لوطنه واعتزازًا بدينه أو طائفته وتفهمًا طيبًا لمسؤولياتنا المؤقتة في وطنه)، فلا يجوز أن يأتي قارئ ويأخذ من الوثيقة دليلَ وطنية "فلان" هذا، أو يستشهد على فساد الوفد من نص يكتبه المسؤول عن محاربة الوفد في السفارة البريطانية يقول: (ولما كان الوفد غارقًا في الفساد، فإنه حاول تغطية ذلك بافتعال معركة مع الدولة الحليفة (بريطانيا).." هذا لا يصلح للاستشهاد على فساد الوفد، وإنما يُسْتَدَلُّ به على ضيق الإنجليز من مواقف الوفد الوطنية، وأن الصدام كان حقيقيًّا، وليس من تدبير الإنجليز، كذلك يجب ألَّا تؤخذ هذه الوثائق بمعزل عن ظروفها وفهم التفوق الساحق للاستعمار في ذلك الوقت، وأيضًا مسؤولية رجل الدولة الموجود في تلك الظروف، وباختصار إن هذه الوثائق صحيحة غالبًا فيما يتعلق بالوقائع والنقل، وعرضة للنقد الشديد فيما يختص بالصياغة أو التفسير.

(محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1988، ص339)

فعلى سبيل المثال يقدِّم خطابًا مرسلًا من كيسنجر إلى الرئيس السادات، ويعتبره "نقطة تحول خطيرة في السياسة المصرية المعاصرة"، حيث وضع السادات أمنه الشخصي تحت رعاية الأمريكيين، الجملة جاءت في الوثيقة كالتالي في أصلها الإنجليزي "(Matters) Of Personal Security"[1]، وترجمتها الحرفية "(الأمور أو المسائل) المتعلقة (بالأمن) الشخصي"، حيث الوثيقة تفرِّق بين مواضيع الأمن الشخصي وبين أمن المنشآت وكشف المتفجرات كما سيرد فيها تاليًا، ولم تتحدث عن الأمن الشخصي للرئيس السادات ولم تُحَدِّدْهُ، بل الواضح من سياقها أنها تتحدث عن تأمين الشخصيات المهمة من الوفود، فقَدَّمَ الأستاذ هيكل ترجمة الجملة كالتالي "(المشاكل) المتعلقة (بأمنكم) الشخصي"، فتغيرت كلمة (الأمور) إلى (المشاكل) وتغيرت (الأمن الشخصي) إلى (أمنكم الشخصي)، وعَقَّبَ عليها الأستاذ هيكل في تقديمه لها في متن الكتاب "كانت الولايات المتحدة تتقدم لتَحْمِلَ مسؤولية الأمن الشخصي والسياسي للرئيس السادات واستجابة لطلبه، وكان توقيت الاستجابة لافتًا للنظر، وكانت تلك نقطة تَحَوُّلٍ خطيرة في السياسة المصرية المعاصرة"[2]، وفي الملحق كتب تحت صورة الوثيقة "صورة من برقية هنري كيسنجر إلى السادات، وبها تَوَلَّت الولايات المتحدة مسؤولية أمن الرئيس المصري ومباشرة"[3]، وهكذا تَحَوَّلَ تصرفٌ لغوي في نص الوثيقة، ثم توجيه لاحق من الكاتب، ليقدم للقارئ "نقطة تحْول خطيرة في السياسة المصرية المعاصرة"[4].

(1) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ملحق الوثائق تحت رقم (20).

(2) المصدر ذاته، ص236.

(3) المصدر ذاته، ملحق الوثائق، رقم (20).

(4) ولم يَرْصُد المؤلف أن أيَّ مصدرٍ آخر ذَكَرَ أن الأمنَ الشخصي للرئيس السادات كان تحت رعاية أمريكية، ولو كان كذلك لأُشِيرَ إليه عقب اغتياله.

2. 2. 2. 4 التعامل اللغوي خارج الوثيقة:

أحيانًا يُعَلِّقُ الأستاذُ هيكل على الوثيقة بما هو خارج مضمونها، فيوجِّه القارئ بخصوصها إلى ما لم تتوجه إليه، ويصبح ما تلقاه القارئ في الواقع هو ما قَدَّمَهُ الأستاذ هيكل ظنًّا من القارئ أن الوثيقة تدعمه، مع ملاحظة أن أغلب القراء قد لا يجدون وقتًا لقراءة الوثيقة ذاتها، مُكْتَفِينَ بما قَدَّمَهُ الأستاذ هيكل عن فحواها.

ومن ذلك تعليقه على ثلاث وثائق قال إنه ينقل نَصَّهَا من محضر جلسة لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ 3 أكتوبر 1975، وتحتوي تعهدات أمريكية لإسرائيل، ثم يعلِّق هيكل "أولى الوثائق الثلاث - وهي ضمن الملاحق السرية لاتفاقية سيناء الثانية - ونص الوثيقة.."[1]، فالجملة الاعتراضية التي مَرَّرَهَا على القارئ تُوَجِّهُهُ إلى أن تلك الوثائق هي ضمن ملاحق سرية لاتفاقية سيناء الثانية، وهي زيادة خطيرة من عند الكاتب ولا توثيق فيها ولا دليل عليها، فهناك فارق شاسع بين تعهدات سرية أمريكية لإسرائيل تُتَدَاوَلُ داخل الكونجرس ولا تعلم مصر عنها شيئًا، وبين ملاحق سِرِّيَّةٍ لاتفاقية مصرية إسرائيلية، أي بإقرار مصري وموافقة مصرية ورغبة مصرية في سِرِّيَّتِهَا، وقد أعلنت مصر مرارًا في عهدي الرئيسين السادات ومبارك عدم وجود ملاحق سرية في اتفاقياتها مع إسرائيل، وهكذا كان تصرف هيكل اللغوي خارج الوثيقة موجِّهًا للقارئ بخصوصها.

ومن ذلك حديثه عن تحضيرات أمريكية عام 1957 لغزو سوريا بواسطة تركيا والعراق وربما إسرائيل بعد فشل محاولة إسقاط النظام من الداخل، ثم أردف "وتتكفل وثائق الخارجية الأمريكية بإعطاء صورة كاملة ومفصلة عن دخائل ما كان يُرَتَّبُ لسوريا في ذلك الوقت"[2]، موحيًا للقارئ أن تلك الوثائق

(1) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص211.

(2) هيكل: سنوات الغليان، مصدر سابق، ص244.

تشرح ترتيبات الغزو، ثم قَدَّمَ وثيقة هي تقرير من وزير الخارجية دالاس إلى الرئيس الأمريكي، فالقارئ الذي لن يقرأ الوثيقة - أو سيَمُرُّ عليها سريعًا - سيأخذ فقط ما قدمه هيكل، بينما من يقرأ الوثيقة سيجدها تذكر أن الموقف أمام الولايات المتحدة غير واضح، ولا تريد أن تتعامل معه بحَدِّهِ الأقصى، ولا تريد أن تعطي إسرائيل فرصة لافتعال حادث، ولا يوجد أي ذِكْرٍ لغزو ولا لترتيباته كما أوحى كلام هيكل السابق للوثيقة[1].

وفي هذا المعنى يقول د. عبد العظيم رمضان "يستعين هيكل بالوثائق لإثبات ما يريد إثباته، ونفي ما يريد نفيه، وليس ما تريد الوثائق إثباته أو نفيه كما يفعل المؤرخ"[2]، ويقول "يستخدم الأستاذ هيكل الوثائق لغرض ليس له صلة بالحقيقة التاريخية، وإنما هو وثيق الصلة بالغرض السياسي الذي يريد أن يخدمه، ومن هنا حرصه الزائد على إبراز دور الوثائق في كتبه، لإعطاء الانطباع بالتأصيل التَّأْرِيخِيّ والحياد العلمي، وإقناع القارئ بالتجرد من الهوى السياسي والغرض"[3].

2. 2. 2. 5 أحداث ومعلومات مِفْصَلِيَّة لم تُوَثَّقْ:

يرى د. رؤوف عباس أن "هيكل" بنفيه لصفة المؤرخ - الذي يحرص على تأكيده لقرائه في مقدمات كتبه - يُعَبِّرُ عن إدراك عميق للفارق الكبير بين التَّأْرِيخ، وتسجيل الشهادة التاريخية التي تُعَبِّرُ عن الرؤية الذاتية لصاحبها، والتي تعطي له الحق في تناول وقائع لا مصدر لها سواه، ولا تُلْزِمُهُ بإقامة الأدلة

---

(1) المصدر السابق، ص245.

(2) د. عبد العظيم رمضان: هيكل والكهف الناصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995، ص63.

(3) د. عبد العظيم رمضان: أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج، مرجع سابق، ص309.

المادية على دِقَّتِهَا أو حتى صحتها[1]، غير أن كتابات هيكل التَّأْرِيخِيَّة تجاوزت بمراحل كونها شهادةً ذاتية تَخْرُجُ في مذكرات، وإنما هي أوسع من ذلك بكثير؛ حيث تذهب عمقًا خلف أصول المسائل لعشرات السنوات وربما مئات السنوات في التاريخ، كما في كتابه عن المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين، وتذهب اتساعًا لتغطي أنحاءً متفرقة من العالم في معالجة الأحداث التاريخية المختلفة، فرباعيته عن الصراع العربي الإسرائيلي، وكذلك كتابه سقوط نظام، وغيرها من كتبه أوسع بكثير من شهادته التاريخية الذاتية، وبالتالي أصبح يَلْزَمُهُ ما يلزم كل مُتَصَدٍّ للكتابة التاريخية من الضوابط، وحتى في مجال الحديث عن شهادته التاريخية الذاتية التي تتناول وقائع لا مصدر لها سواه، فإن سلمنا بدفاع د. رؤوف عباس أنه لا تَلْزَمُهُ إقامة الأدلة المادية على دِقَّتِهَا أو حتى صحتها، فإن هذا لا يُسْقِطُ حق المؤرخين في مناقشة دِقَّةِ تلك الشهادات وموضوعيتها وصِحَّتِهَا[2].

والحقيقة أن انصراف الأستاذ هيكل عن التوثيق المنهجي - المعتمد على توثيق المعلومات الواردة في مَتْنِ الكتاب في هوامش، واستعاضته عن ذلك بوضع ملاحق وثائقية في بعض الكتب تُقَدِّمُ تأثيرًا انطباعيًّا كما تقدم - قد أوجد فراغًا واضحًا في التوثيق، وأنتج كثيرًا من المعلومات المفصلية غير الموثقة.

وتتخذ حالات عدم التوثيق في كتابات الأستاذ هيكل صورًا عِدَّة، إما عدم ذكر مصدر التوثيق مطلقًا، وإما الإحالة إلى مصدر مجهول، وإما الإحالة إلى الأموات أو الغائبين الذين يَصْعُبُ سؤالهم أو يصعب عليهم تقديم إفادة.

---

(1) د. رؤوف عباس: كتابة تاريخ مصر.. إلى أين؟، مرجع سابق، ص241.

(2) وهذا هو موضوع الفَصْلَيْنِ الحاليِّ والتالي من هذا الكتاب.

2. 2. 2. 5. 1 عدم التوثيق بإغفال ذكر المصدر:

في كتاب ملفات السويس، وهو الكتاب الأشهر في كتب هيكل التَّأْرِيخِيَّة الطابع، الذي اشتمل على الملحق الوثائقي الأكبر (247 وثيقة)، هناك الكثير من المعلومات المهمة لم تُوَثَّقْ ولم يَذْكُرْ مصدرَها مطلقًا، ومنها أن الملك فاروق ناشَدَ الإنجليز التدخل لإنقاذ عرشه[1]، ومنه أن قواتٍ من الجيش قد أُرْسِلَتْ يوم 23 يوليو لقطع الطريق على القوات الإنجليزية إذا تَقَدَّمَتْ من القناة نحو القاهرة[2]، وأن شركة قناة السويس اتصلت عام 1955 بالصحفي محمود أبو الفتح للقيام بحملة دعائية ضد الحكومة المصرية[3]، وتفاصيل مراسلات عبد الناصر مع رئيس وزراء بورما وقبوله بقرار التقسيم[4]، وتفاصيل المحاولات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية لاغتيال عبد الناصر[5]، وأشار لمذكرات أيزنهاور التي ذكر فيها أنه رفض فكرة تصفية عبد الناصر بطريقة مباشرة، ثم أشار لأقوال للمساعد العسكري لأيزنهاور بأنه أَجَّلَ الفكرة لظروف أفضل ولم يرفضها، ولم يذكر هيكل مصدر هذه الأقوال التي تتعارض مع ما جاء في مذكرات أيزنهاور[6]، ثم يَذْكُرُ أن أيزنهاور في اجتماع مجلس الأمن القومي يوم 9 نوفمبر 1956 يستفيض في شرح خطة تصفية عبد الناصر[7] دون ذكر مصدر المعلومة.

ومنها قوله إنه في وقت من الأوقات كان لجهاز المخابرات المصري خمسون عنصرًا في إسرائيل[8]، ومنها قوله إن الرئيس الأمريكي جونسون وضع خطة

---

(1) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص173.

(2) المصدر السابق، ص173.

(3) المصدر السابق، ص378.

(4) المصدر السابق، ص397.

(5) المصدر السابق، ص ص 468-469.

(6) المصدر السابق، ص621.

(7) المصدر السابق، ص662.

(8) هيكل: سنوات الغليان، مصدر سابق، ص410.

(إطلاق يد إسرائيل لاصطياد عبد الناصر) وكان اسمها الرمزي هو (اصطياد الديك الرومي)[1]، وتفاصيل وتوقيت قرار الانسحاب في حرب يونيو، وتفاصيل خسائر الجيش المصري البشرية قبل قرار الانسحاب وبعده[2]، وتفاصيل منع حاملة طائرات أمريكية من نجدة السفينة الأمريكية ليبرتي التي أصابها الطيران الإسرائيلي[3]، وتفاصيل محاولات عبد الحكيم عامر القديمة للانتحار[4].

2. 2. 2. 5. 2 عدم التوثيق بتجهيل المصدر:

كثيرًا ما يحيل الأستاذ هيكل على مصادر مُجَهَّلة، مثل "مصدر أوروبي وثيق الاطلاع"[5]. ومنها تقديراته عن خسائر إسرائيل في الأيام العشرة الأولى من حرب أكتوبر؛ إذ قَدَّمَ هيكل تقديرين متتالين بينهما اختلافات، وناسبًا كلًّا منهما إلى مصادر أمريكية لم يُبَيِّنْهَا، فذكر في التقرير الأول أن خسائر إسرائيل في الأيام العشرة الأولى بلغت 160 طائرة وستة آلاف قتيل[6]، وفي التقدير التالي للأيام نفسها نقل أنها بلغت 170 طائرة وسبعة آلاف قتيل[7]، وكلاهما نسبهما لمصادر مُجَهَّلَةٍ، وكلاهما بعيد عن الدِّقَّةِ إذ إن إجمالي الخسائر الإسرائيلية شاملة تلك الأيام وما بعدها كانت أقل من تلك التقديرات.

ومن أمثلة تجهيل المصدر طريقة النقل غير المباشر، فبدلًا من النقل عن الوثائق وتحديد رقم الوثيقة وتاريخها ومصدرها، فإنه ينقل عن مرجع يُشِيرُ إجمالًا إلى كلمة "الوثائق" مع تجهيل المعلومات الخاصة بها، فعلى سبيل المثال ذكر قصص مؤداها

---

(1) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص374.

(2) المصدر السابق، ص712.

(3) المصدر السابق، ص748.

(4) المصدر السابق، ص821.

(5) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص167.

(6) هيكل: سؤال.. وجواب، الأهرام، 1973/10/26.

(7) هيكل: السـلام البعيـد.. البعيـد!، الأهرام، 1973/11/2.

أن الملكة فريدة أقامت علاقة غير شرعية مع رسام إنجليزي، وعلاقة مماثلة مع أحد النبلاء المصريين في ذلك الوقت، ونقل هيكل هذا عن مذكرات صحفية إنجليزية تروي ذكرياتها عن مصر، ويذكر أن الملكة قَابَلَتْهُ بعد طلاقها من فاروق، وكان ذلك في بيت زوج خالتها حسين سري باشا، وسألها عما جرى بينها وبين الملك فابتسمت وقالت إن البادئ أظلم[1]، فإذًا هيكل يستنتج من هذه الجملة أن الملكة تعترف لصحفي - شاب في هذا الوقت، وتلتقيه للمرة الأولى - أنها كانت تخون زوجها، وهكذا من شطر جملة اختار هيكل ذلك التأويل، وجعله حجر الزاوية في الطعن في ملكة مصر، ثم استكمل ذلك بالنقل من كتاب صحفية إنجليزية التي تنقل بدورها من الوثائق البريطانية في تلك الفترة[2]، وهنا تظهر عدة أسئلة متعلقة بالتوثيق: إذا كانت الوثائق الإنجليزية مفتوحة أمام هيكل ينقل منها ما يشاء، فلماذا لم ينقل منها مباشرة بدلاً من النقل غير المباشر عن الصحفية الإنجليزية؟ ولماذا لم يَذْكُرْ أرقام تلك الوثائق كما يفعل في نقله المباشر، الإجابة - كما يبدو - أن "هيكل" لم يَجِدْ كلمة مما ذكر في الوثائق الإنجليزية، ولو وجدها لما احتاج إلى النقل غير المباشر، لكنه للأسف أحال إلى كتاب الصحفية الإنجليزية قائلًا إنه أفضل مرجع لتلك القصة، وعززه برواية عن لقاء مع الملكة الراحلة يرويه بعد رحيلها.

ومثال آخر للقصص مُجَهَّلَةِ المصدر، هو ما يرويه - طاعنًا في نزاهة النحاس باشا الأخلاقية - وأنه أقام علاقة بصحفية إيطالية جميلة اسمها (فيرا)، فأحال في هذه القصة إلى مصادر مُجَهَّلَةٍ مثل (السجلات)، (الروايات الموثقة)[3].

ومن ذلك ما ذكره في خريف الغضب "وكما تقول رواية موثوق بها فإن السادات ألقى بنفسه أمام الملك في مسجد سيدنا الحسين، وطلب منه الصفح"[4].

(1) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص232.

(2) المصدر السابق، ص ص 233-236.

(3) المصدر السابق، ص ص 52-53.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص69.

ومن كتاب (ملفات السويس) نجد الكثير من تلك الإحالات إلى مصادر مُجَهَّلَة، مثل أن شركة قناة السويس تبرعت للحركة الصهيونية بأموال طائلة قبل حرب 1948، حيث أشار إلى (وثائق الشركة) دون أي تحديد[1]، ومنها تقارير الخارجية البريطانية أن مصر نجحت في مفاوضات السودان، وأن تشرشل أشاد بنجاح صلاح سالم في اجتذاب القبائل السودانية بالرقص[2]، ومنه ردود عبد الناصر على رسائل رئيس الوزراء الإسرائيلي عبر الوسطاء[3].

2. 2. 2. 5. 3 عدم التوثيق بالإحالة على الأموات أو الغائبين:

والأمثلة بالعشرات في كتابات الأستاذ هيكل، مما دفع كثيرًا من ناقديه إلى أن يشيروا إلى هذا المَثْلَبِ في كتاباته التاريخية ويؤكدوا عليه، فكثير من الوقائع المفصلية في كتاباته يرويها عن لقاءات أو أحاديث أو مواقف جمعت بينه وبين شخصيات تاريخية رحلت عن الحياة أو يغيبها المرض أو السجن، ولا يوجد شاهد آخر غير هيكل نفسه، فهذا يُعَدُّ نقصًا واضحًا في التوثيق، ويلاحظ في كثير من كتابات هيكل أن هؤلاء الأموات أو الغائبين يفتحون صدورهم وأسرارهم له بلا حساب وبلا تحرز وهم يعلمون أنه صحفي مهمته النشر وليس كاتمَ أسرار مهمته الكتمان، وهذا يُسْتَبْعَدُ حدوثه وهم في مواقعهم.

على سبيل المثال يروي هيكل حوارًا بينه وبين الملك حسين يزدري فيه الأخير بالرئيس مبارك ويسخر منه[4]، فهي رواية بلا شهود أحياء، فالشاهد الوحيد توفاه الله قبلها بسنوات، وكان معروفًا عنه الدبلوماسية الشديدة فيُسْتَبْعَدُ أن يسخر بهذه الطريقة من الرئيس المصري أمام هيكل، ويروي عن أشرف مروان أنه قال إنه يمتلك من الأشياء ما يستطيع بها تدمير مبارك وعمر سليمان

---

(1) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص100.

(2) المصدر السابق، ص ص 206-207، 241.

(3) المصدر السابق، ص342.

(4) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص114.

وآخرين[1]، يروي ذلك بعد وفاة أشرف مروان وسقوط مبارك وعمر سليمان، فمثل هذه الروايات تثير تساؤلات حول التوثيق في كتابات هيكل.

ومن ذلك أمثلة كثيرة جدًّا في كتبه الكبرى، ومنها أن عبد الناصر عرض رئاسة الجمهورية على أحمد لطفي السيد وأن الأخير رفض[2]، وأن عبد الحكيم عامر اعتكف في بيته بعد حرب 1956 نادمًا ومحتجًّا حتى استرضاه عبد الناصر[3]، ومنها تفاصيل لقاء يوجين بلاك مع عبد الناصر وقوله إن إسرائيل أُطْلِقَتْ عليه[4]، وكان يوجين بلاك في مرض الشيخوخة لا يستطيع نفيًا ولا إثباتًا حين نُشِرَ الكتاب، ومنها رسالة عبد الحكيم عامر من باكستان إلى عبد الناصر بطلب سحب قوات الطوارئ منعًا للمزايدات العربية[5]، وأن عبد الناصر ناقش عبد الحكيم في مارس عام 1967 بخصوص أوضاع خاطئة وتجاوزات داخل الجيش[6]، وتفاصيل حوارات عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر أثناء حرب 1967[7]، إضافة إلى عشرات من الاستشهادات بحواراته مع عبد الناصر والسادات دون وجود أي شهود آخرين[8].

---

(1) المصدر السابق، ص269.

(2) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص352.

(3) هيكل: سنوات الغليان، مصدز سابق، ص104.

(4) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص361.

(5) المصدر السابق، ص368.

(6) المصدر السابق، ص395.

(7) المصدر السابق، ص ص 821، 835.

(8) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص ص 42، 56، 58، 59، 63، 72، 76، 79، 89، 101، 104، 111، 255، 260، 262، 263، 267، 273، 285، 300، 302، 303، 313، 324، 357، 358، 359، 372، 373، 390، 392، 394.

هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص ص 18، 103، 173، 232، 319، 415، 418، 478، 520، 522، 523، 528، 529، 556، 611.

هيكل: سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ص 199، 224، 340، 342، 591، 751.

ويذكر د. رؤوف عباس أنه من القيود التي تخلص منها هيكل (بنفي صفة المؤرخ عن نفسه) الاعتماد على مصدر واحد - أحيانًا - في واقعة بعينها، وخاصة إذا كان المصدر شفهيًّا، فلا يملك المؤرخ أن يفعل ذلك دون أن يُعَرِّضَ نفسه لسَيْلٍ جارف من النقد، وغالبًا ما يستخدم المؤرخ عبارات تنمُّ عن الحذر الشديد، وتتضمن الكثير من التساؤلات إذا اضْطُرَّ أن يستخدم رواية لا سند لها إلا مصدر واحد[1].

2. 2. 2. 6 الوثائق السلبية:

في بعض الحالات يمكن تسمية الوثائق التي استعان بها الأستاذ هيكل بالوثائق السلبية، حيث كانت في مواضعها تمثل حجة سلبية على ما يطرحه، وكان استشهاده بها ربما عن عدم تَبَيُّنٍ للوجه السلبي فيها، أو لحرصه على جانب آخر في تلك الوثيقة يجعله يَغُضُّ الطَّرْفَ عن الجانب السلبي فيها، راجيًا أن يُمَرِّرَهَا على القارئ، موجهًا مسعاه فقط إلى الجزء الذي يستشهد به.

والأمثلة على هذا متعددة، فمن ذلك ما أورده هيكل – في محاولة لإضعاف أهمية شهادة مندوب المخابرات الأمريكية الشهير "مايلز كوبلاند" في كتابه (لعبة الأمم) – حيث أورد هيكل مراسلات عديدة جدًّا من مايلز كوبلاند يطلب إعانات وتسهيلات مالية من الرئاسة المصرية، واعتبرها هيكل تؤكد مادية الرجل ورغبته في الابتزاز[2]، ولكنها على الجانب الآخر تدفع القارئ للتساؤل عن تلك العلاقة

هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص ص 63، 398، 403، 405، 425، 448، 485، 833، 834، 836، 853، 855، 864.

هيكل: أكتوبر 73 السلاح والسياسة، مصدر سابق، ص ص 60، 152، 157، 161، 170، 225، 275، 281، 299، 305، 308، 315، 346، 347، 351، 379، 386، 393، 422، 427، 440، 454، 465، 466.

(1) د. رؤوف عباس: كتابة تاريخ مصر.. إلى أين؟، مرجع سابق، ص245.

(2) هيكل: سنوات الغليان، مصدر سابق، ملحق الوثائق، وثائق رقم (9)، (10)، (11)، (12).

الوطيدة التي سمحت له بتلك الطلبات المتعددة، وما الذي قَدَّمَهُ أو ظن به أن له دالةٌ على النظام المصري ليطلب هذه الطلبات، فوثائق هيكل تؤدي هنا لأثر عكسي، وتدفع القارئ للتساؤل عن تلك العلاقة التي سمحت له بهذه الطلبات، وهذا ما رصده الأستاذ جلال كشك؛ فعَلَّقَ بأنه من الواضح (مما نشره هيكل) أن الرجل على صلة وثيقة بالحكومة المصرية، ويعتبرها مسؤولة - ولو أدبيًا - عن الحفاظ على مستوى معيشته[1]، وتؤكد عدة مصادر متانة العلاقة بين عبد الناصر ومايلز كوبلاند واستمرارها طوال الفترة من 1952 وحتى عام 1968 رغم كل الأزمات السياسية التي مَرَّتْ بالعلاقات الأمريكية، فظل عبد الناصر متواصلًا مع هذه القناة الموصلة للمخابرات الأمريكية[2]، ويروي حسن التهامي أن جمال عبد الناصر وكوبلاند ظلا يستخدمان الاسم الأول في حديثهما معًا كما هي عادة الأمريكيين[3] (في الوقت الذي ما عاد فيه مصري ينادي جمال عبد الناصر باسمه مجردًا)، وهذا يوضح طبيعة العلاقات الوثيقة التي تمتع بها الرجل[4]، وكتب هو ردًا على هيكل مؤكدًا أن أغلب طلباته المالية قد أُجِيبَتْ[5].

ومن ذلك في كتابه (ملفات السويس) أنه أورد عدة وثائق بريطانية في سبتمبر وأكتوبر 1951 تُثْبِتُ إصرارَ حكومة الوفد على استعادة السيادة على

---

(1) محمد جلال كشك: كلمتي للمُغَفَّلِينَ، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1989، ص23.

(2) - أنتوني ناتنج: ناصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1993، ص154.

- محمد سعد العوضي: حسن التهامي يفتح ملفاته.. عبد الناصر، السادات، وسكّين المخابرات الأمريكية، دار ديوان، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998، ص40.

(3) محمد الطويل: لعبة الأمم وعبد الناصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1986، ص223-224.

(4) البعض يطرح علامات استفهام على شخصية الفريق حسن التهامي وحقيقة دوره، لكن هيكل نفسه يؤكد أهمية دور التهامي وأنه كان في النواة الأولى لتنظيم الضباط الأحرار (فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل، دار القضايا، الطبعة الأولى، القاهرة، 1975، ص ص 35، 38)، وظل التهامي داخل دائرة السُّلْطَة إلى جوار عبد الناصر حتى وفاته، ثم إلى جوار السادات حتى ما بعد كامب ديفيد.

(5) كوبلاند يَرُدُّ على هيكل، مجلة كل العرب اللندنية، 1988/11/14.

قاعدة قناة السويس (كاملة)[1]، وهو ما لم يظهر في متن الكتاب، ووثائق أخرى توضح غضب الإنجليز من عدم تعاون حكومة الوفد[2]، وأنها مُصِرَّةٌ على التصعيد[3]، وتوضِّح مدى العداء البريطاني لحكومة الوفد والتخطيط لإسقاطها[4]، وكانت إشارة هيكل لهذه المعلومات عابرة جدًّا ومنفصلة عن الإشارة للوثائق التي أَجْمَلَ الإشارة إليها عن المرحلة كلها وهو يعلم قِلَّة رجوع القراء لتلك الملاحق والاكتفاء بالتوجيهات إليها في المتن.

وفي الكتاب ذاته يكتب أن مصر رفضت أن تستخدم في تطهير القناة معدات بريطانية وفرنسية، وأن النار سوف تُطْلَقُ على أي معدات بريطانية وفرنسية تستخدم في التطهير[5]، لكن الوثائق التي أشار إليها في الملحق الوثائقي تؤكد عكس ذلك وأن مصر لا مانع لديها أن تستخدم الأمم المتحدة المعدات البريطانية والفرنسية، ولكن بأفراد آخرين؛ خشية على أرواح المُشَغِّلِينَ البريطانيين أو الفرنسيين[6].

2. 2. 2. 7 حرب يونيو عام 1967 (دراسة حالة):

قَدَّمَ هيكل - اعتمادًا على الوثائق وتوظيفًا لها في كل مرة - رؤيتين مختلفتين عن حرب يونيو عام 1967، قَدَّمَ الأولى في كتابه الكبير (الانفجار) الذي صدر عام 1990، وخرج بنتيجة أن حرب يونيو ما هي إلا مؤامرة دولية بدأ التحضير لها بعد تولي الرئيس جونسون للحكم، وتحديدًا منذ عام 1964، وأن عبد الناصر تَلَقَّى تحذيرات بخصوص هذا الأمر من عدة شخصيات دولية، وأن دور الحكومة

---

(1) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ملحق الوثائق، وثائق رقم (50)، (51).

(2) المصدر السابق، ملحق الوثائق، وثائق رقم (53)، (54).

(3) المصدر السابق، ملحق الوثائق، وثيقة رقم (58).

(4) المصدر السابق، ملحق الوثائق، وثيقة رقم (60).

(5) المصدر السابق، ص654.

(6) المصدر السابق، ملحق الوثائق، وثائق رقم (198)، (210).

الأمريكية في حرب 1967 يُمَاثِلُ تقريبًا دور الحكومتين البريطانية والفرنسية في التواطؤ في حرب 1956 ولكن بصورة أكثر احترافية لا تترك أثرًا.

ولم يستند هيكل في طرحه الأول إلى أدلة قوية أو معتبرة، بل مجرد قرائن على شكل شذرات من هنا وهناك واستنتاجات لإثبات نوايا وسياسات أمريكية، ويعتمد هيكل بشكل رئيسي في نظريته على ما يسميه "التحقيق الذي أجراه وليام مويرز المستشار الخاص للرئيس جونسون عن موضوع الحكومة الخفية في الولايات المتحدة"[1]، وكان مويرز في الحقيقة السكرتير الصحفي لجونسون من 1965 إلى 1967، والتحقيق الذي يشير له هيكل ليس تحقيقًا قضائيًّا، بل كتاب أصدره مويرز في عام 1988 بناءً على فيلم تسجيلي أشرف عليه لصالح القناة العامة المموّلة من الحكومة (بى بي إس) في عام 1987[2]، "ومويرز وغيره من المُعَلِّقِينَ الأمريكيين كتبوا كثيرًا وتفصيليًّا عن المجمع الصناعي العسكري الذي يؤثِّر على شؤون السياسة في واشنطن، وعن علاقة هذا المجمع بإسرائيل، لكن التأثير يختلف عن السيطرة، والقرائن ليست أدلة"[3].

والوثائق والكتب المنشورة تشير إلى أن خطط غزو سوريا والحشود الإسرائيلية المزعومة على حدودها - وفقًا للتقرير السوفييتي - لم تكن حقيقية أو

---

(1) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص102.

(2) وهكذا فبدايةً كان مويرز سكرتيرًا صحفيًّا لجونسون وليس مستشارًا خاصًّا كما ذَكَرَ هيكل، و(التحقيقات) التي أجراها كانت تحقيقات صحفية وليست قضائية كما أوحى هيكل في سياق كتابه.

(3) خالد منصور: في تشريح الهزيمة.. حرب 1967 وما تلاها (3).. بين واشنطن وتل أبيب والقاهرة: العالم من زوايا مختلفة.

http://www.za2ed18.com/%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D9%85%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D9%8A%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D9%81%D9%8A--%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%B2%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-1967/, 6/5/2016.

دقيقة.. لم يكن لدى إسرائيل سوى خطط طوارئ بديلة أو Contingency Plans، وهي خطط تُعِدُّ لها كل المؤسسات والجيوش والشركات الحديثة لمواجهة الاحتمالات المختلفة، وحتى أوائل 1967 لم تَكُنْ لدى تل أبيب خطط هجومية حقيقية في تلك الفترة، بل كان قطاع واسع من سَاسَتِهَا - خصوصًا من الحرس القديم بقيادة بن جوريون - يسعى بقوة لتفادي أي مواجهة مع مصر، ويظهر ذلك جليًّا في أحاديثه مع رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إسحق رابين حتى قبل حرب يونيو بأيام - وفقًا للمصادر الإسرائيلية - التي يعرضها مايكل أورين في كتابه عن حرب يونيو[1].

بل لقد قَدَّمَ هيكل في كتابه (الانفجار) عدة وثائق سلبية تُعَارِضُ الفرضيات التي تَبَنَّاهَا طوال الكتاب بوجود تواطؤ مسبق منذ شهور بين الولايات المتحدة وإسرائيل لإطلاق يدها نحو مصر، ومن ذلك مذكرة من وزير الخارجية الأمريكي إلى الرئيس الأمريكي تاريخها 17 مايو 1967 لإرسال رسالة ضبط نفس لرئيس الوزراء الإسرائيلي[2]، رسالة من جونسون إلى إسرائيل تجدد تعهدات الدفاع عن إسرائيل حال حدوث عدوان، وأنه ما زال يبحث إصدار بيان لتأييد موقف إسرائيل[3]، ورسالة من مستشار الأمن القومي إلى الرئيس الأمريكي لمحاولة حل المشكلة عن طريق إقناع المشير عامر بزيارة الولايات المتحدة وعقد لقاءات هناك من أجل حل الأزمة[4]، وينقل قول رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى جنرالاته يوم 25 مايو بأنه يؤجل الحرب لأنه لا يستطيع أن يبدأ إلا إذا ضمن تأييد الولايات المتحدة

(1) Oren, Michael: Six Days of War - June 1967 and the Making of the Modern Middle East, Oxford University Press, 2002, pp. 91-170.

(2) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص505.

(3) المصدر السابق، ص ص 510-511.

(4) المصدر السابق، ص540.

ورئيسها، ويعتقد أن الموقف سوف يتضح خلال ساعات[1]، فهي بذلك تُعَارِضُ كل الفرضيات التي بناها في الكتاب ذاته.

ولاحقًا تَبَنَّى هيكل فرضية مخالفة في عدة مقالات في مجلة وجهات نظر عام 2001 جُمِعَتْ في كتاب بعنوان (كلام في السياسة - عام من الأزمات)، وتتبلور في فصل بعنوان (مأزق إسرائيل التاريخي - من واقع ملفاتها السرية)، ففي ذلك الفصل قَدَّمَ هيكل جملة لمدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية أهارون ياريف أن العمل العسكري الإسرائيلي المنتظر يجب أن يكون في الشام بطريقة الصيد بالشبكة لا يُسِيلُ دمًا، ويجب أن يكون مع مصر بطريقة الصيد بالرمح المقذوف (الذي يصيد الحيتان) يقتل أو يجرح[2]، ثم افترض هيكل أن هذه الجملة تمثِّل السياسة الإسرائيلية، ثم افترض تاليًا - دون الاستناد إلى أي وثيقة إسرائيلية أو غيرها - أن التصعيد الإسرائيلي أمام سوريا في مايو 1967 كان طعمًا لاصطياد مصر[3]، ثم عندما خالفت الوثائق الإسرائيلية هذا الافتراض وأَثْبَتَتْ حيرة الإسرائيليين حتى يوم 17 مايو عزاها هيكل إلى التردد الإنساني في تنفيذ ما تَمَّ إقراره[4]، ثم قَدَّمَ فرضية جديدة في هذه المقالات هي أن طلعات استطلاعية مصرية فوق النقب حيث مفاعل ديمونة قد أرعبت الإسرائيليين وحَتَّمَت الحرب وحسمت قرارها ووسعت نطاقها عند رئيس الوزراء وعند رئيس الأركان الإسرائيلي[5]، ويقدِّم بعدها الحوار الذي دار بين ديفيد بن جوريون الأب الروحي لإسرائيل ورئيس الأركان رابين يوم 24 مايو، وفيه

---

(1) المصدر السابق، ص594.

(2) هيكل: كلام في السياسة – عام من الأزمات، المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2001، ص395.

(3) المصدر السابق، ص ص 398–400.

(4) المصدر السابق، ص403.

(5) المصدر السابق، ص ص 405–411.

يعاتب "بن جوريون" "رابين" بشدة على هذا التصعيد غير المبرر، ويعتذر رابين بأن عبد الناصر ينوي الهجوم على ديمونة، وزاد حنق بن جوريون عندما سأل رابين: هل الأمريكان معكم بالكامل في خططكم؟ فأجابه: لا أستطيع أن أقول (بالكامل)، لكنهم معنا (تقريبًا)، فاستشاط بن جوريون غضبًا وقال: ليس هناك في الحرب شيء اسمه (تقريبًا)، ليس فيما يتعلق بمستقبل إسرائيل شيء اسمه (تقريبًا)، ثم ينتقل ليلقي الضوء على الموقف الأمريكي؛ فنجد أن الرئيس الأمريكي رغم انحيازه المعروف لإسرائيل طلب - لحساباته الخاصة المتعلقة بالمصالح الأمريكية في المنطقة - تأجيل أي عمل عسكري لحين استنفاذ جميع الوسائل السلمية، وطلب عدة أسابيع، وحذر الإسرائيليين أن أي تحرك أحادي من جانبهم سيكون على مسؤوليتهم[1]، ولم يُعْطِ الضوء الأخضر لإسرائيل إلا يوم 30 مايو، في حين كان هيكل نفسه يكتب قبلها (ولتَضْرِبْ إسرائيل) ويكتب (لماذا أصبح الصراع بالسلاح محتمًا)، وهو ضوء أخضر لا علاقة له بمشاركة أمريكية في القتال، وإنما فقط بضمان مواجهة ردود الفعل السوفييتية، وبالتالي لن تقع إسرائيل تحت وطأة إنذار سوفييتي مهين أو ضغوط أمريكية لإجبارها على الانسحاب كما حدث عام 1956.

فهذا كله يعضِّد الوثائق السلبية التي أَشَرْتُ إليها في كتاب (الانفجار)، ويعضِّد ما ذَكَرَتْهُ المراجع الأخرى[2]، التي تقطع بتهافت نظرية التواطؤ المسبق الأمريكي الإسرائيلي التي قَدَّمَهَا هيكل في كتابه الضخم (الانفجار)، فهذا الكتاب

---

(1) المصدر السابق، ص421.

(2) Parker, Richard B.: The Politics of Miscalculation in the Middle East, Indiana University Press, 1993, pp 111-122.

Quandt, William B.: Peace Process: American Diplomacy and the Arab-Israeli Conflict since 1967, A Brookings Institution Press, Third Edition, Washington D.C., 2005, pp 23-48.

الضخم الذي أراد أن يُهَوِّنَ الهزيمة بأن يَرُدَّهَا إلى تواطؤ إسرائيلي أمريكي مسبق - على غرار التواطؤ الثلاثي عام 1956 - بُنِيَ على أقوالٍ مُرْسَلَةٍ وُضِعَتْ على ألسنة رجال قابلوا عبد الناصر وقد غَيَّبَهُم الموت أو المرض وقت نشر الكتاب، مثل (ذو الفقار علي بوتو) رئيس وزراء باكستان الأسبق[1]، أو (يوجين بلاك) مدير البنك الدولي الأسبق[2]، ولو صدقت الروايات عنهم لما زادت عن كونها آراءً أو تكهنات لا تصمد أمام الوثائق والمراجع التي تؤكد أن القرار الإسرائيلي ذاته - ناهيك عن الموقف الأمريكي - لم يُحْسَمْ إلا متأخرًا جدًّا، واستجابة للتصعيد المصري غير المدروس - للأسف الشديد - الذي جعل لجوء إسرائيل للسلاح - حتى باعتراف هيكل ذاته وفق ما كتبه وقتها - أمرًا حتميًّا وليس اختيارًا.

وهذا يدل أنه حتى أضخم مؤلفات الأستاذ هيكل التي ظاهرها التوثيق هي في الواقع لا تنبني على التوثيق، وإنما على مساراتٍ فرضية وتوجيهات منطقية ولغوية معينة يوجه من خلالها القارئ إلى النتائج المرادة، وقد تأتي وثائق سلبية في الكتاب ذاته تخالف ما يذهب إليه، فيتجاوزها منطلقًا إلى هدفه، وعندما قام بشبه مراجعة فكرية لما جاء في كتاب (الانفجار) عبر كتابه (كلام في السياسة - عام مع الأزمات) فإنه لم يُشِرْ إلى كونها مراجعة، ولا إلى ما تغير بين الفرضيات في الكتابين، وحتى في المراجعة التي قام بها يظل متمسكًا لفظيًّا بما تنفيه الوثائق أو لا تثبته، كما تقدم.

---

(1) هيكل: الانفجار، مصدر السابق، ص304.

(2) المصدر السابق، ص361.

2.2.2.8 متابعة لمدى التوثيق في كتب هيكل (دراسة حالة إحصائية):

من بين ستة وخمسين كتابًا للأستاذ هيكل، فإن سبعة كتب هي التي تحتوي ملاحق وثائقية[1]، بالإضافة لثلاثة كتب أخرى أشار في متنها إلى الكثير من الوثائق دون أن يضعها في ملحق وثائقي[2].

وقد قام المؤلف بدارسة إحصائية للمعلومات الرئيسية ومدى توثيقها في سبعة من الكتب الرئيسية التي تناولت تاريخ مصر المعاصر، والتي تحتوي خمسة كتب منها ملاحقَ للوثائق، وهي - طبقًا للتاريخ الزمني لإصدارها: بين الصحافة والسياسة (1984)، ملفات السويس (1986)، سنوات الغليان (1988)، الانفجار (1990)، أكتوبر 73 السلاح والسياسة (1993)، سقوط نظام (2002)، مبارك وزمانه (1)- من المنصة إلى الميدان (2012).

حيث قام المؤلف برصد جميع المعلومات الرئيسية التي وردت في كل كتاب من تلك الكتب، ومدى توثيقها داخل الكتاب ذاته، وما إذا كانت تلك المعلومات مقرونة بمراجع مذكورة، أو بشهود أحياء، أو بشهود غيبهم الموت أو المرض أو غير ذلك، أو ليست محددة المصدر ولم يُذْكَرْ لها توثيق، وهدف هذه الدراسة الإحصائية هو التحقق من مدى توثيق كتب الأستاذ هيكل؛ لمقارنته بما هو شائع عند قرائه من أن كتبه على أعلى درجات التوثيق، وكذلك لرصد مدى إحالته على وقائع بلا توثيق وبلا شهود أحياءٍ، لمقارنة ذلك بما هو شائع عند خصومه من إحالته الدائمة على شهود أموات.

---

(1) وهي بالترتيب الزمني: بين الصحافة والسياسة (1984)، ملفات السويس (1986)، سنوات الغليان (1988)، الانفجار (1990)، أكتوبر 73 السلاح والسياسة (1993)، المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2) و(ج3) (1996).

(2) وهي بالترتيب الزمني: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج1) (1996)، العروش والجيوش (ج1) (1998)، سقوط نظام (2003).

كما شملت الدراسة تحليلًا تفصيليًا لملاحق الوثائق لتلك الكتب، حيث يقدمها الأستاذ هيكل باعتبارها دليلًا جازمًا على مدى توثيق كتاباته وكذلك يعتبرها مؤيديه، بينما يشكك بعض ناقديه في أهمية ما تحتويه، ويذكرون أن هدفها الأساسي هو الإيحاء للقارئ بالتوثيق اعتمادًا على أن أغلب القراء سيقتنع بتلك الرسالة الإيحائية دون أن يُطَالِعَ تلك الملاحق[1]، وقد بلغت تلك الدراسة التحليلية 167 صفحة، لذلك يَتَعَذَّرُ ضَمُّهَا جميعًا لملاحق الكتاب، وسأكتفي بضم ما يتعلق بالكتاب الأول الذي تعرضت له تلك الدراسة وهو (بين الصحافة والسياسة).

والجدول التالي يوضِّح النتائج الإحصائية لتلك الدراسة للكتب السبعة، ويوضِّح الجدول عدد المعلومات الرئيسية الواردة بكل كتاب (وفي الدراسة التحليلية المشار إليها بيان تفصيلي بها يوضح موقعَ كلٍّ منها في تلك الكتب ومصدر توثيقها)، كما يوضح الجدول عدد المعلومات الموثقة، وهي المعلومات الموضح مصدرها سواء من وثيقة محددة أو من مرجع أو من شهود أحياء[2]، ويوضح الجدول عدد المعلومات غير الموثقة، وهي المعلومات مجهولة المصدر أو المستندة إلى شهود أموات أو غَيَّبَهُم المرضُ أو السجن، وهذا النوع الأخير خصص له الجدول أعمدة خاصة لرصده، **وبيان ذلك كالتالي:**

(1) د. سيار الجميل: تفكيك هيكل، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان 2000، ص ص 220-221.

(2) وقد اعْتَبَرَ المؤلف أن مُجَرَّدَ إحالةِ الأستاذ هيكل على شاهد على قيد الحياة هو باب من أبواب التوثيق، وذلك للوصول إلى النتائج الأكثر إنصافًا بحق الكاتب.

جدول (1): نِسَب توثيق سبعة كتب رئيسة للأستاذ هيكل

اسم الكتاب وعام النشر	المعلومات الرئيسية	المعلومات الرئيسية الموثقة		المعلومات الرئيسية غير الموثقة		المعلومات المنسوبة لشهود غائبين	
	عدد	عدد	نسبة %	عدد	نسبة %	عدد	نسبة %
بين الصحافة والسياسة (1984).	152	57	%37.5	95	%62.5	76	%50
ملفات السويس (1986).	533	188	%35.3	345	%64.7	146	%27.4
سنوات الغليان (1988).	387	232	%59.9	155	%40.1	71	%18.3
الانفجار (1990).	464	228	%49.1	236	%50.9	123	%26.5
أكتوبر 73 السلاح والسياسة (1993).	362	205	%56.6	156	%43.4	85	%23.5
سقوط نظام (2002).	353	162	%45.9	191	%54.1	144	%40.9
مبارك وزمانه (1) (2012).	82	19	%23	63	%77	38	%46

ومن الجدول السابق يتضح أن أعلى نسبة توثيق لكتاب من تلك الكتب بلغت 59.9%، وعلى هذا فلم تَتَعَدَّ نسبةُ توثيق المعلومات في أيٍّ من تلك الكتب نسبةَ الثلثين، وفي خمسة من تلك الكتب السبعة قَلَّتْ نسبةُ التوثيق عن النصف، وفي آخر تلك الكتب نزلت النسبة عن الربع، بينما المؤرخ والباحث الأكاديمي مُطَالَبٌ دومًا بتوثيق جميع المعلومات الرئيسية الواردة في كتاباته التَّأْرِيخِيَّة، فهذا يُفَنِّدُ مقولة أن كتابات الأستاذ هيكل موثقة.

وفي الوقت ذاته فإن نسبة المعلومات المنسوبة لشهود غَيَّبَهُم الموت أو المرض أو غير ذلك كانت في ثلاثة من الكتب السبعة بين 40% و50%، وهي نسبة مرتفعة، وقَلَّتْ عن الخُمُس في كتاب (سنوات الغليان) - وهو بذلك أفضل كتبه توثيقًا؛ إذ كان أعلى كتبه في نسبة التوثيق وأقلها في الاعتماد على شهود أموات - وعلى ذلك فإن مقولة أن الأستاذ "هيكل" (يعتمد) على الشهود الأموات هي مقولة لها وجه نِسْبِيٌّ من الصحة، ولكنها ليست صحيحة مطلقًا، وتختلف من كتاب إلى آخر.

وفيما يتعلق بتحليل الملاحق الوثائقية لتلك الكتب، فقد تَمَّتْ دراسة وتقدير أهمية كلٍّ من تلك الوثائق - من وجهة نظر المؤلف - طبقًا لموضوعها وعلاقتها بموضوع الكتاب وأهميتها أو الداعي لإدراجها في الملحق، وعليه قُسمت تلك الوثائق تبعًا لأهميتها إلى أربعة أقسام: (مرتفعة الأهمية) لأهمية محتواها ووجود استفاضة فيها تثقل على المتن، أو (متوسطة الأهمية)، أو (منخفضة الأهمية) وهي التي لم يكن هناك حاجة ولا حُجَّةٌ إضافية لإضافتها في الملحق بعد الإشارة إليها في المتن، أو (وثيقة سلبية) وهي التي لا تَخْدِمُ مراد الكاتب، بل تَضَمَّنَتْ أشياء عكس ما أراد إظهاره، إما لأنه غفل عن تلك الجزئية فيها، وإما لأنه أراد توجيه القارئ لأمر آخر تَضَمَّنَتْهُ، فَقَبِلَ أن يظل هناك جزء سلبي على أمل ألّا يلاحظه القارئ[1].

---

(1) ولا شَكَّ أن تقديرَ أهمية كل وثيقة هو أمر لا يخلو من النِّسْبِيَّةِ، وهو ما ذَكَرَهُ الأستاذ هيكل نفسه في أحد المواضع، لكن المؤلف قد أوضح موضوعَ كل وثيقة وتقديره لأهميتها بجوارها وأسباب ذلك التقدير، وعلى ذلك فقد بَيَّنَ للقارئ، ثم أحال إليه أن يأخذ بتقديره أو أن يكون له تقدير مُغَايِر، ومن أحال وبَيَّنَ فقد أَبْرَأَ ذِمَّتَهُ.

جدول (2): تحليل الملحق الوثائقي لخمسة كتب رئيسة للأستاذ هيكل

اسم الكتاب وعام النشر	وثائق الملحق	مرتفعة الأهمية		متوسطة الأهمية		منخفضة الأهمية		سلبية	
	عدد	عدد	نسبة%	عدد	نسبة%	عدد	نسبة%	عدد	نسبة %
بين الصحافة والسياسة (1984).	30	5	%16.7	6	%20	13	%43.3	6	%20
ملفات السويس (1986).	247	31	%12.6	54	%21.9	148	%59.9	14	%5.6
سنوات الغليان (1988).	54	18	%33.3	7	%13	25	%46.3	4	%7.4
الانفجار (1990).	45	9	%20	7	%15.5	25	%55.6	4	%8.9
أكتوبر 73 السلاح والسياسة (1993).	142	38	%26.8	26	%18.3	77	%54.2	1	%0.7

ويلاحَظ من تلك النتائج أن أعلى نسبة من الوثائق ذات الأهمية المرتفعة في ملحق من ملاحق الوثائق لكتب الأستاذ هيكل لم تتجاوز الثُّلث، واللافت للنظر أنه في الملحق الوثائقي الأكبر والأشهر وهو الملحق بكتاب ملفات السويس كانت النسبة هي الثُّمُن، وهي نسبة ضئيلة للغاية مقارنةً بالإيحاء الذي يعطيه ملحق وثائقي متضخِّم خلف الكتاب، ومن اللافت للنظر كذلك أن نسبة الوثائق قليلة الأهمية في جميع تلك الملاحق الوثائقية كانت أكبر من الوثائق مرتفعة الأهمية، مما يدل على تَعَمُّدِ تضخيم ملحق الوثائق للتأثير الإيحائي على القارئ كما ذهب الدكتور سيار الجميل في ملاحظته.

3.2 ظهور (الأنا) والذاتية:

في العلوم الإنسانية لا يمكن فصلَ الذات بكل تأثراتها عن الموضوع فصلًا كليًّا، فدومًا تظل غايات الباحث (أو ما يسميها أرسطو العِلَّة الغَائِيَّة) وتحليلاته غير الكَمِّيَّة - لصعوبة تطبيق التحليلات الكَمِّيَّة في معظم مناحي ومباحث العلوم الإنسانية - لذلك تظل تأثيرات ذات الباحث حاضرة[1]، لكن يظل الأصل في الكتابة التاريخية ألَّا تَظْهَرَ فيها ذاتُ المؤرخ في تناوله للأحداث بغَرَضِ الفخر أو إظهار الدور التاريخي أو غير ذلك، بينما نجد أن الكثير من كتابات هيكل التاريخية ذات طبيعة ذاتية، حيث تَبْرُزُ (الأنا) على نحو سافر[2]، وتَظْهَرُ الذاتية عند هيكل في عدة أشكال، في الشكل المباشر عبر تضخيم الذات (الأنا)، أو في شكل المدح السافر المباشر لبعض المقربين منه، أو في النَّيْلِ المباشر من شخصِ بعض خصومه السياسيين، فيغيب ما هو موضوعي ويظهر وراءه ما هو شخصي بحت.

2. 3. 1 الأنا المباشرة:

تظهر (الأنا) في أشكال مختلفة، إما بالظهور المباشر في متن الأحداث وتَمَحْوُرِهَا حول الذات ولعب أدوار رئيسية بصورة مبالغة عما حدث بالفعل في الواقع، وإما بالظهور شبه المباشر من خلال التفاخر باللقاءات مع كبار رجال العالم دون أن يكون لذلك علاقة بسياق الحدث التاريخي نفسه، وقد تكون بطرق غير مباشرة مثل وضع مسافة بين الكاتب والآخرين واتخاذ موضع الحكمة بالحديث عن أزمة الأمة أو افتقارها - جماعيًّا - للرؤية أو الإدراك أو القراءة التاريخية، وعلى سبيل المثال فإن توصيف الأُمَّة بالطفل من حيث

---

(1) د. صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ص ص 55-60.

(2) د. حمد المرزوقي: أزمة الخطاب السياسي العربي - هيكل وحرب الخليج نموذجًا، مرجع سابق، ص81.

الإدراك والمدى والعلاقة مع البيئة المحيطة يؤدي تلقائيًا لأن يصبح الواصف في مقام "الراشد" أو "الأب" أو "الحكيم"[1].

وتبدو (الأنا) واضحة وظاهرة في كتابات الأستاذ هيكل منذ الكتاب الأول وهو (إيران فوق بركان)، ففي المقدمة التي شملت صفحة واحدة يقول: " (جلست) أستمع إلى سامي الحناوي (الرئيس السوري) يشرح لي لماذا قتل حسني الزعيم"[2]، ثم تناسبت (الأنا) طرديًا مع تنامي العلاقات مع عبد الناصر ومن ثَمَّ تنامي أهمية الذاتية لهيكل، فبدأ يتحدث في مقالاته عن (مناقشات حامية) كانت بينه وبين الملك عبد الله[3]، وعن إصرار الملك حسين على لقائه، وتسامح هيكل معه ومصافحته ليد الملك الممتدة[4]، وعن مناقشاته (الحادة) مع خروشوف[5]، إلى غير ذلك.

وقد لاحظ السفير الأمريكي جون بادو هذا حين أراد هيكل مقابلته فتَلَكَّأَ السفير الأمريكي وأبلغ "هيكل" أنه سيقابله في إطار مقابلاته لرؤساء التحرير المختلفين، وقد ضايق ذلك "هيكل" أن يُقْرَنَ مع الآخرين من رؤساء التحرير، وَعَقَّبَ السفير أنه لم يقابل "هيكل" كثيرًا أثناء وجوده في مصر؛ لأنه حرص ألَّا يعطيه "وسام العظمة الذي كان يسعى للحصول عليه"[6].

ولم تُؤَدِّ وفاة عبد الناصر إلى تَرَاجُعِ تلك الظاهرة في شخصية هيكل وكتاباته، بل على العكس؛ فمن التغييرات التي يمكن رصدها في حياة هيكل بعد رحيل عبد الناصر حصولُه على قسط أكبر من الحرية ولْنَقُل التَّرَفَ الحياتي والفكري، فلم

---

(1) المرجع السابق، ص88.

(2) هيكل: إيران فوق بركان، مصدر سابق، ص5.

(3) هيكل: العُقَد النفسية التي تَحْكُمُ الشرق الأوسط (5)، الأهرام، 1958/1/18.

(4) هيكل: نظرة عَبْرَ البحر – لقاء في باريس، الأهرام، 1963/9/27.

(5) هيكل: عن الأحداث الأخيرة في موسكو، الأهرام، 1964/10/23.

(6) Badaeu, John S.: The Middle East Remembered, The Middle East Institute, Washington D.C.,1983, p. 236.

تبدأ الرحلات السنوية إلى أوروبا بانتظام إلا بعد رحيل عبد الناصر مباشرة، وهذا ما ارتبط أيضًا بزيادة الحديث عن الذات، وزيادة المرويات عن عبد الناصر باطِّراد، ومنها أحاديث منفردة[1]، ووصايا له بكتابة تاريخه[2]، وأنه كان أول من يطلب منه الرأي والمشورة، وأن السادات سار على هذا النهج معه[3]، وأنه هو من اقترح ترتيبات الجنازة وفَنَّدَ الاقتراحات غير العملية، وأنه هو من اقترح ترتيبات انتقال السُّلْطَة[4]، وينسب تعليقات الزعماء السوفييت والزعماء الصينيين عن حالة اللاسلم واللاحرب على أنها في الرد على مقالاته[5]، وأن (جولدا مائير) مغرمة بتحريف كلامه أو باستنتاج ما لم يَقُلْهُ من خلال ما يكتب، والاحتجاج بذلك التحريف أمام من تقابلهم من الغربيين[6].. إلى غير ذلك.

وكثيرًا ما تتداخل (الأنا) في كتابات هيكل التاريخية تبعًا للقاعدة الشهيرة (النصر له ألف أب أما الهزيمة فيتيمة)، وقد طَبَّقَ هيكل هذا في كتابيه (الانفجار) عن وقائع حرب 1967، و(أكتوبر 73 - السلاح والسياسة) عن حرب أكتوبر 1973؛ ففي الكتاب الأول - حيث الهزيمة - لا تظهر شخصية هيكل مطلقًا قبل 5 يونيو، فهو يحتفظ بدور (الراوي الخارجي) كأنه لم يكن مشاركًا في وقائع هذا العهد ولاعبًا أساسيًّا فيه وأشهر رجالات الإعلام في تلك الفترة، ولا يظهر هيكل إلا مساءَ يوم 8 يونيو ليتفق مع عبد الناصر على ضرورة رحيله، ويكتب معه خطاب التنحي، ثم يكلفه عبد الناصر بالرقابة على كل ما يذاع حتى اليوم التالي، بينما على النقيض من ذلك في الكتاب الثاني حيث الطريق إلى الانتصار يظهر هيكل في كل

---

(1) هيكل: شهادة للتاريخ.. وحده، الأهرام، 1971/5/7.

(2) هيكل: على هامش ما جرى في المغرب، الأهرام، 1971/7/16.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص90.

(4) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص123.

(5) هيكل: حالة اللاسلم واللاحرب (6)، الأهرام، 1972/7/21.

(6) هيكل: عودة إلى أزمة الشرق الأوسط (6)، الأهرام، 1973/6/15.

منعطف في الطريق إلى النصر، فهو الذي مَهَّدَ الطريق لتولي السادات السُّلْطَةَ في لحظة رحيل عبد الناصر[1]، وهو الذي أدار دفة اجتماع مجلس الأمن الوطني يوم 30 سبتمبر بعد رحيل عبد الناصر بيومين ونجح في إقناع الجميع بمد وقف إطلاق النار، وبالتالي أنقذ السادات من "سيف كان معلَّقًا على رقبته"[2]، وهو الذي يقترح على السادات الخطوات العملية لتأمين موقفه في الصراع ضد مراكز القوى[3]، وهو الذي يستشيره في التعامل مع الاتحاد السوفييتي[4]، وهو الذي يستجير به روجرز وزير خارجية أمريكا في صراعه ضد تَوَغُّلِ كيسنجر مستشار الأمن القومي في السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة[5]، ويكتب صفحات في وصف رفضه للقاء كيسنجر أواخر عام 1972[6]، وصفحات أخرى عن علاقته بوزير الحربية الفريق صادق ونصحه إياه[7]، وهو الذي يناقش السادات في ترتيبات الحرب قبل وقوعها[8]، ثم يحاول إقناع القادة العسكريين بتطوير الهجوم[9]، ثم هو الذي يقترح استخدام سلاح البترول في المعركة[10].

ويُخْبِرُ هيكل الصحفي الأمريكي إدوارد شيهان "أن كيسنجر قد أفسد ما استثمره هيكل طويلًا في عقل السادات"[11]، فوضع نفسه موضع المرشد والمُلَقِّنِ

---

(1) هيكل: حرب الثلاثين سنة – أكتوبر 73 السلاح والسياسة، مصدر سابق، ص54.

(2) المصدر السابق، ص ص 128–130.

(3) المصدر السابق، ص ص 157–158.

(4) المصدر السابق، ص ص 170–176.

(5) المصدر السابق، ص ص 217–219.

(6) المصدر السابق، ص ص 230–238.

(7) المصدر السابق، ص ص 260–261.

(8) المصدر السابق، ص302.

(9) المصدر السابق، ص402.

(10) المصدر السابق، ص431.

(11) Sheehan, Edward: The Arabs, Israelis, and Kissinger, Thomas Crowell, New York, 1976, p. 194.

للسادات، وقام شيهان بنشر هذا الكلام في كتابه عام 1976، ولا شَكَّ أن تلك النرجسيات التي كان يذيعها هيكل هنا وهناك كان تصل إلى السادات عبر خصوم هيكل فتثير حفيظته وتوغر صدره.

بل يصرح هيكل بأنه كان في موضع مرشد السادات، فيقول "كان في تكوين السادات باستمرار أن يعتمد على رجل قريب منه يتأثر به ويأخذ برأيه فيما يكون قد غاب عنه معرفةً أو تجربةً، في وقت من الأوقات كان جمال عبد الناصر يقوم بدور هذا الرجل، وبكثرة مشاغل جمال عبد الناصر فإن هذا الدور انتقل إلى عبد الحكيم عامر، ومن خريف سنة 1970 وحتى حرب أكتوبر كان محمد حسنين هيكل من أقرب الناس إلى أنور السادات"[1].

2. 3. 2 تأثر الكتابة التاريخية بالعلاقات الشخصية وتغيرها، والتحالفات السياسية وتَبَدُّلها:

تتأثر كتابات الأستاذ هيكل التَّأْرِيخِيَّة كثيرًا بالعلاقات الشخصية وتغيُّرها أو التحالفات السياسية وتبدُّلها، فيختلف تناوله للواقعة التاريخية ذاتها تبعًا لتلك التبدلات؛ فعلى سبيل المثال يقول عن اختيار السادات خلفًا لعبد الناصر "وفي يوم سفره إلى الرباط - ومعلوماته عن التَّآمُرِ عليه هناك - كان قراره بأن يكون أنور السادات نائبه في رئاسة الجمهورية، كأنه كان يُرَتِّبُ نفسه استعدادًا ليوم الرحيل، ويوم الرحيل كان الخط واضحًا"[2]، وكررها حتى في فترة الخلاف وقال "سيظل السادات - بصرف النظر عن أي خلافات - هو الرجل الذي اختاره عبد الناصر خليفة له"[3]، ثم خالف هذا الكلام تمامًا فيما بعد في غَمْرَةِ غضبه على السادات؛ فقال إن عبد الناصر عَيَّنَهُ مؤقتًا "لفترة أسبوع على أرجح

---

(1) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص296.

(2) هيكل: السؤال الأول والأكبر، الأهرام، 1971/5/28.

(3) حوار مع هيكل، القبس الكويتية، 1976/2/21.

الأحوال"، ثم انشغل ونَسِيَ[1]، وقال "والذي أريد أن أؤكد عليه أن وجوده في موقع نائب رئيس الجمهورية كان مجرد مصادفة"[2].

ويكتب عن مراكز القوى وصراع السادات معهم واصفًا إياهم بسلاطين الظلام وقوى الطغيان والجهل[3]، لكنه بعد خلافه مع السادات وخروجه من الأهرام يكتب "إن علي صبري وطني أخطأ في التحليل.. أشرف كرئيس للوزراء على تنفيذ خطة التنمية الأولى بنجاح، وكان من أقرب معاوني جمال عبد الناصر، أما أنه اختلف بعد ذلك مع الرئيس أنور السادات واتَّبَعَ أسلوبًا أعتبره أنا خاطئًا فهذه مسألة أخرى، ولا تلغي كفايات رجل أو تلقي ظلالًا على دوره الوطني[4]، ثم يكتب بعدها في خريف الغضب إنه كان صراعًا على السُّلْطَة بين السادات وبين من أطلق عليهم وصف (مراكز القوى)[5]، وكان هيكل ذاته هو أول من أطلق هذا الوصف عليهم، وأطلق عليهم ما تقدم من الأوصاف.

ويكتب أن "عبد الناصر كان يقول دائمًا إن الفريق فوزي ليس القائد الذي يمكن أن يختاره لخَوْضِ غِمَارِ الحرب"[6]، ولم يوضح ما الذي منع عبد الناصر - وهذا رأيه - أن يستبدله حتى تُوُفِّيَ، وكيف يستقيم هذا مع ما ذكره أن مصر كانت على وشك خوض الحرب لولا وفاة عبد الناصر[7].

ويقول أثناء التحقيقات أمام المدعي الاشتراكي كما نشرها هيكل بنفسه "أعتقد أن حرب أكتوبر كانت تطبيقًا ناجحًا لسياسة تعبئة الإرادة العربية

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 86-87.

(2) "لماذا اختار عبدُ الناصر السادات نائبًا له" حوار مع هيكل، الأهالي، 1982/12/8.

(3) هيكل: السؤال الأول والأكبر، الأهرام، 1971/5/28.

(4) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص103.

(5) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص103.

(6) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص52.

(7) المصدر السابق، ص94.

والإمكانيات العربية لكي تحصل من القوتين العظميين على قصارى ما تستطيع كل منهما تقديمه لها، وقد كانت معارك الحرب كلها بسلاح سوفييتي، في الوقت الذي استطاعت فيه السياسة المصرية أن تَشُدَّ الولايات المتحدة لدور إيجابي في سبيل الحصول على حلول ولو مؤقتة"[1]، واللافت أن هذا الإقرار جاء بعد زيارة السادات للقدس ومبادرة السلام، لكنه يقول العكس تمامًا بعد رحيل السادات "لقد أقلعت طائراتنا إلى الحرب في أكتوبر ومعنا الاتحاد السوفييتي، وهبطت طائرتنا بعد الحرب وإذا معنا الولايات المتحدة الأمريكية، أي أنه سلاح سوفييتي (لحماية العرب)، وبعده حل أمريكي (لحماية إسرائيل)"[2]، وكان دائم الانتقاد للإدارة السياسية للحرب، ووَصَفَهَا بأنها أضاعت مكاسب الحرب[3].

ومن أَوْجُهِ التأثر بمواقف الآخرين وتأثير ذلك على الحقائق التاريخية، ما ذَكَرَهُ في مقدمة كتابه (سنوات الغليان) "إنني حاولت أن أجعل الكتاب يُقرأ عربيًّا؛ ذلك لأنني أستطيع أن أقول كل الحقيقة ثم لا يُنْشَرُ الكتاب في أي مكان، ولذا قفزت على أشياء، ولم أقل كل شيء، ولو لم أفعل لكانت النتيجة هي منع الكتاب في الوطن العربي كله"، ويُعَقِّبُ الباحث رياض الصيداوي في أطروحته قائلًا "يمكننا أن نؤكد أنه ليس هناك مؤرخ (يتجاهل حقائق) حتي يضمن لكتابه الرَّوَاجَ، وتفادي الرقابة"[4].

---

(1) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص56.

(2) هيكل: مبارك وزمانه (2) ماذا جرى في مصر ولها؟، مصدر سابق، ص89.

(3) - هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 153-158.

- هيكل: أكتوبر 73 - السلاح والسياسة، مصدر سابق، ص ص 735-736.

(4) رياض الصيداوي: هيكل - الملف السِّرِّيّ للذاكرة العربية، مرجع سابق، ص107.

2. 3. 3 مَدْح المقربين (د. محمود فوزي والعقيد القذافي كنموذجين):

من أَوْجُهِ الذاتية التي عَلِقَتْ بكتابات الأستاذ هيكل مَدْحُ بعض الأصدقاء المقرَّبينَ بشكل شخصي بما يزيد عن حقيقة أدوارهم ومزاياهم الشخصية، وكان من أبرز من كال لهم هيكل المديح وتَعَمَّدَ ذلك في مناسبات كثيرة د. محمود فوزي والعقيد معمر القذافي، وكان هذا المدح في كثير من المواضع يُقْحَمُ إقحامًا وفي جُمَلٍ اعتراضية لا يتحملها النص، مما يوضح تداخل الذاتي في الموضوعي.

فقال عن د. محمود فوزي "لقد أثبت محمود فوزي أنه ليس دبلوماسيًّا مقتدرًا فحسب، وإنما هو بعد ذلك رجل تستطيع أصابعه المرهفة أن تلمس الأعصاب الحساسة في مشاكلنا الداخلية الكبرى[1]، وقال "الدكتور محمود فوزي هو الدبلوماسي المقتدر بأي مقياس عالمي"[2]، وأنه "الصديق الكبير صاحب التجربة العميقة والحس الذكي"[3]، وأنه "هو ذلك الحكيم الوقور، الذي جعل من الصمت حديثًا مُقْنِعًا"[4]، و"أضاف الدكتور فوزي، بحكمته العميقة والعريقة.."[5]، "وإلى جانب دوره الكبير في مصر كان د. محمود فوزي واحدًا من ألمع النجوم في آفاق الأمم المتحدة"[6].. إلى غير ذلك.

ويقول "كان محمود فوزي متألقًا حتى في المناقشات الجانبية، وأَتَذَكَّرُ مرة قبل بدء أحد المحادثات جاء سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وقال له: لو أن مصر قَبِلَتْ هيئة المنتفعين لقناة السويس، وقبلتم إدارتها للقناة، لكنتم وفرتم على أنفسكم وعلينا كل هذا العناء في الأمم المتحدة، فَرَدَّ محمود فوزي

(1) هيكل: حديث عن المؤتمر ودوره ومسؤوليته.. وجَوّ المعركة، الأهرام، 1968/9/13.

(2) هيكل: نيكسون وأزمة الشرق الأوسط، الأهرام، 1969/8/15.

(3) هيكل: إيضاح آخر، الأهرام، 1970/10/23.

(4) هيكل: مسافر وسط العاصفة (3).. عن الأمل وعن الخطر!، الأهرام، 1972/9/29.

(5) هيكل: صورة من بعيد، الأهرام، 1973/8/10.

(6) هيكل: آفاق الثمانينات، مصدر سابق، ص107.

بهدوء: إنني لا أعرف ما هي هيئة المنتفعين هذه التي تتحدث عنها ! إنها شيء لم يَرَ النور بعد، لم يُولَدْ، فرد لويد وقد زادت حِدَّتُهُ: كيف تقول لي ذلك وأنت تعرف أنه وُلِدَ.. وُلِدَ فعلًا، فرد فوزي بهدوء: وُلِدَ فعلًا؟! لم أكن أعرف، ومع ذلك طالما الولادة قد تَمَّتْ، والمولود موجود، فهل لي أن أسألك هل هو ولد أم بنت؟!"[1]، فاعتبر هيكل هذا الحوار السابق من دلالات تألق د. فوزي.

ويرصد الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوي هذه الظاهرة فيقول "إن حسنين هيكل من أشد الكتاب مبالغة في تقدير محمود فوزي، فهو الذي رشح محمود فوزي لرئاسة الوزارة في بداية عهد أنور السادات، ويذكر هيكل في أحاديثه عن عبد الناصر أنه لَمَّا حدث انقلاب 14 يوليو في العراق سنة 1958، وأراد أن يتخذ موقفًا من هذا الحادث فاستشار محمود فوزي، وكان يصحبه في زيارة يوغوسلافيا، طَلَبَ إمهالَه فسحة من الوقت للتفكير، وعاد بعدها ليقول لعبد الناصر: (لقد فكرتُ طويلًا في هذه المسألة، وانتهيت إلى أنه لا يستطيع أن يَفْصِلَ فيها غير سيادة الرئيس)، وهكذا تَفَتَّقَتْ عبقرية هذا الدبلوماسي الكبير عن هذا الحل العظيم وهو أن عبد الناصر هو وحده الذي يستطيع أن يدلي برأيه في هذه المسألة!! فما دوره إذًا بوصفه وزيرًا للخارجية ودبلوماسيًّا كبيرًا إن كان رئيس الجمهورية وحده هو الذي يستطيع التفكير في المشاكل الدبلوماسية"[2]، وينقل في مذكراته الكثير عن أَوْجُهِ القصور الشديدة التي وَجَدَهَا في شخصية الرجل خلال لقائه به في سويسرا بعد تأميم القناة وقبل العدوان الثلاثي، وكيف كانت ردوده عليه شخصيًّا وعلى الصحفيين ومداولاته في مجلس الأمن يشوبها القصورُ، بخلاف ما يذكره هيكل، وأن الموقف المصري لم يَتَعَزَّزْ بمداولات محمود

---

(1) هيكل: قصة السويس.. آخر المعارك في عصر العمالقة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1977، ص175.

(2) عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي (1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2000، ص241.

فوزي، بل العكس، فإن الموقف المصري القوي والتعاطف العالمي هو الذي غَطَّى على القصور الشديد في شخصية الرجل وفي قدراته[1].

وعلى غرار موقفه من صديقه محمود فوزي كان موقف هيكل من العقيد القذافي الذي لم يَنْسَ هيكل له أنه طلب لقاء هيكل ليلة نجاح انقلابه في ليبيا، وأنهم استقبلوه استقبالَ المُرِيدِ للأستاذِ المُلْهم، فرَدَّ للقذافي حفاوةً بمثلها، وقال فيه "معمر القذافي قائد الثورة الليبية كان بالتأكيد من ألمع نجوم مؤتمر الرباط"[2]، "وفي آخر جلسة من جلسات الرباط كان حديث معمر القذافي هو الحقيقة كاملة"[3]، وأنه "الثائر العربي الذي يمتلئ حماسة وطموحًا"[4]، ويقول "كانت محبة عبد الناصر له غَلَّابَةً، وكان يرقب حركته السريعة واندفاعه القومي، ويسمعه أحيانًا وهو يخطب ويقول له بمحبة: معمر القذافي أنت تُذَكِّرُنِي بشبابي"[5]، ويلاحظ الجميع هذه المبالغات، فيكتب هيكل في الرد على ذلك "لقد سألني كثيرون: ما هو سبب حماستي الزائدة للثورة الليبية ولمعمر القذافي؟ وأجاب إجابة مطولة في ختامها قال "الدور الذي تقوم به الثورة الليبية ومعمر القذافي في هذه المرحلة هو دور الضمير لا أكثر ولا أقل"[6].

ثم يقول عنه بعد أعوام طويلة من حكمه "السؤال الذي ما زال يلح على هو: كيف استطاع أن يبقى حتى الآن، وظروفه ما أعرف، وظروف العصر ما عرف؟

(1) المصدر السابق، ص ص 240-242.

(2) هيكل: من الرباط إلى الخرطوم (1)، الأهرام، 1970/1/4.

(3) هيكل: من الرباط إلى الخرطوم (2)، الأهرام، 1970/1/11.

(4) هيكل: ثلاثة مشاهد وصورة واحدة، الأهرام، 1970/6/5.

(5) هيكل: ملحمة الصراع مع الألم، الأهرام، 1970/10/9.

(6) هيكل: دور الضمير، الأهرام، 1972/5/5.

ولم أجد غير جواب واحد: لا بُدَّ أنه سمع أو قرأ أو تعلم أشياء كثيرة لا أعرف كيف ولا متى ولا أين وصلت إليه أو وصل إليها"[1].

2. 3. 4 تشويه الخصوم:

تعرضتُ فيما سبق إلى أسلوب هيكل أثناء الحرب العربية الباردة من استخدام أسلوب التشويه على نطاق واسع ضد خصوم العهد الناصري خاصة الهاشميين في العراق والأردن، والسعوديين، والبعثيين في أعقاب الانفصال وعقب فشل مباحثات الوحدة الثلاثية عام 1963، ووصولًا إلى عام 1970، ومع عبد الكريم قاسم وبورقيبة والحسن الثاني وغيرهم، كما استخدم هذا الأسلوب في الداخل في تشويه العهد الملكي بكل ما فيه، وفي تشويه السادات الذي بلغ أقصاه في كتاب (خريف الغضب)، ثم كَرَّرَهُ مع مبارك في كتاب (مبارك وزمانه - من المنصة إلى الميدان).

وفي كل ذلك خاض في اتهامات لا نهاية لها، بدءًا بالخيانة والعمالة والتآمر والفساد المالي والأخلاقي، ونهايةً بالخلل العقلي والجنون وغير ذلك.

وقد كان لخروجه من الأهرام ورَفْعِ المِظَلَّةِ الرئاسية أثرٌ في تَحَوُّلِهِ من طريقة التشويه بالكلمات المباشرة إلى الاعتماد أكثر على الأسلوب غير المباشر والإيحاء.

ولما اعْتُقِلَ هيكل ثم أُفْرِجَ عنه بعد اغتيال السادات خرج مُحَمَّلًا بالمرارة ضد من جرؤ على اعتقاله، مما دفعه أثناء حديث مع سيمون وينتشز في الصنداي تايمز لامتداح قَتَلَةِ السادات قائلًا بالنص "قتلة السادات هم الآن أبطال وطنيون، وأينما ذهبت مع الناس يتحدثون عن خالد الإسلامبولي كمنقذٍ وطني

(1) هيكل: كلام في السياسة – قضايا ورجال، المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص197.

كبير، وتَحَوَّلَت المحاكمة إلى محاكمة للسادات، وسيكون- وأنا أقول ذلك كمراقبٍ محايد فقط - يوم إعدامهم يومًا حزينًا لمصر"[1].

وفي حديثه عن النحاس باشا استخدم في تشويهه أسلوبين: الطعن الأخلاقي، والعرض الكاريكاتوري للشخصية؛ وكمثال للأسلوب الأول ما ذُكِرَ في هذا الفصل مما رواه عن علاقة غرامية للنحاس باشا مع صحفية إيطالية[2]، وكمثال للأسلوب الثاني ما يرويه في الكتاب ذاته "في تلك الأيام، وعندما كان النحاس باشا يُضْطَرُّ إلى الخروج من بيته لمناسبة لا يستطيع أن يتخلف عنها، فقد كان يَتْبَعُهُ باستمرارٍ سكرتير (وأحيانًا ضابط من حراسته الخاصة) يحمل زجاجة كولونيا لكي يغسل بها الباشا يديه[3]، ويقول عنه يوم حريق القاهرة "لم يستطع وزير الداخلية إبلاغ معلوماته بنفسه إلى رئيس الوزراء لأن رفعة الباشا كان مع مدام جورجينا، وهي سيدة أرمنية متخصصة في قص أظافر اليدين والقدمين (مانيكور وبديكور)، وكانت تَقْصِدُ مرة كل عشرة أيام إلى بيت النحاس (باشا) تُعْنَى بأظافره[4]، هكذا يصور هيكل زعيم الأمة ورفيق سعد زغلول في ثورة 1919، والرجل الذي تحمَّل المسؤولية عبر تاريخه، وألغى قبلها بثلاثة أشهر اتفاقية 1936 فاتحًا المجال للجهاد ضد الإنجليز[5]،[6].

---

(1) الوطن الكويتية، 1982/2/23.

(2) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص ص 52-53.

(3) المصدر السابق، ص356.

(4) المصدر السابق، ص425.

(5) إن النحاس باشا لم يَصِلْ إلى الحكم على صَهْوَةِ دبابةٍ بحيث يكون مفروضًا على الشعب ولو كان شخصًا تافهًا، بل إن مصر هي التي اخْتَارَتْهُ طائعةً، وعَبْرَ انتخاباتٍ تِلْو انتخابات، وشَيَّعَتْهُ الجماهير بعد زوال سُلْطَانِهِ بسنوات في جنازة مهيبة رغم كل محاولات نظام ما بعد الثورة وآلته الإعلامية التي أَهَالَت الرُّكَامَ على العهد السابق، فهل أَعْطَتْ مصرُ القِيَادَ طواعيةً طوال تلك السنوات لسَفِيهٍ هَزْلِيٍّ غارقٍ في الفساد المالي والأخلاقي كما يرسم هيكل صورته؟

(6) وهل (المانيكور والبديكور) يمنع الاتصال برئيس الوزراء؟ وعندما يتصل وزير الداخلية برئيس الوزراء وقلب القاهرة يحترق هل يجرؤ أحد في البيت أن يقول له: لن يستطيع الباشا أن يكلمك لأنه يقوم بالمانيكور؟

ومن ذلك كثير مما كَتَبَهُ محاولًا التقليل من قَدْرِ محمد نجيب حين حَدَثَ تراشقٌ بينهم وصل إلى ساحة القضاء في أوائل السبعينيات، فكتب هيكل مقالةً ذَكَرَهُ فيها واصفًا إياه بأنه (شبح من الماضي)[1]، ثم في حوار له بعدها نُشِرَ في كتاب قال إن محمد نجيب لم يحضر إلا اجتماعًا واحدًا أو اجتماعين لمجلس قيادة الثورة، وإنه خرج على مبادئ الثورة، وإن شعبيته جاءت لأنه "هو الذي وَقَّعَ الإنذار الذي وُجِّهَ إلى الملك وهذا أَكْسَبَهُ شعبية ضخمة، ولو أن أي شخص وَقَّعَ ذلك الإنذار لأصبح بطلًا، حتى لو حمل الإنذارُ توقيعَ راقصة فإنها كانت ستصبح (جان دارك) مصر"[2].

(1) هيكل: صورة من بعيد، الأهرام، 1973/8/10.

(2) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر – حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص ص 42-44.

2. 4 التوزيع المتوازن للكتابة طبقًا للأهمية:

2. 4. 1 استخدام الأضواء والظلال:

يرصد المؤرخ الكبير د. رؤوف عباس أن "هيكل" بنَفْيِهِ صفة المؤرخ عن نفسه يحاول أن يُحَرِّرَ نفسه من عدة أشياء، وكان مما ذكر "تَخَلُّصَ هيكل بذلك من قَيْدِ التخلص من أسلوب الانتقاء عند بناء روايته للحدث، فيغفل أشياء أو يسدل عليها أستارًا من الظلال، بينما يلقي أضواءً ساطعة على غيرها من الأشياء، فمثل هذا الأسلوب الانتقائي للوقائع أو مكوناتها لا يُقْبَلُ من المؤرخ، ولكنه من السمات المتواترة في كتابات أصحاب الشهادات التاريخية وكذلك أصحاب المذكرات"[1]، ويقول في موضع آخر "هيكل كان طرفًا في الأحداث التي كتب عنها، وكانت له علاقات متفاوتة في درجة القوة مع صُنَّاعِ تلك الأحداث، ومن ثَمَّ انعكست هذه العلاقات على رؤيته للأحداث، وعلى تحليله لها، يلقي أضواءً باهرة على بعضها، ويترك البعض الآخر محاطًا بالظلال"، وإن كان يلتمس له العذر لأنه ليس مؤرخًا[2]، والحقيقة أن الموضوعية تلزم كل كاتب يعرض عملَه على الناس، ولا يختص بها المؤرخون، فهي - كما أَسْلَفْنَا - مطلبٌ أساسيٌّ لقبول ما يُطْرَحُ على الناس، ولولاها لكتب من شاء ما شاء بدعوى أنه ليس مؤرخًا، فغير المؤرخ قد يُتَسَامَحُ معه في بعض النواحي الأكاديمية في الضبط والتدقيق، ولكن ليس في مسألة الأضواء والظلال وغيرها من أُسُسِ الموضوعية.

وقد لاحظ الأستاذ طارق البشري - القانوني والمفكر والمؤرخ المعروف - التوازنَ المفقود في الطرح التاريخي عند الأستاذ هيكل، إذ يقول "لاحظت أنه في دفاعه عن ثورة 23 يوليو وعهدها وفي تَأْرِيخه لها أنه أَوْلَى أَقَلَّ اهتماماته

---

(1) د. رؤوف عباس: كتابة تاريخ مصر.. إلى أين؟، مرجع سابق، ص245.

(2) د. رؤوف عباس: صفحات من تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص317.

النسبية موضع التنظيم السياسي والإدارة السياسية لأجهزة الحكم وما شاكل ذلك، وكان أهم ما احتشد له في ربع القرن الأخير واستوعب كل كتاباته ثلاثة جوانب: قضايا السياسة الخارجية، والصراع حول تحرير الإرادة السياسية في مواجهة ضغوط الخارج، ومساعي الهيمنة من الدول الكبرى، وكذلك قضايا الصراع العربي الإسرائيلي الذي شغل حياتنا السياسية كلها في نصف القرن الأخير، وقضايا العلاقات العربية/العربية، وقد لاحظتُ عندما كنت أجمع مادةَ كتاب لي عن (الديموقراطية ونظام 23 يوليو) الذي نُشِرَتْ طبعته الأولى في 1987، وهو دراسة خصصتها لموضوع الأبنية التنظيمية للثورة، لاحظت أنني لم أَجِدْ لهيكل في هذا الشأن كتاباتٍ تعكس وجهة نظره وتؤثِّر فيما كنت بصَدَدِ بَحْثِهِ"[1]، فهنا انعكس اهتمام هيكل بما شارك هو فيه وأسهم فيه بدور كبير، فسَلَّطَ عليه الأضواء، مقابل إلقاء الظلال على ما لم يُسْهِمْ فيه بل احْتَكَّ به ولم يكن مقتنعًا بدوره ورأى في نفسه وفي الصحافة بديلًا له، كما يُفْهَمُ أنه يحاول الابتعاد بكتاباته عن نقاط ضَعْفِ النظام الناصري التاريخية، فيجعلها في الظلال مقابل تسليط الضوء على ما يراه من الإنجازات ونقاط القوة.

وعلى سبيل المثال، ففي تَعَرُّضِهِ لحركة التأميمات واسعة النطاق التي تَمَّتْ في يوليو 1961 وبموجبها أُمِّمَتْ مئات المؤسسات الخاصة، وهو حَدَثٌ مِحْوَرِيٌّ في العهد الناصري، فإنه يستخدم أسلوب الأضواء والظلال ليُسَوِّغَ أحد أخطاء العهد الناصري - في رأي الكثير - حيث التعدي على المال الخاص على نطاق واسع بداعي المنفعة العامة، فقد سَلَّطَ الضوءَ على أهمية القطاع العام، وأغرى القارئ بأرباحه وما يوفره من فرص عمل وأهميته الاجتماعية[2]، كأن موضوع الخلاف الرئيسي هو حول أهمية القطاع العام، بينما موضوع الخلاف في حقيقته - التي

(1) طارق البشري: محمد حسنين هيكل.. الأستاذ، (نقلًا عن) السفير اللبنانية، 2004/1/2.
http://alarabnews.com/alshaab/GIF/02-01-2004/albeshri.htm, 1/3/2015

(2) هيكل: القطاع العام.. ما هو دور القطاع العام وما هي غايته؟، الأهرام، 1961/7/14.

أبقاها في الظلال – هو مشروعية بناء القطاع العام بتأميم المصالح الخاصة دون وجه حق وعلى نطاق واسع بدلًا من بنائه بالطريقة الطبيعية بأموال حكومية، فليس من مانع من نشوء القطاع العام وأن يحقق أرباحًا.. إلخ، الجدال يتركز في أن ينشأ على الأموال الخاصة دون وَجْهِ حق.

وفي تَعَرُّضِهِ لنتائج حرب 1956 يقول "بعد انتهاء المعارك يكون السؤال المهم: أين جوائز الحرب، وفي أي يد هي؟ والذي تكون جوائز الحرب في يده يكون النصر له، والذي لا تكون الجوائز في يده تكون الهزيمة من نصيبه، وكانت جوائز حرب السويس ثلاث: قناة السويس وفي يد من هي؟ صحراء سيناء وفي يد من هي؟ قطاع غزة وفي يد من هو؟ وبعد انتهاء المعارك فإن هذه الجوائز كلها في يد مصر.. وإذًا كان انتصارها كاملًا"[1].

وهذا الكلام صحيح من تلك الوجهة، ولكن الأستاذ هيكل أغفل جائزتين كبيرتين خرجتا من يد مصر إلى يد إسرائيل، أولًا: أصبح لها حرية الملاحة في مضيق تيران مما فك عنها الحصار وسهل لها الحصول على النفط والوصول للموانئ الأسيوية، وهو الذي تَسَبَّبَ لاحقًا في الحرب التالية، وهو الهدف الرئيسي من الحرب عند الجانب الإسرائيلي كما ذكر هيكل نفسه في الكتاب نفسه نقلًا عن مذكرات ديان ووثائق بن جوريون[2]، وثانيًا: سَمَحَ وجودُ قوات حفظ السلام في إنهاء قدرة مصر على تحقيق المفاجأة في الحرب التالية، إذ أصبح لزامًا قبل إرادة أي هجوم أن تطالب مصر بسحب القوات الدولية، مما يُفْقِدُهَا عنصر المفاجأة، وهو ما حدث بالفعل في حرب يونيو 1967، ويحاول الأستاذ هيكل دومًا وضع هذه النقطة في الظلال بوسائل شَتَّى، تارة موضحًا

---

(1) هيكل: قصة السويس.. آخر المعارك في عصر العمالقة، مصدر سابق، ص9.

(2) المصدر السابق، ص30.

أنها نقطة غير مهمة، وأنها لا تُمَثِّلُ أكثر من 1% من نتائج الحرب[1]، وهذا غير صحيح؛ فقد كان لهذا المرور أهمية استراتيجية وفعلية كبرى لإسرائيل، بدليل أن قرار إغلاقه مرة أخرى كان السبب في حرب يونيو 1967، وتارة يستخدم التلاعب اللفظي فيقول إنه بين عامي 1956 و1967 لم يَدْخُلْ ميناءَ إيلات إلا سفينتان إسرائيليتان، مما يدل على عدم أهميته![2] وهذه المعلومة - إن صَحَّتْ - لما مَثَّلَتْ دلالة تُذْكَرُ، ربما سفينتان مدنيتان (إسرائيليتان) استخدمتا الميناء، لكن كم سفينة مدنية أخرى من أنحاء العالم استخدمت الميناء وحملت البضائع منه وإليه، فالعبرة ليست بعدد السفن الإسرائيلية، ولكن بعدد السفن في المُطْلَقِ، هذا بالإضافة إلى السفن الحربية الإسرائيلية.

ويقول لتهميش احتلال إسرائيل لسيناء في تلك الحرب "في الصراعات الحديثة فإن السؤال المهم والحيوي ليس هو: كم احْتَلَّ العدو والمهاجم من أراضينا، وإنما السؤال المهم والحيوي: كم احتل العدو والمهاجم من إرادتنا"[3]، لذلك أخذ هيكل يُكْثِرُ من تعبير (صحراء سيناء) دون مبرر في السياق؛ ليُهَوِّنَ أهمية الأرض في مقابل الإرادة كما يَذكر[4].

ويرصد د. عماد عبد اللطيف مناطق الظلال في بيان التنحي وأسماها (مساحات الصمت)، فيقول "ينطوي بيان التنحي على حالات متعددة لما يُعرف بالمسكوت عنه أو مساحات الصمت، فهناك على سبيل المثال مساحة صمت فيما يتعلق بدور القوات المسلحة المصرية في وقوع الهزيمة، ومساحة صمت مشابهة تَخُصُّ الدور الذي قام به عبد الناصر تحديدًا في تصعيد المواجهة مع إسرائيل،

---

(1) هيكل: وثائق ندوة السويس الدولية - حرب السويس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1989 (أحمد حمروش)، ص58.

(2) المرجع السابق، ص59.

(3) المصدر السابق، ص14.

(4) المصدر السابق، ص ص 8، 27.

لكن أكثر مساحات الصمت لفتًا للانتباه هي المتعلقة بالنتائج الفعلية التي ترتبت على الهزيمة، فليس ثمة إشارة واحدة مباشرة إلى هذه النتائج، التي يُفترض أنها موضوع أساس في البيان، وكل ما استخدمه البيان للإشارة إلى هذه النتائج هو تعبير "آثار العدوان".. وهو يَتَّسِمُ بالغموض والتعميم.. وليس ثمة إشارة إلى الأرواح التي فُقِدَتْ أو الأرض التي احْتُلَّتْ أو القوات المسلحة التي دُمِّرَتْ"[1].

ومن تلك الأمثلة حديثه عن جنازة السادات واستدلاله بها على أن شعبيته الخارجية تفوق شعبيته في وطنه، ويتساءل "لماذا كان الحزن على السادات في الغرب أكثر منه في أمته؟ ولماذا شَيَّعَهُ إلى مثواه الأخير عدد كبير من الساسة الأجانب، بينما لم يَشْتَرِكْ في موكب الجنازة سوى الموظفين الرسميين المصريين وبعض الزوار الأجانب"[2]، ولا يكتفي في توجيه القارئ بهذا التساؤل بل يجيب "السادات صنع لنفسه دائرة انتخابية عالمية واسعة، ولكنه خسر القاعدة الطبيعية التي كانت له باعتباره رئيسًا لمصر وهي العالم العربي، إن هذه الخسارة كانت تبدو بطريقة مُجَسَّدَةٍ ومأساوية في جنازته، فلقد سارت وراءه نحو القبر كوكبة من الساسة الأجانب، بينهم ثلاثة رؤساء سابقين للولايات المتحدة ورئيس وزراء إسرائيل، ولكن لم تكن هناك إلا حفنة قليلة من المواطنين المصريين بين المُعَزِّينَ"[3]، وأخفى الكاتب عن قارئه أن هذه الجنازة - لظروف الإجراءات الأمنية بعد وقائع الاغتيال، ولأهمية الزوار - تَقَرَّرَ أن تكون رسمية، وأن تُقْتَصَرَ على الرسميين؛ حتى يمكن تأمين حمايتهم، وعلى هذا فالشعب لم يمتنع عن المشاركة فيها طواعية كما يوحي هيكل، لكن حَتَّمَت الظروف الأمنية مَنْعَ المشاركة الشعبية، ولا شَكَّ أن الحزن على رحيل السادات في يوم النصر كان

---

(1) د. عماد عبد اللطيف: (بيان التنحي) وذاكرة الهزيمة – مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، مجلة (أ)، الجامعة الأمريكية، العدد 30، 2010.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص20.

(3) المصدر السابق، ص30.

عارمًا، ولو سُمِحَ للشعب بالمشاركة لكان تشييع السادات صاحب قرار أكتوبر بلا شَكٍّ أسطوريًّا أيضًا، فكان تركيز هيكل على مشهد سلط عليه الأضواء، بينما أخفى على القارئ حقيقة مهمة بخصوصه، ووضع تلك الحقيقة في الظلام، وهذا المسلك لا شَكَّ يُمَثِّلُ قَدْحًا في الموضوعية.

2. 4. 2 استخدام المبني للمعلوم والمبني للمجهول كطريقة للإظهار والإخفاء:

يستخدم أستاذ هيكل الأسلوبَ الصريح في الإخبار في الأمور الإيجابية التي يريد أن ينسبها لأصحابها؛ رفعًا لهم، وفي الأمور السلبية التي يريد أن ينسبها لأصحابها؛ وضعًا لهم، والعكس بالعكس، يستخدم المبني للمجهول حين يريد أن يتجنب نسبة نقيصة لمن يواليه، أو نسبة فضل لخصم سياسي.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك استخدامه لهذا الأسلوب في معرض حديثه عن الاغتيالات السياسية في فترة ما قبل الثورة في كتابه (سقوط نظام)، ففي هذا الكتاب حين تحدَّث عن عمليات الاغتيال السياسي التي شارك فيها السادات فإنه وصفها بأصرح عبارة، وصرَّح باسم السادات، فقال "يوم 5 يناير 1946 كان الحرس الحديدي يرتب لاغتيال أمين عثمان باشا بواسطة مجموعة قتل يقودها اليوزباشي (أنور السادات)"[1]، وقال "حاول الحرس الحديدي اغتيال النحاس باشا مرتين، مرة عام 1946 بواسطة كمين تَرَصَّدَهُ بقيادة الصاغ (أنور السادات) أطلق الرصاص على سيارته ونجا بمعجزة، ومرة أخرى عام 1948 بقيادة الصاغ (أنور السادات) أيضًا عن طريق سيارة مفخخة بجوار سور بيته"[2].

---

(1) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص190.

(2) المصدر السابق، ص247.

بينما عندما تعرَّض لمحاولة عبد الناصر لاغتيال حسين سري عامر فإنه لم يَذْكُر اسمَ عبد الناصر؛ بل جاء بها بصيغة المبني للمجهول "جرت محاولة لاغتيال حسين سري عامر قائد سلاح الحدود ورجل القصر في الجيش ومرشحه الذي تظاهر شباب الضباط الأحرار على إسقاطه في انتخابات مجلس إدارة نادي الضباط"[1]، ومعروف أن عبد الناصر كان المُخَطِّطَ للعملية والمشرف على تنفيذها كما أوضح في كتابه (فلسفة الثورة) وأنه ندم على هذا[2]، كما عاتبه بعض زملائه عتابًا مُرًّا وقتها؛ لأنه فعلها دون استشارتهم، مما عَرَّضَ التنظيم كله لخطر الانكشاف[3].

وهكذا استخدم هيكل التصريح في أكثر من موضع لإلصاق الاغتيالات بخصمه السياسي، وفي الكتاب ذاته والسياق نفسه استخدم صيغة المبني للمجهول؛ لتَجَنُّبِ إلصاق الاغتيالات باسم نصيره السياسي.

ويقول "ومَنْ كان يتصور أن الجماهير العربية التي تَهَيَّأَتْ نفسيًّا على الأقل لدخول (تل أبيب) تفيق فجأة فإذا الضفة الغربية من الأردن، وإذا سيناء، وإذا مرتفعات سوريا الجنوبية - بمناعتها الحصينة - قد سقطت كلها في يد العدو"[4]، فمن الذي هَيَّأَ الجماهير لدخول تل أبيب إلا الإعلام الناصري وعلى رأسه هيكل نفسه؟ فاستخدمَ المبني للمجهول حين مَثَّلَ التصريحُ حرجًا شخصيًّا له وللنظام الذي يُمَثِّلُهُ.

ومن ذلك أنه يُصَرِّحُ بأشياء في الطبعات الإنجليزية ويبنيها للمجهول في الطبعات العربية لأسباب وملاءمات، فعلى سبيل المثال في الطبعة الإنجليزية يقول

---

(1) المصدر السابق، ص470.

(2) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مرجع سابق، ص39.

(3) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي، مصدر سابق، ص32.

(4) هيكل: أعمدة الحكمة السبعة، الأهرام، 1967/12/29.

"انسحب الوفد العراقي بإحساس أن "مبارك" قد نصب لهم فخًا"[1]، وفي العربية بنيت للمجهول: "اعتبر الوفد أنه وقع في فخ قد نُصِبَ له"[2]، وفي الطبعة الإنجليزية يقول إن "مبارك" كلم بوش وطلب منه أن يسارع بضرب العراق[3]، وفي الطبعة العربية جُهِّلَتْ وأصبحت (أحد الزعماء العرب)[4].

2. 4. 3 اختلال التوازن بين حجم تناول الأحداث وأهميتها:

أحد الظواهر الواضحة في كتابات الأستاذ هيكل التاريخية الكبيرة والشهيرة هي اختلال توازن حجم تناول الأحداث مع أهميتها، وهو يستخدم ذلك بمهارة في توجيه القارئ نحو أحداث بعينها وتهميش أحداث أخرى بطريقة غير مباشرة بتقليل حجم تناولها في كتابه، وتكررت هذه الظاهرة في بعض من أشهر كتبه مثل (ملفات السويس) و(سنوات الغليان) و(الانفجار) و(أوهام القوة والنصر) وغيرها.

ففي ملفات السويس البالغ حجمه 611 صفحة بدون الملحق الوثائقي و926 صفحة إجمالًا، والمخصَّص لحرب السويس 1956، فإن الوقائع العسكرية للحرب - حيث شملت ضرب السلاح الجوي المصري كاملًا، وضرب معظم العتاد البري، وانسحابًا سريعًا من سيناء - بلغت اثنتا عشرة صفحة[5]، أي 2% من حجم مَتْنِ الكتاب تقريبًا، ورغم إدراك أهمية المقدمات والخلفيات السياسية والأدوار التي قامت بها السياسة في هذا النزاع، فإن فقدان التوازن في التناول التاريخي كان فادحًا، بل إن

(1) Heikal, Mohammed: Illusions of Triumph, op. cit., p.436.

(2) هيكل: حرب الخليج – أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص436.

(3) Heikal, Mohammed: Illusions of Triumph, op. cit., p.252.

(4) هيكل: حرب الخليج – أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص457.

(5) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص ص 530-539، 545، 551، 562.

دور المقاومة الشعبية في بورسعيد قد هُمِّش كجزء من تهميش الجانب العسكري، ولم يَزِدْ عن بضعة سطور[1]، وذلك لمصلحة البطل التاريخي ودوره السياسي.

الأمر نفسه تكرر في كتابه (الانفجار) عن أزمة حرب يونيو 1967، البالغ حجمه 928 صفحة بدون ملحق الوثائق و1089 صفحة إجمالًا، حيث إن الوقائع العسكرية للحرب بلغت - مع التجاوز - تسعة وثلاثين صفحة[2]، أي أكثر بقليل من 4% من حجم متن الكتاب، وهكذا يخرج القارئ الذي اسْتُهْلِكَ جهدُه عبر ألف صفحة بأقل قَدْرٍ من الخسائر النفسية، وبالتالي أقل قدر ممكن من الصورة السلبية عن هذه الحرب الكارثية الفارقة في تاريخ العرب.

---

(1) المصدر السابق، ص545.

(2) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص ص 708-715، 730-732، 809-836.

2. 5 استخدام معايير مُوَحَّدَة أو متوازنة لسرد الأحداث التاريخية وتقييمها:

2. 5. 1 الكيل بمكيالين:

من الضرورات الموضوعية في الكتابة التاريخية الالتزام – قدر المستطاع وجهد الكاتب – بالتمسك بمعايير موحدة أو متوازنة ومتقاربة لسرد الأحداث التاريخية وتقييمها، وليس الكيل بمكاييل متعددة، تختلف باختلاف الأشخاص أو باختلاف العلاقة مع الشخص الواحد وتغيرها.

وقد تعرَّضَ عدد من الباحثين لهذه القضية في كتابات الأستاذ هيكل، ففي رسالة للدكتوراه يرصد الباحث جمال الشلبي هذه الظاهرة قائلًا "في أحد مقالات هيكل المبكرة جدًّا بعد حرب أكتوبر: "إن هذه المرحلة مرحلة الرجل العادي، والبطل العادي، وهذا ما بَرْهَنَتْهُ لنا حرب أكتوبر، إن في هذا إشارة إلى تغيير في حياتنا يجب أن نتوقف عنده"، ويُعَقِّبُ الباحث: نحن نعتبر هذا النص بمثابة نقدٍ للسادات، كون هذا الأخير قد أراد أن يوصف ببطل الأمة، في حين أن "هيكل" يَعْتَبِرُ الرجل العادي والجنود هم أبطال الأمة الحقيقيون، ولفهم هذا النقد بشكلٍ أعمق علينا أن نطرح السؤال التالي: هل كان هيكل سيقول نفس الكلام في عبد الناصر لو كان خاض هذه المعركة؟ لا شَكَّ في أن الجواب سلبي، فقد قال هيكل عدة مراتٍ في مقالاته أن حرب عام 1973 لم تكن إلا تتويجًا للمشاريع والخطط التي بلورها عبد الناصر"[1].

وعلى سبيل المثال في كتاب (خريف الغضب) لبيان تفريط الرئيس السادات في الآثار المصرية، عَدَّدَ قائمة بتماثيل ومقتنيات فرعونية أهداها السادات للعديد

---

(1) جمال الشلبي: محمد حسنين هيكل استمرارية أم تحوُّل، مرجع سابق، ص ص 241-242.

من زوار مصر وضيوفها أخذت حوالي ثلاثة صفحات ونصف من الكتاب، وشملت 28 تمثالًا فرعونيًّا صغيرًا وسبع أوانٍ وستة عقود ولوحتين وقناعًا حجريًّا[1]، بينما استبق ذكر ذلك بأن أشياء كهذه حدثت قبل عهد السادات، لكنه ساق لها مبرراتها مقدِّمًا بأن الإهداء كان يقتصر على الهيئات الرسمية، وأن ما جرى تقديمه كان يجب أن يكون من الآثار المكرَّرَة، وضرب أمثلة للآثار المهداة بآنية قديمة من المرمر مهداة للاتحاد السوفييتي من مخزن حفريات سقارة، وواحدة مماثلة إلى متحف طوكيو، وواحدة إلى متحف الفاتيكان، وواحدة إلى الرئيس كينيدي بمناسبة إنقاذ آثار النوبة، وأن جميع الهدايا الرسمية من الآثار قبل عام 1970 تأخذ صفحة واحدة في سجلات هيئة الآثار، "ثم بدأ الكرم يَتَّخِذُ أبعادًا أخرى"[2].

في هذا المثال يظهر العرض غير المتوازن للواقعة التاريخية من عدة وجوه، حيث أَفْرَدَ الكاتب قائمة للإدانة وقَدَّمَ بين يديها المقدمات اللفظية المؤدية إليها، بينما حجب عن القارئ قائمة الآثار التي قُدِّمَتْ في العهد الناصري، وضرب أمثلة تُهَوِّنُ منها مثل آنية هنا وأخرى هناك، ثم قَدَّمَ التبريرات لها، مؤكدًا أن تلك الآثار كانت مكرَّرة وفي سياق عرفان بإنجازات مشتركة.

والواقع أن الكاتب حجب عن القارئ معلوماتٍ رئيسيةً يعرفها بطبيعة موقعه الصحفي والسياسي من الرئيس؛ فمصر أهدت في عهد الرئيس عبد الناصر ليس فقط تماثيل صغيرة من مخازن حفريات، بل أهدت معابد كاملة، موجودة الآن ضمن ساحات متاحف في أرجاء العالم، منها خمس معابد أُهْدِيَتْ بقرارٍ جمهوري واحد[3]، وهي معبد (دابود) الذي أُهْدِيَ إلى إسبانيا، وموضعه

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 320-322.

(2) المصدر السابق، ص320.

(3) القرار رقـــم 4647 لسنة 1966، بتاريخ 1966/12/17.

الآن بجوار القصر الملكي في مدريد، ومعبد (طافا) الذي أُهْدِيَ إلى هولندا، وموقعه الآن في جناح خاص بمتحف الآثار بمدينة ليدن بهولندا، ومعبد (دندور) تم إهداؤه إلى متحف المتروبوليتان بنيويورك، ومعبد (الليسيه) أُهْدِيَ إلى إيطاليا وهو الآن مشيد بجوار متحف تورينو، و(البوابة البطلمية من معبد كلابشة)، وأُهْدِيَتْ إلى ألمانيا، وهي حاليًا في الجناح المصري بمتحف برلين[1].

ومن الأمثلة الواضحة في هذا المسلك في الكتابة التاريخية أن "هيكل" اتَّخَذَ من رسالة أرسلها السادات يوم 7 أكتوبر إلى كيسنجر أن مصر (لا تعتزم تعميق الاشتباكات ولا توسيع نطاق الحرب) تَكِأَةً للهجوم على السادات واتهامه أنه للمرة الأولى في التاريخ يُخْبِرُ طرفٌ عدوَّه بنِيَّاتِهِ، وأنه بهذا العمل أعطى للولايات المتحدة ومعها إسرائيل القدرة على استعادة زمام المُبَادَأَةِ، وقسم الجبهتين المصرية والسورية[2]، بل وصفها بأنها طعنة في ظهر الجيش المصري[3].

ويعلِّق د. عبد المنعم سعيد "أن الأستاذ "هيكل" كان يستطيع أن يوفر على نفسه كثيرًا من الجهد وعلى قارئه كثيرًا من العبء إذا قرأ أيضًا تعليقات كيسنجر نفسه على هذه الاتصالات، بل ومدى تقديره للأفق الاستراتيجي للرئيس السادات (كما نشرها في كتابه سنوات القلاقل 1982)، لكن للأسف فإن الأستاذ "هيكل"

---

(1) - منار سالم، جمال عبد الناصر أهدى 5 معابد مصرية لأمريكا ودول أوروبية بقرار جمهوري، جريدة الصباح العربي،

http://www.sabaharabi.com/t-130567 .2016/6/22 ،

- أحمد حمدي، قصة معبد فرعوني أهداه عبد الناصر لـ"إسبانيا"، المصري اليوم، 2016/4/23.

.2016/6/22 ،http://www.akhbarak.net/articles/21787240

- أحمد مجاهد، قصة معابد فرعونية أهداها عبد الناصر للعالم: هولندا تسلمت «طافا» عام 1971 (ح 3)، المصري اليوم، 2016/4/26.

http://lite.almasryalyoum.com/extra/93692.2016/6/22 ،

(2) - هيكل: أحاديث في العاصفة، مصدر سابق، ص ص 422، 425.

- هيكل: أكتوبر 73 - السلاح والسياسة، مصدر سابق، ص ص 358-361، 579.

(3) صلاح عيسى: مثقفون وعسكر، مرجع سابق، ص1204.

لم يحدث أبدًا - وعلى سبيل العرض الأمين لجميع وجهات النظر قبل الحكم في القضية - أن قَدَّمَ لقارئه وجهة نظر كيسنجر فيما جري معه من اتصالات.

إن الرئيس السادات كان يعرف أنه يدير حربًا محدودة، حيث تدار المعارك لتحقيق أهداف عسكرية محدودة تنطلق بعد ذلك لتحقيق أهداف سياسية كبرى في ظل توازن القوى القائم، الذي كان معلومًا لجميع الأطراف أنه كان لمصلحة إسرائيل خاصة فيما يتعلق ليس فقط بالسلاح النووي، وإنما أيضًا بالقدرة الفائقة على الوصول للأعماق المصرية نتيجة التفوق الجوي، وضمن هذا الإطار يمكن فهم قصد الرئيس السادات من العبارة التي أرسلها لكيسنجر، وهي أن الرئيس كان أولًا: يريد كسب الوقت لعملية العبور قبل قيام واشنطن بردها العنيف، وبالفعل فإنه كسب أسبوعًا كاملًا قبل أن تبدأ الولايات المتحدة جسرها الجوي الشامل، وثانيًا: كان يريد الحفاظ على العمق المصري لأن الرئيس السادات لم يكن يريد للحرب أن تنتهي والجبهة المدنية المصرية مُدَمَّرَةٌ. . . باختصار كان الرئيس السادات يضع قواعد اللعبة، وكان ذلك هو ما فهمه كيسنجر وقَدَّره، ولعب المباراة على أساسه، وكانت النتيجة سلسلة من الانسحابات الإسرائيلية على النحو المعروف[1]، وهو ما أَكَّدَهُ حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي وصاحب توقيع الرسالة[2]، وحتى إن الفريق الشاذلي - على شدة خصومته مع السادات - رأى أن "هيكل" بَالَغَ كثيرًا في أهمية هذه الرسالة وفي تأويلها[3].

ويأتي وَجْهُ الخلل الموضوعي هنا في أن "هيكل" نفسه اسْتَخْدَمَ قواعدَ متعارضةً تمامًا في تبرير إخبار إسرائيل والعالم أن مصر لن تُهَاجِمَ أولًا في

---

(1) عبد المنعم السعيد: هيكل والسادات، الأهرام، 2008/1/21.

(2) محمد حافظ إسماعيل: أمن مصر القومي في عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987، ص ص 318-319.

(3) سعد الدين الشاذلي: مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، الطبعة الرابعة، سان فرانسيسكو، 2003، ص360.

حرب 1967[1]، وذكر في التحقيقات أمام المدعي الاشتراكي أن ما أخبر به لم يكن سرًا[2]، بينما الحقيقة أن كلام هيكل الذي يقول إنه بدهي كان مفاجئًا حتى للقادة العسكريين المصريين، يقول اللواء عبد المنعم خليل[3] "عندما قرأتُ ما أَعْلَنَهُ محمد حسنين هيكل تأكد لي أنها ستكون كارثة؛ لأن الضربة الأولى - في كل الحروب - تكون مؤثرة إلى حد كبير، وتحتاج القوات إلى فترة طويلة حتى تجمع شملها لتسديد ضربة مؤثرة في قوات العدو، إلا أنني تصورت أن معلوماتي ليست كافية عن كل القوات المسلحة، وأن هناك "قوة سحرية" ستشاركنا في الضربة بعد الضربة الإسرائيلية الأولى.. ولم يحدث من قبل أن أعلنت دولة استراتيجيتها العسكرية علنًا، حتى إنني تصورت في البداية أن مقال هيكل هو لخدعة العدو، إلا أن الأوامر التي صدرت في ذلك الوقت تؤكد أن مقال هيكل هو ما تَمَّ الاتفاق عليه، وهو استراتيجية حرب يونيو 1967"[4].

وكانت قراءةُ هيكل لتأييد الشعب لموقف الرئيس قراءةً مختلفة تمامًا بين عبد الناصر والسادات، فبينما اعتبر وقفةَ الشعب في رفض تنحي عبد الناصر وقفةً خالدة تؤكد الوعي الشعبي، وكتب كثيرًا في ذلك[5]، فإنه اعتبر أن وقفة الشعب في تأييد مبادرة السلام مَرَدّها إلى أنه تأثر بالتغطية التلفزيونية المكثَّفة للحدث، التي حَوَّلَتْهُ لشريك فيه، وأنه تأثَّر بمقولات أن الرخاء قادم، وأن الشعب

(1) هيكل: الصدام بالسلاح مع إسرائيل محتم.. لماذا؟، الأهرام، 1967/5/26.

(2) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص175.

(3) قائد الجيش الثاني بالإنابة في حرب أكتوبر.

(4) وجيه أبو ذكري: مذبحة الأبرياء في 5 يونيو، المكتب المصري الحديث، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1994، ص138-139.

(5) - هيكل: علامات في الموقف الداخلي، الأهرام، 1967/7/28.

- هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص49.

- هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص ص 850-856.

تعرَّض (لغسيل مخ)[1]، مع أن الدفع بانخداع الشعب كفيل بتقويض كل ما بناه على دلالات وقفة الشعب في رفض التنحي، فلم يكن الشعب يوم التنحي يعرف الحقيقة كاملة، ولا اطَّلَعَ على حجم الهزيمة، بل تَمَّ تضليله بشكل مباشر؛ حيث قيل له إن الولايات المتحدة وبريطانيا التي في المعركة بصورة مباشرة[2]، وإننا انتظرنا الضربة من الشرق فجاءتنا من الغرب.. إلى آخر تلك المقولات، بينما في عام 1977 كان الحدث يُنْقَلُ على الهواء وبعد أيام قليلة من إعلانه، ولم يَتِمَّ التمهيدُ السياسي الكافي له، فلو كان الدفع بغياب الحقائق سائغًا لكان 1967 أولى به من 1977.

ويتحدث عن الصحافة في عهد السادات فيقول "إن الصحافة المصرية اليوم ليست في أحسن أحوالها، فلقد تعرضت للكثير من الإجراءات التي شملت تنظيمها كما شملت أشخاصها، وعلى سبيل المثال فإنه في أوائل سنة 1973 أمر السادات بنقل ثمانين من أبرز الصحفيين في مصر إلى وظائف إدارية بوزارة الإعلام، ولقد كانت تلك أُمْثُولَةً بالغة الدلالة أمام الجميع، وبالفعل فإنها كانت درسًا لا يُنْسَى"[3]، في الوقت الذي تجاهل فيه عشرات من (الأُمْثُولات) الأكبر والأخطر في العصر الناصري - كما تقدم - فلم يَتَطَرَّقْ إليها قلمُه أبدًا.

2. 5. 2 وضع المعايير الخاصة والاحتكام إليها:

أحيانًا يضع الأستاذ هيكل بنفسه قواعد تقييم الحدث التاريخي ثم يحتكم إلى تلك القواعد، فتخرج النتيجة موافقة لما أراد، ومن أشهر تلك الأمثلة تقييمه لمعايير النصر والهزيمة في المعارك، حيث يعتبر أن عدم تحقيق العدو لأهدافه - التي نفترضها نحن في المعتاد - يُعَدُّ نصرًا تلقائيًا لنا، حتى وصل إلى أن اعتبر صمودنا

(1) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص203.

(2) هيكل: أقصى درجات العنف، الأهرام، 1967/6/16.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص363.

بعد حرب عام 1967 هي نصف انتصار لنا؛ حيث لم يستطع العدو قهر إرادتنا[1]، وقوله إن هدف إسرائيل من عدوانها كان إسقاط الأنظمة التقدمية، في إيحاء بأن العدوان الإسرائيلي قد فشل في تحقيق أغراضه[2].

ومِثْلُ هذا وأكثر كان عن حرب 1956 رغم انتهائها بالسماح لإسرائيل بالمرور في خليج العقبة، ونجاحها مع حلفائها المتآمرين في تدمير معظم السلاح الذي حصلت عليه مصر في صفقة الأسلحة الشهيرة في العام السابق، لكنه اعتبر أن هدف إسرائيل من الحرب كان إسقاط عبد الناصر، فلما لم يحدث هذا الأمر عَدَّهُ نصرًا تلقائيًّا على إسرائيل، واعتبر أن السماح لإسرائيل بالمرور في خليج العقبة - وهو ما أحيا ميناء إيلات، ووفَّرَ لإسرائيل سهولة التدفقات البترولية، وأوجد أهمية لوصولها إلى البحر الأحمر - لا يزيد عن 1% من أهداف الحرب، وبالتالي فإن مصر حققت 99% من أهدافها في الحرب[3].

---

(1) - هيكل: نقطة فوق حرف، الأهرام، 1967/10/27.

- هيكل: التفكير العسكري الإسرائيلي الآن، الأهرام، 1968/8/9.

- هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص11.

(2) سليمان الفرزلي: حروب الناصرية والبعث، دار نوفل، الطبعة الأولى، بيروت، 2016، ص230.

(3) هيكل: وثائق ندوة السويس الدولية - حرب السويس، مرجع سابق، ص57-59.

6.2 الاهتمام بالسياق التاريخي للأحداث:

وضع الأحداث في سياقاتها التاريخية هو أحد أَوْجُهِ الطرح التَّأْرِيخي الموضوعي، فلا يجرد المؤرخ الأحداث التاريخية من سياقها التاريخي مما يقود القارئ لنتائج مغايرة، أو إصدار الأحكام بأثر رجعي، أو محاكمة عصر بمقاييس مغايرة لعصر آخر، والأستاذ هيكل يهتم برسم السياقات والخلفيات التاريخية للأحداث ويستهلك فيها أحيانًا رقعة كبيرة من مساحة ما يكتب ليصل بقارئه إلى النتائج التي يقدِّمها له، لكن أحيانًا يخرج الأستاذ هيكل عن السياق التاريخي للأحداث ليقدم سياقات بديلة أو يكتفي بفصل السابق عن اللاحق، وقد لاحظ ذلك د. فؤاد زكريا في مَعْرِضِ نقده لكتاب خريف الغضب "إن (هيكل) يقوم في هذا الكتاب بمحاولة مستحيلة، هي أن يقتطع عهدًا من سياقه الكامل، ويعزله عن سوابقه، وأية نظرة مدققة إلى تاريخ العقود الثلاثة الأخيرة في مصر تقنعنا باستحالة فصل قطعة من هذا التاريخ عن مقدماتها الضرورية"[1].

2. 6. 1 الانفلات من السياق التاريخي (أزمة المثقفين نموذجًا):

نقل الأستاذ هيكل أزمة المثقفين من حقيقتها عندما بدأ النقاش حولها في أوائل الستينيات؛ حيث عانى المثقفون لسنوات من التهميش - بل القمع - كسياق تاريخي في الخمسينيات، ليضعها في إطار انفصال طَبَقِيٍّ بين المثقفين والشعب الذي تمثِّله السُّلْطَة، كما رصد أستاذ أحمد عبد المعطي حجازي في متابعته لتلك الأزمة "يرى الأستاذ هيكل أن علاقة المثقفين المصريين بنظام يوليو كانت علاقة متوترة متأزمة، لأنها مرت بين عام 1952 و1961 بثلاث أزمات متتابعة: الأولى حين طالب المثقفون الجيش الذي استولى على السُّلْطَة ليلة 23 يوليو بالعودة إلى ثكناته بعد أن نجح في طرد الملك، وأصبح في استطاعته أن يسلِّم السُّلْطَة للمدنيين،

---

(1) د. فؤاد زكريا: كم عمر الغضب – هيكل وأزمة العقل العربي، مرجع سابق، ص12.

والثانية حين طالبوا بإطلاق حرية النشاط السياسي وإعادة الحياة النيابية، والأخيرة حين اعترضوا علي تعيين العسكريين في المؤسسات والشركات، وطالبوا بأن يكون العمل فيها مقصورًا على الخبراء والفنيين.

لكن الأستاذ "هيكل" يشك في الدوافع التي أَدَّتْ بالمثقفين إلى معارضة نظام عبد الناصر، ولا يسلِّم بأن الديموقراطية هي السبب في تأزم العلاقة بين الطرفين، وهو في هذا منطقي مع نفسه؛ لأنه لو سلَّم بذلك لسلَّم بأن نظام عبد الناصر غير ديموقراطي، وإذًا فمن حق المثقفين أن يعارضوه، ومن هنا كان على الأستاذ هيكل أن يبحث عن سبب آخر يقترحه لهذه العلاقة المتأزمة، وقد وجد بُغْيَتَهُ في الصراع الطبقي الذي جعله مسؤولًا عن أزمة المثقفين[1]، فقال: إن مطالبة المثقفين بعودة الجيش إلى ثكناته لم تكن بداية الأزمة، وإنما كانت هذه الأزمة قائمة قبل يوليو متمثلة في عجز المثقفين عن قيادة النضال الشعبي لأن المثقفين تخلّوا عن أداء هذا الواجب حين انفصلوا عن الشعب وأصبحوا يكوِّنون طبقة لها مصالحها المتميزة عن مصالح الجماهير[2]، "هكذا قفز الأستاذ هيكل قفزة بارعة خرج بها من جاذبية الشعار الذي رفعه المثقفون، وهو الديموقراطية التي استمدوا منها حقهم الشرعي في معارضة النظام.. فإذا بالأستاذ هيكل وقد انتقل فجأة فأصبح على يسارهم، يتكلم لغة ماركس ولينين ويقول إن الديموقراطية ليست هي قضية المثقفين الحقيقية، وإنما قضيتهم هي امتيازاتهم ومصالحهم الطبقية، ورغبتهم في الاستئثار بالوظائف والمناصب، وهكذا أصبح المثقفون بهذه الأطروحة الماركسية مدافعين لا مهاجمين، وصار عليهم أن يثبتوا ولاءهم للطبقات الكادحة بدلًا من أن يثبت النظام ولاءه للديموقراطية، ولم تكن هناك وسيلة لإثبات الولاء للكادحين إلا

---

(1) وهنا يَظْهَرُ مرة أخرى تَدَخُّلُ (الذاتي) في (الموضوعي).

(2) أحمد عبد المعطي حجازي: الأستاذ هيكل وأزمة المثقفين (2)، الأهرام، 22/10/2003.

إثبات الولاء للزعيم الأوحد الذي كان يمثِّل الكادحين، ويفكر لهم، ويتكلم ويعمل نيابة عنهم، فهل صحيح أن المثقفين المصريين طبقةٌ لها مصالحها المتميزة عن مصالح الجماهير؟ من المؤكد أن المثقفين ليسوا عمالًا وليسوا فلاحين، لكن مصالحهم لا يمكن أن تتناقض مع مصالح الطبقات الكادحة، وكيف تتناقض مصالح الكتاب والفنانين والصحفيين وأساتذة الجامعة والأطباء والمهندسين مع مصالح العمال والفلاحين؟"[1].

ويؤكد د. مصطفى عبد الغني أن دعوة الأستاذ هيكل للمثقفين وقتها للتفاعل التام مع الثورة مؤداها أن المطلوب منهم هو التأييد التام لسُلْطَاتِهَا.. وهو "لم يَكْتَفِ بطلب التعاون أو (الولاء)، وإنما يطلب من المثقفين - في سُفُورٍ - أن يذوبوا في النظام، فلا يكون لهم رأي خارجه يميزهم، أو وضع يحدِّد كيانهم ليكونوا ناقدين أو مُنَظِّرِينَ من خارج هذا النظام، بحُجَّةِ تحقيق المشروعات الاجتماعية والاقتصادية التي تبدأها الدولة حينئذٍ"[2].

2. 6. 2 التبرير باستخدام سياقات تاريخية أخرى:

أحيانًا يخرج الأستاذ هيكل – في محاولته لتبرير واقع تاريخي معين – إلى الخروج من سياقه التاريخي واستعارة سياق آخر يجري عليه التشبيه ليُبَرِّرَ تلك الوقائع التاريخية، فمن ذلك تبريره الضمني للكثير من التجاوزات في أواسط الستينيات التي كان سياقُها محليًا صرفًا ومتعلقًا بتَسَلُّطِ الأجهزة الأمنية، وتبريرها بربطها بمسار (الثورات العظيمة) في كل مكان، فيقول أن للثورات عادة أربع مراحل صدقت في جميع الثورات العظيمة، ابتداءً من الثورة الفرنسية وما جاء بعدها: المرحلة الأولى هي فترة سقوط أو إسقاط نظام قديم،

---

(1) المرجع السابق.

(2) د. مصطفى عبد الغني: المثقفون وعبد الناصر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص ص 326-327.

وظهور قُوَى اجتماعية جديدة تَأتي إلى السُّلْطَة بعده، وأملها أن تتمكن من "لَمِّ شَمْلِ" الجميع، ثم المرحلة الثانية هي فترة تقوم فيها الثورة بعملية الفرز الضروري الذي تقوم به كل الثورات، ويصبح توجُّهُها إلى التحول الاجتماعي أكثر إلحاحًا من حرصها على "لَمِّ شَمْلِ" الجميع، ثم المرحلة الثالثة هي فترة تَجِدُ فيها الطبقاتُ الممتازة من بقايا النظام القديم أنها مضطرة إلى المقاومة، وهنا نجد الثورة نفسها - بحكم الضرورات - مضطرة إلى العنف، ثم المرحلة الرابعة هي فترة يبدأ فيها عنف الثورة في إحداث ردود فعل يجري استغلالها باسم مطالب مشروعة، مثل تَقْنِينِ التصرفات وسيادة القانون"[1].

ومن ذلك قوله (في معرض تبريره لقرار إغلاق خليج العقبة في مايو 1967، وهو القرار الذي قاد للحرب) "دُعِيَت اللجنة التنفيذية العليا لاجتماع طارئ، وطُرِحَ أمامها موضوعُ إغلاق خليج العقبة، وقَرَّرَت اللجنة بإجماع الآراء إغلاق الخليج أمام الملاحة الإسرائيلية؛ تَمَسُّكًا بحق السيادة ونزولًا على مقتضيات حالة الحرب، واستجابة لمطلب عربي مُلِحٍّ، ثم إقرارًا بأمر واقع نشأ عن سحب قوة الطوارئ الدولية من كل سيناء، اللجنة كلها بإجماع الآراء قررت، ولم يكن القرار انفراديًّا من جمال عبد الناصر"[2]، فيستعير هيكل السياق النيابي الشُّورَوِيَّ لطَرْحِ أمرٍ يعلم الجميع أنه غيرُ موجود، وأن العصرَ كان عصرَ الرجل الواحد، بدليل أن أحدًا ممن تعرض لهذه الحرب لم يتوقف أبدًا أمام موضوع دعوة اللجنة المركزية وموافقتها الجماعية.

---

(1) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص ص 383-384.

(2) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص ص 117-118.

2. 6. 3 الاستناد لأمثلة محدودة أو كلمات للاعبين غير أساسيين (الانتقائية والاختزال):

عند تَعَرُّضِ الأستاذ هيكل للمواضيع المُعَقَّدَةِ التي تَحْمِلُ نقدًا لعصر يدافع عنه أو على العكس يريد أن يُوَجِّهَ سهامَ نقده لعهد يخاصمه، فإنه يلجأ أحيانًا لأمثلة محدودة يقدِّمها في صورة العموم ليدعم بها حُجَّتَهُ، واستخدم ذلك بكثافة في كتابه الدفاعي (لمصر لا لعبد الناصر)، فعند الحديث عن حرية الصحافة استعرض مثال أحمد ومحمود أبو الفتح ونسب أزمة جريدة المصري لأمور شخصية[1]، وهكذا اخْتُزِلَتْ أزمة الصحافة في حالة واحدة، ثم اخْتُزِلَتْ تلك الحالة في وجه واحد، وهكذا قَدَّمَهَا للقارئ، كذلك اخْتَزَلَ موضوع التعذيب في السجون المصرية في العهد الناصري في حالة الأستاذ شهدي عطية، وأوضح أن عبد الناصر غضب بشدة وعاقب مدير مصلحة السجون بأن أحاله للتقاعد[2]، وهكذا اخْتُزِلَ موضوع التعذيب في حالة واحدة تَصَرَّفَ حيالها عبد الناصر، كذلك اخْتَزَلَ الفصل التعسفي في ذلك العهد في حالتين حَدَّدَهُمَا وكان لكل حالة مبرر مقنع، كأن الإبعاد والفصل التعسفي في ذلك العهد اقتصر على هاتين الحالتين[3].

وفي تناوله للضربة العسكرية التي وَجَّهَهَا السادات لنظام القذافي في يوليو عام 1977، فقد تجاهل هيكل أسبابها ومقدماتها والاعتداءات التي جَرَتْ على مصر ودفعت السادات نحوها، وذكر حالة طبيب جراح مصري في بنغازي امتلأت عيناه بالدموع وهو يعالج حالات تَسَبَّبَ فيها القصف المصري الذي كان مأساة لا داعي لها[4]، هذا المسلك ذو الوجهة الإنسانية الذي اخْتَزَلَ قضية

(1) - المصدر السابق، ص ص 61-64.

- يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر - عبد الناصر والمثقفون والثقافة، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص91.

(2) المصدر السابق، ص ص 74-75.

(3) المصدر السابق، ص ص 73-74.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص195.

سياسية وعسكرية مُعَقَّدَةً في مشهد واحد كان ليُحْسَبَ للكاتب لو كان في إطار منهج عام يَتَّبِعُهُ، غير أنه في حرب الخليج مثلًا حيث اجتاحت القوات العراقية الكويت في غزو دموي شامل - وليس مناوشات تأديبية كما في الحالة السابقة - وحيث قتل آلاف الكويتيين ومئات الوافدين[1]، ونُهِبَتْ كُلِّيًا أو جزئيًا أموال وممتلكات ملايين المواطنين والمقيمين في الكويت وفي العراق أثناء خروجهم منهما، كل هذا لا يظهر له أثر في كتاب هيكل عن حرب الخليج، بل تظهر بدلًا منه نماذج عاطفية عكسية، مثل أن امرأة كويتية كانت تطعم الجنود العراقيين، أو أن الجنود هللوا وكبروا عندما ضربت الصواريخ العراقية إسرائيل[2].

ومن ذلك تهوينه من شأن المقاومة الوطنية التي تَلَتْ إلغاء معاهدة 1936 في أكتوبر عام 1951، واستهدفت الوجود الإنجليزي في القناة، وكانت صفحة نضال مهمة دفعت الأحداث في اتجاه التصاعد الذي أدى لقيام ثورة يوليو في العام التالي، لكن الأستاذ "هيكل" حين يتعرض لها دومًا يقلِّل من شأنها، ذاكرًا أنها لم تكن ذات قيمة، ومدلِّلًا بموقف رآه حين ذهب لمنطقة القناة أنه وجد جملة مكتوبة بالطباشير على الحائط أن (كتائب التحرير مَرَّتْ من هنا)، وعَلَّقَ على ذلك أنه من الأفضل لو كانت كتائب التحرير فَجَّرَتْ قنبلة، وأن حجم المقاومة كما يظهر على صفحات الجرائد الحزبية كان أكبر بكثير من حقيقته[3].

وفي المقابل يبدأ المؤرخ المعروف عبد الرحمن الرافعي كتابه (مقدمات ثورة 23 يوليو) بحدث إلغاء المعاهدة، ورغم الخصومة السياسية الكبيرة بينه وبين مصطفى النحاس باشا صاحب القرار، فإن ذلك لم يَمْنَعْهُ من أن يقول "إن ترادف الحوادث منذ إلغاء معاهدة 1936 كان يتطور نحو الثورة، فإن إلغاء

(1) عمر عبد الله: حقائق القوة وأوهام هيكل في حرب الخليج، مرجع سابق، ص155.

(2) هيكل: أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص30.

(3) - هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص385.

- هيكل: برنامج مع هيكل، قناة الجزيرة، 2006/7/6.

هذه المعاهدة كان بداية مرحلة جديدة من كفاح الشعب ضد الاحتلال البريطاني"[1]، ويقول عن كتائب الفدائيين "كان للفدائيين عمل إيجابي واسع المدى بعيد الأثر في قتال الإنجليز، فعلى أيديهم تم الاستيلاء على كثير من أسلحة الجنود البريطانيين وقتل عدد كبير منهم، ونسف بعض المنشآت في المعسكرات البريطانية، ومستودعات البنزين والخطوط الحديدية فيها، ونسف بعض القطارات والسيارات، وقطع الخطوط التلغرافية والتليفونية، ومهاجمة قوافل الإنجليز وإطلاق النار عليها"[2]، ويبدأ الرافعي بعدها في ذكر تفاصيل المعارك التي اشتبك فيها الفدائيون مع الاحتلال، مثل معركة الإسماعيلية الأولى والثانية، ومعركة بورسعيد الأولى والثانية، ومعركة كفر عبده، ومعركة التل الكبير، ومعركة أبو صوير، ومعركة المحسمة، ويستغرق وصفُ تلك المعارك وغيرها من صور المقاومة المسلحة ما يقارب نصف كتابه عن مقدمات ثورة يوليو[3].

ويلاحَظ هنا ملمحان جديران بالانتباه؛ إذ بينما اكتفى هيكل بذكر واقعة شخصية حدثت في اليوم الذي زار فيه القناة ليسحب بها حكمًا عامًّا على أعمال المقاومة، فإن الرافعي بذل الجهد والوقت ليَسْتَقْصِيَ أعمال تلك المقاومة ليُوَفِّيَهَا حَقَّهَا؛ باعتبارها صفحة مهمة من تاريخ الكفاح الوطني، وبينما أراد هيكل أن يبقى كل كفاح الشعب المصري قبل يوليو في الظلال (حتى يُعَظِّمَ قيمة التغير الذي حدث يوم 23 يوليو، وبالتالي يعظِّم قيمة العهد التالي؛ عملًا بمبدأ "بضدها تتمايز الأشياء")، فإن الرافعي حرص على تأكيد اتصال الكفاح الوطني، وأن ثورة يوليو لم تَأْتِ من فراغ، وإنما كانت لها (مقدمات) دفعت الأحداث إليها، ولم يَرَ أن هذا الكفاح يخصم من رصيد ثورة يوليو، بل يضيف إليها ويؤكد شرعيتها.

---

(1) عبد الرحمن الرافعي: مقدمات ثورة 23 يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1987، ص15.

(2) المرجع السابق، ص66.

(3) المرجع السابق، ص ص 51-120.

2. 7 عدم الانسياق وراء ميول دينية أو شوفينية أو عرقية أو طبقية أو سياسية, أو الانصياع لضغوطات سُلْطَوِيَّة:

2. 7. 1 هيكل والانحيازات السياسية والأيديولوجية:

يقول الأستاذ هيكل نفسه عن تصدي المشاركين في التجارب للكتابة التَّأْرِيخِيَّة ـ"إن الذين يعيشون الحوادث هم في أغلب الأحيان آخر من يصلح لتَأْرِيخها، ذلك لأن معايشتهم للحوادث تعطيهم علي الرغم منهم دورًا، والدور لا يقوم إلا على موقف، والموقف بطبيعته اقتناع، والاقتناع بالضرورة رأي، والرأي في جوهره اختيار، والاختيار بدوره انحياز، والانحياز تناقض مع الحياد، وهو المطلوب الأول في الحكم التاريخي[1].

ولا يخفي الأستاذ هيكل انحيازاته السياسية والأيديولوجية، وليس مطلوبًا منه أو من غيره ممن يتصدون للكتابة التاريخية ذلك، ولو حاول لما استطاع، فإن مكانته المرتبطة بدوره في العصر الناصري تفرض عليه الانحياز للتجربة، وبالتالي الانحياز لخياراتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حتى لو كان نمط حياته لا يعكس قناعة بتلك الانحيازات كما يعتب عليه البعض، إلا أن انحيازاته تبدو جلية ومنطقية، وكذلك انحيازات كثيرين غيره من المتصدين للكتابة التاريخية من المتخصصين وغيرهم، ويذهب عالم الاجتماع السويدي

(1) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص11.

جونار ميردال إلى أن "الموضوعية هي أن تعلن عن ذاتيتك منذ البداية"[1]، ويقول د. عماد أبو غازي "إن كل العاملين في حقل الإنسانيات والدراسات الاجتماعية لهم انحيازاتهم، وهذا الانحياز لا يعيب بحثهم ولا ينتقص منه، طالما أن هذا الانحياز لا يؤثر على الموضوعية، ولا يدفع بهم إلى إخفاء وثيقة أو اختلاق واقعة[2]، وعلى هذا يكمن السؤال دومًا في مدى تأثير تلك الانحيازات على موضوعية الكتابة التاريخية، فمقدار هذا التأثير – وليس وجوده من عدمه فليس العدم بمستطاع– هو الذي يحدد مدى موضوعية الكتابة التاريخية.

ولكن تكمن الضربة الأساسية والقاتلة لموضوعية الكتابات التاريخية للأستاذ هيكل أنه يستخدم التاريخ لخوض معارك الحاضر كما صرح بذلك (نصًّا)، وهذا لا يتيح له أبدًا أن يكتب كتابة موضوعية حقيقية تشمل نقدًا كاملًا للتجربة طالمًا أنه يرى أن هذا النقد سيفلُّ سلاحه ويتحول إلى سلاح مضاد في (معركة) الحاضر، ولن يتيح له أن يقوم بتقييم موضوعي يوضح الإيجابيات للعهود الأخرى السابقة مثل الحقبة الليبرالية في العهد الملكي أو العهد الساداتي طالما أنه قد يتحول إلى سلاح مضاد في (معركة) الحاضر.

يقول هيكل "كل الناس تستدعي التاريخ لكي تحارب به معارك الحاضر، إذا تصور أحد أن قضية الرئيس عبد الناصر هي قضية تاريخ، فأنا أختلف معه، وأنا لا أكتب التاريخ، أنا مثل الآخرين أستدعي التاريخ لمعركة أو قضية سياسية لوجهة نظر سياسية.. قضية الرئيس عبد الناصر لا تزال هي قضية الخيارات المطروحة أمام الأمة، واستدعاء شخص الرئيس عبد الناصر أحيانًا يحدث لكي يحارب به بكل ما له من نفوذ الرمز والمشروع والتحقيق، لكي تحارب به معارك الحاضر المتعلقة بالمصائر"، ويكمل قائلًا لمحاوره "تقول لي

(1) السيد ياسين: كتابة التاريخ بين الذاتية والموضوعية، الأهرام، 2014/10/16.

(2) د. عماد أبو غازي: صانع التاريخ مُؤَرِّخًا، أخبار الأدب، 2013/9/29.

إنني لم أُجْرِ تقييمًا، ربما ولسبب بسيط وهو أن التجربة مستمرة، بإمكانك أن تجري نقدًا، وأنا أجريتُ هذا النقد في حينه وفيما بعد، أما الكلام عن التقييم النهائي للتجربة فأمر مختلف، فالفارق بيني وبينك أنك تعتقد أن الرئيس عبد الناصر شخص وأنا أقول: لا.. عبد الناصر سياسة، عبد الناصر تجربة لا تزال مستمرة تطرح خياراتها حتى هذه اللحظة، أين هي هوية مصر: عربية أم منطوية على داخلها فرعونية.. مملوكية.. إلخ"، "أنت لا يمكنك أن تقف وسط حرب، ثم تقول تعالَ نعمل تقييمًا.. ممكن تعمل نقدً للمعارك لكن لا تستطيع أن تجري تقييمًا للحرب كلها، لأن الحرب مستمرة"، "أنا عالجت أَوْجُهَ نقص في التجربة، لكني في معالجتي ضيقت على نفسي لسبب أساسي، وهو إدراكي أن المعركة مستمرة، وأنه حينما أذكر سلبية وأركز عليها أكثر من اللازم، ستتحول إلى ذخائر في هذه المعركة"[1].

ويقول "هذه الأمة ليس في تاريخها الحديث إلا محمد علي وجمال عبد الناصر.. الأول مشروع عثماني والثاني مشروع قومي.. وأنا أعتقد أن كل انقلاب على جمال عبد الناصر يساعد على مزيد من حالة الخلخلة التي نعيشها الآن.. فنحن كمن يجلس على فرع شجرة وهو ينشر في جذعها"[2].

ويؤكد د. أحمد عبد الله أن هذا النوع من الانحيازات هو أخطر ما يواجه الموضوعية التاريخية، فيقول "لعل أشد أنواع التزوير التاريخي تأثيرًا هو أقلها كذبًا بالمعنى الضيق وأكثرها حبكة بالمعنى الواسع، فالصورة الكلية الجشطالتية لإعادة تركيب وعرض الحدث التاريخي قد تأتي صورة كاذبة أو على الأقل خادعة وإن امتلأت بالتفاصيل الحقيقية جيدة التوثيق، ويتضح ذلك في أبرز صوره في حالة

(1) حوار مع محمد حسنين هيكل: نحارب بعبد الناصر معارك الحاضر المتعلقة بالمصائر، جريدة العربي، 1997/1/20.

(2) عادل حمودة: حوار مع هيكل حول لعبة السُّلْطَة في مصر، مرجع سابق، ص134.

التَّأْرِيخ للحركات السياسية بواسطة المؤرخين وكتاب التاريخ الذين يجمعهم بهذه الحركات الانتماء الأيديولوجي، والذي يؤدى في الخلاصة إلى توحُّد ذات الباحث مع موضوع بحثه لا من حيث تعلقه واحتفاؤه به وهو أمر مفيد من Identification حيث إعانته على جدية البحث، ولكن من حيث توفر سبق الإصرار على رسم صورة محددة رائعة لتاريخ الحركة السياسية المعنية"[1].

ومن صور الانحياز لعبد الناصر في مواجهة نجيب في السياق التاريخي ذاته أنه في الفصل الذي يتحدث فيه عن الثورة في كتاب (ملفات السويس) جاء أول ذكر لمحمد نجيب بعد أربع عشرة صفحة، وبعد أن ذكر عبد الناصر قبلها ثمان مرات مع عرض مطوَّل لتاريخه، وكما كان الانحياز كمًّا ظهر كذلك كيفًا، فيقول مثلًا "لم يكن لدى عبد الناصر حين قامت الثورة إلا مضمون الشعار الذي يردده كثيرًا وهو العزة والكرامة"[2]، ويقول "ولبعض الوقت فإن شخصية محمد نجيب غَطَّتْ على كل شيء، فإن دوره في نجاح "الانقلاب" كان كبيرًا"[3]، [4]، فمع عبد الناصر يستخدم كلمة (الثورة) ومع نجيب يستخدم (الانقلاب).

ومن صور انحياز هيكل لعبد الناصر وللفترة الناصرية تصوره لكل فترة بعدها أنها قاتمة الصورة، فالوطن والأمة إما مضيعة لبوصلتها وإما متجهة

---

(1) د. أحمد عبد الله: تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبي (أعمال ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952)، مرجع سابق، ص18.

(2) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص172.

(3) المصدر السابق، ص182.

(4) وهو الدور الذي نفاه في السبعينيات في مقالته (حكاية مع شبح من الماضي، الأهرام، 1973/8/1) وقت الخلاف بينه وبين نجيب، وقد تَطَوَّرَ إلى نزَاع قضائي، مما يدل على مدى تأثير الذاتي على الموضوعي في كتاباته التاريخية.

للاتجاه الخطأ على بصيرة أو أن الظروف معاكسة.. إلى غير ذلك، والأمثلة كثيرة، ومنها حديثه عن بداية حقبة الثمانينيات[1].

كما كان هيكل منحازًا بوضوح للمشروع القومي ولإثبات الهوية القومية لمصر في مقابل الآراء التي تنحاز للهوية الإسلامية للبلاد، والآراء المقابلة التي تنسحب إلى وطنية صرفة متحدثة عن هوية فرعونية للبلاد، ورغم الحرص النظري من جانبه على نفي أن يكون هناك تناقض أو تعارض بين هوية مصر العربية وتاريخها الفرعوني والإسلامي، فإن هذا الانحياز جَرَّهُ لتهميش التعرض لتاريخ مصر الفرعوني والإسلامي، كما جَرَّهُ لبعض التحكمات التاريخية، فمنها نفيه أن يكون للمشروع اليهودي الصهيوني دعاوى توراتية في مصر، وأن عداءه لمصر إنما ينبع من قلقه من القوة الأكبر المجاورة له[2]، بينما من المعلوم أن للمشروع الصهيوني دعاوى توراتية واضحة في مصر؛ لأنه من المعلوم أن الدعاوى التوراتية عند اليهود تحدِّد وعدًا من الله لإبراهيم عليه السلام "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنَسْلِكَ أُعْطِي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"[3].

وبالإضافة للانحياز لشخص عبد الناصر وتجربته وللتيار العروبي والهوية العربية هناك الانحياز الأيديولوجي لليسار، الذي يذهب به أحيانًا بعيدًا عن الموضوعية، مثل قوله "الوطن والوطنية لمن، للجماهير العريضة، لذلك فإنها تتجه نحو اليسار"[4]، فإذا كان الكاتب الذي يتعرض للكتابات التاريخية لا يكتفي بالانتماء لأيديولوجية معينة وإنما يرى الوطنية محصورة فيها، فلا بُدَّ أن ينعكس ذلك على كتاباته في صورة تضخيم للمنتمين لتلك الأيديولوجية وتقزيم للمخالفين لها، ورصدت الباحثة نجوى إبراهيم - بطريقة إحصائية -

(1) هيكل: آفاق الثمانينات، مصدر سابق، ص12.

(2) هيكل: العروش والجيوش (ج2)، مصدر سابق، ص108.

(3) سِفْر التكوين، الإصحاح 15.

(4) هيكل: أحاديث في العاصفة، مصدر سابق، ص102.

غَلَبَةَ الأطر الأيديولوجية على خطاب هيكل من خلال استعراضها لنماذج من كتاباته في الأهرام في الخمسينيات والستينيات[1].

وفي المقابل كان انحياز هيكل ضد السادات مريرًا، خاصة بعد تجربة السجن التي أَثَّرَتْ فيه كثيرًا، وهيكل نفسه هو الذي ينقل مقولة عبد الناصر "إنني لا أستطيع أن أثق في إخلاص من أُضِيرَتْ مصالحه، فهذا فوق الطبيعة البشرية"[2]، ولا شَكَّ أن مصالح هيكل الشخصية أضيرت في عهد السادات من وجوه متعددة، بالإبعاد عن منصبه وعن الصرح الذي بناه، ثم تكديره بالتحقيقات، وإطلاق الحملات الإعلامية عليه، ونهايةً بوضعه في السجن للمرة الأولى في حياته، لذلك كان حَيْده عن الموضوعية في التعامل مع عهد السادات مفهومًا وواضحًا لدرجة أنه اختزله في جملة واحدة "إن ذلك العهد كله كان - مع الأسف - خطأً تاريخيًّا"[3]، وكان هجومه على السادات شخصي وجارح وبالتالي بعيد عن الموضوعية، ومن ذلك أنه "كان يخاف من والده ولم يستطع أن يقنع نفسه إلى آخر يوم بأن يحبه، وكان غاضبًا على أمه، فلم يكن في أعماقه قادرًا على احترام عذاب هذه السيدة التعيسة الحظ".. "وقد زادت مقاومته - بدون داعٍ حقيقي - للَّوْنِ الذي ورثه منها.. كان أنور السادات في أعماقه شديد الإحساس بهذه المشكلة، ولعلها اختلطت في ذهنه خطأً بالعبودية"[4]، "والحقيقة أن جيهان لم تُعْجِبْ أنور السادات لأنها فتاة جميلة فقط، وإنما كان أشد ما أعجبه فيها أنها ناصعة البياض، من سوء الحظ - وبدون ما داعٍ حقيقي - أن اللون كان لا يزال عقدة تتملكه"[5]،[6].

---

(1) نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص ص 127، 192.

(2) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص89.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص14.

(4) المصدر السابق، ص40.

(5) المصدر السابق، ص68.

(6) هل أَخْبَرَهُ السادات بهذا؟ هل أَخْبَرَهُ السادات أن ما أعجبه في زوجته ليس فقط أنها جميلة وإنما أنها ناصعة البياض؟!

ومن صور الانحيازات التعسف اللغوي الشديد في التعامل مع مقولات الخصوم السياسيين، وحملها على أسوأ المحامل بخصوصهم، كما استعرضنا في تعامل هيكل مع مقولة السادات: إن 99% من أوراق اللعبة في يد الولايات المتحدة، وهي المقولة التي لها نظائر من كلام هيكل نفسه عن أن الولايات المتحدة هي القوة (الوحيدة) التي تستطيع الضغط على إسرائيل[1]، وكما فعل في مقولة السادات إنه يرجو أن تكون (حرب أكتوبر هي آخر الحروب)، فقال هيكل "ليس هناك بلد في العالم ولا في التاريخ قال لنفسه وللآخرين إنه خاض آخر الحروب.. ولا توجد دولة لا تحتفظ لنفسها بحق الدفاع عن نفسها، وتوفر لذلك شروطه، بأنها لن تدافع عن نفسها وعن أمنها كما تقدره"[2]، و"إن الوطن لم تَعُدْ له استراتيجية عُلْيَا يسعى لتحقيقها"[3]، وهذا كله تعسف بعيد، ووضع لوازم للقول ليست فيه، فمفهوم أن جملة الرئيس السادات تمثِّل دعوة سياسية إلى السلام ولا تتضمن - بداهة - أي مصادرة للحق في الدفاع عن النفس ولا في حماية الأمن القومي، ولم يتوقف السادات عن دعم جيشه واستعراض قوته وأحدث أسلحته، سنويًّا، وفي قلب القاهرة وفي كامل زيه العسكري هو ونائبه وقادة جيشه وفي حضور السفراء الأجانب.

ورمية أخرى أبعد حين يقول "لقد كان واضحًا منذ البداية أن الهدف الحقيقي من بناء نفق أحمد حمدي هو تسهيل المواصلات بين مصر وإسرائيل"[4]، ولا أظن أن أحدًا غير هيكل ذهب في نظرية المؤامرة إلى تلك المرحلة، فبدلًا من أن يحمد للسادات ربطه للبر المصري غرب القناة بسيناء التي

---

(1) وكَرَّرَهَا كثيرًا كما أوضحت سابقًا في هذا الفصل.

(2) هيكل: مصر إلى أين؟ - ما بعد مبارك وزمانه، مصدر سابق، ص199.

(3) هيكل: كلام في السياسة - عام من الأزمات، مصدر سابق، ص134.

(4) المصدر السابق، ص367.

أراد تعميرها - وكان ذلك من مشاريعه التي أكدها - يعتبر هيكل بناء النفق تسهيلًا للمواصلات إلى إسرائيل.

2. 7. 2 هيكل والسُّلْطَة، و(مَقَام الملك والرئاسة):

من أكبر المؤثرات التي تؤثِّر على موضوعية كتابات الأستاذ هيكل وتَجْرِفُهَا نحو الذاتية هي علاقته بالسُّلْطَة، وهي نابعة من قناعاته كمثقف وصحفي وصاحب طموح، فالمثقف في نظر هيكل ضعيف ويحتاج للسُّلْطَة لأنه هش ويحتاج للرعاية[1]،[2]، والصحفي في هيكل يناديه ليقترب من السُّلْطَة حيث الأخبار، والطموح يدعو هيكل ليكون قريبًا من السُّلْطَة حيث النفوذ المعنوي الذي يُتَرْجَمُ لقيمة داخلية وخارجية، وكل هذا انعكس على كتاباته التاريخية.

عاصر هيكل ثمانية عهود، بدأ مؤيدًا فيها جميعًا دون استثناء، وانتهى مؤيدًا في خمسة منها وهي: العهد الملكي وعهد الرئيس نجيب[3] وعهد الرئيس

---

(1) يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر - عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص347.

(2) من الجدير بالذكر هنا ملاحظة الفارق بين رؤية هيكل أن المثقف يحتاج للسُّلْطَة لأنه هَشّ، ورؤية إدوارد سعيد في كتابه المثقف والسُّلْطَة حيث يقول "وأوضاع المفكرين الذين ليست لديهم مكاتب أو مناصب يريدون حمايتها، ولم يكسبوا أرضًا يريدون دعمها وحراستها، أوضاعٌ تُثِيرُ القلقَ بطبيعتها؛ فهم أقرب إلى السخرية من ذواتهم منهم إلى استخدام الألفاظ والنبرات الرنانة، وهم أقرب إلى التعبير المباشر منهم إلى التردد والتَّلَعْثُمِ في الكلام، وأمثال هذه (الاحتجاجات) من جانب المثقفين أو المفكرين لن تَأْتِيَ لهم بأصدقاء في أعلى المناصب ولن تُتِيحَ لهم أن يحظوا بآيات التكريم الرسمي، والمثقف أو المفكر يجد نفسه إذن في عُزْلَةٍ، لكن هذه العُزْلَةَ خيرٌ من الصُّحْبَةِ التي تعني قَبُولَ الأوضاع الراهنة على ما هي عليه" (ص29). ويقول "مفهومي لمصطلح المثقف أو المفكر يقول إنه -في جوهره- ليس دَاعِيَةَ مُسَالَمَةٍ ولا دَاعِيَةَ اتفاقٍ في الآراء، لكنه شخص يُخَاطِرُ بكيانه كله باتخاذ موقفه الحساس، وهو موقف الإصرار على رفض (الصيغ السهلة)، والأقوال الجاهزة المبتذلة، أو التأكيدات المُهَذَّبَة القائمة على المصالحات اللَّبِقَةِ والاتفاق مع كل ما يقوله وما يفعله أصحابُ السُّلْطَة وذوو الأفكار التقليدية، ولا يقتصر رفض المثقف أو المفكر على الرفض السلبي، بل يتضمن الاستعداد للإعلان عن رفضه على الملأ" (ص ص58-59).

(د. إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006).

(3) ظَلَّ الأستاذ هيكل مُثْنِيًا على الرئيس نجيب حتى سقوطه، واصفًا إياه بأنه قَلْبُ الثورة.

عبد الناصر وعهد المجلس العسكري (2011- 2012) وعهد (3 يوليو) (2013- 2016) (حتى وفاته)، وانتهى معارضًا لثلاثة منها وهي عهد الرئيس السادات وعهد الرئيس مبارك وعهد الرئيس مرسي.

والملحوظة الواضحة أنه إزاء العهود التي عارض فيها فإن معارضته كانت تَحْمِلُ شجاعة الموقف، ولكن في الوقت ذاته كانت تَحْمِلُ الاحترام لما أسماه (مقام الرئاسة)؛ فكانت لغته دومًا تحافظ على شعرة معاوية مع النظام القائم، حتى إذا طُوِيَ العهد الذي كان يعارضه حدث اختلاف نوعي في شكل ومضمون كتابات هيكل، وأصبحت أكثر شراسة بعد سقوط مقام الرئاسة، كما سنستعرض.

عندما بدأ هيكل تدريبه في الإجيبشيان جازيت باعتباره مساعدَ مخبرٍ صحفي في قسم الحوادث، وكان أول موضوع أُسْنِدَ إليه عن البغاء، وذلك وقت أن أصدر وزير الشؤون الاجتماعية في ذلك الوقت قرارًا بإلغاء البِغَاءِ لتَفَشِّي الأمراض السرية، فيُكَلَّف بزيارة حي البِغَاءِ واستقصاء رأيهن في ذلك، ويروي هيكل تفاصيل هذا التحقيق الأول في عدة مواضع، وكيف أنه وجد عَنَتًا كبيرًا وحرجًا بالغًا وفشلًا يومًا وراء يوم حتى كاد ييأس، فأَبْصَرَتْهُ معلمة الحي، فقررت مساعدته فأرسلت بمن مَرَّ على الفتيات البغايا وحصل على المعلومات المطلوبة منهن، وهكذا حصل هيكل على ما يريد "وهو جالس يحتسي الشاي بجوار المعلمة" على حد وصفه[1]، ولأن الخطوات الأولى في الحياة العملية تترك أثرها دومًا في حياة الإنسان، ويتأكد هذا إذا اعتاد تكرار روايته، فمن الواضح أن هذا الموقف قد أثر في فكر الأستاذ هيكل ولفت نظره إلى أن كثيرًا من الخطوات والعثرات يمكن اختصارها إذا كان إلى جوار

(1) - "مواقف حرجة في حياة محرري آخر ساعة القُرَّاء"، آخر ساعة، العدد 546، 1945/3/25.
- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/8/4.
-عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، مرجع سابق، ص ص 107-113.

المسؤول ويحظى بدعمه، ولعل هذا هو ما جعله دومًا مشدودًا إلى الرأس ومتطلعًا إلى جواره، حيث مَنْبَعُ الأخبار ومُسْتَقَرُّ النفوذ.

ومن الواضح أن هيكل حاول تطبيق هذا الدرس سريعًا ولكن بأسرع من الممكن، فما إن انتقل إلى الصحافة العربية في العام التالي بانتقاله إلى روز اليوسف حتى بدأ مقالاته العربية وكانت مدائحَ مَلَكِيَّةً مُبَالِغَةً، كانت أول كلمة كتبها في تاريخه في الصحافة الناطقة بالعربية هي كلمة (مولاي)، وكانت مقالة كتبها في معرض التعليق على دعوة الملك للخمسة الأوائل من خريجي المعاهد الدراسية لتناول الشاي معه في قصر عابدين، **فكتب:**

"مولاي"..

لست أدري ماذا فعل هؤلاء (الشباب) الذين تلقوا دعوتك الكريمة حين عرفوا أمرها، ولست أدري أي أحاسيس ومشاعر تلك التي كانت تَجِيشُ في نفوسهم عندما علموا نبأها، إن الحيرة تستولي عَلَيَّ أنا عندما أتخيل ماذا كنت أفعل لو كنت واحدًا منهم، إن الحيرة تستولي عَلَيَّ لمجرد تفكيري في ذلك، فماذا فعلوا هم وهم أمام الأمر الواقع، ماذا أقول يا مولاي وماذا أصور، إن تلك العواطف التي تملؤهم الآن عواطف جديدة، عواطف لم يعرفوها من قبل، هي مزيج من الفرح والابتهاج والفخر والشعور بالعزة.. لقد سألت اثنين منهم عقب أن رَأَوْكَ عن شعورهم، سألت شابًا وفتاة، فأما الشاب يا مولاي فقد صمت، وكان صَمْتُهُ أبلغ ألف مرة من كلامه، وأما الفتاة فكان جوابها البليغ هذه الدموع الحائرة التي جَالَتْ في عينيها، إنها دموع عزيزة غالية.. ليس

بإمكان أحد أن يُصَوِّرَ كم يحبك هذا الشباب ويؤمن بك وبرسالتك، فقد آمن الشباب بك لأنك تؤمن به وبرسالتك في سبيل المجد الجديد[1].

وعلى هذا الغِرَارِ يكتب (ليس لأنه الملك) تعليقًا على رحلة الملك فاروق إلى كفر الدوار "لست أدري كيف يستطيع هذا الكاتب أو غيره أن يصف عودة الملك إلى عاصمة ملكه الأسبوع الماضي.. ولقد قرأت جرائد الصباح جميعًا فلم أجد وصفًا واحدًا يمكن أن يصور الحقيقة أو جزءًا منها، وليس هذا ذنب الزملاء، وإنما الحقيقة أن ما حدث كان أكبر وأجل من أن تستطيع الكلمات وصفه"[2].

ثم يكتب تعليقًا على زيارة الملك للصعيد التي تواكبت مع عيد ميلاده "ذهب الملك.. ذهب إلى شعبه الذي هتف له من أعماق قلبه: يعيش فاروق منقذ الصعيد.. يعيش فاروق حبيب الفلاح.. يعيش فاروق نصير الفقراء.. زيارتك شفتنا يا مولانا.. إننا في حلم يا مولانا.. هذه ليلة القدر.. هذه الزيارة بعثت فينا الحياة.. نريد أن نُقَبِّلَ يدك.. رفعت رأسنا وشرفت مقدارنا، وقال الملك: بل أنا منكم، وهتفوا له: فاروق.. فاروق.. فاروق.. أجل إنه الفاروق"[3].

ويكتب في عيد جلوس الملك "هذه هي الذكرى الثامنة لجلوسك يا مولاي على عرش مصر.. ثمان سنوات وأنت تحمل مسؤولية هذا الوطن وهذا الشعب، كنت فيها نِعْمَ الملك الدستوري في ظروف لعلها أَدَقُّ ما مَرَّ بها في تاريخ حياتها"[4].

وفي كتابه إيران فوق بركان يحاول تخفيف الضغوط على الملك بصورة غير مباشرة في موضوع زواج أخته الأميرة فتحية من رياض غالي، وهو الأمر الذي هَزَّ العرش الملكي وقتها، فكتب هيكل عن أخت شاه إيران "شقيقته فاطمة التي تزوجت

---

(1) هيكل: كنت أتمنى أن أكون معهم، روز اليوسف، العدد 792، 1943/8/19.

(2) هيكل: ليس لأنه الملك، روز اليوسف، العدد 809، 1943/12/16.

(3) هيكل: إنه الفاروق، روز اليوسف، العدد 818، 1944/2/17.

(4) هيكل: في يوم عيدك يا مولاي، روز اليوسف، العدد 830، 1944/5/11.

من الشاب الأمريكي هيللر.. وقد جَرَّ هذا الغرام على شقيقها متاعب الدنيا والآخرة في بلد إسلامي متعصب"[1]، يريد أن يقول إن ما حدث في مصر حدث مثله في إيران، وإن ردود الأفعال بخصوصه مَرَدُّهَا إلى التعصب.

ولما سقط فاروق كان قلم هيكل من الأقلام التي انهالت عليه، مما دفع الباحثة نجوى إبراهيم إلى انتقاد مَسْلَكِهِ بشدة في رسالتها[2].

في عهد الرئيس السادات:

الأمر ذاته تكرر على نحو أصرح مع السادات الذي هاجمه بعد وفاته بمنتهى الشراسة تحت تأثير مرارة الاعتقال، فرغم مواقف هيكل المعارضة المعلنة في عصر السادات، فإنه ظل محتفظًا بشعرة معاوية دومًا حتى إنه قال عن تلك العلاقة ومدى حرصه عليها "أشهد أن الرئيس السادات قبل قرار خروجي من الأهرام خَيَّرَنِي - متفضِّلًا وكريمًا - بين دخول الوزارة أو العمل في ديوان رئاسة الجمهورية، ورجوته في قبول اعتذاري، ومع ذلك فإنه - مبالغة في فضل وكرم - أراد إبقاء الباب مفتوحًا بعد خروجي من الأهرام فأصدر توجيهه بتعييني مستشارًا صحفيًا له، ورجوته مُلِحًّا في إعفائي لكي أتفرغ للكتابة، وأحزنني في تلك الفترة أن الظروف باعدت بيننا لعدة أشهر، ثم أسعدتني الظروف بعد ذلك بالعودة إلى قرب الرئيس السادات لفترة استمرت ما بين نهاية سنة 1974 إلى صيف سنة 1975، وفي هذه الفترة عُدْتُ مُؤْتَمَنًا على فكره، ولعلي أقول إنني كنت أول إنسان في مصر ائْتَمَنَهُ الرئيس السادات على قراره بإعادة فتح قناة السويس بعد فشل محادثات كيسنجر في أسوان في

(1) هيكل: إيران فوق بركان، مصدر سابق، ص183.

(2) نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل في مجال علاقات مصر الدولية في جريدة الأهرام ومجلة وجهات نظر: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص192.

مارس 1975، وفي هذه الفترة عرض عليَّ الرئيس السادات عدة مناصب بينها: منصب نائب رئيس الوزراء للإعلام ومنصب مدير مكتب رئيس الجمهورية، وبكل العرفان بالفضل لصاحب الفضل فإنني رجوت الرئيس في إعفائي لأتفرغ للكتابة، مع سعادتي الغامرة إذا أذن لي أن أكون في خدمته في مكان ومكانة الصديق، وهذا هو نص ما طلبت، وحدث بعد ذلك أن أبدى الرئيس السادات عدم رضاه عن بعض ما نشرته في كتابي (الطريق إلى رمضان) مع أني أعتقد - ويعتقد معي معظم النقاد في العالم - أن هذا الكتاب من خير ما كُتِبَ من وجهة النظر العربية عن حرب أكتوبر، وهكذا ساءت الأمور دون قصد مني، بل على عكس كل مقاصدي"[1].

وحتى إنه في لقاء صحفي عام 1980 قال إنه ليس معارضًا، ثم امتنع عن كتابة أي مقالات في الصحف العربية منذ أوائل عام 1980 - حتى لا يقطع تلك الشعرة - وحتى اعتقاله عام 1981 مع مئات من المعارضين، حتى خرجوا جميعًا بعد اغتيال السادات فكتب ما كتب بعدها مُعَرِّضًا بأصله ولونه وطاعنًا حتى في اسمه، وقال وقتها "ليس في خريف الغضب شيء لم أقله عن السادات في حياته، نعم تَوَسَّعْتُ وهذا طبيعي؛ لأن ظاهرة السادات السياسية قد اكتملت فصولها بحادث المنصة، فكان طبيعيًا أن تُرَدَّ إلى أصولها وأن تُفَسَّرَ ليفهمها الناس"[2]، وهذا لم يكن صحيحًا بالمرة، فهيكل - كما تقدَّم - لم يقل شيئًا (عن السادات) في حياته، كان يعارض سياساته مع الحفاظ على كل الاحترام (لمقام الرئاسة) وحرصًا على سلامته الشخصية، بل إنه رفض أن يُصَنَّف معارضًا، ولم يتعرض أبدًا لصفات السادات وأصله وعُقَدِهِ وزوجته ومهاناته وعلاقاته الخارجية المشبوهة وأنه وصل بالصدفة.. إلى غير ذلك مما جاء في خريف

(1) هيكل: الحل والحرب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة السابعة، بيروت، 1988، ص216.

(2) صلاح عيسى: مثقفون وعسكر، مرجع سابق، ص1149.

الغضب، ويوجِّه له د. فؤاد زكريا نقدًا مُرًّا على هذا فيقول "يذكر هيكل أن نقده للسادات بدأ أثناء حياته، هذا صحيح، ولكن ليقل لي الأستاذ هيكل "بصراحة" لو كان السادات لا يزال حيًّا، أكان يستطيع أن يتكلم عن "ست البرين" وعن "المجعراتي المتسول" وكأس الفودكا الذي يؤخذ بعد كل غداء؟ ليُجِبْ بصراحة، أيضًا عن هذا السؤال: ما دام هو نفسه صاحب منطق القطط والفئران، فأين يضع نفسه في هذه النقطة بالذات، بين هاتين الفئتين؟"[1].

في عهد الرئيس مبارك:

في عهد مبارك، ورغم احتفاظه بمسافة من سياسات هذا العهد (ظهرت في مقالاته الست التي أُرْسِلَتْ للرئيس ولم تُنْشَرْ، ثم في مقالتيه عن صنع القرار السياسي في مصر اللتين صدرتا أوائل عام 1986 ووَجَّهَ فيهما نقدًا لسياسات داخلية وخارجية)، فإنه احتفظ بلغة تراعي (مقام الرئاسة)، ولمَّا وقعت أحداث الأمن المركزي كتب مقالة في تحليلها ختمها بقوله "إن الرجل الذي وضع الشعب على كتفيه مسؤولية مصر تاريخيًّا وحاضرًا ومستقبلًا هو بدوره أمانة في ضمير كل مصري، ولنا جميعًا أن نتطلع إليه فوق كل الأزمات وفوق كل الخلافات وفوق كل الاجتهادات، وفي هذه الظروف فهو الحكم قبل أن يكون الحاكم، وكان الله في عونه"[2].

وفي أواسط حكم مبارك حين حدثت محاولة اغتياله كتب هيكل إليه مُهَنِّئًا[3]، هذه الرسالة التي كُتِبَتْ بعد أربعة عشر عامًا من حكم الرئيس مبارك تناقض ما قاله هيكل لاحقًا أن نظرته لحكم مبارك أنه مرحلة انتقالية، فجُمَلٌ مثل

(1) د. فؤاد زكريا: كم عمر الغضب – هيكل وأزمة العقل العربي، مرجع سابق، ص36..

(2) هيكل: سُلْطَان التحقيق وسُلْطَان الحقيقة، الأهرام، 1986/3/1.

(3) سمير صبحي: الجورنالجي – النشأة والصراع، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1998، ص207.

(دوركم في هذا البلد لا بديلَ له ولا غنى عنه، ذلك أن أحوال التاريخ تعطي في مراحلها الدقيقة والحساسة لبعض الأدوار أهمية تتجاوز طاقة الأفراد)، و(ودوركم فيها أكثر من ضروري وأكثر من حيوي لسلامة الأمة وحماية مستقبلها)، (وحفظكم الله لغد يملأه الخير والحق والعدل) لا يمكن تمريرها باعتبارها مجرد مجاملة حدث، فهي أبعد من مقتضيات المجاملة، وما كانت مقتضيات المجاملة لتُحَتِّمَها أو لتقودَ إليها، وكانت تكفي في هذا المقام كلمات مثل "حمدًا لله على السلامة" والدعاء بطول العمر، إذًا لا يمكن الاعتذار عن تلك الجمل بأنها كانت في مقام المجاملة، خاصة من كاتب مرموق وسياسي حصيف مثل هيكل يزن كل كلمة بميزان.

ويقول تعليقًا على أحد تصريحات الرئيس مبارك "لقد أحزنني تصريح منسوب للرئيس مبارك منشور في صحف أمس الأول نُسِبَ فيه إليه القول بأنه (إذا التزم الصحفيون بميثاق الشرف فإن القانون الجديد ينام من نفسه)، ومع كل الاحترام لمقام رئاسة الدولة فإن القوانين لا تعرف النوم وإنما تعرف السهر، وهي لا تُوضَعُ لتنام بكرم العفو أو بسحر المغناطيس، وإنما قيمة القوانين أن تعلو حركتها الذاتية فوق إرادات الأفراد"[1]، وهو نقد جيد لكلام الرئيس ولكن يُلاحَظُ التأدب وذكر احترام مقام الرئاسة، فهيكل لا يقطع الخيوط أبدًا مع الرئيس الحي، كما شهدناه مع السادات وحسني مبارك، فإذا مات أو عُزِلَ انقلب التأدب إلى نيران تَسْتَعِرُ[2].

ورغم أنه من أوائل الذين تعرضوا لموضوع التوريث في الحقبة الأخيرة من عهد مبارك إلا أنه كان يتعرض للموضوع بطريقة مُتَلَطِّفَةٍ للغاية وفي سياق النفي دومًا

---

(1) المرجع السابق، ص210.

(2) وقد ذَكَرَ لي الأستاذ/ فهمي هويدي أن تجربة الاعتقال في سبتمبر 1981 قد أثَّرَتْ في الأستاذ هيكل كثيرًا، وقد حرص بشِدَّةٍ لاحقًا في علاقته مع السُّلْطَة على تَجَنُّبِ تكرارها (مقابلة شخصية مع الأستاذ/ فهمي هويدي، في 2017/2/6).

والثناء على الرئيس لقيامه بحَسْمِ الأمر، فيقول "لقد كان الرئيس مبارك واضحًا في قضية الخلافة فأراح الجميع واستراح، ولم يكن حديثه مع الصحيفة الأسبانية هو الأول الذي حدد فيه موقفه الواضح في هذا الشأن فقد سبق أن أكد نفس الموقف من قبل، وفي اعتقادي أن الرئيس أراد أن يوصِّل رسالة بعينها إلى الناس.. وأعتقد أيضًا أن من حَقِّنَا جميعًا أن نقول: إننا نفهم رسالة الرئيس ونقدرها، ونعتبر أنها تحوي احترامًا لعقولنا وتاريخنا ونشكره عليها كثيرًا"[1]، فيغلف طرحه للموضوع بالثناء في أوله وفي آخره، وهذا هو المنهج الذي كرره حين تعرض لهذا الموضوع بعدها بأعوام في محاضرته بالجامعة الأمريكية[2]، وهو مخالف للطريقة التي تكلم بها عن مبارك بعد سقوطه، فساق - على ألسنة الآخرين - وصفه بالبقرة الضاحكة كما تَقَدَّمَ[3]، ووَجَّهَ إليه تهمًا كثيرة، بل ألقى حوله شبهات بالتجسس لحساب إسرائيل[4].

في العهد الناصري:

أما في العهد الناصري فقد كان تأييده صرفًا ودعمه خالصًا، ورغم أن التجربة أنضجته فترك المدائح البالغة التي صبغت أول كتاباته الملكية كما تقدم واستعاض عنها بصناعة أسطورة البطل[5]، غير أن المدائح ظلت تُدَبَّجُ في المناسبات، ففي مناسبة وضع حجر أساس السد العالي كتب "فرحت له.. فرحت له من قلبي، لقد أتاحت له الأقدار ما لم تُتِحْهُ لغيره من صانعي التاريخ، وواتته الفرصة لكي يرى في الواقع ما كان يراه في الرؤى كالأحلام.. أي عزاء.. أي عزاء للأعصاب التي تَحَمَّلَتْ ثِقَلَ الجبال.. أي عزاء للشباب الذي انقضت أيامه ولياليه في السهر والعمل

(1) هيكل في حوار مهم مع "الأسبوع" (الحلقة الأولى)، الأسبوع، 2000/6/26.
(2) هيكل: محاضرة (المستقبل الآن)، الجامعة الأمريكية، 2002/10/14.
(3) هيكل: مبارك وزمانه – من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص ص 12، 43، 44، 81، 111.
(4) المصدر السابق، ص ص 255-265.
(5) كما تَقَدَّمَ في هذا الفصل.

والتفاني.. أي عزاء للشَّعْرِ الذي استحال معظمه إلى بياض الثلج الناصع على القمة الشاهقة.. يا أبا خالد.. يا أبا شعبك.. بورك لك.. وبورك فيك"[1]، وفي أعقاب إصدار الميثاق قال إن "حب الجماهير له وارتباطها به ما زال ماضيًا بجمال عبد الناصر إلى ذُرْوَةٍ شعبية لم يبلغها زعيم في بلد.. أي زعيم في أي بلد"[2].. إلى غير ذلك.

ويندرج مراعاته لمقام السُّلْطَة وحساباتها حتى بالنسبة لأصحاب السُّلْطَة الثانية، فلم يقترب أبدًا من عبد الحكيم عامر وهو في سطوته، وحتى بعد سقوطه وقبل موته ورغم النكسة لم يقترب منه؛ فقد تعود المياه لمجاريها بين عبد الناصر وعبد الحكيم، لذلك كتب قبل موت عبدالحكيم عامر "كانت النكسة (التي تعرضنا لها) جزء منها يعود إلى أسباب خارجية تحدَّثْنَا فيها كثيرًا، وجزء منها يعود إلى أسباب داخلية لم نتحدث فيها حتى الآن ولا أعرف متى يجيء أوان الحديث"[3]، فلما مات عبد الحكيم عامر جاء أوان الحديث، وكتب هيكل ثلاث مقالات بعد وفاة عبد الحكيم عامر بأسابيع بدأ فيها في تحميله معظم المسؤولية عنها[4]، واستمر على ذلك لاحقًا يتبعه في هذا الإعلام الناصري.

2. 7. 2 نظرية وَلِيِّ النِّعَمِ:

كثيرًا ما يعيب الأستاذ هيكل على بعض منتقدي عبد الناصر ومنتقديه هو شخصيًّا أنهم تناسوا أفضال عبد الناصر الشخصية عليهم أو أفضال هيكل الشخصية عليهم، ومن ذلك قوله إنه هو الذي طلب تعيين جلال الدين الحمامصي في وظيفة المشرف على تحرير أخبار اليوم براتب 5000 جنيه سنويًّا وهو أعلى راتب، وإنه عين إحسان عبد القدوس كرئيس تحرير أخبار اليوم، ويوسف السباعي كرئيس تحرير آخر ساعة، ويشير إلى أنهم انقلبوا عليه

---

(1) هيكل: تحية له، الأهرام، 1960/1/10.

(2) هيكل: عَدُوّه هو التاريخ، الأهرام، 1962/8/3.

(3) هيكل: الخرطوم وما بعدها، الأهرام، 1967/9/8.

(4) هيكل: وقفة بقرب الجانب العسكري من النكسة (1)، الأهرام، 1967/10/6.

وهاجموه لاحقًا، وأن البعض لما ذَكَّرَهُ بهذا قال إن الظروف هي التي تغيرت وليس الناس[1]، وفي موضع آخر يُعَلِّقُ بأسف قائلًا: "ليس بينهم من لم أَقِفْ معه في أحلك الظروف ولم أفعل كل ما في وُسْعِي لمساعدته، ولولا أنني لا أريد أن أَمُنَّ على أحد، لذكرتهم لك واحدًا واحدًا وبالاسم ورويتُ ما قَدَّمْتُهُ لهم"[2].

وينقل على لسان زوجة توفيق الحكيم أنها قالت لزوجها "أنت أسأت إلى جمال عبد الناصر الذي وقف معك، وقَدَّمَ لك الكثير ورفعك فوق رءوس الناس جميعًا"[3].

فدائمًا ما يشير هيكل إلى الخدمات والتعيينات كما لو كانت رِشًى للسكوت، أو جمائل لا يَحِقُّ لصاحبها معها أن ينتقد وَلِيَّ نعمته أو الذي عَيَّنَهُ في هذا المكان، وينسى أن في هذا انخرام واضح للموضوعية، وأن الحق أحق أن يُتَّبَعَ، وأن التعيينات إن كانت بحقها فهي ليست رشوة أو مدعاة للسكوت، وإن كانت ليست بحقها، فيجب أن يُسْأَلَ عنها من عينهم، وكفى بها عقوبة له أن ينقلب عليه الذين جاملهم بالباطل.

2. 7. 4 التضارب والتناقض:

الأصل في الكتابة التاريخية الاتساق وتشابُه النتائج تبعًا لتشابُه المعطيات، ورغم أن الأستاذ هيكل في كتاباته حاول ألَّا يخرج عن هذا، لكن الملاحظ أن الانحيازات الاختيارية أو الانصياعات الجبرية جَرَّتْهُ لكثير من التناقضات في كتاباته التَّأْرِيخِيَّة، وهذا التضارب كان له تأثير واضح على موضوعية تلك الكتابات، ومن ذلك الأمثلة التالية:

كتب هيكل بعد الانفصال يقول إنه لم تكن هناك في الواقع بين الشعبين العربيين في مصر وسوريا من روابط فعلية وإيجابية لقيام الوحدة، إلا شيء واحد.. هو جمال عبد الناصر وشخصيته وشعبيته[4]، رغم أنه كثيرًا ما كتب عن

(1) هيكل: تجربة حياة – طريق أكتوبر (16)، الشروق، 2010/4/3.

(2) صلاح عيسى يحاور هيكل، الأهالي، 1983/4/27.

(3) يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر – عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص316.

(4) هيكل: هجوم الربيع الذي نجح في الخريف، الأهرام، 1961/10/6.

الروابط الجغرافية والتاريخية والدينية والثقافية وأهمها اللغة، وعن تيار شعبي وحدوي خرج من الشام الْتَقَى بتيار خرج من مصر.

ويعتذر بأن الضباط حين تسلموا البلاد عام 1952 لم يجدوا سوى "قبضة رماد" فالقرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين عَرَّضَهَا (مصر) لعملية نهب منظم ومروع أجنبي وطبقي.. وما كان باقيًا وَلَّى هاربًا بعد أن لاحت النذر"[1]، ولكنه واصل في مقال لاحق ليُقَرِّرَ العكس تمامًا "إن طبقة النصف في المائة التي كانت تحصل على 50% من الدخل القومي هي التي دفعت في الواقع تكاليف عملية التنمية"[2].

ويقول "إن حرية الاختيار لا تُمَارَسُ من خلف القضبان، كما أن ممارسة الحرية من داخل زنزانة سجن لا تنفع صاحبها، ولا تنفع المقصود بها، لأنها مُعَرَّضَةٌ للظنون والشبهات"[3]، لكنه يعتبر قرار الشيوعيين بحل حزبهم والانضواء تحت مظلة العهد الناصري قرارًا يُحْسَبُ للعهد رغم أنهم اتخذوه بعد بقائهم سنوات طويلة خلف القضبان[4].

ويفاخر بأنه مَنْ تَوَلَّى نَشْرَ كتابات نقدية في عهد عبد الناصر مثل (بنك القلق) و(ثرثرة على النيل) وغيرها[5]، وهي كتابات نقدية لكنها رمزية، فهي في الواقع حُجَّةٌ سلبية، إذ الكتابة بالرمز وليس بالتصريح دليل على الأجواء القمعية التي تُلْجِئُ الكاتب إلى النقد الرمزي[6]، وهو ما عَبَّرَ عنه هيكل نفسه ناقضًا بذلك تفاخره السابق "الكتابة بالرمز أو الغَمْزِ هي استهتار حتى بمفهوم الثقافة، لا

---

(1) هيكل: مناقشة مفتوحة (3)، الأهرام، 1966/1/14.

(2) هيكل: مناقشة مفتوحة (4)، الأهرام، 1966/1/21.

(3) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص39.

(4) هيكل: ماذا حدث بين الصيف الخطر الماضي والصيف المثير الحاضر؟، الأهرام، 1966/4/22.

(5) هيكل: بين الصحافة والسياسية، مصدر سابق، ص383.

(6) واللافت أن كليهما (توفيق الحكيم) و(نجيب محفوظ) أدانا تلك الأجواء القَمْعِيَّة للعهد الناصري بعد انتهائه، مما يوضح الأجواءَ التي تُكْتَبُ فيها الأعمال الرمزية.

يفعله في العالم سوى مثقفينا، وهذا باعتقادي من بقايا الطغيان المملوكي والتركي، إن دور المثقف في هذه الحالة لا يخرج عن (التنبيط) على الحاكم من بعيد، لا يقترب منه، وذلك بتأثير غياب الرأي العام"[1].

ويكتب بعد رحيل عبد الناصر مهاجمًا مَنْ ينتقدونه بعد موته "لا أستبيح لنفسي أن أدعي الشجاعة على غائب، ما أكثر الشجاعة هذه الأيام على الغائبين، الفئران كلها تُعَرْبِدُ في غياب القطط، ولم يكن جمال عبد الناصر قِطًّا وإنما كان أسدًا مَهِيبًا وشامخًا"[2]، ثم هو نفسه يكتب بعد رحيل السادات ردًّا على انتقاد بعض الشخصيات لكتابه خريف الغضب باعتباره "نبشًا للقبور"، فيرد قائلًا "من المصريين مَنْ يطالب بمصادرة حَقِّنَا في أن نناقش عهده، هل من المعقول أن يأتي كل حاكم ويفعل ما يشاء ثم يذهب فلا نناقشه في حياته، ولا نناقشه بعد مماته؟، أهذا معقول؟!"[3].

وقد يأتي التضارب من غَلَبَةِ الحقائق على كل محاولات الكاتب للتخفيف منها، ومن ذلك أن "هيكل" صاحب مصطلح (النكسة) الشهير، اضْطُرَّ في كثير من المرات إلى أن يُصَرِّحَ بأنها هزيمة، بل يستخدم تعبيرات مثل (هزيمة قاسية)[4].

ويكتب عدة مرات في بدايات عصر مبارك وحتى مرحلة متأخرة من عصره أنه يؤيده لأنه لا بديل عنه[5]، ثم يكتب في أيام عهده الأخيرة يقول "لا يوجد أحد

---

(1) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص39.

(2) هيكل: السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1980، ص315.

(3) صلاح عيسى في حوار مع هيكل، الأهالي، 1983/4/27.

(4) - هيكل: الحل السياسي.. والحرب المُسَلَّحَة، الأهرام، 1967/9/29.

- هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص56.

(5) "هيكل في حديث شامل لهيئة الإذاعة البريطانية"، الأحرار، 1995/12/25.

- الوفد، 1999/8/3.

بلا بديل وإلا انتهت الحياة، ولو لم يُوجَدْ بديلٌ للرئيس مبارك فهذا الشعب يستحق أن يموت"[1].

5 .7 .2 نقد التجربة:

قدم هيكل خلال مسيرته نماذجَ تستدعي الدراسة في نقد التجربة التي ينتمي إليها ويدافع عنها، وإن اختلف منهجه اختلافًا كبيرًا بين مرحلة وأخرى، فعلى حين كان نقد التجربة خافتًا جدًّا في العهد الملكي وفي فترة الخمسينيات وأوائل الستينيات حتى جاءت صدمة الانفصال - فبدأت تعيد النظام بأكمله من أجواء الثقة الشديدة إلى شيء من مراجعة الذات - فقد بدأت كتابات هيكل تستجيب لذلك ولكن دون التعرض لمشاكل النظام الحقيقية، فظلت مساحات واسعة من النظام تشكل "تابوهات" لا يقترب منها، مثل المؤسسة العسكرية والتقدم الحقيقي في الحياة السياسية، وبدلًا من ذلك قَدَّمَ بعض المراجعات لتجربة الوحدة[2]، واهتم بتوجيه بعض الانتقادات لإدارة القطاع العام وللبيروقراطية المصرية[3]، وأداء الاتحاد الاشتراكي[4]، ونصائح عامة عن تدعيم

---

(1) هيكل: مصر إلى أين؟ - ما بعد مبارك وزمانه، مصدر سابق، ص30.

(2) - هيكل: ما الذي جرى في سوريا (5)، الأهرام، 1961/11/3.
- هيكل: ما الذي جرى في سوريا (6)، الأهرام، 1961/11/10.
- هيكل: تيار التاريخ لم يتوقف، الأهرام، 1962/3/2.

(3) - هيكل: ما هو دور القطاع العام وما هي غايته، الأهرام، 1961/7/14.
- هيكل: ما معنى هذه الأحداث الكبرى كلها، الأهرام، 1962/9/28.
- هيكل: ومشكلة الإدارة، الأهرام، 1964/3/6.
- هيكل: مشاكل القطاع العام، الأهرام، 1964/3/20.
- هيكل: استكمال بناء الاتحاد الاشتراكي هو المهمة الكبرى الآن، الأهرام، 1964/4/10.
- هيكل: حديث يتجدد عن العمل الداخلي ومشاكله (8)، الأهرام، 1965/1/8.
- هيكل: مناقشة مفتوحة (6)، الأهرام، 1966/2/4.

(4) هيكل: مناقشة مفتوحة (7)، الأهرام، 1966/2/11.

الحريات[1]، وغير ذلك من أَوْجُهِ النقد الداخلية في إطار النظام، وهكذا ظلت مساحات نقد التجربة عند هيكل قبل النكسة محدودة جدًّا رغم اطلاعه على تردِّي الأوضاع في كثير من المناحي المدنية والعسكرية، لدرجة أنه قال لمُحَدِّثِه أحمد حمروش عام 1966 إننا نحتاج إلى (ثورة على الثورة)[2].

ثم جاء زلزال يونيو 1967 فأَجْبَرَ الجميع على إبداء الاهتمام بنقد التجربة - على الأقل لتهدئة الجماهير وإثبات السعي إلى التغيير أمامها - فبَدَتْ محاولات حقيقية لنقد جوانب أخرى من التجربة كانت تُعَدُّ من "التابوهات"، فوَجَّهَ النقد لأداء المؤسسة العسكرية في الحرب[3]، وللإدارة الإعلامية للأزمة؛ مصرِّحًا بنقد أداء الإذاعة دون التطرق للصحف[4]، وزادت وتيرة وصراحة نقده للاتحاد الاشتراكي[5]، ومطالباته بالمجتمع المفتوح الذي يضمن مزيدًا من الحريات[6]، وكانت ذروة نقد التجربة في كتاباته بعد النكسة حين فتح ملفات تجاوزات

---

(1) - هيكل: حديث عن الأخطاء.. وعن الحرية، الأهرام، 1962/6/8.

- هيكل: نجاح الميثاق يرتبط بشيء واحد.. ممارسة الحرية، الأهرام، 1962/6/29.

(2) أحمد حمروش: زيارة جديدة لهيكل، مرجع سابق، ص86.

(3) - هيكل: وقفة بقُرْبِ الجانب العسكري من النكسة (1)، الأهرام، 1967/10/6.

- هيكل: وقفة بقُرْبِ الجانب العسكري من النكسة (2)، الأهرام، 1967/10/13.

- هيكل: وقفة بقُرْبِ الجانب العسكري من النكسة (3)، الأهرام، 1967/10/20.

- هيكل: الحياة داخل كابوس، الأهرام، 1968/6/21.

- هيكل: المارشال الذي انْتَصَرَ، الأهرام، 1973/4/13.

- Nasser, Munir K.: op. cit., p. 10.

(4) هيكل: علامات، الأهرام، 1967/6/30.

(5) - هيكل: علامات في الموقف الداخلي، الأهرام، 1967/7/28.

- هيكل: الجبهة الداخلية هي هدف الهجوم الأصلي للعدو، الأهرام، 1967/8/11.

- هيكل: الحديث عن الاتحاد الاشتراكي الآن، الأهرام، 1968/11/1.

- هيكل: قضايا للتفكير وللمناقشة حول عمل الاتحاد الاشتراكي، الأهرام، 1968/11/15.

- Nasser, Munir K.: op. cit., p. 10.

(6) هيكل: عن التغيير، الأهرام، 1968/3/15.

- هيكل: المجتمع المفتوح، الأهرام، 1968/10/18.

الأجهزة الأمنية والمخابراتية[1]، وطالب بوضع نهاية لعمليات الفصل من الوظائف، والقبض على المواطنين، والحراسة[2]، وتحدث عن ظاهرة (الإرهاب الفكري) التي يتعرض لها صاحب الرأي المخالف[3]، وجَرَّهُ ذلك للكثير من الجدل والهجمات المضادة - كما أسلفت في الفصل الأول - وقد عرض هذه المقالات على عبد الناصر قبل نشرها لحساسيتها، وهكذا كان نقد التجربة يَتِمُّ تحت حماية ورعاية صاحبها وبشرط عدم التعرض لمقامه ذاته، فقد ظهر التغيير كمطلب شعبي مُلِحٌّ في مقالته بالأهرام يوم 28 يوليه 1967 وغيره، ولكنه أبعد ذهن القارئ تمامًا عن احتمال امتداد هذا المطلب إلى شخص الرئيس نفسه عندما قال إن موقف الجماهير في يومي 9 و10 يونيه، كان "كمن يقول لجمال عبد الناصر: ابق .. ونحن واثقون أنك قادر على التغيير.. لصالح النصر النهائي" ووصل هيكل في تحليله إلى "أن موقف الجماهير خلال تلك الساعات الحاسمة كان تفويضًا للتغيير.."، أي أن الشعب تنازل للحاكم عن حقه في التفكير والتدبير والتقرير[4]، وعندما حدث أن ذَكَرَ هيكل - عَرَضًا وتَعْرِيضًا - في إحدى المقالات أن النظام إن لم يُغَيِّر فعليه أن يَتَغَيَّرَ فإن عبد الناصر قد عاتَبَهُ[5].

ويلاحَظ أن نقده للاعتقالات كان بعد أن ضربت الاعتقالات معقله في الأهرام

---

(1) - هيكل: الجبهة الداخلية، الأهرام، 1967/11/17.

- هيكل: بقية للحديث عن الجبهة الداخلية، الأهرام، 1967/12/1.

- هيكل: حديث عن تجربة، الأهرام، 1972/1/14.

(2) هيكل: علامات في الموقف الداخلي، الأهرام، 1967/7/28.

(3) هيكل: الجبهة الداخلية هي هدف الهجوم الأصلي للعدو، الأهرام، 1967/8/11.

(4) د. رمزي ميخائيل: تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يوليو إلى نصر أكتوبر، مرجع سابق، ص40.

(5) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص181.

عندما اعْتُقِلَ جمال العطيفي[1]، بينما صمت لسنوات عنها عندما كانت بعيدة عنه، فهو أقرب إلى الدفاع عن النفس والنفوذ منه إلى الدفاع عن الحريات التي أُهْدِرَتْ طويلًا قبل أن يبدأ نقده المذكور، وكانت له حدود في النقد لا يتعداها، ففي الواقعة التي اشتهرت باسم (مذبحة القضاء) قال هيكل إنه لم يكن موافقًا، لكنه يتساءل في قِلَّةِ حيلة: ماذا كنت أملك غير الرأي والمشورة[2]، لكن الرأي والمشورة متعلقة بهيكل السياسي المقرب من عبد الناصر، بينما هيكل الصحفي كان يملك قلمه لو أن نقد التجربة كان متاحًا حقًّا بحدود موسعة.

ومن اللافت للنظر أن كتابات هيكل في نقد التجربة شَكَّلَتْ محاور الهجوم الشامل على التجربة لاحقًا، وحاول هيكل التصدي للهجوم الذي تجاوز الحدود التي رسمها لنقد التجربة بحيث لا تطال شخص عبد الناصر، لكنه لم يُدْرِكْ أنه عَبَّدَ طريقًا سيسير فيه غيره ويتجاوزونه، فإذا كان رفيق عبد الناصر والمكفول بحمايته يقول إن الصحافة - التي تصل بطبيعتها إلى الخفايا - جرت عليها عوامل الإخفاء في ذلك العصر كما جرى على غيرها، وأنه حتى ما علمته لم تَسْتَطِع البَوْحَ به، فإذا كان هذا هو نقد هيكل للتجربة وهو من أنصارها، فكيف تَصَوَّرَ أَلَّا يمدَّ خصومُ التجربة خَطَّ النقد على استقامته ويتجاوزوا ما ذكره هيكل إلى الهجوم الشامل على التجربة بأكملها.

ولما أدرك هيكل هذا قَلَّ نقده للتجربة بعد رحيل عبد الناصر عن نقده إياها في السنوات الثلاث الأخيرة من عهده بعد النكسة وحتى الرحيل، وزاد هذا المسلك الجديد خاصة منذ خروجه من الأهرام، الذي ترافق مع ازدياد الحملة على عبد الناصر، وقد لاحظ هذا د. لويس عوض، فقال تعليقًا على كتاب (بصراحة عن عبد الناصر) الذي كان حوارًا مع هيكل بعد رحيل عبد الناصر

(1) كما ذُكر في الفصل الأول.

(2) أحمد حمروش: زيارة جديدة لهيكل، مرجع سابق، ص88.

"المعروف الخاص والعام أن الأستاذ (هيكل) هو مفكر الناصرية الأول في مصر والعالم العربي، وقد كنت أنتظر أن أجد في الكتاب بعض المراجعة للناصرية، دعوة ومواقف.. ومع ذلك فأنا لم أقرأ في كتاب (بصراحة عن عبد الناصر) كلمة واحدة للأستاذ هيكل تقول: لقد أخطأ عبد الناصر في كذا وكذا بدليلٍ عبر الماضي والحاضر، باستثناء موقفه من حرب اليمن وموقفه من إغلاق خليج العقبة، وإنما كل ما قرأته في كتاب (بصراحة عن عبد الناصر) تفسيرات وتبريرات للناصرية، دعوة ومواقف، وكأن شيئًا لم يكن، أو كأن ما حدث في 1967 كان مجرد جريمة من جرائم الاستعمار العالمي بلا زيادة ولا نقصان، فنحن فيه مجرد ذبيحة بريئة من ذبائح الدول العظمى لا مسؤولية علينا في شيء مما حدث ومما يحدث الآن"[1].

وكتب هيكل في (الطريق إلى رمضان) "الآن أصبح لنظام حكم عبد الناصر وجهان: وجه الإنجازات العظيمة ووجه الإكراه، ولست أعتقد شخصيًّا أن هذه الإنجازات (ومنها تحقيق الاستقلال، وتأمين قناة السويس، والدور الذي قامت به مصر في عالم عدم الانحياز، وضد النفوذ الإمبريالي في الشرق الأوسط كحلف بغداد، والإصلاحات التي تحققت لظروف العمال، ومجانية التعليم، والإصلاح الزراعي، وعملية التحول الاشتراكي الذي شمل بناء دولة الرفاهية على رغم الهجمات المستمرة من جانب قوى الاستعمار وإسرائيل) كان يمكن أن تتحقق بدون قَدْرٍ معين من الإكراه، لكن الإنجازات الإيجابية توقفت بعد هزيمة عام 1967؛ لأن موارد البلاد كلها وُجِّهَتْ للمعركة المُقْبِلَةِ بينما بدأت أعمال الإكراه تظهر أكثر وضوحًا، وعندما توفي الرئيس عبد الناصر أخذ دعاة الإكراه ومنفذوه على عاتقهم أن يجعلوا منه إيديولوجية للنظام الجديد، وكانوا يشغلون كل المناصب الرئيسية في الدولة

---

(1) لويس عوض: أقنعة الناصرية السبعة – مناقشة توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987، ص ص 172، 174.

تقريبًا"[1]، وذَكَرَ أن التنظيم الطليعي لم يكن إلا صرحًا من القش[2]، ثم كتب (لمصر لا لعبد الناصر) وفيه يُهَمِّشُ الكثير من النقد الذي يُوَجَّهُ للتجربة، والذي كان هو سباقًا به، كما حَكَمَت الصلات الجديدة التي نشأت بعد خروجه من الأهرام بعض آرائه، فمع تهميشه للكثير من أَوْجُهِ النقد التي وجهت للعهد الناصري، فإنه يعترف أن من الأخطاء كان المبالغة في الهجمات على مواقف الآخرين في العالم العربي، فهو اعتراف متأخر بتبعات ما سمي بالحرب العربية الباردة، والهجمات المبالغ فيها في الصحافة والإذاعات المصرية ضد الأنظمة العربية الأخرى، مما ساهم في شرخ الصف العربي في أغلب فترات الخمسينيات والستينيات[3].

وقد يأتي التبرير مرافقًا لنقد التجربة، فيسوق هيكل الخطأ ويأتي بالاعتذار مرافقًا له في السياق ذاته، فكأنه أفرغ النقد من محتواه الحقيقي، ومن ذلك قوله إن "الديمقراطية كانت من أخطاء عبد الناصر؛ لأنه جاء بعد تجربة حزبية فاشلة، وعبر وضع طبقي معين يفرض الحرية الاجتماعية أولًا، ولكن السؤال: هل يتم ذلك من فوق أو بالحوار بين قوى الشعب، وكانت مرحلة التطور للشعب المصري والأمة العربية، والضغوط على عبد الناصر والحرب التي تعرض كلها.. في ظل هذه الظروف هل كان يستطيع أن يتصرف بصورة أخرى في معركته من أجل التحول الاجتماعي والاقتصادي، ومن أجل حرية العالم العربي من الاستعمار؟"[4]، فبدأ بنقدٍ للتجربة يتمثل في أن القصور في الديموقراطية من أخطاء التجربة الناصرية، ثم انتهى إلى أنه ما كان يستطيع أن يتصرف بصورة أخرى، وبالتالي فقد قام بما في وسعه، فأين الخطأ، وأن ما قام به كان بالحوار مع الشعب، فقد أحال الخطأ - أو ما تبقى منه - على الشعب، ثم أضاف أن

---

(1) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص125.

(2) المصدر السابق، ص123.

(3) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص49.

(4) رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، مرجع سابق، ص363.

الأولوية حكمته في التوجه للحرية الاجتماعية، ثم أضاف الظروف الإقليمية والدولية، وكهذا تم تفريغ النقد من كل محتوًى حقيقي.

وقد يأتي هيكل بنقد أَخَفّ ليداري به على وجه القصور الحقيقي، مثل نقده لعبد الناصر في حرب 1956 أنه لم يتصور أن يتواطأ إيدن مع إسرائيل، وكان يجب أن يضع هذا في احتمالاته[1]، بينما النقد الحقيقي الذي يجب أن يوجه هنا ليس أنه لم (يتصور) بل أنه (عرف بالفعل) بهذا التواطؤ ووصله من أكثر من مصدر ومع ذلك استبعده ولم يَتَّخِذ التدابير اللازمة، ففي هذه الحالة استخدم نقد التجربة في الواقع في التغطية على نقد أكبر وأخطر[2].

ومن تلك الأمثلة أيضًا "وربما لو جاز لي أن أتحدث عن جوانب يمكن للتاريخ أن يناقشها عن دور جمال عبد الناصر، لَلَمَسْتُ نقطتين سبق لي أن لمستهما في حياة عبد الناصر نفسه؛ وهما: أولًا: حدود استعمال السُّلْطَة في الداخل، وثانيًا: حدود استعمال القوة في الخارج، وفي ظني أن هاتين النقطتين سوف تكون منهما مناقشات طويلة، وإن كنت واثقًا أن التاريخ سوف يجد لممارسة جمال عبد الناصر فيهما وجهات نظر متنوعة لصالحه: عن حدود استعمال السُّلْطَة في الداخل؛ فلقد نسأل أنفسنا: هل كان يمكن للتحول الكبير في مواقع الثورة خصوصًا بين سنة 1955- 1965 أن يحدث في مصر بغير سُلْطَةٍ قوية، خصوصًا إذا كنا نريد أن نحمى التغير الاجتماعي من أن يتحول إلى حرب أهلية؟ وعن حدود استعمال القوة العسكرية في الخارج؛ فلقد نسأل أنفسنا: إلى أي مدًى كان هذا الاحتكام للقوة العسكرية - في ظل متغيرات العصر -

---

(1) - هيكل: قصة السويس.. آخر المعارك في عصر العمالقة، مصدر سابق، ص ص 233-234.

- هيكل: عبد الناصر والعالم، دار النهار للنشر، بيروت، 1972، ص158.

- كمال محمد علي: هيكل - المملكة والظل والتاريخ، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1988، ص59.

(2) كما سيُوَضَّحُ في الفصل القادم.

اختياريًا وإلى أي مدًى كان جبريًا، ومع ذلك فتلك قضايا سوف تملأ المناقشة فيها مجلدات من كتب التاريخ"[1]، فغَمَرَ نقده الخافت في بحر من التماس الأعذار.

وتردُد هيكل بين رغبته في المضي قدمًا في نقد التجربة الناصرية من باب سد ثغرة موضوعية في كتاباته، وبين خشيته وضيقه من استخدامها أيديولوجيًا ضد الفكرة الناصرية - بل ضده شخصيًا - هو الذي يقوده أحيانًا نحو التخبط في مسيرته النقدية تلك، فما يثبته في موضع ينفيه في آخر، وما ينتقده في موضع يدافع عنه في آخر، والأمثلة في ذلك كثيرة، ومنها حديثه عن الضربة الجوية الإسرائيلية في عام 1967، فقد ذكر عقب 1967 من خلال صياغته لبيان التنحي أن الضربة جاءت أساسًا من الغرب من قواعد غربية في ليبيا وغيرها، وكتب في مقالته الأولى أن الضربة الأولى الإسرائيلية كانت مفاجئة؛ لأنها كانت تتكون من خمسمائة طائرة نصفها أعطي قبل الحرب مباشرة[2]، ثم تراجع عن ذلك كله وأثبت أنها جاءت من المكان المتوقع وهو الفجوة بين بورسعيد والبرلس وأنها لم تكن فيها مفاجأة[3]، وكان في هذا ناقدًا للأخطاء العسكرية المصرية، ثم عاد مرة أخرى إلى حكاية الضربة من الغرب[4]، كذلك صور مجمل حرب 1967 في كتاب (الانفجار) على أنها مؤامرة أمريكية إسرائيلية مسبقة، ثم عاد في مجلة وجهات نظر ليستند للوثائق ليثبت أن إسرائيل لم تَحْسِمْ أمرها نحو الحرب إلا بعد إغلاق خليج العقبة، وكانت قبلها تبحث في عملية تأديبية محدودة ضد مصر تستهدف العريش لكَسْرِ الهيبة، وأن الولايات المتحدة لم تُعْطِ إسرائيل الضوء الأخضر إلا

---

(1) هيكل: عبد الناصر.. الرجل والرمز، الأهرام، 1972/9/28.

(2) هيكل: أقصى درجات العنف، الأهرام، 1967/6/16.

(3) هيكل: وقفة بقُرْبِ الجانب العسكري من النكسة (1)، الأهرام، 1967/10/6.

(4) - هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2008/7/24.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2009/4/2.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2009/6/4.

قبل الحرب بيومين[1]، ثم عاد مرة أخرى عبر حلقاته التلفزيونية إلى طرح أقرب لكتاب الانفجار السابق، وهكذا تردده في كثير من أَوْجُهِ نقد التجربة الناصرية التي أتى بها في مواضع متفرقة من كتاباته، فكان موقفه منها في حياة عبد الناصر أصرح من بعد رحيله، ثم أقل صراحة مع بدء الحملة على الناصرية.

وكذلك مارس هيكل نقد التجربة في العصر الساداتي، خاصة في المرحلة الأخيرة قبل خروجه من الأهرام، وبطريقة أكثر صراحة وبصورة لافتة للنظر، وإن كان نقد التجربة بعد النكسة أمرًا لا مَفَرَّ منه ومطلوبًا حتى من السُّلْطَة الحاكمة امتصاصًا للغضب والإحباط وسعيًا لاستكشاف طريق للإصلاح، فإن نقد تجربة حرب أكتوبر ودخانها لم يَتَلَاشَ بعد كان لا شَكَّ مثيرًا لحفيظة السادات، ففي الوقت الذي كان السادات يضع فيه إكليل الغار على كتفي الفريق أول أحمد إسماعيل إيذانًا بترقيته لرتبة المشير - بعد أن كَرَّمَهُ قَبْلَهَا بطريقة أسطورية في مجلس الشعب - إذا بهيكل يُجْرِي معه تحقيقًا صحفيًّا كانت أسئلة هيكل فيه تقدِّم اتهاماتٍ وتوضِّح رأيًا أكثر مما تقدم تساؤلات استفهامية، ومن ذلك "أريد أن أسألك - وقد تأذن لي أن أكون صريحًا - عن السبب الذي من أجله لم يَجْرِ تطوير هجومنا الشامل بالسرعة الواجبة في رأى بعض الخبراء.. إن هذا البعض من الخبراء يرون أن النجاح الهائل لعملية العبور لم يَجْرِ استغلاله بسرعة وهناك تساؤلات كثيرة في هذا الصدد: هل كان تخطيطنا المسبق لافتتاحية العبور العظيمة وحدها؟ هل لم نستطع أن نرى الفرصة المتاحة لنا؟ هل كنا أكثر بطئًا مما يجب؟"[2].

وهكذا نلاحظ أن نقد التجربة تفاوت باختلاف المراحل، وتداخلت فيه العوامل السياسية تداخلًا بَيِّنًا أَثَّر على موضوعيته تأثيرًا سلبيًّا، ولكن رغم هذا، ورغم أنه تَمَّ في كنف السُّلْطَة ورعايتها - وعندما خرج على هذا الكنف رفعت

(1) هيكل: كلام في السياسة - عام من الأزمات، مصدر سابق، ص ص 405-474.

(2) هيكل: حديث السلاح، الأهرام، 1973/11/18.

عنه يد الرعاية وخرج من موقعه - فإن (نقد التجربة) عند هيكل منذ هزيمة 1967 وحتى خروجه من الأهرام ما زال يُعَدُّ الأكثر تميزًا لصحفي قريب من السُّلْطَة في تاريخ الصحافة المصرية الحديثة.

2. 7. 6 الدفاع السَّلْبِيّ وشَخْصَنَة النقد:

رغم ما استعرضناه من قيام هيكل نفسه بنقد التجربة - على ما تَمَّ بيانه من محددات هذا النقد- فإنه أراد أن يَحْكُمَ هذا النقد في مقداره واتجاهه، ويُلْزِمَ الآخرين بما أَلْزَمَ به نفسه، فلا يزيد في مقداره فيدين كامل التجربة أو يخرج التقييم النهائي لها سلبيًّا، ولا يخرج عن اتجاهه الذي رسمه له فيطال عبد الناصر ذاته بدلًا من قصره على بعض المسؤولين في عهده، فلما خرج النقد عن هذا عمل هيكل على التشكيك في موضوعيته والعمل على شَخْصَنَتِهِ من وجهين، التشكيك في الناقد، أو اعتبار النقد جزءًا من الحرب على الأمة[1].

---

(1) - هيكل: كلمات لها مناسبات، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010، ص ص 22، 253.
- هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص11.

8.2 تأثُّر الباحثين والقراء بنَقَائِص الموضوعية في كتابات هيكل:

تتسبب أوجه القصور السالفة في الجوانب الموضوعية للكتابات التَّأْرِيخِيَّة للأستاذ هيكل في التأثير ليس فقط على عوام القراء ولا متخصصيهم، بل وصولًا إلى المتخصصين في علم التَّأْرِيخ، والأمثلة كثيرة أختار منها مثالًا ذا دلالة؛ ففي كتابها القَيِّمِ عن أزمة السويس تستشهد د. لطيفة سالم بالمصادر والمراجع التاريخية التي تؤكد في مواضع كثيرة أن الولايات المتحدة رغم استيائها من قرار التأميم فإنها كانت تُدْرِكُ ضَعْفَ تأثيراته عليها اقتصاديًّا لِقِلَّةِ اعتمادها في المجمل على قناة السويس، كما أنها كانت ترفض استخدام القوة لحل تلك الأزمة؛ نظرًا لشعبية عبد الناصر الجارفة وغليان المنطقة وأسباب أخرى كثيرة مرتبطة بمصالحها.

ونَقَلَتْ ما يؤكد رفضَ أمريكا استخدامَ القوة في هذه الأزمة وما قبلها[1]، ومن ذلك "وعاد الرئيس الأمريكي وأعلن أثناء وجود لجنة منزيس في القاهرة أن بلاده تحبذ إجراء محادثات سلمية وتُعَارِضُ اللجوءَ لأسلوب القوة.. وصرح دالاس في مؤتمر صحفي عقده في 13 سبتمبر أن الولايات المتحدة لا تنوي شق طريقها بالقوة إلى قناة السويس، ومن ثَمَّ فإنها سوف تُرْسِلُ سفنَها عَبْرَ طريق رأس الرجاء الصالح، وأبدى الاستعداد لتقديم المساعدة لحلفائه لتغطية نفقات الطريق الطويل.. وعلى أثر ذلك ارتفع مؤشر سوء العلاقات بين إيدن ودالاس، واعتبر رئيس الوزراء البريطاني ما صرح به دالاس هو دعوة لعبد الناصر ليرفض مشروع (هيئة المنتفعين)، وفي الوقت نفسه سَلَّمَ السفير الأمريكي في لندن، رسالة إلى لويد تحث على العمل لمنع النزاع الناشب من أن يتطور إلى نزاع

(1) د. لطيفة سالم: أزمة السويس (1954-1957)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص ص122، 154، 155.

مسلح، لذا بدا واضحًا أن مسألة هيئة المنتفعين هي حركة لتهدئة الموقف"[1].

ورغم تلك الاستشهادات الواضحة فإنها تنقل عن كتاب هيكل ما يلي "كانت الولايات المتحدة قد بحثت الوضع جيدًا، ووجدت أن ما أَقْدَمَ عليه عبد الناصر لا يمكن قبوله؛ لأنه لو تُرِكَ فسوف يؤثِّر على المنطقة، وبالتالي لا بُدَّ من خطوات لإسقاط النظام يكون آخرها استخدام القوة التي من الممكن أن تشارك فيها بريطانيا وفرنسا، على أن يكون الزمام في يد واشنطن، وذلك حتى لا تنفرد الدولتان بمثل هذا العمل"[2].

ولم يكن فيما أوردَتْهُ الباحثة في كتابها من صفحات قبلها أو بعدها ما يؤيد هذا النقل الذي نقلته عن هيكل من أن أمريكا تؤيد استخدام القوة ضد مصر، وهذا الذي شوش عليها استنتاجاتها وجعلها ترى أن الولايات المتحدة غَيَّرَتْ موقفها عند نقطة ما، وتقول "والسؤال الذي يفرض نفسه، ما هو سبب الانعطاف الأمريكي عن المسار السابق"[3]، بينما لو تَأَمَّلَت الباحثة جميع نُقُولاتِهَا عدا ما نقلته عن هيكل لوجدتْ أن الولايات المتحدة لم تُغَيِّرْ موقفها منذ البداية، وبالتالي لم يكن لها مسار سابق ولاحق، بل كانت - لأسبابها الخاصة المذكورة - ضد استخدام القوة منذ البداية وحتى النهاية، وكان هذا هو موقف إيزنهاور ولم يَتَغَيَّرْ.

وإذا كان هذا التَّشَوُّش قد حدث مع الباحثة على جلالة قدرها في التَّأْرِيخ وعلى كثرة ما أَوْرَدَتْهُ من نقولات في الكتاب ذاته تخالف ما نقلته عن هيكل - ومع ذلك نَقَلَتْهُ وتَأَثَّرتْ به - فكيف بمن هم دُونها، وإلى أي مدًى يمكن لكتابات هيكل أن تُؤَثِّرَ فيهم، ومن هنا يأتي أهمية هذا البحث.

(1) المرجع السابق، ص ص 186، 194-195.

(2) المرجع السابق، ص160.

(3) المرجع السابق، ص187.

الفصل الثالث

المِصْدَاقِيَّةُ في كتابات هيكل

المِصْدَاقِيَّةُ هي رُوحُ الكتابة التاريخية، فكما أن الفارق بين الحي والميت هو الروح، كذلك الفارق بين النص التاريخي الذي يَحْظَى بالمصداقية وذاك المُفْتَقِدُ لها أو الذي تَتَنَاوَشُهُ الشُّكُوكُ، وإذا كانت الموضوعية مثارًا لبعض الجدل، فإن الجدل بخصوص المصداقية أقل، إذ إن إثباتَها أسهل والنسبية فيها أقل بكثير.

والمصداقية إحدى خصائص الموضوعية، وهي أهم خصائصها وأكثرها حسمًا، فكل نَصٍّ مفتقد للمصداقية مُفْتَقِدٌ للموضوعية وليس بالضرورة العكس، وجاء تخصيص فَصْلٍ للمصداقية بعد فصل الموضوعية من باب ذِكْرِ الخاص بَعْدَ العام لبَيَانِ أهميته الخاصة وتأكيدًا لدَوْرِهِ، وهذا مُتَعَارَفٌ عليه في الإدراك العلمي شكلًا وموضوعًا، ومنه قول الحق تعالى "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ"، وقوله تعالى "مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ".

وعندما أعرض كتابات الأستاذ هيكل من حيث مصداقيتها فإنني اخْتَرْتُ مناقشة ما يأتي من الأمثلة من عددٍ يماثل أضعافها، واسْتَبْعَدْتُ كل ما يمكن نسبته إلى الرأي وليس الخبر، فتغيرات الرؤى - حتى ولو كانت تغيرات كاملة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار - لم أَعْتَبِرْهَا من قَوَادِحِ المِصْدَاقِيَّةِ، وإن كانت تُعْتَبَرُ من قَوَادِحِ الموضوعية إذا كانت غير مُبَرَّرَةٍ وتَقَعُ في سِيَاقِ الكَيْلِ بِمِكْيَالَيْنِ.

كذلك لم أُورِدْ في هذا الفصل إلا الحالات التي يرويها هيكل كشاهد مباشر أو له اطلاع مباشر عليها، أما المرويات الكثيرة التي ثبت عدم صحتها في كتب هيكل ومقالاته لكنه يُورِدُهَا كناقل وليس كشاهد - حتى لو لم يَذْكُرْ مَصْدَرَهُ - لم أَعْتَبِرْهَا من خَوَارِمِ المصداقية، وإنما عَزَوْتُهَا إلى افتقاد الدِقَّةِ وعَدَمِ التَّحَرِّي في النقل، وبالتالي يمكن اعتبارُ بعضها من قَوَادِحِ الموضوعية لا المصداقية، وجعلتُ مَكَانَهَا في الفصل السابق - كما سلف - كذلك لم أعتمد على شهادات خصوم

هيكل ولم أنقل وقائع عنهم[1]؛ فشهادات الخصوم في بعضهم البعض مَطْرُوحَةٌ، وهي كالعَدَمِ ما لم تَدْعَمْهَا شهاداتٌ أخرى مُوَثَّقَةٌ.

أما خَوَارِمُ المصداقية فحَدَّدْتُهَا بالمَرْوِيَّاتِ التي يَرْوِيهَا هيكل كشاهد مباشر، أو التي لا يُتَصَوَّرُ عدمُ اطِّلاعِهِ عليها اطِّلاعًا مباشرًا يجعله في مقام الشاهد وليس الناقل، وجَعَلْتُ معيارَ نَفْيِ المصداقية ينحصر في المرويات التي ثبت خَبَرِيًّا أنها غير صحيحة، أو التي تَنْتَفِي عقليًّا إمكانيةُ حدوثها، أو عندما تتضارب الروايات المتعددة لهيكل نفسه تضاربًا لا يمكن به الجمع بين الروايات بتأويلٍ سَائِغٍ، أو عندما تأتي مرويات للحدث نفسه من أطراف محايدة تنفي ما أورده هيكل وتُصَرِّحُ بعَدَمِ حدوثه، وأما ما لم تَنْطَبِقْ عليه هذه المحددات فلم أُورِدْهُ، وبالتالي تَرَكْتُ أضعافَ ما أَوْرَدْتُ من الأمثلة، واكْتَفَيْتُ بما أَوْرَدْتُ، وفيه الكفاية.

وكان إيراد هذا العدد من الأمثلة و"إطالة النَّفَسِ" في التَّقَصِّي ليس فقط من أجل مناقشة صِفَةِ المصداقية في تلك الكتابات والحكم عليها إثباتًا أو نَفْيًا، وهو ما كان يكفيه عددٌ أقل بكثيرٍ من الأمثلة، وإنما كان أيضًا مطلوبًا لذاته من باب رَصْدِ وتَقَصِّي أكبرِ قَدْرٍ ممكنٍ من تلك الأمثلةِ المُتَعَلِّق مُعْظَمُهَا بالتاريخ المصري الذي هو موضوع الدراسة.

---

(1) مثل الأستاذ مصطفى أمين، والأستاذ موسى صبري، وغيرهما.

1.3 نقد مرويات هيكل:

1- بداية هيكل في الإجيبشيان جازيت:

ذَكَرَ الأستاذ هيكل أنه عمل في جريدة الإجيبشيان جازيت لثلاث سنوات، بدأت في 8 فبراير 1942[1]، واستمرت حتى أوائل عام 1945[2].

بينما يذكر هيكل في رواياته القديمة خِلَافَ ذلك؛ ففي آخر ساعة عام 1945 يقول "كنت أمضي فترة التمرين في الإجيبشيان جازيت"[3]، "كنت أمضي فترة التمرين في إحدى الصحف الأجنبية الكبرى"[4]، وبناءً على ذلك كانت فترة هيكل في الإجيبشيان جازيت هي فترة تمرين ليس أكثر وليست عملًا دائمًا، ونرجح هذه الروايات لهيكل؛ لأنها أسبق روايات عن فترته في الإجيبشيان جازيت؛ إذ كانت في عام 1945 وهو ما زال في أولى خطواته وبعيدًا عن الادِّعَاءِ.

ويُعَضِّدُ أنها كانت مجرد فترة تمرين روايةُ شاهد عيان أوردها الأستاذ منير ناصر في دراسته عن هيكل، وهذا الشاهد عمل كاتبًا على الآلة الكاتبة وعَاصَرَ "هيكل" في الأربعينيات وظل في الإجيبشيان جازيت حتى السبعينيات، وذَكَرَ أن هيكل مَكَثَ في الإجيبشيان جازيت أقل من عام[5].

---

(1) -عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، مرجع سابق، ص107.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/8/4.

(2) هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص37.

(3) "مواقف حرجة في حياة مُحَرِّرِي آخر ساعة القُرَّاءِ"، آخر ساعة، العدد 546، 1945/3/25.

(4) هيكل: الخبر الأول، آخر ساعة، العدد 551، 1945/4/29.

(5) Stewart, Desmond: op. cit., p. 88.

وقد أكد عدد من الشهود المعاصرين أن "هيكل" بدأ عمله في روز اليوسف عام 1943[1] - كما سَيَرِدُ لاحقًا - ويُعَضِّدُ هذا أيضًا أن مقالاته في روز اليوسف بدأت في الظهور منذ عام 1943.

2- تغطية معركة العلمين:

ذكر هيكل أن الإجيبشيان جازيت أَوْفَدَتْهُ لتغطيه معركة العلمين بعد عام من عمله فيها كمُسَاعِدَ مُخْبِرٍ صحفي في قسم الحوادث، "ثم جاءنا هارولد إيرل باقتراح مثير أن يُغَطِّيَ أَحَدُنَا الحربَ العالمية بعيون مصرية، وبعد قرابة شهر وَجَدْتُنِي في العلمين"[2].

وقال هيكل في عدة مواضع إنه دخل الإجيبشيان جازيت في 8 فبراير 1942[3]، وبإضافة سنة في قسم الحوادث بالإضافة إلى شهر التأهيل الذي ذَكَرَهُ لوَجَدْنَا أننا نتحدث عن فبراير أو مارس 1943، وكانت معركة العلمين قد انْتَهَتْ قبلها بشهور، ولا يجوز أن يُرَدَّ على هذا بأن هيكل نَسِيَ كم أمضى في قسم الحوادث مثلًا؛ لأنه ذَكَرَ في مَطْلَعِ هذا الكتاب أنه يكتب كل شيء في وقته حتى لا تَخُونَهُ الذاكرة، وأنه سَجَّلَ كل شيء بتاريخه، كما أن الإنسان لا ينسى خطواته الأولى.

ولا تُوجَدُ أيُّ رواية قديمة لهيكل قبل وفاة عبد الناصر يَذْكُرُ فيها أنه قام بتغطية معركة العلمين، ففي كل رواياته القديمة يتحدث عن تغطيته لحرب 1948 وحرب كوريا وحروب البلقان ولم يَذْكُرْ أبدًا الحربَ العالمية ولا

---

(1) - حافظ محمود: نجوم الصحافة، الجمهورية، 1968/12/30.

- عبد الله أحمد: مجلة أكتوبر، 1995/4/14.

(2) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص27.

(3) -عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، مرجع سابق، ص107.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/8/4.

العلمين[1]، وهو ما يقطع بعدم تغطيته لتلك المعركة، ويُسْتَبْعَدُ جدًّا أن تُرْسِلَ الإجيبشيان جازيت فَتًى لم يُكْمِل التاسعة عشرة من عمره ومَحْدُودَ الخبرة الحياتية ليكون مُرَاسِلَهَا الحربي في معركة من أهم معارك الحرب العالمية وسط آلاف الجنود جميعهم أكبر منه سنًّا.

وعندما رافق مونتجومري عام 1967 في احتفاليةِ باليوبيل الفضي للمعركة ذَكَرَ المُغْرِيَاتِ التي دَفَعَتْهُ للبقاء يومين في العلمين، وذكر منها صداقته لصحفي، وأن الحرب كانت تَسْتَهْوِي (جيله).. إلى غير ذلك، ولم يورد أي إشارة إلى أنه شَارَكَ فيها أو غَطَّى وقائعَها بنفسه، فهذا ليس حديثَ رجلٍ غطَّى المعركة في ميدان القتال[2].

وعلى هذا تجاهل معظمُ معاصريه الكبارِ روايتَه المتأخرة عن تغطية الحرب العالمية الثانية، واكتفوا برواياته الموثقة عن تغطياته لحرب فلسطين وغيرها، مثلما أشار الأخضر الإبراهيمي في مقالته في رثاء هيكل[3].

3- تغطية الحرب في أوروبا:

أضاف هيكل في مراحل متأخرة إلى رواية تغطية معارك الحرب العالمية في العلمين أن الجريدة أَوْفَدَتْهُ لتغطية المعارك في أوروبا، وأنه شَهِدَ تَحَرُّرَ باريس وتَحَرُّرَ باقي أوروبا[4].

---

(1) - هيكل في حوار مع يوسف إدريس: أنا أزاول السياسة كصحفي، الجمهورية، 1960/1/30.
- جليل البنداري: حديث مع هيكل، آخر ساعة، 1962/12/5.
- هيكل: تقرير من اليمن، الأهرام، 1963/3/8.

(2) هيكل: مناقشات مع مونتجمري بطول يومين في العلمين!، الأهرام، 1967/5/19.

(3) Lakhdar Brahimi: "Mohamed Hassanein Heikal, mon ami", Jeune Afrique, 24/02/2016.

(4) محمد الشافعي: هيكل.. حوار الفكر والثقافة، دار الهلال، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013، ص29.

ويَرُدُّ هذه الرواية أن فترة هيكل في الإجيبشيان جازيت - كما أَخْبَرَ هو وشهودُ العيان - كانت فترة تدريب، وقد تَحَرَّرَتْ باريس في يونيو عام 1944 وتَحَرَّرَتْ أوروبا في الثلث الأول من عام 1945، بينما كان هيكل قد انْتَقَلَ إلى روز اليوسف منذ أواسط 1943، كما أن هذه الرواية لم تَرِدْ مُطْلَقًا في صدر حياة هيكل قبل أن يشتهر اسمه، ولا ذكرها في حديثه عن خبراته كمراسل حربي كما ذكر سابقًا.

4- الخبر الأول:

روى هيكل عام 1945 في مجلة آخر ساعة في موضوع مشترك بعنوان (الخبر الأول) ما يلي "كنتُ أمضي فترة التمرين في إحدى الصحف الأجنبية الكبرى.. وكُنْتُ مندوب الجريدة في دوائر البوليس.. وذات يوم علمت أن هناك مشاجرةً تدور في مكان ما من القاهرة.. وأسرعتُ إلى مكان الحادث الذي يَتَلَخَّصُ في أن جنديَ بوليس ضَبَطَ لِصًّا، ولما حاول أن يقبض عليه أسرع اللص وجرى، فأطلق الجندي عليه رصاصة أَرْهَبَتْهُ فسَلَّمَ نفسه وهذا كل شيء، هذا كل شيء بالنسبة للقصة نفسها، ولكن هل هناك ما يُحَتِّمُ أن يكون هذا هو كل شيء بالنسبة لي؟ أَعْمَلْتُ الفِكْرَ أو قُل الخيالَ فإذا هذه الحادثة البسيطة تتحول إلى معركة عنيفة بين اللصوص وبين البوليس، تُطْلَقُ فيها مئاتُ الطلقات ويقع أثناءها عشرات الضحايا، تمامًا كما يحدث في شيكاغو.. وظهرت الحادثة بهذا الشكل في الجريدة، وفي اليوم التالي ذهبت إلى مكتبي أَتَلَقَّى أَكَالِيلَ الغار فإذا بي أَجِدُ جنديًّا ينتظرني، جنديًّا أُوفِدَ من المحافظة خصيصًا ليصحب الكاتب الفاضل إلى المحافظة، وهناك تَلَقَّانِي وكيلُ الحكمدار ووَجَّهَ إليَّ تهمةً كانت أبعد ما تكون عن خاطري، تهمة الخيانة الوطنية، أما الأسباب فهي أنني أنشر صورًا بعيدة عن الحقائق تسيء إلى سمعة الأمن"[1].

(1) "الخبر الأول"، آخر ساعة، 1945/4/29.

وسبب إيراد هذه القصة هنا ليس إثباتَ المَيْلِ المُبَكِّرِ إلى اختلاق الأخبار، وإنما لأن هيكل في تَعَرُّضِهِ لهذه القصة لاحقًا نفى أن الخبر الذي أَوْرَدَهُ غير صحيح، بل قال لاحقًا إن الخبر الذي أورده كان صحيحًا، وإن تلك (المعركة) بالأسلحة النارية حَدَثَتْ بالفعل لكن السُّلْطَاتِ اعترضت على عدم المواءمة للنشر، وأن هيكل عتب في ذلك على إدارة الجريدة[1].

ولا شَكَّ أن الرواية الأولى لهيكل لموضوع (الخبر الأول) هي الأقرب للصحة[2]؛ لأنه لا يمكن أن يلام متدرب على خبر صحيح قررت الجريدة نشره، وأنه في تلك الحالة كانت المُحَاسَبَةُ ستتوجه فورًا لإدارة الجريدة، وما كان الأمر سينتظر درسًا يُلْقِيهِ هذا المتدرب على إدارة الصحيفة، فكأن "هيكل" في الرواية المُعَدَّلَةِ أراد أن يزيل ما صرح به عن حقيقة (الخبر الأول) التي افتتح به حياته الصحفية.

5- مرحلة روز اليوسف:

عمد الأستاذ هيكل خلال العقود الأخيرة إلى عدم الإشارة لفترة عمله في روز اليوسف، فأَسْقَطَهَا دومًا من حديثه، فكل رواياته تتحدث عن انتقاله من الإجيبشيان جازيت إلى آخر ساعة مباشرة على اختلاف روايات هذا الانتقال وتاريخه[3].

ومرة واحدة فقط ذكر مرحلة روز اليوسف بطريقة غاية في الإبهام، وفي الهامش وليس في المتن في كتابه (بَيْن الصحافة والسياسة)[4]، بينما في رواية أخرى قديمة متضاربة يصرح هيكل بأنه التحق بروز اليوسف عام 1943 قادمًا إليها من آخر

---

(1) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/7/28.

(2) رغم ما فيها بدَوْرِهَا من مبالغة لفظية، ربما تَأَثُّرًا بالأسلوب الساخر للتابعي.

(3) - سناء البيسي تحاور هيكل (4)، نصف الدنيا، 1992/7/12.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/8/25.

- هيكل: حوار مع جريدة الأسبوع، جريدة الأسبوع، 2004/7/12.

(4) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص28.

ساعة، حيث الْتَقَتْهُ السيدةُ روز اليوسف في شُرْفَةِ الصحافة بمجلس النواب وقالت إنها قرأت ما يكتبه في آخر ساعة وعرضت عليه العمل في روز اليوسف فَقَبِلَ[1]، وهذه الرواية بدورها غير صحيحة؛ لأن هيكل لم يكتب في آخر ساعة قبل 1945، بينما كان يكتب في روز اليوسف منذ عام 1943، وبالتالي فإن عمله في روز اليوسف سابق لعمله في آخر ساعة وليس العكس، وهذا ما أَكَّدَتْهُ مصادر كثيرة[2].

والراجح أن هيكل في العقود الأخيرة كان يحاول إخفاءَ تجربته في روز اليوسف؛ لما غَلَبَ على كتاباته فيها من مَدْحٍ مُبَالَغٍ فيه للملك - كما اسْتَعْرَضْنَا في الفصل الماضي - مما يَجْعَلُهَا مثارًا للحرج بالنسبة إليه، وإلى هذا أشار أحد الباحثين بعدما اسْتَوْقَفَتْهُ أيضًا تلك المحاولات لإخفاء فترة روز اليوسف[3].

6- موقفه من حرب 1948:

كتب هيكل قُبَيْلَ حرب 1948 يدعو الجيش المصري لدخول الحرب على الفور[4]، ثم كتب بعد الحرب بسنوات يقول إنه لم يكن يتصور أن الجيش سيدخل الحرب رسميًّا[5]، ويتعجب لماذا أَقْدَمَ النقراشي باشا على دخول الحرب، ويُعَلِّلُ ذلك بأنه "قد خُدِعَ خديعةً كبرى، وأنه كان ضحية مؤامرةٍ مَحْبُوكَةِ الأطراف"[6].

---

(1) روز اليوسف وهؤلاء، روز اليوسف، 1961/11/6.

(2) - حافظ محمود: نجوم الصحافة، الجمهورية، 1968/12/30.

- حازم فودة: نجوم شارع الصحافة، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1972، ص21.
- إبراهيم الورداني: فلاح في بلاط صاحبة الجلالة، دار المعارف، 1975، ص169.
- رشاد كامل: هيكل - خمسون عامًا في الصحافة والسياسة، صباح الخير، 1994/2/3.
- عبد الله أحمد: مجلة أكتوبر، 1995/4/14.
- صلاح منتصر: قراءة في تاريخ محمد حسنين هيكل (7)، مجلة الشباب، 2004/8.

(3) محمد حماد: الرئيس والأستاذ، مرجع سابق، القاهرة، 2012، ص78.

(4) هيكل: النار فوق الأرض الْمُقَدَّسَةِ، أخبار اليوم، العدد 182، 1948/5/1.

(5) هيكل: حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة بعد خمس سنوات (1)، آخر ساعة، العدد 968، 1953/5/13.

(6) هيكل: حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة بعد خمس سنوات (2)، آخر ساعة، العدد 969، 1953/5/20.

7- واقعة تَقْبِيلِ النحاسِ باشا يَدَ الملك فاروق:

رغم أن هذه الواقعة لا يُثْبِتُهَا أي مرجع معروف، فإن "هيكل" يُصِرُّ على أن يُقَدِّمَهَا في الصدارة في عدة مناسبات، واصفًا إياها بمشهد (الذروة) في مأساة السياسة المصرية[1].

يروي هيكل هذه الواقعة عن (نجيب الهلالي) باشا و(حسين سري) باشا و(كريم ثابت) باشا و(حسن يوسف) باشا[2]، وجميعهم تُوُفُّوا قبل صدور الكتاب، والأخيران مذكراتهما منشورة ولا تتضمن أي ذِكْرٍ عن هذه الواقعة بل إن هيكل أَصَرَّ على إيراد تلك الواقعة في المقدمة التي نَشَرَتْهَا دار الشروق لمذكرات كريم ثابت باشا[3]، رغم أن المذكرات نفسها تخلو من تلك الواقعة، وقد كُتِبَتْ ونُشِرَتْ بعد الثورة وبعد أن انتهى كل نُفُوذٍ للنحاس باشا، ويُسْتَبْعَدُ أن يَرْوِيَ كريم ثابت لهيكل واقعة مفصلية في السياسة المصرية كما يصفها هيكل ثم تَخْلُو مذكراتُه ومذكرات أقرانه منها.

8- موقف هيكل من استقلال السودان:

كتب هيكل في أواسط الستينيات يُوَضِّحُ - بأثر رَجْعِيٍّ - أنه كان من أنصار استقلال السودان، ويردف "في وقت كان فيه الحديث - في القاهرة = عن استقلال السودان شبه جريمة وطنية، ولم أكن في ذلك انفصاليًا، ولقد تلقيت اتهامات كثيرة عندما كتبت في ذلك الوقت - وكررت بعده في كل وقت - تأييدي لاستقلال السودان"[4].

---

(1) - هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص289.
- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/11/17.

(2) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص292.

(3) كريم ثابت: ملك النهاية – فاروق كما عرفته، مصدر سابق، ص19، (مقدمة بقلم هيكل).

(4) هيكل: ثم ماذا بعد في السودان، الأهرام، 1964/11/6.

بينما العكس تمامًا هو الحقيقة؛ إذ كَتَبَ هيكل بالنص "إن التاج المصري هو الحل الوحيد للمشاكل هناك"، و"إننا نستطيع أن نجمع السودان كله حول التاج المصري"[1].

9- عبد الناصر وفكرة الاغتيالات السياسية:

اشترك عبد الناصر في محاولة اغتيال حسين سري عامر ضابط الملك المُقَرَّب وخصم تنظيم الضباط الأحرار، ثم ندم على ذلك، كما كتب بنفسه في كتابه فلسفة الثورة الذي صاغه هيكل[2]، وقد عاتبه بعض زملائه من الضباط الأحرار عتابًا شديدًا لأنه فعلها دون استشارتهم[3]، إلا أنه كتب لاحقًا يقول أن عبد الناصر رفض خيار الاغتيالات، وكان رأيه "أن ما هو مطلوب ليس إزاحة أفراد، وإنما تغيير أوضاع"[4]، ومما سبق يتبين أن هذا الكلام غير صحيح، فعبد الناصر لم يَكْتَفِ بالتفكير بل تَعَدَّاهُ إلى التنفيذ، والذين رفضوا هم معظم زملائه ولاموه على ذلك.

10- لقاؤه بعبد الناصر قبل الثورة:

تَعَدَّدَتْ رواياتُ هيكل وتَبَايَنَتْ حول مقابلاته مع عبد الناصر تَبَايُنًا كبيرًا اتَّسَعَ بمرور الوقت بين الرواية الأولى والروايات التالية:

---

(1) هيكل: هذه هي الحقيقة في السودان، آخر ساعة، 1951/12/26.

(2) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مصدر سابق، ص39.

(3) - عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج1)، مصدر سابق، ص ص 44-45.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2006/1/19.

(4) هيكل: اغتيال وصفي التل، الأهرام، 1971/12/3.

1.10 (مقابلة واحدة في بيت محمد نجيب قبل الثورة بأربعة أيام).

أول رواية لهيكل عن لقاءاته بعبد الناصر قبل الثورة كانت بعد شهر واحد من قيامها؛ ففي عددَ آخر ساعة بتاريخ 27 أغسطس 1952 كَتَبَ على صفحتين كاملتين مقالة بعنوان "من هم ضباط قيادة محمد نجيب؟ - الستار الحديدي الذي وضعوه حول أنفسهم"، وحظي جمال عبد الناصر بنصيب الأسد، وكان ذلك هو أول ما كَتَبَهُ هيكل عنه تحت عنوان فرعي "السكون الذي تَرْقُدُ تَحْتَهُ عاصفة"، قال "سمعتُ عنه قبل أن ألقاه، كانوا يتحدثون عنه في الفالوجا المحصورة كما يتحدثون عن الخرافات والجن العمالقة.. كان جريئًا إلى أبعد حدود الجرأة، وفي الوقت نفسه كان هادئًا إلى أبعد حدود الهدوء.. ثم التقيت به لأول مرة.. وكان اللقاء في بيت اللواء محمد نجيب قبل أربعة أيام من حركة القوات المسلحة.. ثم التقيت به للمرة الثانية في الساعة الرابعة من فجر 23 يوليو، وكانت الحركة قد فرغت منذ أقل من دقائق[1].

في تلك الرواية - وهي أقدم روايات هيكل - يؤكد أنه سمع عن عبد الناصر في الفالوجا دون أن يُقَابِلَهُ، ثم قَابَلَهُ لأول مرة يوم 18 يوليو في بيت نجيب، قبل أن يراه مرةً ثانية في فجر 23 يوليو في مَقَرِّ القيادة، وتتأكد هذه الرواية برواية أخرى هي ثاني أقدم رواياته عن أول مقابلة بعبد الناصر، فيقول "لم أكن أعرفه إلا قبل ثلاثة أو أربعة أيام من قيام ثورة 23 يوليو"[2]، ويدعم الرواية مرة أخرى في ثالث أقدم رواياته عن أول مقابلة بعبد الناصر، فيؤكد أنها كانت يوم 18 يوليو 1952[3].

---

(1) هيكل: من هم ضباط قيادة محمد نجيب، آخر ساعة، 1952/8/27.

(2) سليم اللوزي: حوار مع هيكل، مجلة الحوادث اللبنانية، 1971/6/25.

(3) هيكل: علامات على طريق طويل، الأهرام، 1972/2/11.

الشهود يؤكِّدون أن اللقاء الأول كان يوم 18 يوليو في بيت نجيب:

أكد الشهود الذين كانوا في بيت محمد نجيب يوم 18 يوليو 1952 روايات التعارف الأول، وأن هيكل قُدِّمَ إلى عبد الناصر للمرة الأولى ولم يكن أحدهما يعرف الآخر، وتَمَّ التعارفُ بينهما هناك، وجاء ذلك في مذكراتهم، ومن أولئك الشهود اللواء محمد نجيب نفسه[1]، وعبد اللطيف البغدادي[2]، وخالد محيي الدين[3]، وثلاثتهم شهود أساسيون، وأحمد حمروش مؤرخ الضباط الأحرار وصاحب (قصة 23يوليو)[4]، وأنتوني ناتنج وزير الدولة البريطاني وصديق كلٍّ من عبد الناصر وهيكل وأحد كَاتِبِي السيرة الذاتية لعبد الناصر[5].

وهكذا، ففي حياة عبد الناصر وحتى بُعَيْدَ وفاته، ذكر أن أولى مقابلاته - والوحيدة قبل الثورة - كانت يوم 18 يوليو، كانت تلك هي روايات هيكل الأولى التي أَيَّدَهَا خمسة شهود، ثم بدأت الروايات في الاتساع بعد ذلك.

2 .10 (ست مقابلات.. ثلاث منها في فلسطين):

في مقابلته مع جميل مطر - التي طُبِعَتْ في كتاب بعنوان (بصراحة عن عبد الناصر) - ذَكَرَ هيكل أنه قَابَلَ عبد الناصر أثناء حرب فلسطين في منطقة "عراق المنشية"، وأنه كان غاضبًا من طريقة معالجة الصحف المصرية لحرب فلسطين، ثم قَابَلَهُ مرة أخرى أثناء عودته للمنطقة، وقابله مرة ثالثة بعد الهُدْنَةِ الأولى، فتلك ثلاث مقابلات في فلسطين أثناء الحرب[6].

---

(1) محمد نجيب: كلمتي للتاريخ، دار الكتاب النموذجي، 1975، ص38.

(2) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج1)، مصدر سابق، ص55.

(3) خالد محيي الدين: والآن أتكلم، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992، ص132.

(4) أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج1)، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1983، ص192.

(5) أنتوني ناتنج: ناصر، مرجع سابق، ص351.

(6) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص16.

ويكمل هيكل: وبعد أيام من نشر التحقيقات المتعلقة بالانقلابات السورية فوجئتُ ذات يوم بصلاح سالم يزورني في "أخبار اليوم" ومعه جمال عبد الناصر، وكنت اجتمعت في السابق مرتين بصلاح سالم، وبدأ جمال عبد الناصر يسأل عما جرى في سوريا، ومرت فترة طويلة لم نجتمع إلى أن زارني عبد الناصر يومًا بشكل مفاجئ في "أخبار اليوم"، وقال لي إنه جاء ليحصل على نسخة من كتاب كنتُ أَلَّفْتُهُ وهو بعنوان "إيران فوق بركان"، هذا بالإضافة إلى المقابلة الثابتة التي تَمَّتْ في بيت نجيب يوم 18 يوليو[1].

3.10 (أربع مقابلات.. واحدة منها في فلسطين):

في حديثه مع مجلة الدستور اللبنانية ذَكَرَ هيكل أنه قابل عبد الناصر مرة واحدة في فلسطين، ثم ذَكَرَ مقابلاته في أخبار اليوم وسؤاله عن انقلابات سوريا ثم سؤاله عن كتاب إيران فوق بركان، ثم كانت المرة الرابعة في بيت محمد نجيب[2].

4.10 (خمس مقابلات.. واحدة منها في فلسطين):

روى هيكل أثناء حواره مع عادل حمودة قائلًا "لقد رأيته في الفالوجا، وبعدها جاء يشكو من ارتفاع أسعار الكتب، وطلب نسخة من كتابي "إيران فوق بركان"، وجاء مرة أخرى مع زكريا محيي الدين وتَحَدَّثَا عن الْبَدو في سيناء الذين يَتَجَنَّسُونَ بجنسيات أجنبية - وكانت مشكلة أمنية - وجاء مرة ثالثة يسأل عن الانقلابات في سوريا"[3]. (هنا يذكر هيكل مقابلة جديدة لم تُذْكَرْ من قبل، هي قُدُومُهُ مع زكريا محيي الدين وقصة البدو).

---

(1) المرجع السابق، ص17.

(2) هيكل يروي للدستور أسرار ليلة الثورة، الدستور اللبنانية، 1973/9/30.

(3) عادل حمودة: حوار مع هيكل حول لعبة السُّلْطَة في مصر، مرجع سابق، ص133.

5.10 (خمس مقابلات.. واحدة منها في فلسطين):

روى هيكل كذلك أثناء حواره مع مجلة أكتوبر "رَأَيْتُهُ مرة في الفالوجا سنة 1948، ثم جاء هو إليَّ مرةً في آخر ساعة يطلب كتاب إيران فوق البركان، وقابلتُه مرة أخرى يوم حريق القاهرة (26 يناير 1952) في الشارع، وجاء لي مرة مع صلاح سالم بسبب حكايات الهُوِيَّاتِ التي كان الإسرائيليون يعطونها لبعض عرب سيناء، لكن أول مرة قابلته فيها بطريقة دقيقة كانت يوم 18 يوليو (1952) قبل الثورة بأربعة أيام في بيت محمد نجيب"[1]. (وهنا يَذْكُرُ هيكل مقابلةً أخرى جديدة لم تُذْكَرْ من قبل، تَمَّتْ وقتَ حريق القاهرة).

وكَرَّرَ هيكل الرواية نفسها التي تزيد فيها مقابلة يوم حريق القاهرة في كِتَابَيْهِ (أحاديث في العاصفة)[2]، و(سقوط نظام)[3]، رغم أنه تَعَرَّضَ لذكرياته عن هذا اليوم بعد الثورة ولم يَذْكُرْ أنه قَابَلَ عبد الناصر[4].

(1) حوار مع هيكل، مجلة أكتوبر، 1988/6/5.

(2) هيكل: أحاديث في العاصفة، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 1987، ص ص 602، 604.

(3) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص ص 506-509.

(4) هيكل: أحداث مصر خلال ستار من الدموع، آخر ساعة، 1955/1/26.

نفي روايات اللقاء في فلسطين:

أقوى وأهم نَفْيٍ هو ما ذَكَرَهُ هيكل نفسه في رواياته الثلاث الأولى أنه رأى عبد الناصر لأول مرة يوم 18 يوليو 1952 في بيت نجيب، ويُعَضِّدُ هذا أنه كَتَبَ تحقيقًا صحفيًّا عام 1949 تَحَدَّثَ فيه عن أبطال وجرحى وشهداء الفالوجا، لكن لم تَأْتِ فيه كلمةٌ واحدة عن جمال عبد الناصر الذي كان من أشهر رجال الفالوجا ومعركتها[1]، مما يؤكد ما ذكره بعد الثورة بشهر أنه لم يَلْتَقِ عبدَ الناصر في حرب فلسطين.

ويأتي النفي الثاني على لسان المُقَدِّمِ/ جلال ندا، في حديثه مع الدستور اللبنانية، قائلًا: "جاء هيكل لعمل تحقيق صحفي لجريدة "أخبار اليوم"، وذلك بعد خسارة القوات المصرية لمعركة "نجبا" التي كانت تُدَارُ من قسم البوليس الذي أتولى قيادته، ففي مفكرتي يوم 2 يونيو ذكرتُ مقابلتنا وهجومي يومها على الصحافة المصرية[2]، وفي يوم 5 يونيو 1948 - أي بعد ثلاثة أيام من اللقاء معي - نشر هيكل تحقيقَه في الصحيفة متضمنًا اسمي في التحقيق أثناء وصف ميدان القتال، من هنا يتضح أن هيكل أورد الوقائع التي تتعلق بي ونَسَبَهَا إلى عبد الناصر، فأنا الضابط الوحيد في فلسطين ما بين غزة وبيت جبرين الذي كان يحتل مبنى قسم البوليس ويدافع عنه وهو مركز عراق سويدان"[3].

ثم يأتي النَّفْيُ الثالث بقلم اللواء جمال حماد، الذي استفاضَ فيه جدًّا في كتابه (أسرار ثورة يوليو)، وفي عدة مقالات، وذَكَرَ فيه أن "نجبا" تبعد عن عراق المنشية بحوالي 50 كيلو مترًا، وبالتالي لم يَكُنْ للكتيبة السادسة مشاة - التي كان عبدُ الناصر أركانَ حربها - أيُّ دور في هذه المعركة، ولم تَتَحَرَّكْ هذه الكتيبة إلى

(1) - هيكل: الفالوجا تشهد أعظم أربعة أشهر في تاريخ مصر، أخبار اليوم، 1949/3/5.
- هيكل: السماء تُمْطِرُ وردًا وشوكولا على أبطال الفالوجا، آخر ساعة، 1949/3/16.

(2) جلال ندا: الحقيقة عن لقاءات هيكل مع عبد الناصر في حرب فلسطين، الحوادث اللبنانية، 1984/12/7.

(3) جلال ندا: مغالطات تاريخية في مقال هيكل، الدستور اللبنانية، 1976/10/18.

هذا المكان إلا بعد أكثر من ثلاثة شهور من موعد إجراء التحقيق الصحفي الذي أُجْرِيَ يوم 2 يونيو 1948م. وتؤيد هذه الحقيقةَ يومياتُ جمال عبد الناصر نفسه عن حرب فلسطين؛ فقد وَرَدَ ذلك في الصفحتين 346 و347[1].

شواهد أخرى تنفي تلك اللقاءات:

في كثير من تلك الروايات المتأخرة، كَرَّرَ هيكل أن عبد الناصر جاءه يشكو من ارتفاع سعر كتاب (إيران فوق بركان)، ويطلب من هيكل نسخةً منه[2]، والرواية - كما هو واضح - مفتقدة للمعقولية، فكتاب (إيران فوق بركان) كان كُتَيِّبًا صغيرًا يُمَثِّلُ الإنتاجَ الأول لصحفي ناشئ، وبالتالي فلا يمكن أن يكون ثَمَنُهُ مُعْضِلًا في عصر عمالقة الكُتَّابِ مثل العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل باشا وغيرهم بمؤلفاتهم الكبيرة والأكثر قيمة وثمنًا بكثير، ولا يُتَصَوَّرُ أن يَذْهَبَ بكباشي في الجيش المصري - خاصة من هو في مثل اعتداد عبد الناصر بنفسه، وقد وصفه هيكل بأن من مشاكله أنه كان رجلًا شديد الكبرياء [3] - لِيَسْتَجْدِيَ كُتَيِّبًا ويشكو ارتفاع ثمنه، بينما راتبه الشهري - كما يَذْكُرُ هيكل - يساوي أربعمائة ضعف ثمن الكتاب.

وفي هذا السياق لا تبدو روايةُ المقابلة الأخرى التي سأله فيها عن انقلابات سوريا أقل تَهَافُتًا، فكيف يمكن لعبد الناصر - المشهور بِشِدَّةِ حذره، الذي لولا هذا الحذر لما اسْتَطَاعَتْ حركةُ الضباط الأحرار أن تنجح - أن يذهب للرجل الثالث في الجريدة الموالية للسراي ليسأله بالتفصيل - مُرَكِّزًا على نقاط معينة كما لاحظ هيكل - عن شكل الذين قاموا بالانقلاب وعن أهدافهم، وكيف

(1) وجلال ندا شاهد موثوق به؛ فهو على حَدِّ وصف هيكل: "المقدم جلال ندا صديق، وهو من أبطال حرب فلسطين" (هيكل: حكاية مع شبح من الماضي، الأهرام، 1973/8/10).

(2) يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر - عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص37.

(3) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص37.

يتصرفون، وكيف اسْتَقْبَلَت الجماهيرُ السورية هذه الانقلابات، وهل حَدَثَتْ اضطرابات، ومدى حجمها.. وأسئلة أخرى كثيرة من هذا القبيل، كأنه يُخْبِرُهُ أنه يستعد للانقلاب، أو على أقل تقدير يدرس إمكانيته بعناية.

كل هذا يُؤَكِّدُ تَهَافُتَ جميع الروايات التي أَوْرَدَهَا هيكل عن لقاءاتٍ جَمَعَتْ بينه وبين عبد الناصر قبل يوم 18 يوليو 1952، لتَعَارُضِهَا مع أقدم ثلاث روايات له، وتعارضِها مع شهود العيان عن فلسطين وعن اللقاء في بيت اللواء نجيب، وتعارض كل منها مع المعقولية للأسباب المذكورة.

11- لقاء يوم 18 يوليو بعد الخروج من بيت محمد نجيب:

تَحَدَّث هيكل مُطَوَّلًا عن مناقشات حاسمة جَمَعَتْهُ بعبد الناصر عقب خروجه من بيت محمد نجيب، وأن "هيكل" أخبره أن عنده من الأسباب ما يجعله يؤكد أن الإنجليز لن يتدخلوا إذا تَحَرَّكَ الجيش في القاهرة، فسأله عبد الناصر في اهتمام عن أسبابه وناقشها معه منبهرًا بسَعَةِ معلوماته واطِّلَاعِهِ، وجميع تلك الروايات كانت بعد رحيل عبد الناصر، وتضاربت تلك الروايات في مكان اللقاء ومُلابَسَاتِهِ.

11. 1 رواية لقاء يوم 18 يوليو في كِتَابَي (بصراحة عن عبد الناصر) و(عبد الناصر والمثقفون):

قبل أن ينزل عبد الناصر من سيارتي في محطة باب الحديد قال لي: من الضروري أن نكمل الحديث، قلت: ما رأيك لو نكمله في مكتبي في "أخبار اليوم"؟ فرفض، وسألني: هل عندك تليفون من منزلك، وأعطيته رقم الهاتف[1].

---

(1) - فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص ص 21-22.
- يوسف القعيد: هيكل يتذكر، عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص38.

2.11 رواية لقاء يوم 18 يوليو في مجلة الدستور اللبنانية:

"تَرَكْتُ منزلَ محمد نجيب بعد خروج عبد الناصر وعامر منه بعشر دقائق، ووجدتهما في الخارج يحاولان إدارة محرك سيارة عبد الناصر الأوستن الصغيرة العتيقة، وقتها كنت أملك سيارة أوبل سوداء اللون، سِرْتُ قبلهما باتجاه القاهرة وسارا خلفي، عند محطة بنزين القبة وقفت لأتزود بالبنزين، فوقفت بدورها السيارة الأوستن، نزل منها عبد الناصر ثم اتَّجَهَ نحوي ودار حوار بيننا"[1].

3.11 رواية لقاء يوم 18 يوليو في كتابي (بين الصحافة والسياسة) و(سقوط نظام) وفي (قناة الجزيرة):

"يوم 18 يوليو التقيتُ مصادفةً بالبكباشي جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر، ودار بيننا نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه.. وبدأ جمال عبد الناصر يسألني بإلحاح في تفاصيل ما قلتُ، وشعرت أن اهتمامه به أكبر مما يحتمله عابر بين صحفي وبين ضابط في الجيش.. وسألني هل نستطيع أن نواصل الحديث لأن الموضوع يهمه، واقترحت عليه أن نذهب إلى مكتبي في أخبار اليوم، وكان تعليقه على الفور: لا.. ليس في أخبار اليوم.. لماذا لا نذهب إلى بيتك؟، وذهبنا إلى بيتي.. وتَحَدَّثْنَا طويلًا.. واتفقنا على اللقاء مرة أخرى"[2].

تلك ثلاث روايات مختلفة لهيكل عما جَرَى عَقِبَ خروجهم من بيت نجيب وعن الحوار المؤسس بينه وبين عبد الناصر، الأولى أن سيارة عبد الناصر تَبِعَتْ سيارته والتقوا في محطة بنزين ودار الحوار هناك، والثانية أن سيارة عبد الناصر كانت

---

(1) هيكل يروي للدستور أسرار ليلة الثورة، الدستور اللبنانية، 1973/9/30.

(2) – هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص41.

– هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص ص 512–517.

– هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2006/1/26.

مُعَطَّلَةً فلم يَأْتِ بها إلى بيت نجيب أصلًا وأن هيكل اصْطَحَبَهُ وتَحَدَّثَا حتى محطة باب الحديد وهناك افْتَرَقَا، والثالثة أنه اصْطَحَبَهُ إلى بيته وتَحَدَّثَا هناك طويلًا.

ويدحض كل هذه الروايات شهادتان، شهادة عبد اللطيف البغدادي في مذكراته عن عودة عبد الناصر وعبد الحكيم إليهم سريعًا: "وذهب جمال عبد الناصر وعبد الحكيم إلى نجيب في منزله في نفس اليوم، ولكنهما لم يجدا فرصة للتحدث إليه أو مُفَاتَحَتِهِ في الأمر؛ لأنهما كانا قد وجدا عنده بالمنزل بعض الضيوف، ومنهم حسنين هيكل المحرر بدار أخبار اليوم في ذلك الحين، وكذلك الضابط جلال ندا، وقد دار الحديث عن قرار مجلس إدارة نادي الضباط، واستفهم هيكل منهما عن مدى رد فعل هذا القرار داخل الجيش، وما هو التصرف الذي ينوي ضباط الجيش القيام به ردًّا على هذا التصرف من الملك، ولكنهما أوضحا له أنهما لا يعطيان مثل هذه الأمور أهمية، وانصرفا دون التَّمَكُّنِ من مُفَاتَحَةِ محمد نجيب في الموضوع"[1].

وتؤكد شهادةُ المُقَدَّمِ المتقاعد جلال ندا روايةَ البغدادي: "بعد انتهاء مقابلتنا بمنزل نجيب عُدْتُ أنا وهيكل رأسًا إلى دار أخبار اليوم في عربة هيكل الأوبل كابيتان السوداء، وكان هو الذي يقودنا، ولم يَحْدُثْ أننا توقفنا في الطريق"[2].

12- روايات لقاءات هيكل مع عبد الناصر بين 18 و23 يوليو:

1.12 كَتَب هيكل في آخر ساعة:

أنه قَابَلَ عبدَ الناصر للمرة الأولى يوم 18 يوليو 1952، والمرة الثانية فجر يوم 23 يوليو في مقر القيادة[3]، وبالتالي فالرواية الأولى لهيكل أنه ليس ثمة أي لقاءات بينهما بين اللقاءين، وهي الرواية الأكثر معقولية؛ إذ كيف سيكون عند عبد الناصر

---

(1) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج1)، مصدر سابق، ص55.

(2) جلال ندا: مغالطات تاريخية في مقالات هيكل، مجلة الدستور اللبنانية، 1976/10/18.

(3) هيكل: من هم ضباط قيادة محمد نجيب، آخر ساعة، 1952/8/27.

وقتٌ في تلك الأيام الحَرِجَةِ لمقابلة هيكل، وأي فائدة يرجوها عند هيكل ليُقَابِلَهُ حين يحتاج لكل دقيقة لإتمام الاتفاقات الأخيرة وإبلاغ أعضاء التنظيم في الأماكن المتفرقة.

لكن "هيكل" يُقَدِّمُ روايتين جديدتين للقاءات مع عبد الناصر في الأيام التي سَبَقَتْ 23 يوليو، أولاهما في مجلة الدستور اللبنانية عام 1973، والأخرى في كتاب (سقوط نظام) الذي أصدره هيكل عام 2003.

2.12 في مجلة الدستور اللبنانية:

في هذه الرواية أن عبد الناصر زاره في بيته مرتين يومي 19 يوليو و21 يوليو، ثم اتصل به بنفسه يوم 22 يوليو، وهو ما يخالف روايته الأولى أنه لم يُقَابِلْ عبدَ الناصر بعد لقاء بيت نجيب إلا في مَقَرِّ القيادة يوم 23 يوليو، ولم يَذْكُرْ أسبابًا جوهرية لأيٍّ من المقابلتين إلا أن عبد الناصر ما زال يُلِحُّ عليه ليُكَرِّرَ هيكل عليه ما قاله له يوم 18 يوليو من عدم قدرة الإنجليز على التدخل، كأن عبد الناصر يستعيد أغنية يَطْرَبُ لها، ويُضَيِّعُ وقتَه في هذه الساعات الحاسمة ليعيد ويستعيد سماعَ ما سَمِعَهُ بالفعل يوم 18 يوليو[1] [2].

3.12 وقد تَكَفَّلَ هيكل نفسه بنَفْيِ هذه الرواية:

إذ قال في آخر رواياته عن الأمر في كتابه "سقوط نظام" وفي قناة (الجزيرة) إنه لم يقابل أحدًا لا عبد الناصر ولا غيره؛ وإنما اتَّصَلَ به عدة مرات الصاغ "الرائد" سعد توفيق[3].

---

(1) هيكل يروي للدستور أسرار ليلة الثورة، الدستور اللبنانية، 1973/9/30.

(2) جمال حماد: لغز مطاردة عبد الناصر لهيكل تليفونيًّا في الساعات الحاسمة للثورة، الرياض السعودية، 2007/5/21.

(3) – هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص547.

– هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2006/2/9.

يعقب اللواء جمال حماد "وذكر هيكل أن الهدف من وراء كل هذه الاتصالات هو إخباره بأشياء مهمة تتعلق بالإعداد وتحركات الثورة .. هذا يتنافى تمامًا مع مقتضيات الأمن والسِّرِّيَّةِ والتَّكَتُّمِ الشديد الذي حرص عليه جمال عبد الناصر والضباط الأحرار، ويتنافى أيضًا مع ما قاله عبد الناصر في الحفل الذي أقيم بقصر أنطونيادس بالإسكندرية عام 1963 احتفالًا باليوبيل الفضي لتَخَرُّجِ دفعة عبد الناصر من الكلية الحربية، وقال فيه أمام الضباط مستشهدًا بالمقدم جلال ندا (وجدنا في بيت اللواء محمد نجيب جلال ندا ومعه الصحفي محمد حسنين هيكل، ولو كان عرف شيئًا عن الثورة كنا رحنا في داهية)[1]، وعندما سُئِلَ جمال عبد الناصر من هيكل قبل مغادرته لبيت محمد نجيب يوم 19 يوليو ومعه عبد الحكيم عامر عن وجهته قال: (إحنا رايحين السينما)، من باب التمويه على تحركاته، وإصراره - عبد الناصر - على عدم معرفة أحدٍ لخَطِّ سيره، وقد أكد هذه العبارة عبد اللطيف البغدادي، فهل يُعْقَلُ بعد ذلك ما جاء في حديث هيكل للمجلة اللبنانية أو ما ورد في قصته الثانية بكتابه (سقوط نظام)؟!"[2].

13- هيكل ليلة الثورة:

يذكر هيكل أنه ذهب إلى بيت اللواء محمد نجيب، ثم اسْتَقَلَّ سيارتَه وراء سيارة محمد نجيب حتى وصلوا إلى محطة البنزين، فركب اللواء نجيب المُدَرَّعَةَ، وانتظر هيكل عشرين دقيقة قبل أن يَلْحَقَهُ بسيارة عسكرية[3].

---

(1) جلال ندا: مغالطات تاريخية في مقالات هيكل، مجلة الدستور اللبنانية، 1976/10/18.

(2) جمال حماد: لغز مطاردة عبد الناصر لهيكل تليفونيًّا في الساعات الحاسمة للثورة، الرياض السعودية، 2007/5/21.

(3) - يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر - عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص43.

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2006/2/23.

ويتوقف اللواء جمال حماد أمام هذه المعلومة قائلًا "والصحيح أن اللواء محمد نجيب عَقِبَ أن حَدَّثْتُهُ بنفسي تليفونيًا من مَقَرِّ القيادة وأَنْبَأْتُهُ في منزله بنجاح المرحلة الأولى من حركة الجيش عرضت عليه أن أُرْسِلَ إليه ثلاث عربات مدرعة لنَقْلِهِ بسلام إلى رئاسة الجيش، لكنه طلب مني عدم إرسالها، وأخبرني أنه سيحضر بسيارته الأوبل، وقُبَيْلَ وصوله إلى القيادة قابل عربة جيب عسكرية بها أحد الضباط الأحرار فركبها ودخل بها إلى مَقَرِّ القيادة، أما هيكل فقد التقيت به بنفسي قُبَيْلَ الفجر في مبنى القيادة وقد جاء برفقة المقدم متقاعد جلال ندا، وقد حَضَرَا مَنْدُوبَيْنِ عن صحيفة أخبار اليوم، وحضر معهما كذلك عدد من الصحفيين والمصورين مندوبين عن الصحف الأخرى، ولم يكن لهيكل أي دور سوى الحصول على أنباء حركة الجيش كي يُزَوِّدَ بها الصحيفة التي يعمل بها مثله مثل الصحفيين الآخَرين"[1].

ورواية ثانية التي تنفي رواية هيكل، هي رواية جلال ندا الذي قال "في صباح 23 يوليو وحوالي الساعة الثالثة صباحًا دَقَّ جرس باب منزلي فلما فتحت الباب فاجأني هيكل قائلًا: (الدبابات مَالْيَة البلد، إلْبِسْ بسرعة)، فطلبت منه الدخول، ولكنه صَمَّمَ على البقاء في الخارج، وبعد دقيقة ونصف كنت أمامه واتجهنا إلى مبنى القيادة وقد أَوْقَفَتْنَا القوات ثلاث مرات، مرة عند ميدان سراي القبة، والثانية عند الكوبري أمام مستشفى الجيش، والثالثة عندما انحرفنا للدخول إلى قيادة القوات بكوبري القبة، وكنت أحمل بطاقتي كضابط متقاعد، فمَرَرْنَا بسهولة ودخلنا مبنى القيادة"[2].

---

(1) جمال حماد: هل اصطحب هيكل اللواء نجيب بسيارته لمقر قيادة الجيش ليلة الثورة، الرياض السعودية، 2007/5/22.

(2) جلال ندا: مغالطات تاريخية في مقالات هيكل، مجلة الدستور اللبنانية، 1976/10/18.

14- أحداث ليلة 23 يوليو في مَقَرِّ القيادة:

أعطي هيكل لنفسه دورًا كبيرًا في أحداث تلك الليلة ذاكرًا أنه كان الوسيطَ الهاتفي في مَقَرِّ رئاسة الأركان بين قيادات الضباط الأحرار - الذين نَجَحَتْ حركتُهم للتَّوِّ في السيطرة على المَقَرِّ - ورئيس الوزراء نجيب الهلالي باشا، وأنه كان يتلقى طلباتهم ويبلغها لرئيس الوزراء والعكس[1].

بينما تتكاتف الشهاداتُ المختلفة لبعض شهود تلك الليلة لتَرُدَّ روايةَ هيكل، فينفي المؤرخ اللواء جمال حماد هذا الكلام جُمْلَةً وتفصيلًا - وقد كان أحد الموجودين في المَقَرِّ وقتها - ويُعَضِّدُ روايةَ اللواء جمال ما ذكره الأستاذ عبد الرحمن فهمي[2] مُوَجِّهًا حديثه لهيكل "الصحفيون الثلاثة في مَقَرِّ قيادة الثورة كانوا: سيادتك، ومرسي الشافعي مدير تحرير (المصري)، وكاتب هذه السطور، وكنت تجلس في الحجرة الخارجية أمام السلم مباشرة تتحدث بالتليفون من آن لآخر مع نجيب الهلالي لكى تنقل له كلَّ حركات الضباط الأحرار الذين كانوا يَتَوَجَّسُونَ منك خِيفَةً باعتبارك من رجال السُّلْطَةِ، واسمح لي أن أنشط ذاكرتك بأنك كنت تؤكد لنجيب الهلالي بأنها حركة داخل الجيش لا أكثر.. وممكن جدًّا احتواؤها أو إخمادها.. وبالصدفة وصل هذا الكلام لمسامع المرحوم مرسي الشافعي الذي هَرْوَلَ إليك وهَزَّ كتفك بعُنْفٍ وهَدَّدَ بأنه سينقل هذا الكلام لمحمد نجيب.. فغادرتَ المكان بسرعة، لقد شاهدتُ هذه الواقعة بنفسي"[3].

ويُعَضِّدُ الشهادةَ السابقة أن شهادة مرسي الشافعي - مدير تحرير (المصري) المذكور - قد نُشِرَتْ فعلًا بعد الواقعة بأسابيع قليلة، في مجلة قصص للجميع (العدد 37 – 15 أكتوبر 1952)، وأن "جلال ندا" و"هيكل" جاءا مُتَأَخِّرَيْنِ،

---

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص54.

(2) عبد الرحمن فهمي: كاتب كبير من أقطاب حزب الوفد الجديد، تَخَرَّج في كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول (القاهرة) عام 1950، ثم عمل كاتبًا وصحفيًّا في جريدة المصري، ثم أسهم بكتاباته في جريدة الوفد.

(3) عبد الرحمن فهمي: الحقيقة بين "أبو الفتح" وهيكل، الوفد، 2006/3/30.

وحاولا تأخيرَ إصدارِ بيان الضباط الأحرار بدعوى حساسية الموقف، لكن رجحت كفة إصدار البيان في النهاية، ويروي وقائع الاتصالات الهاتفية، وكيف أنها كانت مباشرةً بين الهلالي باشا ومحمد نجيب[1]، وهو المنطقي.

ويعلق صاحب كتاب (تاريخ بلا وثائق) قائلًا: حَيَّرَنِي أن يكون المَصْدَرُ الوحيد لدور هيكل في التحضير وتفجير الثورة هو الأستاذ هيكل وحده، وأن شهوده على كل ما جاء في هذا الموضوع قد ماتوا، أما الشهود الأحياء الذين ذكر أسماءهم وهو يَتَحَدَّثُ عن نشاطه في تلك الليالي فإن واحدًا منهم لم يُوَثِّقْ دعواه، ومنهم الرئيس محمد نجيب والأستاذ أحمد حمروش[2].

15- بيان الثورة:

ذكر هيكل أن السادات لم يكن هو أول من أذاع بيان الثورة، وأنه سَجَّلَهُ بصوته لاحقًا[3]، بينما تؤكد جميع المصادر التاريخية عكس هذا، وأن السادات بالفعل هو من أذاع البيانَ الأول كما هو في التسجيل المعروف[4]، بل إن "هيكل" نفسه تَكَفَّلَ – في رواياته الأولى – بإثبات هذا، وأن السادات هو من أذاع البيانَ الأول[5].

16- رواية لقاء قيادات الثورة مع النحاس باشا:

يُقَدِّمُ هيكل روايتين عن هذا اللقاء، الرواية الأولى أن النحاس قال لمحمد نجيب "أهلًا وسهلًا، أنت قائد ستين ألف، لكنني قائد 18 مليون"[6]، في إشارة إلى سيطرة نجيب على الجيش مقابل زعامة النحاس للأمة، وفي رواية ثانية أهدأ

---

(1) رشاد كامل: هيكل وسط العاصفة، صباح الخير، 2003/1/21.

(2) إبراهيم عبده: تاريخ بلا وثائق، دار سجل العرب، القاهرة، 1975، ص18.

(3) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2006/3/2 و2006/3/9.

(4) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج1)، مصدر سابق، ص55.

(5) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 1956/3/24.

(6) – فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر-حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 49.

– هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2006/6/8.

– كرم شلبي: بصراحة عن هيكل، مطبعة عابدين، القاهرة 1975، ص 55.

يروي هيكل أن النحاس قال "باسم الشعب أهنئك"، ثم ألقى كلمة تدور حول هذا المعنى، وأن قيادة الشعب مُمَثَّلَةً في النحاس تُهَنِّئُ قيادة الجيش[1].

بينما تُجْمِعُ المصادر التاريخية الأخرى على رواية مختلفة لهذا الاجتماع، وأنه كان بروتوكوليًّا وقصيرًا بسبب وصول طائرة النحاس باشا من أوروبا في منتصف الليل، وتوجهه مباشرة لمبنى القيادة، حيث كان محمد نجيب وبعض الضباط الأحرار نائمين، فتَمَّ إيقاظهم على عَجَلٍ، وقابلوا النحاس بعد نصف ساعة من وصوله، حيث هَنَّأَهُمْ بحَرَكَتِهم وتبادلوا التحية ثم انْصَرَفَ، هذا ما ذَكَرَهُ محمد نجيب في مذكراته[2]، وأحمد حمروش وهو من الضباط الأحرار[3]، ولا شَكَّ أنها الروايةُ الأَدَقُّ، ويُسْتَبْعَدُ أن يسعى النحاسُ باشا - الذي حرص على تهنئة الضباط لدرجة القدوم من المطار مباشرة إليهم - إلى اسْتِفْزَازِهم بهذه الكلمات، خاصةً بعد أن ظَهَرَ التفافُ الشعبِ حول تلك الحركةِ خلال الأيام السابقة.

وهذا يَقْطَعُ بأن ما ذَكَرَهُ هيكل لم يحدث، بل ويُسْتَبْعَدُ أن يكون هيكل قد حضر الاجتماع أصلًا؛ إذ بأي صفة يحضر صحفي في جريدة موالية للسراي اجتماعًا بعد منتصف الليل بين زعيم الأمة وكبار الضباط الأحرار، وفِيمَ وجودُ الصحفيين بعد منتصف الليل والضباطُ أنفسهم المقيمون في القيادة كانوا نائمين.

17- قصة نجيب والثلاثة ملايين دولار:

أَوْرَدَ هيكل قصةَ تَسَلُّمِ ثلاثة ملايين دولار من المخابرات الأمريكية منسوبةً إلى الرئيس محمد نجيب، وأنه تَسَلَّمَهَا ووُضِعَتْ تحت تَصَرُّفِهِ، ولما وَاجَهَهُ عبد الناصر بذلك أَنْكَرَ أنه يعلم أنها من المخابرات الأمريكية، وأنه ظَنَّهَا مُرْسَلَةً من الرئيس أيزنهاور الذي خَصَّصَ اعتماداتٍ ماليةً لبعض رؤساء الدول ليَتَمَكَّنُوا من

---

(1) يوسف القعيد: هيكل يتذكر.. عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص ص 157-158.

(2) محمد نجيب: كنت رئيسًا لمصر، المكتب المصري الحديث، ط2، القاهرة، 1984، ص148.

(3) أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج1)، مرجع سابق، ص243.

تَجَاوُز مُخَصَّصَاتِهِم المُقَيَّدَةِ بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية، وهنا طلب عبد الناصر إيداعَ المال في خزينة إدارة المخابرات، وأمر بعدم صرف أي شيء منه إلا بإذنٍ من مجلس قيادة الثورة[1].

وقد رد نجيب على هذا في مذكراته قائلًا: "حديث حسنين هيكل باطل من جذوره.. فلم تكن لي صِلَةٌ بهذا الموضوع لسبب بسيط؛ وهو أني كنتُ مُعْتَقَلًا عند وصول هذا المبلغ، هذا بالإضافة إلى أنني كنت منقطعَ الصِّلَةِ تمامًا عن الأمريكيين لا أَلْتَقِى بهم إلا في واجبات رسمية، على خلاف جمال عبد الناصر الذي كانت له صلات متعددة ببعض عملاء وكالة المخابرات المركزية، وبرهان آخر.. هو ما نَشَرَهُ مايلز كوبلاند – عميلُ المخابرات المركزية الأمريكية المُقَرَّبُ من جمال عبد الناصر – في كتابه (لعبة الأمم)، والذي ذَكَرَ فيه صراحةً أنه سَلَّمَ المبلغَ لحسن التهامي في منزله بالمعادي ليُوَصِّلَهُ إلى جمال عبد الناصر كهدية شخصية له.. كل هذه الأسباب مُجْتَمِعَةً تُثْبِتُ بُطْلانَ حديث هيكل، الأمر الذي دفعني إلى رفع دعوى ضده في نوفمبر 1972 أمام محكمة جنايات الجيزة، ولما عَلِمَ بذلك تَمَّ اتصالٌ بينه وبين المحامي الذي كَلَّفْتُهُ بإقامة الدعوى، ووافقتُ على إنهاء النزاع شَرِيطَةَ أن يُحَرِّرَ هيكل بيانًا يُنْشَرُ في صحف الأهرام والديلي تليجراف والنهار اللبنانية وأن يعتذر عما نَشَرَهُ ويُكَذِّبَ ما جاء في هذا الكتاب عن هذه الواقعة"[2].

وقد أَيَّدَتْ روايةُ ويلبور إيفيلاند في كتابه الشهير (حبال من الرمال) روايةَ مايلز كوبلاند، وأن الذي تَسَلَّمَ المبلغَ كان جمال عبد الناصر وليس محمد نجيب[3]، [4].

---

(1) هيكل: عبد الناصر والعالم، مصدر سابق، ص ص 71-72.

(2) محمد نجيب: كلمتي للتاريخ، مصدر سابق، ص ص 253-256.

(3) Eveland, Wilbur C.: op. cit., p. 98.

(4) مايلز كوبلاند: لعبة الأمم، دار الصادق، بيروت – دون تاريخ، ص ص 198-200.

كما أَيَّدَ حسن التهامي هذه الرواية أيضًا[1]، وأكد أحمد حمروش استحالةَ نِسْبَةِ الأمر إلى نجيب، وأنه كان مُقَيَّدَ السُّلْطَاتِ والحركة وتحت المراقبة طوال تلك الفترة، وسَجَّلَ اضْطِرَارَ هيكل إلى الاعتذار عن الواقعة ونَشْرَهُ في الأهرام وغيره[2].

في هذه الواقعة كان هيكل يعلم الحقيقة تمامًا، ويعلم أن الأمر كله كان في عهد عبد الناصر وليس لنجيب علاقة به مُطْلَقًا، ومع ذلك نَسَبَهَا لنجيب، وأَظْهَرَهُ بمَظْهَرِ المُتَجَاوِزِ ليَظْهَرَ عبدُ الناصر بمَظْهَرِ ناصع، فتَلاعَبَ بشكل سافر في الواقعة التاريخية لغَرَضٍ شخصي، ولم يكن يُقَدِّرُ أَنَّ "نجيب" – الذي ظَنَّ أن الماضي طواه – يمكن أن يعود مُدَافِعًا عن نفسه.

18- نجيب ومجلس قيادة الثورة

ذكر هيكل أن محمد نجيب لم يحضر إلا جلسة أو جلستين من جلسات مجلس قيادة الثورة[3].

والحقيقة أن نجيب حضر أكثر من سبعين جلسة من جلسات مجلس قيادة الثورة، فيؤكد عبد اللطيف البغدادي وأحمد حمروش أن جلسات مجلس قيادة الثورة كانت أسبوعية يوم الأحد بحضور نجيب، وأن عبد الناصر اقترح على زملائه في أواخر 1953 أن يجتمعوا في يوم آخر غير الأحد حتى تصبح الاجتماعات التي يحضرها نجيب صورية[4].

---

(1) محمد سعد العوضي: حسن التهامي يفتح ملفاته.. عبد الناصر، السادات، وسكّين المخابرات الأمريكية، مرجع سابق، ص40.

(2) أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج2)، مجتمع عبد الناصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1983، ص42.

(3) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر–حوار مع محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 42.

(4) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي، مصدر سابق، ص 54.

فتحول حضور محمد نجيب بانتظام لجلسات مجلس قيادة الثورة لأكثر من عام ونصف وهو ما يربو على سبعين جلسة، لتصبح عند هيكل جلسة أو جلستين، وذلك لتوهين قدر محمد نجيب ودوره التاريخي في تلك الفترة عند القراء.

19- لقاء هيكل بأينشتاين:

ذكر هيكل أنه التقى بأينشتاين في أواخر عام 1952، وأنه كان على علم بصداقته لعبد الناصر، وأن حديثهما امْتَدَّ لساعات، وأن أينشتاين كَلَّفَهُ بِحَمْلِ رسالة إلى عبد الناصر، مُحَاوِلًا فَتْحَ مَسَارٍ تَفَاوُضِيٍّ بينه وبين إسرائيل[1].

ويَرُدُّ هذه الروايةَ أن "هيكل" كتب روايةً مُبَكِّرَةً عن لقائه بأينشتاين، وكان اللقاء عام 1951 قبل الثورة وليس بعدها، وأنه سَمَحَ له بخمس عشرة دقيقة من وقت أينشتاين أثناء ممارسته رياضة المشي في جامعة برنستون، وكان ذلك هو الحوار بينهما[2]، ولم يكن هيكل في أواخر عام 1952 على صداقة بعبد الناصر حتى تكون معروفة خارج مصر.

20- وثيقة تقدير الموقف قبل تأميم القناة:

رصد د. محمد السيد سليم - في دراسته عن قرار تأميم القناة - اختلافَ روايات هيكل بخصوص وثيقة تقدير الموقف التي كتبها عبد الناصر قبل اتخاذ قراره بتأميم القناة، فذكر ما يلي: وقد نشر محمد حسنين هيكل خمس روايات لهذه الوثيقة، الأولى: نشرها في مقالة كتبها في الأهرام 7 أكتوبر 1966، والثانية: نشرها في كتابه المنشور بالإنجليزية "وثائق القاهرة" عام 1972، والثالثة: في

---

(1) - هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1985، ص ص 221، 293.

- هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص84.

(2) هيكل: هذا هو دورنا، الأهرام، 1959/1/3.

كتابه "قصة السويس" الذي صَدَرَتْ طبعته الأولى سنة 1977، والرابعة: في حديثه مع فؤاد مطر في كتابه "بصراحة عن عبد الناصر" الصادر في سنة 1977، والخامسة: في كتابه "ملفات السويس" الصادر سنة 1986، والروايات الخمس تتفاوت في حجم المعلومات الواردة في كل منها، وفي تقدير عدد القضايا التي غَطَّاهَا عبد الناصر في تلك الوثيقة، كما تتفاوت في مضمون بعض المعلومات، بل تختلف في عدد صفحات وثيقةِ تقدير الموقف التي كَتَبَهَا عبد الناصر؛ فبينما يشير في حديثه مع فؤاد مطر إلى أن صفحات الوثيقة إحدى عشرة صفحة، فإنه في ملفات السويس يشير إلى أنها سبع صفحات فقط، كذلك فقد تَحَدَّثَ عبد الناصر إلى الصحفي "كينيث لف" عن تلك الوثيقة، وقد نَشَرَ "لف" هذا الحديث في كتابه "السويس" الصادر عام 1969، وتَضَمَّنَ ذلك الحديثُ معلوماتٍ مختلفةً إلى حَدٍّ ما عما جاء بروايات هيكل"[1].

21- تكليف محمود يونس بإدارة مرفق قناة السويس:

ذكر هيكل روايتين مُتَعَارِضَتَيْنِ تمامًا عن كيفية تَلَقِّي محمود يونس تكليفَ جمال عبد الناصر له بإدارة إجراءات تأميم القناة والسيطرة على المرفق، فالرواية الأقدم التي كانت في حياة محمود يونس يقول فيها إن عبد الناصر عندما أخبر محمود يونس "مَرَّتْ دقيقةُ صمتٍ، ثم انتهى الصمت بمحمود يونس يقول بهدوء: حاضر يا فندم"[2]، وفي الرواية الأحدث بعد رحيل محمود يونس يقول هيكل "كان المشهد مؤثرًا لأن (محمود يونس) قَفَزَ من مقعده يحاولُ تَقْبِيلَ جمال عبد الناصر، ثم راحت دموعه تجري على خديه من فَرْطِ الحماسة، وطلب

---

(1) د. محمد السيد سليم: تأميم شركة قناة السويس – دراسة في عملية اتخاذ القرار، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص103.

(2) هيكل: حديث يتجدد عن العمل الداخلي ومشاكله (6)، الأهرام، 1964/12/25.

منه جمال عبد الناصر أن يتمالك مشاعره لأن أمامه أيامًا عصيبة"[1]، وهنا يَظْهَرُ تَدَخُّلُ الصحفي والروائي في إعادة تشكيل الحدث وإعطائه بُعْدًا دراميًّا.

22- معرفة عبد الناصر بالمعلومات المسبقة عن التواطؤ البريطاني الفرنسي مع إسرائيل:

ذكر هيكل أن عبد الناصر فوجئ بالتواطؤ البريطاني الفرنسي مع إسرائيل، ولم يكن في حساباته ولم تكن عنده معلومات مسبقة بخصوصه ولا بخصوص احتمالية الهجوم الإسرائيلي، وأنه فوجئ تمامًا به، وعندما بدأ الهجوم الإسرائيلي فإن عبد الناصر بدأت تُسَاوِرُهُ الشكوك[2].

غير أن ثروت عكاشة في مذكراته يؤكد أنه أبلغ عبد الناصر بالمعلومات عن الهجوم الإسرائيلي، وأن "هيكل" نفسه قَابَلَهُ لاحقًا وهَنَّأَهُ على دِقَّةِ معلوماته[3]، وأكد أحمد حمروش روايةَ ثروت عكاشة[4]، ويؤكد سامي شرف كذلك روايةَ ثروت عكاشة أنه أَبْلَغَ عبد الناصر مسبقًا بمعلومات الهجوم الإسرائيلي، بل إنه يرصد عشرة مصادر أخرى أَبْلَغَتْ عبد الناصر بهذا[5]، مما ينفي تمامًا روايةَ مفاجأة عبد الناصر بالهجوم والتواطؤ.

---

(1) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص463.

(2) - هيكل: قصة السويس.. آخر المعارك في عصر العمالقة، مصدر سابق، ص ص 233-234.

- هيكل: عبد الناصر والعالم، مصدر سابق، ص158.

(3) د. ثروت عكاشة: مذكراتي في السياسة والثقافة (ج1)، دار الهلال، الطبعة الثانية، القاهرة، 1990، ص ص193، 216.

(4) - أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج2)، مجتمع عبد الناصر، مرجع سابق، ص ص 99-100.

- أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج4)، خريف عبد الناصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1984، ص39.

(5) سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج1)، مصدر سابق، ص235.

23- إسقاط طائرات العدو في حرب 1956:

كتب هيكل بعد تَوَقُّفِ المعارك أن سلاح الجو المصري كان - قبل التَّدَخُّلِ البريطاني الفرنسي - قد "أَحْكَمَ سَيْطَرَتَهُ على الأجواء، ودَمَّرَ نصف سلاح إسرائيل الجوي"[1]، وكتب مُؤَكِّدًا "كان طيرانُنا يُسَيْطِرُ على مدن العدو"[2].

ثم كتب أنه بعد دخول بريطانيا وفرنسا الحربَ فإن الطيران المصري اختفى فلم يَسْتَطِع الأعداءُ أن يظفروا به أو يعرفوا مكانه، وفشلت جميع جهودهم في العثور عليه[3].

بينما الحقيقة أن طيرانَنا لم يَدْخُل المعركة إلا يومًا واحدًا وبشكل محدود، فلقد فوجئ الجيش المصري بالهجوم الإسرائيلي عصر يوم 29 أكتوبر، ولم يَتَبَيَّنْ حَجْمُهُ إلا في اليوم التالي، ولم يَشْتَرِك الطيرانُ المصري في القتال إلا بطلعاتٍ محدودة؛ بسبب عدم وجود كمية كافية من وقود الطائرات[4]، وقد كتب هيكل نفسه لاحقًا أن مصر لم يكن متاحًا لديها داخل البلاد يوم بدء الحرب غير ثلاثين طيارًا لطائرات الميج وعشر طيارين لقاذفات القنابل، فكان هذا العدد هو أقصى عدد من الطائرات يمكن استخدامُه، لذلك كان للطيران الإسرائيلي تَفَوُّقٌ بنسبة اثنين إلى واحد[5]، وفي مساء يوم 31 أكتوبر تَمَّ تدميرُ جميع الطائرات تقريبًا في مطاراتها على الأرض على يد الطيران البريطاني والفرنسي المتواطئ، وبالتالي فلا سَيْطَرَ على مدن العدو ولا دَمَّرَ طائراتِه ولا نجا من التدمير.

(1) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 1956/11/17.

(2) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 1956/11/24.

(3) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 1957/3/16.

(4) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج1)، مصدر سابق، ص336.

(5) هيكل: حرب السويس وحكاياتها الطويلة، الأهرام، 1962/2/16.

وتبدو مَقُولَةُ (دَمَّرَ نِصْفَ سلاحِ الجو الإسرائيلي) "بروفة" لما ستكون عليه بيانات حرب 1967!

24- عبد الناصر وثورة الشَّوَّاف في الموصل:

نفى هيكل صِلَةَ عبد الناصر بثورة الشَّوَّاف في الموصل ضد عبد الكريم قاسم في مارس عام 1959، وذكر أنها لم تكن انقلابًا مُخَطَّطًا له، وإنما كانت نتيجة لاحتكاك عنيف؛ فقد اعتدى أنصار الشيوعيين على ثكنات الموصل، فرَدَّ الجيش وبدأت الثورة[1]، بينما يؤكد عبد اللطيف البغدادي وأكرم الحوراني - الزعيم البعثي السوري - أن عبد الناصر كان على علم كامل بها، وأُصِيبَ بصَدْمَةٍ من فشلها السريع وما اسْتَتْبَعَتْهُ من مذابح للقوميين الموالين له[2].

25- التعذيب في السجون بعد مصرع شهدي عطية:

ذكر هيكل أن عبد الناصر غضب بشدة عندما فوجئ بالتعذيب في السجون، الذي أَدَّى لوفاة المناضلِ اليساري شهدي عطية، وأنه أمر بعقاب مسؤول السجن وتَوَقُّفَ التعذيبُ من بعدها.

بينما الحقيقة أن التعذيب استمر طوال فترة الستينيات، بل تَصَاعَدَتْ وَتِيرَتُهُ شاملةً كلَّ من اعْتَبَرَ النظامُ الناصري أنهم من خصومه، وشمل ذلك الإخوانَ حتى وفاة عبد الناصر، وشمل اليساريين حتى خروجهم عام 1964، وممن مات منهم بعد شهدي عطية كان "فريد حداد" في سجن أبو زعبل، و"محمد عثمان" الذي قتلوه في سجن طنطا ولم تَظْهَرْ جُثَّتُهُ بعد ذلك[3]، وليس

---

(1) هيكل: شرارة في الموصل، الأهرام، 1959/3/13.

(2) - عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج2)، مصدر سابق، ص ص 82-89.

- أكرم الحوراني: مذكرات أكرم الحوراني (ج3)، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص2867.

(3) د. عبد العظيم أنيس: عبد الناصر والشيوعيين، الأهالي، 1989/4/19.

لهؤلاء ذِكْرٌ في كتابات هيكل، كما شمل التعذيبُ العائلاتِ الكبيرة، خاصةً ما حدث في كمشيش وأشار إليه السادات وكمال الدين حسين[1]، وصرح شمس بدران وزير الحربية في الستينيات - وكان تحت سُلْطَاتِهِ السجنُ الحربي الشهير، حيث تَمَّتْ أسوأ وقائع التعذيب - أن "هيكل" زار السجن الحربي واطَّلَعَ على عمل حمزة بسيوني وطاقم عمله، وطُرُقِ (الاستجوابات العنيفة)[2].

26- التجاوزات في سوريا وقت الوحدة:

نفى هيكل واقعةَ مَقْتَلِ المُعَارِضِ السوري الشيوعي فرج الله الحلو، وذَكَرَ أنها حدثت قبل الوحدة بعامين، وأن نَعْيَهُ نُشِرَ في الصحف اللبنانية، بينما قَدَّمَت التحقيقات وعريضةُ الاتهام في دمشق في يونيو سنة 1962 قائمةً بأسماء هؤلاء الضباط المسؤولين عن قتل الحلو وملخص اعترافاتهم بتعذيبه وقتله والتمثيل بجثته، وعلم السراج بهذه الجريمة[3]، وقد أكد أحمد حمروش - أحد أكبر مؤرخي عهد الثورة - هذه الواقعة[4].

27- تحَرُّكُ الأسطول يوم الانفصال:

كتب هيكل بُعَيْدَ الانفصال "إن الأسطول كان قد تَحَرَّكَ وعلى ظهره فِرْقَتَانِ كاملتان، بالسلاح والمدرعات.. أي ما يَقْرُبُ من خمسة وثلاثين ألف جندي"، ثم

---

(1) - السادات: البحث عن الذات، مصدر سابق، ص180.

- د. حسين مؤنس: باشوات وسوبر باشوات، مرجع سابق، ص340.

(2) شمس بدران: مذكرات شمس بدران، مصدر سابق، ص144.

(3) - د. عبد العظيم أنيس: عبد الناصر والشيوعيين، الأهالي، 1989/4/19.

- هيكل: هذه المعركة وما الذي تقتضيه منا، الأهرام، 1962/9/7.

(4) أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج2)، مرجع سابق، ص73.

"تَلَقَّتْ قواتُ الأسطول - وكانت قد وصلت إلى قبرص - أمرًا بأن تدور في البحر وتعود إلى الإسكندرية وإلى بورسعيد"[1].

ومن الوَهْلَةِ الأولى يَصْعُبُ تَقَبُّلُ هذه المعلومة؛ فلا يمكن أن تكون سفنُ الأسطول قد تَمَّ تجهيزُها بعد أن وصلت أخبار الانفصال في الصباح، ثم انتهت تجهيزاتها، وتحميل القوات والأسلحة عليها، ثم تحركت حتى وصلت إلى قبرص عند المساء حين أَمَرَ الرئيس بإلغاء العمليات العسكرية، فهذا في حكم المستحيل عمليًا.

ويؤكد هيكل نفسه هذه البديهية حين يأتي برواية عكسية أن عبد الناصر حين اتَّخَذَ قرارَ إلغاء التحركات العسكرية كانت قِطَعُ الأسطول "على وشك الإبحار"[2]، وعلى هذا فلم يكن الأسطولُ قد تَحَرَّكَ أصلًا، فضلًا عن أن يكون قد وصل إلى قبرص وأصبح يستطيع التدخل، فكانت الرواية الأولى إذًا مُحَاوَلَةً للتغطية على الفشل في التصدي لحركة الانفصال.

28- قصة لقائه مع الرئيس كينيدي:

يقول هيكل إنه ذهب إلى البيت الأبيض في موعدٍ لمقابلة الرئيس جون كينيدي، وقيل له قبل أن يذهب: إن دخول "سيجار" من كوبا في البيت الأبيض ممنوع، ويمكن أن يسبب أزمة ويؤدي إلى إفساد المقابلة مع الرئيس، ولكنه ذهب وفي جيبه عدد منها، وأثناء المقابلة قَدَّمَ له كينيدي علبة السيجار وأعطاه واحدة، لكن "هيكل" قال له بأدب: أنا معتاد على هذا السيجار، وأخرج سيجارًا كوبيًا وأشعله بينما أشعل كينيدي سيجارًا من العلبة، وقال لهيكل: هل تعرف أن وجود هذا السيجار في البيت الأبيض جريمة؟ فقال له هيكل: نعم أعرف، وبعد لحظة تسللت

(1) هيكل: هجوم الربيع الذي نجح في الخريف، الأهرام، 1961/10/6.

(2) هيكل: سنوات الغليان، مصدر سابق، ص571.

رائحة السيجار الكوبي إلى أنف الرئيس كينيدي فقال لهيكل: هات واحدة، ثم قال له: هل تعرف أن ذلك يمكن أن يؤدى إلى طَرْدي من البيت الأبيض؟![1].

الرواية تُعَبِّرُ عن المدرسة الصحفية في الكتابة التاريخية، وكيف يمكن أن يَتَدَخَّلَ خيالُ الكاتب في الأحداث ليضع لمسةً من التشويق، فهيكل يدخل بالسيجار الكوبي الممنوع في جيبه - كأن جَيْبَهُ لا يُفَتَّشُ وهو داخل لمقابلة الرئيس الأمريكي - وكينيدي يخرق القانون ويغامر بالحرج بسببه، هذا يوضح التداخل بين الكتابة الصحفية - ذات التوابل والبهارات - والرصد التاريخي، فالمقابلة نفسها لا وجود لها في كتابات هيكل في تلك الفترة ولا بعدها.

29- انضمام هيكل للتنظيم الطليعي:

ينفي هيكل أنه كان عضوًا في التنظيم الطليعي[2].

بينما أَكَّدَتْ عدة مصادر أنه كان من مؤسسي التنظيم الطليعي، وأنه شارك في جلسات تكوينه الأولى مع عبد الناصر وعددٍ محدود من المحيطين به[3]، بل استمر في التنظيم الطليعي لعامين على الأقل؛ إذ يرصد أحد الباحثين في ملفات هذا التنظيم عدة تقارير قَدَّمَهَا هيكل إلى التنظيم عام 1965 وذكرها تفصيليًّا[4]، وكانت كتابة التقارير هي النشاط الأساسي لأعضاء التنظيم الطليعي، ونَصَّتْ لائحة التنظيم صراحة على أن العضوَ عليه أن يتقدم

---

(1) - مفيد فوزي: هيكل الآخر - حوار مع هيكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004، ص57.

- رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، مرجع سابق، ص68.

(2) - هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص288.

- هيكل: أحاديث في العاصفة، مصدر سابق، ص ص 128، 309.

(3) - أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج2)، مجتمع عبد الناصر، مرجع سابق، ص ص 240-241.

- سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج1)، مصدر سابق، ص9.

(4) د. حمادة حسني: عبد الناصر والتنظيم الطليعي السري، مكتبة بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008، ص ص 186، 187، 192، 196.

بالتقارير في مختلف المسائل إلى مستواه وإلى جميع المستويات الأعلى بما فيها اللجنة المركزية[1]، ولعل هذا هو ما دفع بهيكل لاحقًا إلى نفي التحاقه به.

30- تكاليف حرب اليمن:

أوضح هيكل أن تكاليف حرب اليمن تُقَدَّرُ بخمسين مليون جنيه مصري سنويًّا[2].

بينما أكدت عدة مصادر أن التكلفةَ تتعدى ذلك بمراحل؛ فذكر أحمد حمروش أن ميزانية مساعدة القبائل فقط تُقَدَّرُ بستين مليون جنيه إسترليني سنويًّا[3] (وهو ما يساوي اثنين وسبعين مليون جنيه مصري بأسعار الستينيات)؛ كما أن ميزانية بدل السفر التي كانت تُصْرَفُ للجنود كانت تُحَمِّلُ الميزانية العامة عِبْئًا كبيرًا، كان الجندي يصرف جنيهًا واحدًا في اليوم[4]، وهذا يعني أن بند بدلات السفر للجنود فقط يتعدى ثمانية عشر مليون جنيه سنويًّا، وبالتالي فإن هذين البندين فقط من البنود الكثيرة للإنفاق العسكري في اليمن يتعديان ضعف الرقم الذي ذكره هيكل.

31- قرار التنظيمات الشيوعية بحل نفسها:

كتب هيكل – مُبَاهِيًا – مُعَلِّقًا على قرار التنظيمات الشيوعية حل نفسها "أن مصر البلد الوحيد الذي قررت فيه التنظيمات الشيوعية – باختيارها – أن تحلّ نفسها بنفسها، مدركةً أن هناك بابًا واحدًا للعمل السياسي هو باب الثورة الوطنية"[5]، وأي اختيار عند مسجون يُقَاسِي السجنَ والتعذيب؟ لقد رَفَضَت

---

(1) المرجع السابق، ص ص 186، 187، 192، 196.

(2) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص185.

(3) وهو ما يساوي اثنين وسبعين مليون جنيه مصري بأسعار الستينيات.

http://fxtop.com/en/historical-exchange-rates.php

(4) أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج2)، مجتمع عبد الناصر، مرجع سابق، ص262.

(5) هيكل: ماذا حدث بين الصيف الخطر الماضي والصيف المثير الحاضر؟، الأهرام، 22/4/1966.

التنظيماتُ الشيوعيةُ حَلَّ نفسها عام 1959 فأُلْقِيَ القبضُ على أعضائها وأُودِعُوا السجونَ خمس سنوات كاملة عانوا خلالها ويلات السجن والتعذيب، حتى أتى من يَهْمِسُ في أذنهم أن الحل هو الحل، فهل هذا اختيار؟

32- هيكل وقضية مصطفى أمين:

نفى هيكل أن تكون الصحف العالمية اهتمت بقضية اعتقال الأستاذ مصطفى أمين، وقال بالنص "الملاحظ أن صحافة العالم كلها تقريبًا لم تَكْتُبْ شيئًا عن القضية، ولم تتناولها واحدة منها كقضية صحافة أو كقضية حريات"[1]، الجملة للوهلة الأولى بها خبران متناقضان، فالصحف إما أنها لم تَكْتُبْ عن القضية وإما أنها لم تَعْتَبِرْهَا قضيةَ صحافةٍ أو قضيةَ رأيٍ، وفي الأحوال كافة فالخبران غير صحيحين، وهي سقطة من الأستاذ هيكل الذي أراد التهوين من شأن أستاذه وأحد أساتذة الصحافة المصرية للخصومة السياسية بينهما، وكيف لا تهتم الصحف العالمية بخبر القبض على أحد أهم الصحفيين المصريين؟، بل الصحيح أن الخبرَ كان في الصفحة الأولى لكُبْرَيَاتِ الصحف العالمية، ومنها (الواشنطن بوست)[2]، و(الجارديان) التي وَضَعَتْ صورةً كبيرة لمصطفى أمين مع الخبر[3].

33- معرفة عبد الناصر بتجاوزات المشير عامر:

يذكر هيكل في كتابه (الانفجار) أن الرئيس عَلِمَ بزواج المشير عامر من السيدة برلنتي عبد الحميد في فبراير 1967، وأنه عَنَّفَهُ على ذلك، ولكن الذي مَنَعَهُ من إقالته هو التوتر الذي سبق حرب 1967[4].

---

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص306.

(2) The Washington Post, Egypt Arrests Editor, 23-07-1965.

(3) The Guardian, Egyptian Newspaper Editor Arrested, 24-07-1965.

(4) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص ص 394-398.

بينما يذكر المشير أحمد إسماعيل في مذكراته أن عبد الناصر أخبره أنه علم بهذا الأمر عام 1965، وأن الذي أخبره هو هيكل تحديدًا بعدما سَمِعَهُ من الصحفي جليل البنداري، وأضاف عبد الناصر للمشير أحمد إسماعيل :"كان هناك أزمات في القوات المسلحة وخوف من قيام حرب أهلية، فتغاضيت عن ذلك"[1].

فإذًا عَلِمَ عبد الناصر عام 1965، وليس عام 1967، وهيكل يعلم ذلك؛ لأنه هو الذي أخبره، وبالتالي لم يكن مانع الإقالة ظهور مقدمات حرب 1967؛ لأن الواقعة كانت قبل الحرب بعامين.

34- عندما ذَكَرَ هيكل أن (مصر لم تَتَوَقَّع النصرَ في حرب يونيو عام 1967):

قال هيكل في كتاب (الطريق إلى رمضان) - وهو ثاني كتبه المنشورة أصلًا باللغة الإنجليزية - "إن مصر لم تكن تتوقع النصر في حرب يونيو 1967"[2].

وهذا يُعَارِضُ ما يعرفه جميع من عَاصَرَ تلك الفترَةَ، بل تُنَاقِضُهُ كتابات هيكل نفسها، فهو أول من بَشَّرَ ومَنَّى الجماهير بهذا النصر، فقال قبل الحرب بأيام "مهما يكن وبدون محاولة لاستباق الحوادث، فإن إسرائيل مُقْبِلَةٌ على عملية انكسار تكاد تكون مُحَقَّقَةً"[3]، ثم كان أول ما اعترف أن الجماهير كانت تنتظر النصر ولا تتوقع سواه "إن الجماهير واجهت الهزيمة في وقت كانت فيه على استعداد لأن تُقَابِلَ النصر، بل إنها هُيِّئَتْ وعُبِّئَتْ لمقابلة النصر بكل الوسائل"[4]، وأن "الجو العربي العام قبل معارك يونيو سنة 1967 لم يكن جَوَّ

(1) أحمد إسماعيل: مشير النصر - مذكرات أحمد إسماعيل، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2013، ص92.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص ص 394-398.

(3) هيكل: الصراع الذي يدور في التفكير الإسرائيلي الآن، الأهرام، 1967/6/2.

(4) هيكل: ليس بالحَسْمِ والحَزْمِ.. ولكن بالعمل السياسي، الأهرام، 1968/4/19.

الرد على إسرائيل، ولكنه كان جَوَّ القضاء على إسرائيل"[1]، ولكن هذا الجو لم يأت من فراغ، وإنما كان انعكاسًا لتصريحات عبد الناصر الذي قال فيها قبل الحرب بأسبوع " لن تكون الحرب إذا بدأتها إسرائيل حربًا محدودة، وسوف نقوم بتدمير إسرائيل تدميرًا كاملًا "[2].

وهذا ما تَعْكِسُهُ عناوين جرائد تلك الفترة جميعها، وأَوَّلُهَا الأهرام، وأسبقها لذلك جريدة المساء التي كتبت في الصفحة الأولى مساء يوم 5 يونيو مُعَلِّقَةً على بدء الحرب (الجماهير ترقص في الشوارع.. سندخل تل أبيب)، وكتبت تحت صورة عبد الناصر في ذات الصفحة (كلمة واحدة.. سنُدَمِّرُ إسرائيل)[3].

35- بيانات حرب 1967:

حاول هيكل تبرير البيانات التي أَصْدَرَتْهَا قيادةُ القواتِ المسلحة أثناء حرب يونيو، التي زَعَمَتْ فيها إسقاطَ مئات الطائرات الإسرائيلية، وعزاها إلى أن تلك الطائرات كانت تُسْقِطُ خزانات الوقود الإضافية فأَخْطَأَتْ نِقَاطُ المراقبة التي كانت تتابع الطيرانَ المُعَادِيَ وظَنَّتْهَا أجزاءً من الطائرات المُعَادِيَة طَالَهَا الدفاعُ الجوي المصري[4].

على أن كمال الدين حسين - عضو مجلس قيادة الثورة - يُصَرِّحُ بأنه كان موجودًا في القيادة عندما جاء هيكل و"فبرك" البيانَ الأولَ" على حَدِّ وَصْفِهِ[5].

وقد عكست عناوين الأهرام الرئيسية بوضوح استخدامَ الأخبار غير الصحيحة ونَقْلَهَا إلى الشعب، فخرجت عناوين يوم 6 يونيو (إسقاط أكثر من

(1) هيكل: خط التفكير الاستراتيجي العربي، الأهرام، 1968/6/14.

(2) الأهرام، 1967/5/27.

(3) المساء، 1967/6/5.

(4) هيكل: الانفجار، مصدر سابق، ص824.

(5) د. حسين مؤنس: باشوات وسوبر باشوات، مرجع سابق، ص343.

115 طائرة للعدو)، (الطيران المصري والأردني والسوري يعمل فوق إسرائيل طوال يوم أمس)، وعناوين يوم 7 يونيو -وبعد أن تَكَشَّفَتْ لهيكل الصورة كاملة - (الطيران الأمريكي والبريطاني يعمل ضدنا في المعركة)، (قواتنا تقف ببسالة أمام هجوم أمريكي بريطاني إسرائيلي)، وعناوين يوم 8 يونيو "خسائر العدو في الطيران خلال اشتباكاته أمس مع قواتنا الجوية تصل إلى ما يقارب مجموعه 300 طائرة".

36- وقائع حرب 1967:

حاول هيكل تحسينَ موقف مسؤولية عبد الناصر عن وقائع حرب 1967 بأن جسامة خسائر الضربة الجوية أُخْفِيَتْ عن عبد الناصر، وأنه كذلك لم يَعْلَمْ بقرار الانسحاب إلا بعد صدوره بوقت طويل[1].

وكلا المعلومتين لا يمكن أن يكون صحيحًا؛ فقد شملت الضربة الجوية جميع مطارات البلاد، كذلك فإن قرار الانسحاب كان قرارًا عامًّا أُبْلِغَ إلى جميع وحدات الجيش في سيناء، فهذه المعلومات هي من الشيوع والشمول بحيث لا يمكن إخفاؤها على عبد الناصر أو يُتَصَوَّرُ عدم إلمامه بها، خاصة أن الحرب بمجرد نُشُوبِهَا قد أصبحت بالضرورة شُغْلَهُ الشَّاغِلَ، وأن الفريق محمد فوزي رئيس الأركان كان رَجُلَهُ في الجيش، وهو الذي أَسْنَدَ إليه قيادةَ الجيش بعد الحرب.

37- الضربة الجوية الإسرائيلية في حرب 1967:

ذكر هيكل في محاولة للتغطية على الكارثة أن الولايات المتحدة قَدَّمَتْ لإسرائيل مائتين وخمسين طائرة قُبَيْلَ الحرب، وهذا هو الذي مَكَّنَ إسرائيل من أن تُهَاجِمَ مصرَ بخمسمائة طائرة أصبحت تملكها بدلًا من مائتين وخمسين كانت بحوزتها[2]،

(1) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص123.

(2) هيكل: أقصى درجات العنف، الأهرام، 1967/6/16.

وزاد من مبالغاته في الشهر التالي رافعًا الرقم إلى ألف ومائتين إلى ألف وخمسمائة طائرة[1]، غير أنه بعد ذلك عاد لاحقًا وذَكَرَ أن إسرائيل اسْتَخْدَمَتْ في الضربة الجوية طائراتٍ فرنسيةً من طرازات "مستير" و"ميراج"، ولم تَسْتَخْدِمْ طائراتٍ أمريكيةً؛ لأن الفرنسية كانت أبعد مَدًى وأقدر على الطيران المنخفض، وهو ما نَاسَبَ الاستراتيجيةَ الإسرائيلية في الضربة الجوية[2]، وعلى هذا فلم تَكُنْ هناك طائراتٌ أمريكية، ولم تَدْخُلْ طائراتٌ أمريكية في سلاح الجو الإسرائيلي إلا بعد حرب 1967.

وكما تَمَّتْ محاولة تبرير نتائج الضربة الجوية الإسرائيلية الأولى بالتهويل في حجمها تمت كذلك محاولة تبرير النتائج بالتَّذَرُّعِ باتجاهها، ففي بيان التنحي – الذي كتبه هيكل – قال عبد الناصر جملته الشهيرة: إننا انتظرنا الضربة من الشرق فجاءت من الغرب، في إشارة إلى ما أُذِيعَ وقتها أن الطائرات المُغِيرَةَ جاء مُعْظَمُهَا من القواعد الغربية في ليبيا أو من حاملات الطائرات الأمريكية في البحر، ثم زاد رواية أن طائرات أمريكية شَارَكَتْ وبعلامات أمريكية واضحة[3]، لكن ما لَبِثَ لاحقًا أن أَكَّدَ حقيقةَ أن الطائرات جاءت من الموضع المُتَوَقَّعِ، وأن العدو "سَلَكَ طريقَ الاقتراب الطبيعي، وهو الفجوة ما بين بورسعيد والبرلس"[4]، وهو ما أكدته شهادات قادة الطيران[5]، لكنه عاد ثانيةً للمزاعم الأولى – مستخدمًا لغة الإيحاء – محاولًا مرة أخرى التبريرَ بأن طائرات أمريكية شاركت من القواعد في ليبيا بعد طلائها بشكل علاماتٍ إسرائيلية[6]، وهو ما لم يَأْتِ بأي توثيق عليه، وقد

(1) هيكل: مؤتمر أو لا مؤتمر، الأهرام، 1967/7/14.

(2) هيكل: وقفة بقرب الجانب العسكري من النكسة (3)، الأهرام، 1967/10/20.

(3) هيكل: عبد الناصر والعالم، مصدر سابق، ص341.

(4) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص67.

(5) حسني مبارك: كلمة السر (مذكرات حسني مبارك 1967–1973)، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013، ص75.

(6) – هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2008/7/24.
– هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2009/4/2.

نفاه سابقًا كما تَقَدَّمَ، وتنفيه حقيقةُ أن المسافة من القاعدة الأمريكية في طرابلس إلى أقرب المدن الكبرى – وهي الإسكندرية - تُمَثِّلُ ضعف المسافة من إسرائيل إليها، فلماذا تغامر الولايات المتحدة بسُمْعَتِهَا لتُخْرِجَ طائراتها بعلامات إسرائيلية من طرابلس وهي تستطيع أن تُسَلِّمَ الطائرات المطلية ذاتها لتخرج من المطارات الإسرائيلية وتضرب عبر البحر.

38- انضمام هيكل للاتحاد الاشتراكي:

ينفي هيكل أنه كان عضوًا في الاتحاد الاشتراكي، وذكر أن عبد الناصر حاول معه مرات عديدة أن يدخل الاتحاد الاشتراكي أو التنظيم الطليعي واعْتَذَرَ[1].

بينما أكدت محاضر جلسات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي عضويته فيها منذ عام 1968[2]، وحضوره جميع تلك الجلسات منذ أكتوبر 1968 حتى رحيل جمال عبد الناصر، وعددها أربع وعشرون جلسة حضرها هيكل جميعًا عدا الجلستين اللتين لم يَحْضُرْهُمَا عبد الناصر نفسه، الأولى لمرض عبد الناصر فتَخَلَّفَ عنها هيكل أيضًا[3]، والثانية لسفرهما معًا إلى موسكو[4]، وتثبت محاضر الجلسات

- هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2009/6/4.

(1) - هيكل: أحاديث في العاصفة، مصدر سابق، ص309.

- هيكل: مبارك وزمانه – من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص70.

(2) محاضر جلسات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي

http://nasser.bibalex.org/Sessions/SessionsAll.aspx?CS=0&x=5&lang=ar, 6/4/2016.

(3) محضر الجلسة الحادية والعشرين للَّجْنَة المركزية للاتحاد الاشتراكي بتاريخ 21 إبريل 1970.

http://nasser.bibalex.org/Data/Docs/Sessions/v5/Galsa21.htm, 6/4/2016.

(4) محضر الجلسة الثالثة والعشرين للَّجْنَة المركزية للاتحاد الاشتراكي بتاريخ 14 يوليو 1970.

http://nasser.bibalex.org/Data/Docs/Sessions/v5/Galsa23.htm, 6/4/2016.

اسم هيكل كعضو أصلي في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي[1]، وكذلك اختياره عضوًا في لجنة الثقافة والفكر والإعلام[2]، واستمرت عضويته بعد وفاة عبد الناصر، فأثناء مناقشة مشروع اتحاد الجمهوريات العربية في إبريل 1971 كان صوت هيكل أحد أربعة أصوات في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وقفت إلى جوار السادات وأيَّدَت المشروعَ[3]، واستمر عضوًا في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي حتى عام 1974[4].

39- هيكل ومُؤَلِّف كتاب (لعبة الأمم):

بعد أن هاجم "هيكل" "مايلز كوبلاند" مُؤَلِّفَ كتاب (لعبة الأمم) وشَكَّكَ في مصداقيته، ذكر أن لكوبلاند كتابين هما (لعبة الأمم)، وأشار هيكل إلى أنه لم يُذْكَرْ فيه إلا مرة واحدة في مَعْرِضِ صداقته لعبد الناصر، وكتاب (بلا خنجر ولا عباءة) وذكر أنه لم يُذْكَرْ فيه مطلقًا[5].

بينما الحقيقة أن هيكل ذُكِرَ في كتاب (لعبة الأمم) عدة مرات، وفي كتاب (بلا خنجر ولا عباءة) الذي ذَكَرَ أن اسمه لم يَرِدْ فيه مطلقًا؛ فقد جاء فيه ما يلي "ليس ضروريًّا أن يكون الإنسان عميلًا بالمعنى الشائع للعمالة لكي يؤدي الخدمة المطلوبة، وإنما يكفي أحيانًا مع بعض الأشخاص أن تَعْقِدَ المخابراتُ معهم اتفاقًا وديًّا لتبادل المعلومات لكي يصبح بالنسبة لهم أكثر أهمية من أكبر

---

(1) محضر الجلسة الأولى للَّجْنَة المركزية للاتحاد الاشتراكي بتاريخ 3 أكتوبر 1968.
http://nasser.bibalex.org/Data/Docs/Sessions/v1/Galsa1.htm, 6/4/2016.

(2) محضر الجلسة السادسة للَّجْنَة المركزية للاتحاد الاشتراكي بتاريخ 23 أكتوبر 1968.
http://nasser.bibalex.org/Data/Docs/Sessions/v2/Galsa6.htm, 6/4/2016.

(3) هيكل: وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص247.

(4) "رحلة محمد حسنين هيكل بين الصحافة والسياسة"، هيئة الإذاعة البريطانية، 2016/2/17.
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/02/160217_mohamed_heikal_profile, 17/2/2016.

(5) رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، مرجع سابق، ص233.

عميل، وكمثال على هذا هو محمد حسنين هيكل الذي كتب أعنف مقالاته ضد أمريكا وكانت مرتكزة على معلومات أُعْطِيَتْ له من السفير الأمريكي في مصر مقابل أن يُعْطِيَ هيكل معلوماتٍ تفصيليةً للسفير الأمريكي مع ذكر مصادرها وكيف استطاع الحصول عليها، فيما يؤكد السفير الأمريكي لوشيوس باتل أن (هيكل) في جميع مراحل تعامله معه لم يُخِلَّ أبدًا باتفاقه مرة واحدة"[1]، كما ورد اسم هيكل في كشاف الكتاب مشيرًا لتلك الصفحة.

40- قصة مُدَاخَلَةِ هيكل مع عبد الناصر وبريجينيف بخصوص صفقة الصواريخ:

ذكر هيكل أن بريجينيف طلب مساعدته في التغطية السياسية والإعلامية على صفقة الصواريخ الروسية المضادة للطائرات التي طلب تقديمها لمصر على وجه السرعة لمواجهة قصف الطيران الإسرائيلي للعمق المصري في حرب الاستنزاف[2]، وأفاد "هيكل" أن إخفاء الصفقة صعب بسبب الأقمار الصناعية الأمريكية، وأن هذا الرد أقلق بريجينيف، فطلب عبد الناصر من هيكل أن يجتمع مع رئيس مخابرات السوفيتية (الكي جي بي) ليتفقوا على حل مناسب[3]، كأن بريجينيف سكرتير عام الحزب الشيوعي لا يعلم بالأقمار الصناعية الأمريكية حتى يُنَبِّهَهُ لها هيكل، أو كان الأمر يحتاج للاجتماع بين النظراء (هيكل ورئيس الكي جي بي) لبحث صيغة الإعلان عن الصفقة.

الرواية الأكثر تواضعًا والأقرب للمنطق جاءت كالمعتاد الرواية الأقرب للحدث، وذُكِرَتْ في (الطريق إلى رمضان)؛ حيث طلب بريجينيف من هيكل أن

(1) Copeland, Miles: Without Cloak or Dagger, Simon and Schuster, New York, 1974, p. 53

(2) هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، مصدر سابق، ص ص 94-96.

(3) رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، مرجع سابق، ص233.

يُجَهِّزَ نفسه للرد إعلاميًا على الأمريكيين والإسرائيليين عند تَسَرُّبِ أنباء الاتفاق، ورَدَّ هيكل "سيدي السكرتير العام.. إن صنع القرارات الكبيرة هو من عمل السَّاسَةِ، وفي استطاعتنا نحن دائمًا أن نجد الطرق والوسائل التي نُقَدِّمَ بها قراراتهم إلى العالم"[1].

41- اتهام السادات ومبارك باغتيال الهادي المهدي:

اتَّهَمَ "هيكل" "مبارك" - عقب سقوطه - بالاشتراك مع السادات في تنفيذ اغتيال الزعيم الشعبي السوداني الهادي المهدي أثناء تَمَرُّدٍ قادَهُ الأخير عام 1969، وذلك عن طريق "سَبَت" مُفَخَّخٍ من المانجو أهدي إليه أثناء رحلة هروبه بعد فشل التمرد، وأن "هيكل" علم هذا بعدها بعامين حين حصل على إحدى وثائق الأستاذ سامي شرف عقب الإطاحة به في مايو 1971، وأنه ادرك أن مبارك يمكن أن يذهب في طاعته لمرؤوسيه إلى حَدِّ تَجَاوُزِ الواجب (تنفيذ عمليات قذرة).

هذه الرواية تُخَالِفُ ما دَأَبَ هيكل عليه من الإشادة باستقامة مبارك في أول عهده[2].

وقد تَكَفَّلَ الأستاذ يوسف القعيد - وهو أَحَدُ أقرب المُقَرَّبِينَ لهيكل - بإلقاء ظلال الشك على صحة الواقعة، إدراكًا منه أن إثبات هذه الواقعة لا يمكن أن يطال السادات ومبارك بأكثر مما يطال عبد الناصر نفسه ويَشِينُهُ، "إن قَتْلَ زعيم سوداني ينتمي لبيت المهدي المعروف بعدائه التاريخي مع مصر، مثل هذا القرار هل كان يَقْدِرُ السادات - وهو مجرد نائب لعبد الناصر - أن يَتَّخِذَهُ، وأن يضعه موضوع التنفيذ، لا يجب أن ننسى أننا نتكلم عن مصر عبد الناصر حيث كانت الدولة المصرية شديدة

(1) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص96.

(2) - هدى الحسيني في حوار مع هيكل، مجلة الحوادث اللبنانية، 1982/3/5.

- هيكل: مبارك وزمانه (2)، ماذا جرى في مصر ولها؟، مصدر سابق، ص ص 48-49.

القوة والتماسك، وكان ظل الزعيم يطوي الوطن كله تحته[1]، وكانت شرعية العصر كله هي شرعية الرجل الواحد الذي كان جمال عبد الناصر"[2].

بل لقد تكفل الأستاذ هيكل نفسه وتطوع بنفي التهمة عن المصريين جميعًا حين تعرض لتلك الواقعة في حلقاته التلفزيونية عام 2010، فقال إن بعض الصحف السودانية في تعرضها أخيرًا لتلك الواقعة شطح بها (الخيال) بعيدًا، لكن لا يوجد مصري قد شارك في اغتيال الهادي المهدي، إنها إحدى الجرائم الغامضة التي لا يعرف أحد من فعلها[3].

42- هيكل والمصاريف السِّرِّيَّة للصحف العربية الموالية:

حاول هيكل التشكيك في الحملات التي تقوم بها بعضُ الصحف العربية وخاصة اللبنانية ضد عبد الناصر وحكمه وضد هيكل، ومنها مجلة الحوادث التي اتُّهِمَ صاحبُها سليم اللوزي بأنه كان يتلقى معونات من الحكومة المصرية لتأييد سياستها في الصحف التي كان يُصْدِرُهَا في بيروت، وأن "هيكل" عندما أصبح وزيرًا للإرشاد القومي (الإعلام) في سنة 1970 أوقف دفع مصاريف سرية للصحف، وأن المبالغ السرية التي كانت مُخَصَّصَةً لصحف بيروت قد حُوِّلَتْ إلى رئاسة الجمهورية، وقد اعتقد اللوزي أن هذا العمل مُوَجَّهٌ ضده، لذلك قام بشَنِّ هذه الحملة عليه"[4].

وقد أنكر سليم اللوزي هذه القصة، وقال إنه توقف عن تَلَقِّي أية مبالغ من مصر بعد هزيمة عبد الناصر في الحرب مع إسرائيل سنة 1967، حيث كتب اللوزي مقالًا وَجَّهَ فيه اللوم إلى عبد الناصر وحَمَّلَهُ مسؤولية الهزيمة، وقال: إن

(1) هكذا كتبها الأستاذ يوسف القعيد !، للأسف.

(2) يوسف القعيد: قنابل المانجو، الأهرام، 2012/4/9.

(3) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2010/6/3.

(4) Nasser, Munir K.: op. cit., p. 98.

وسائل الإعلام العربية بما فيها صحفه قد ساهمت في أحداث هذه الهزيمة بتقديم معلومات مُشَوَّهَةٍ وغير حقيقية للجماهير[1].

ويُسْتَفَادُ من هذه الشهادات سواء شهادة هيكل أو اللوزي أن النظام كان يستخدم المصاريف السرية لشراء تأييد الصحف اللبنانية لسياسته، فاللوزي يعترف بتَلَقِّي أموال من مصر قبل هزيمة 1967، وهيكل يؤكد استمرار هذه الأموال حتى توليه منصب وزير الإعلام في سنة 1970، وأن اللوزي قد طلب 250 ألف جنيه، وهو ما يكفي لإصدار صحيفة يومية في مصر في ذلك الوقت، وهنا لا بُدَّ أن يَثُورَ السؤال: كم دفع النظام الناصري من أموال الشعب المصري لصحف بيروت؟[2] فهيكل تَجَنَّبَ التعليقَ على الجانب الأخلاقي في الموضوع وهو الذي كان رأس الحربة في الهجوم على صحافة ما قبل الثورة لتَلَقِّيها مصروفاتٍ سريةً من الملك، فاخْتَلَّ التعامُلُ مع المعايير الأخلاقية تبعًا للأطراف المختلفة، وهذا قدح في الموضوعية[3].

غير أن القصة تَحْمِلُ نَوَاقِضَ مصداقيتها بداخلها؛ فأولًا: لا يُتَصَوَّرُ أن "هيكل" المُطَّلِعَ على شؤون الصحافة المصرية والعربية كافةً، الذي تنتهي إليه الأخبار، لا يعلم بهذا الأمر إلا عندما تَوَلَّى وزارة الإرشاد، ولا يُتَصَوَّرُ أن الصحفي الأوحد أو الأكبر والصديق المقرب من عبد الناصر، الذي تَمُرُّ عليه وثائق الدولة المصرية - كما قال - يُخفي عليه صديقُه هذا الأمر في صميم شأن الصحافة التي ينتمي إليها، وثانيًا: لا يُتَصَوَّرُ أن هذا الأمر المتصل مباشرة بعبد الناصر يستطيع هيكل أن يوقفه، وإذا كان قد حَوَّلَ المبلغ إلى الرئاسة، فما الذي

---

(1) Ibid.: p. 119.

(2) د. سليمان صالح: أزمة حرية الصحافة في مصر (1945-1985)، مرجع سابق، ص371.

(3) في غَمْرَةِ تَجَاهُلِ الأستاذ هيكل التام للجانب الخُلُقِيِّ في القصة التي يرويها من ناحية النظام تَجَاهَلَ أن يُخْبِرَ القراء عن الجزء المَحَلِّيِّ من المَبَالِغِ السرية، وما الذي كان يشتريه، فالجزء الخارجي كان يشتري الصُّحُفَ اللبنانية، فماذا عن الداخلي؟ وهل كان هذا لِيَكُونَ رَدَّ فِعْلِهِ إذ كانت الوقائع في عهد السادات أو مبارك؟

منع سليم اللوزي من تَلَقِّيهِ من الرئاسة طالما أن عبدَ الناصر في الأحوال كافةً هو الآمِرُ، ويَرُدُّ القصةَ أيضًا أن أول حوار أجراه هيكل عقب رحيل عبد الناصر كان مع سليم اللوزي تحديدًا[1]، فلِمَ ارْتَضَى التعاملَ معه ومخاطبةَ القراء عَبْرَ جريدته، ومتى ارتبط هجوم سليم اللوزي بتلك الواقعة وقد كان هذا الحوار مع هيكل بعد أكثر من عام كامل من الواقعة التي يرويها.

43- اتهام السادات بقتل عبد الناصر بدَسِّ السُّمِّ في فنجان قهوة:

أثار الأستاذ هيكل ضَجَّةً في أواخر عام 2010 حين أورد قصة لم يَسْمَعْ بها أحدٌ ولا رواها هو من قبل حتى في كتابه الغاضب (خريف الغضب) تشير إلى اتهاماتٍ للسادات بقتل عبد الناصر بدَسِّ السُّمِّ له في فنجان قهوة أثناء إقامته في فندق هيلتون خلال القمة العربية التي عُقِدَتْ في القاهرة، وذَكَرَ أن السادات دخل المطبخ المرفق بالجناح وأخرج محمد داود - وهو رجل نوبي وكان مسؤولًا عن مطبخ الرئيس عبد الناصر - أخرجه من المطبخ. وجَهَّزَ فنجانَ القهوة وأحضره بنفسه أمامه هيكل وشربه عبد الناصر[2]، [3]. وقامت ابنة السادات بمقاضاة الأستاذ هيكل، وذُكِرَ في حيثيات الدعوى "أن ما صَرَّحَ به المبلغ ضده يَتَضَمَّنُ اتهامًا صريحًا للرئيس الراحل محمد أنور السادات بقتل وتسميم الرئيس جمال عبد الناصر"[4].

ويُعَقِّبُ طبيب عبد الناصر الخاص "أن تكون هناك شائعةٌ أن هذا الفنجان كان قد وُضِعَ به سُمٌّ يقتل بعد ثلاثة أيام دون أي دلائل ودون أن يرى أحدٌ أيَّ شيء فهذا خيال وافتراء لا يقوم عليه أي دليل، وحتى إن ذُكِرَ ذلك على أنه

---

(1) سليم اللوزي: حوار مع هيكل، مجلة الحوادث اللبنانية، 1971/06/25.

(2) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2010/9/16.

(3) تَعَرَّضَ المؤلف لهذه الواقعة أثناء استعراضِ استخدام أسلوب الإيحاء.

(4) رُقَيَّة السادات تتقدم ببلاغ ضد هيكل، الأهرام، 2010/9/19.

شائعة فإن ترديد الشائعة نَشْرٌ لها، ومن شخص في قامة هيكل، ومن منبر الجزيرة، فهو نشر لها على مستوى العالم، وعلى الرغم من أن الأستاذ هيكل أعلن أنه لا يصدق، ومن المستحيل أن يفكر في حدوثها، فإن ذِكْرَ استحالةِ تصديقها وتَعَمُّدَ نَشْرِهَا على الملأ ما هو إلا درسٌ لأي صحفي كيف يَنْشُرُ ما يريد دون أن يذهب إلى المحكمة!!.. كما أن لدى الأستاذ هيكل عوامل ذاتية تَضَعُ محاذيرَ أمام آرائه الشخصية في أنور السادات، فقد أقصي في عهده وأُضِيرَ معنويًا بل ووُضِعَ في السجن"[1].

44- ليلة وفاة عبد الناصر:

بَعْدَ أن تَأَكَّدَ رحيلُ جمال عبد الناصر، نزل كبار رجال الدولة من غرفته إلى صالون بيته للتشاور، ويذكر هيكل أنه أولُ من تَكَلَّمَ، وأنه الذي وَجَّهَ لإعمال الدستور في تلك اللحظة، والذي يقضي بتَوَلِّي أنور السادات الرئاسةَ مؤقتًا لحين إجراء استفتاء على الرئيس[2].

وينفي أمين هويدي ذلك، موضحًا أن أحدًا لم يُنَازِعْ في إعمال الدستور، وأن أول من تَحَدَّثَ في هذا هو د. لبيب شقير رئيس مجلس الأمة وليس "هيكل"، وأن السادات قال – مُوحِيًا بعدم مُسَارَعَتِهِ إلى المنصب وتَلَهُّفِهِ عليه – أن هذا ليس وقتَ هذا الكلام، وطلب عمل دراسة دستورية[3].

(1) د. الصاوي حبيب، عبد الناصر بين طبيبه وكاتبه، الأهرام، 2010/9/22.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص117.

(3) أمين هويدي: خمسون عامًا من العواصف، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2004، ص342.

45- لقاء الفريق فوزي (30 سبتمبر 1970):

اجتمع مجلس الأمن القومي بعد يومين من وفاة عبد الناصر في مكتب وزير الحربية الفريق محمد فوزي بكوبري القبة، وحضر الاجتماعَ وزير الخارجية ووزير الداخلية ورئيس المخابرات العامة وسامي شرف وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية ومحمد حسنين هيكل وزير الإرشاد وأمين هويدي وزير الدولة، وكان الغرض من الاجتماع هو الوصول إلى قرار بشأن تجديد قرار وقف إطلاق النيران الذي كان ينتهي في 9 نوفمبر 1970، والذي كانت مصر قد قَبِلَتْهُ بعد موافقتها على مبادرة روجرز.

ويُصَوِّرُ هيكل دوره في هذا الاجتماع بأنه هو الشخص الذي سَيْطَرَ على مجريات الحديث، فهو الوحيد الذي تَكَلَّمَ، وهو الوحيد الذي وَجَّهَ المؤتمر، وهو الذي افتتح المؤتمر ثم هو الذي أنهاه، وهو الذي استجوب وزير الحربية، وهو الذي قَدَّمَ التوصية وهو الذي حسم المناقشة بعد ذلك[1].

وينفي فهمي هويدي تمامًا أن يكون هذا هو ما حدث؛ فالموضوع مُتَشَعِّبُ النواحي متعدد الأجناب، له جوانبه السياسية علاوة على جوانبه العسكرية، خاصة تلك التي تتعلق بتجهيز مسرح العمليات، وكان لكلٍّ من الحاضرين آراؤه ونصائحه، كانت توصية المؤتمر هي "مد إيقاف إطلاق النيران" وليس كما ذكر هيكل في كتابه "مد وقف إطلاق النيران فترة ثلاثة شهور أخرى"، والدليل على ذلك أن القتال لم يُسْتَأْنَفْ منذ ذلك الوقت إلا حينما تَفَجَّرَ الموقفُ كله في أكتوبر 1973، أي بعد ثلاثة أعوام كاملة، ولم يَكُنْ هيكل يملك حق إنهاء أعمال المؤتمر أو استمراره أو توجيهه كما يشاء، خاصةً في وجود تلك الشخصيات[2].

---

(1) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص ص 119-120.

(2) - أمين هويدي: مع عبد الناصر، دار الوحدة، بيروت 1984، ص ص 114-116.

- أمين هويدي: خمسون عامًا من العواصف، مصدر سابق، ص ص 347-348.

46- لقاء هيكل مع سامي شرف وهويدي وشعراوي جمعة (30 سبتمبر 1970):

خرجت رواية هيكل عن هذا الاجتماع أنه بعد خروجهم من قصر القبة دعاه شعراوي جمعة إلى الاجتماع معه فاسْتَقَلُّوا سيارة واحدة - هيكل وشعراوي جمعة وسامي شرف وأمين هويدي - وتوقفت عند كلية الشرطة، وهناك أخبروه برغبتهم في التنسيق الجماعي بينهم لمواجهة السادات وعلي صبري وحسين الشافعي الذي يتصرفون كأنهم حكومة ثلاثية (ترويكا).. فطلب هيكل ألّا يُنَسِّقوا مع بعضهم بحضوره؛ لأنه سيَخْرُجُ من الوزارة وقد قَبِلَهَا مؤقتًا على مَضَضٍ تحت ضغط عبد الناصر، فانفعل سامي شرف وطلب أن يظلوا معًا أو يذهبوا معًا، فأكد هيكل استقلاليةَ مَوْقِفِهِ دون تنسيق، وأَسْدَى لهم نصيحة ألّا يتحركوا جماعيًّا وإلا سيؤدي ذلك إلى صراع على السُّلْطَةِ تعاني منه البلاد كثيرًا، فانفعل سامي شرف وأكد أهمية تَكَاتُفِهِم، فاعترضَ هيكل وتَرَكَ المكان[1].

بينما يَنْفِي أمين هويدي كلَّ ما ذَكَرَهُ هيكل بعد أن صَحَّحَ حتى مكان الاجتماع، ويروي ما يلي "لم يُلْقِ هيكل أبدًا بكل هذه النصيحة عن الناصرية والسُّلْطَةِ والصراع، ولم يتحدث شعراوي جمعة أبدًا عن السادة: السادات والشافعي وعلي صبري، كما لم يتحدث عن "الترويكا" الروسية، ولم يصرخ سامي أو يَبْكِ، ولا هو أَنْكَرَ وفاة عبد الناصر، أبدًا، لم يحدث شيء من هذا كما صَوَّرَهُ هيكل في أسلوب غَلَبَتْ عليه "الإثارة الصحافية" التي تَبْعَثُ على التشويق، ولكن كلَّ ما ذَكَرَهُ شعراوي لهيكل هو أننا قررنا التخلي (عن مناصبنا) عقب تشييع الجنازة، وبعد انتقال السُّلْطَةِ بالطريقة الدستورية، وسأله عن رأيه في ذلك، ورحب هيكل أيَّمَا ترحيب بالفكرة، وذَكَرَ أيضا أنه

(1) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص ص 121-122.

سيترك المنصب الوزاري ليتفرغ لرئاسة تحرير "الأهرام"... وسَلَّمَ الرجلُ واتَّجَهَ إلى عَرَبَتِهِ، دون أن يفقد أعصابه، ودون أن يغضب، واتجه إلى منزله، واتجهنا نحن إلى مكتب سامي شرف"[1].

وينفي سامي شرف كذلك رواية هيكل تمامًا، بل يُقَدِّمُ روايةً عكسية أن هيكل هو الذي بَادَرَهُم بالسؤال عما يَنْتَوُونَ، وأن "سامي شرف" أَبْلَغَهُ أن لكل عَهْدٍ رجالًا، وأنه لا يتوقع الاستمرار مع السادات، وأن "هيكل" هو الذي طَالَبَهُ بالاستمرار في تلك المرحلة[2].

47- دَعْم هيكل للسادات عَقِبَ رحيل عبد الناصر:

كتب هيكل في خريف الغضب مؤكدًا أن اختيار عبد الناصر للسادات لخلافته كان مُؤَقَّتًا بحضوره مؤتمر القمة العربي بالرباط؛ حيث كانت هناك تهديدات على حياته، ولم يكن مُقَدَّرًا له أن يدوم أكثر من أسبوع، وكان ذلك يرجع فقط إلى أن السادات "عليه الدور" كما أخبره عبد الناصر بهذا، وكان في ذِهْنِ عبد الناصر أن يُغَيِّرَ قراره ولكنه انشغل، ولم يكن بقاء السادات نائبًا حتى موت عبد الناصر إلا ضربةَ حظ جعلت الرئيس "ينسى" هذا الموضوع[3].

ثم في الكتاب ذاته يقول: "أَدَرْنَا الحملة الانتخابية للسادات في الاستفتاء على رئاسة الجمهورية (وكان الْمُشْرِفُ عليها هو هيكل شخصيًّا) على أساس أنه كان الرجلَ الذي اختاره جمال عبد الناصر لهذا المنصب بنفسه حين أَحَسَّ باحتمال خطر على حياته"[4].

---

(1) - أمين هويدي: مع عبد الناصر، مصدر سابق، ص ص 193-201.

- أمين هويدي: خمسون عامًا من العواصف، مصدر سابق، ص349.

(2) سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج2)، مصدر سابق، ص ص 685-687.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 85-86، 91.

(4) المصدر السابق، ص93.

ويُعَقِّبُ د. فؤاد زكريا في مُؤَلَّفِهِ (كم عمر الغضب) بما يلي: إذا صَحَّ أن هذا هو رأي هيكل في كيفية اختيار عبد الناصر للسادات، فكيف سَمَحَ لنفسه بأن يقود الحملة الانتخابية للسادات بحُجَّةٍ تَفْتَرِضُ أن اختيار عبد الناصر له كان اختيارًا سليمًا، وحقيقيًا، وتعبيرًا عن رغبته الأصيلة والدائمة؟ إن هيكل نفسه - تبعًا لما قال - لم يكن مقتنعًا بهذا الاختيار العارض، بل يبدو أنه نَاقَشَ عبد الناصر فيه، فكيف يدير هيكل حملته على أساس أن الاختيار كان أصيلًا؟! إن المسألة لا تحتمل إلا أحد أمرين: فإما أن عبد الناصر كان قد اختار السادات لأنه كان مقتنعًا به، وعندئذٍ تكون قصة "الدور" و"النسيان" قصة مُلَفَّقَة، وإما أن عبد الناصر كان قد اختاره بصورة مؤقتة، ولم يكن ينوي أن يحتفظ به إلى النهاية، وفاجَأَهُ الموتُ قبل أن يَعْدِلَ عن رأيه، وعندئذٍ يكون هيكل قد أدار حملة السادات الانتخابية على أساس عملية غِشٍّ كبرى مُوَجَّهَةٍ ضد الجماهير البريئة الذاهبة إلى صناديق الاستفتاء[1].

وقد حاول هيكل الخروج من هذا المأزق الأخلاقي بأن ذَكَرَ أنه مع معرفته بأَوْجُهِ القُصُورِ في شخصية السادات، فإنه وجد فيها جوانب إيجابية، وقد تَمَلَّكَهُ الأملُ في أنه تحت وطأة المسؤولية سوف يُبْرِزُ أفضلُ ما في شخصية السادات وسوف يَرْجُحُ الجانب الإيجابي على السلبي[2]، على أن هذا لا يعفيه - في حال صدقت روايته عن عبد الناصر - من التدليس على المواطنين ودعوتهم للتصويت على أُسُسٍ يعلم بُطْلانَهَا، والنوايا الحسنة لا تُصْلِحُ الأعمال الفاسدة، ففي كلا الحالتين تُعَدُّ هذه الواقعةُ خرقًا للمصداقية كما رصد د. فؤاد زكريا، غير أن المؤلف يَقْطَعُ ببطلان الرواية الأولى عن عبد الناصر لافتقارها للمعقولية، فما كان هذا الأمر ليصبح عُرْضَةً للنسيان، وما كان عبد الناصر بهذه السَّطْحِيَّةِ

(1) د. فؤاد زكريا: كم عمر الغضب – هيكل وأزمة العقل العربي، مرجع سابق، ص ص 83-84.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص91.

ليكون رده أن (الدور) قد جاء على السادات، ولو أخذنا بهذه الرواية لكانت - من عِدَّةِ أَوْجُهٍ - من أشد المطاعن على عبد الناصر وفكره وإدارته لمقاليد البلاد، ولكانت أشد من كثير من المطاعن التي يُوَجِّهُهَا أَلَدُّ خُصُومِهِ لِعَهْدِهِ.

48- كتابة تاريخ عبد الناصر:

ذكر هيكل أن عبد الناصر كَلَّفَهُ بكتابة تاريخه، وأن ذلك تَمَّ في وجود حسين الشافعي وعلي صبري[1]، ونفى علي صبري وحسين الشافعي الواقعةَ، وعَقَّبَ علي صبري بأن تاريخَ عبد الناصر لا يكتبه شخص واحد[2].

49- سقوط مراكز القوى:

يروي هيكل للأستاذ أحمد حمروش عن لقاءٍ مع الرئيس السادات في بيته عقب اجتماع اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي، الذي لقي فيه معارضةً شديدة عند طرح موضوع الوحدة مع ليبيا[3]، صعد هيكل إلى حيث كان الرئيس السادات، فوجده مُضَّجِعًا في شُرْفَةٍ تجمع بين غرفة نومه وغرفة نوم زوجته.. وكان في حالة لا يحسن وصفها؛ لأن الكلمات كانت تخرج منه متقطعة، وهو يقول (انت عارف كمال أتاتورك عمل إيه.. أنا حأعمل أكثر منه، حاشيلهم كلهم)، ووجد هيكل أن حالة أنور السادات لا تسمح له بمقابلة أحد، فما بالك إذا كان المنتظرون من نواب الصعيد الذين ينتظرون كلمة الرئيس أو الزعيم، ونزل إليهم هيكل ليبلغهم أن الرئيس مُنْشَغِلٌ في موضوعات شديدة الأهمية والحيوية، ولذا يَحْسُنُ أن نُوَفِّرَ له وقتًا للتفكير والتدبير.

---

(1) هيكل: على هامش ما جرى في المغرب، الأهرام، 1971/7/16.

(2) عبد الله إمام: علي صبري يتذكر، دار الوحدة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1988، ص160.

(3) وكان محطة مهمة على طريق تَدَاعِي الموقف نحو الصِّدَامِ في مايو.

يُعَقِّبُ أحمد حمروش: ولذا.. لا أستطيع أن أَكْتُمَ الدهشة عندما أقرأ مقالَ هيكل بعنوان (ماذا أقول؟) يوم 21 مايو 1971، الذي كتب فيه " كان أنور السادات في هذه الساعة الحاسمة من التاريخ هائلًا بأكثر مما يستطيع أن يَتَصَوَّرَ أو يَصِفَ أحدٌ.. كانت قراراته لمواجهة التطورات المفاجئة مزيجًا مدهشًا من الهدوء والحسم"، ثم يكمل حمروش: أصحيح هذا؟، أيمكن محاسبة هيكل وقتها على ما كتب.. أم نَلْتَمِسُ له العُذْرَ لأنه كان مُتَوَرِّطًا بالمشاركة في التخطيط والتدبير؟[1].

50- خزينة عبد الناصر:

يَذْكُرُ سامي شرف أن الجوقة الإعلامية بقيادة هيكل تَحَرَّكَتْ بمجرد سقوط مجموعة مايو، ونشر هيكل أول يونيو 1971 خبرًا يقول: "إن النيابة العامة قد عثرت على مسروقات خزينة القائد الخالد جمال عبد الناصر في منزل السيد سامي شرف، وستقوم النيابة العامة بفَضِّ هذه المسروقات بحضور مندوبين من الجهات المختصة"، ويُعَلِّقُ أن هذا كان مَحْضَ كذب، ويستشهد بمحضر النيابة العامة، وهو علني، وقد رصد كل صغيرة وكبيرة ولم يجدوا شيئًا مُطْلَقًا مما ذُكِرَ، ولا وجدوا شيئًا مما قيل إنه كان في خزينة عبد الناصر[2].

51- متى وُضِعَت الخطة "جرانيت"؟

يؤكد هيكل في الكثير من المواضع أن الخطة جرانيت (1) وُضِعَتْ في عهد عبد الناصر، وأنه صَدَّقَ عليها بإمضائه، ويذكر من التفاصيل ما يجعلها أقرب ما يكون إلى ما تَمَّ تنفيذه فعلًا في حرب أكتوبر، وهذا الإلحاح في التكرار هدفُه تأكيدُ المعلومة عند القارئ وتَشَرُّبُهُ لها، حتى إنه ذكرها في تقريره الختامي (استئذان في

---

(1) أحمد حمروش: زيارة جديدة لهيكل، مرجع سابق، ص72.

(2) سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج2)، مصدر سابق، ص489.

الانصراف)[1]، وبذلك يصبح عبد الناصر بمثابة الصانع الأول والمشارك الرئيسي في نصر أكتوبر؛ إذ وُضِعَت الخطةُ بمكوناتها الرئيسية في عهده،بل يزيد ويذكر أن الخطة جرانيت (2) أيضًا -التي كانت تَسْتَهْدِفُ التقدمَ ناحية المَضَايِقِ- قد وُضِعَتْ هي الأخرى في عهد عبد الناصر، وأنه صَدَّقَ عليها شفاهة[2].

لكن الفريق سعد الدين الشاذلي يُؤَكِّدُ خلافَ ذلك؛ وأنه عندما تَوَلَّى رئاسةَ الأركان لم يكن هناك وجود لأي خطة هجومية، وذكر بالنص "عندما عُيِّنْتُ رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية في 16 مايو 1971، لم تكن هناك خطة هجومية، وإنما كانت لدينا خطة دفاعية تسمى الخطة 200، وكانت هناك أيضًا خطة تَعَرُّضِيَّةٌ أخرى تَشْمَلُ القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو في سيناء، ولكنها لم تكن في المستوى الذي يسمح لنا بأن نُطْلِقَ عليها خطة هجومية، وكانت تُسَمَّى جرانيت"[3]، وهذا ما أَكَّدَهُ أيضًا اللواء جمال حماد؛ حيث ذكر أن الوثيقة التي أشار إليها الفريق فوزي - وهي التي يذكر هيكل أن عبد الناصر أَقَرَّهَا - "اتضح عند عثورنا عليها أن كل ما كانت تَتَضَمَّنُهُ هو مجردُ

---

(1) - هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص168.
- هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص323.
- هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، مصدر سابق، ص104.
- هيكل: أحاديث في العاصفة، مصدر سابق، ص226.
- هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص4.
- هيكل: كلام في السياسة – عام من الأزمات، مصدر سابق، ص404.
- هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص234.
- هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص15.
- هيكل: مصر إلى أين؟ - ما بعد مبارك وزمانه، مصدر سابق، ص178.

(2) - هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص323.
- هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص15.
- هيكل: مصر إلى أين؟ - ما بعد مبارك وزمانه، مصدر سابق، ص178.

(3) سعد الدين الشاذلي: مذكرات حرب أكتوبر، مصدر سابق، ص15.

القيامِ بعملياتٍ محدودةٍ ابتداءً من الأسبوع الأول من شهر يونيو 1971، وهي عمليات تُمَاثِلُ - إلى حَدٍّ كبيرٍ - العملياتِ التي تَمَّ التَّدَرُّجُ إليها في نهاية حرب الاستنزاف قبل أن تتوقف في 8 أغسطس عام 1970 على أثر مبادرة روجرز، وأنه لا يوجد ضمن الوثيقة أي عبارة تشير إلى الوصول إلى منطقة المضايق"[1]، ويؤكد الفريق الشاذلي أنه لم تكن عندنا خطة هجومية واقعية ترقى لمستوى التنفيذ قبل خطة (المآذن العالية) التي أُقِرَّتْ في أغسطس 1971[2].

52- حوار عَاصِفٌ مع السادات:

نشرت جريدة الأهرام في ذكرى ميلاد الأستاذ هيكل ما قالت إنه محضر حوار عاصف بين هيكل والسادات عقب نَشْرِ إحدى المقالات التي أغضبت السعوديةَ في أكتوبر عام 1972، ونشرت صورة منه بخط الأستاذ هيكل المعروف.

وفي هذا الحوار يتهم السادات هيكل بالسخرية منه والتعريض به، بل يسأله صراحة: "لماذا تشتمني، وهيكل يرد بجفاف: أنا أختلف معك سياسيًّا ولكن لا أُعَرِّضُ بك، والسادات يقول: أنا لا أسمح لك، أنا المسؤول وأنا من انْتَخَبَنِي الشعب، وهيكل يرد: وأنا صحفي مسؤول وحر، والسادات يسأل: والأهرام يتبع من؟، فيرد هيكل: أنا من بَنَيْتُ الأهرام، وهو مملوك للاتحاد الاشتراكي حسب وثائقه الأساسية"[3].

هذا الحوار يوضح كيف يؤثر هيكل الصحفي ذو الخيال الروائي على هيكل الكاتب التاريخي، فهذا الحوار لم يَتَطَرَّقْ له هيكل بالإشارة من قبل لا في حياة السادات ولا بعد وفاته، لا من خلال كتب هيكل ولا أحاديثه، ولم يكن هيكل أبدًا في حياة الرؤساء يخاطبهم إلا بكل الاحترام اللائق لمقام الرئاسة كما يُسَمِّيه وكما أُوضِحَ في الفصل السابق.

---

(1) جمال حماد: المعارك الحربية على الجبهة المصرية، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002، ص32.

(2) سعد الدين الشاذلي: مذكرات حرب أكتوبر، مصدر سابق، ص20.

(3) الأهرام تنفرد بنشر وقائع أول صدام بين السادات وهيكل، الأهرام، 2016/9/23.

53- التشكيك في أهمية الضربة الجوية في حرب أكتوبر:

شَكَّكَ هيكل –بأثر رَجْعِيٍّ بعد سقوط مبارك– في الأهمية العسكرية للضربة الجوية الأولى، ذاكرًا أن أهميتها كانت في الواقع معنويةً فقط، بينما كانت 12 إلى 18 طائرة تَكْفِي لتحقيق الأهداف المطلوبة لِقِلَّتِهَا، وأن السادات أرادها (مظاهرة جوية) لرَفْعِ الرُّوحِ المعنوية للقوات، ولكي يَسْتَرِدَّ الطيارون ثِقَتَهُم في أنفسهم[1].

وقد رَدَّ بعض القادة والضباط وصف الضباط بالقوات الجوية من الذين شاركوا في الضربة الجوية حرب أكتوبر ببيانٍ أُرْسِلَ إلى الأهرام فَنَدُّوا فيه هذا الادعاء، واستشهدوا فيما استشهدوا به بكلامٍ مُضَادٍّ أَوْرَدَهُ هيكل نفسه في كتابه (أكتوبر 73 السلاح والسياسة) – في عصر مبارك – يثني فيه على الضربة الجوية ويُحَدِّدُ أهدافَها، وذَكَرَ بالنص "قوات الضربة الجوية الأولى وقوامها مائتا طائرة قد عَبَرَتْ على ارتفاع منخفض فوق قناة السويس، وبدأَتْ تنفيذَ مهامها بنجاح فاق ما كان مُنْتَظَرًا، فقد تَمَّ ضربُ مراكز قيادة ومواقع الرادار ومناطق حشد وعقد مواصلات وقواعد جوية"[2]، وأضاف البيان: نقول لشعبنا العظيم أيَّ كلمات الأستاذ نُصَدِّقُ، هل نُصَدِّقُ كلماته في الأهرام عام 2011 أم في كتابه عن نفس الواقعة في 1993؟ إنه يتكلم عن نفس الواقعة بقصتين ومعلومتين متناقضتين تمامًا، وهل 12 إلى 18 طائرة كانت تكفي لتدمير كل هذه الأهداف، وبنجاح وصفه الكاتب بأنه نجاح فاق ما كان مُنْتَظَرًا[3]، كما

---

(1) – هيكل: مصر إلى أين ؟ – ما بعد مبارك وزمانه، مصدر سابق، ص ص 89–90.

– هيكل يكشف للبيب السباعي الجرائم التي ارْتَكَبَهَا مبارك، الأهرام، 2011/5/13.

(2) هيكل: أكتوبر 73 السلاح والسياسة، مصدر سابق، ص343.

(3) مقاتلو القوات الجوية ردًّا علي حديث الأستاذ هيكل للأهرام: الضربة الجوية الأولى لا تُنْسَبُ لفرد، الأهرام، 2011/6/6.

تَقَدَّمَ خمسة وأربعون طيارًا منهم ببلاغ إلى النيابة العسكرية، مُتَّهِمِينَ "هيكل" بسبب تلك التصريحات[1].

وبالإضافة إلى البيان والبلاغ قام عدد من قادة أسراب الطيران بتَفْنِيدِ كلامِ الأستاذ هيكل، وذلك بتفصيل تلك الأهداف التي اسْتَهْدَفَتْهَا الضربةُ الجوية الأولى، ومنهم اللواء أركان حرب طيار محمد عكاشة[2]، واللواء أركان حرب طيار سامي المندور[3]، والعميد أركان حرب طيار حلمي محمود[4]، وقد أَكَّدَ المؤرخُ العسكري اللواء حسن البدري هذا في مُؤَلَّفِهِ عن حرب أكتوبر[5].

54- قصة الثغرة:

يكتب هيكل عن الثغرة مقالةً مُوَسَّعَةً وتُنْشَرُ يوم 28 أكتوبر، فكتب "إنها حرب عصابات بمجموعات من الدبابات بين 10 دبابات وخمس دبابات وأحيانًا ثلاث دبابات"[6]، وقد كانت تلك وضعية الثغرة في أول يومين حين عَبَرَ شارون بمجموعات من الدبابات البرمائية وإلى حين اكتمال الجسر الأول، أما بداية من يوم 18 أكتوبر فقد كان لإسرائيل ثلاث فرق مُدَرَّعَةٍ على الضفة الغربية مجموع

(1) تاريخ مصر بين حقيقية الضربة الجوية و"تكذيب" هيكل، موقع البي بي سي، 2011/6/20.
http://arabic.cnn.com/2011/egypt.2011/6/20/1973war.Haikal/index.html

(2) محمد عكاشة (لواء طيار): أستاذ هيكل، كَفَاكَ تزويرًا لتاريخ مصر، 2012/5/16 (تعليق منشور في موقع الأهرام على لقاء هيكل المذكور مع لبيب السباعي).
http://gate.ahram.org.eg/News/70385.aspx

(3) مقابلة شخصية مع لواء أركان حرب طيار/ سامي المندور (مقدم أركان حرب وقائد سرب طائرات أثناء حرب أكتوبر)، تمت المقابلة بالقرب من بيته في 2011/6/16.

(4) تاريخ مصر بين حقيقية الضربة الجوية و"تكذيب" هيكل، موقع البي بي سي، 2011/6/20.
http://arabic.cnn.com/2011/egypt.2011/6/20/1973war.Haikal/index.html

(5) حسن البدري: حرب رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة السادسة، القاهرة، 2006، ص ص 226-227.

(6) هيكل: سؤال ثانٍ – قصة التسلل.. الثغرة!، الأهرام، 1973/10/28.

دباباتها 900 دبابة، هاجمت فرقة منها – هي فرقة شارون - الإسماعيليةَ يوم 20 أكتوبر، بينما اندفعت الفرقتان الأُخْرَيَانِ نحو السويس، فكان هيكل يُخْبِرُ القارئَ يوم 28 أكتوبر عن وضعية يوم 18 أكتوبر، حاجبًا عنه تطورات الحرب حتى وقف إطلاق النار يوم 25 أكتوبر، أي قبل كتابته المقالةَ.

55- لقاء هيكل وكيسنجر:

يقول هيكل إن اللقاء مع كيسنجر – الذي تَمَّ بينهما عقب حرب أكتوبر - استمر ساعتين ونصف الساعة وشمل مناقشات مُطَوَّلَةً بخصوص موضوعات عديدة[1]، وينكر كيسنجر أن اللقاء اسْتَمَرَّ أكثر من عشر دقائق، ويُعَقِّبُ أن ما ذَكَرَهُ هيكل كان ("مفبركًا" على نطاق واسع (Largely A Fabrication)[2]، وأنه من وحي خيال شاعر[3].

56- موقف مصر من اعتبارِ الصهيونية حركةً عنصرية:

ذكر هيكل أن الولايات المتحدة طَلَبَتْ من مصر المساعدة في منع صدور قرارٍ من الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية حركةً عنصرية، وأن السادات أعطى تعليماته للوفد المصري بالتغيب عن جلسة التصويت[4].

بينما الحقيقة أن مصر - طبقًا لسِجِلَّاتِ المنظمة الدولية - كانت من ضمن الدول التي تَوَلَّتْ تقديمَ مشروع القرار 3379 للجمعية العامة، فيُسْتَبْعَدُ أن تَطْلُبَ

(1) - هيكل: مناقشة مع كيسنجر، الأهرام، 1973/11/16.
- هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص23.

(2) Nasser, Munir: op. cit., p.166.
Shehaan, Edward: op. cit., p. 51.

(3) Horne, Alistair: Kissinger: 1973, the Crucial Year, Simon & Schuster, New York, 2009, p. 327.

(4) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص284.

الولاياتُ المتحدة منها العملَ على عدم إصداره، ثم كانت من الدول التي صَوَّتَتْ بالموافقة عليه في 10 نوفمبر 1975، ولم تَتَغَيَّبْ عن الجلسة، وصدر القرار بأغلبية 72 صوتًا بينهم مصر، مقابل رفض 35 دولة، وامتناع 32 دولة عن التصويت[1].

57- قصة حوار مبارك وهيكل عَقِبَ تَوَلِّيهِ الرئاسة:

في رواية هيكل عن هذا اللقاء، أَوْضَحَ أن "مبارك" تَوَسَّعَ جدًّا في إبداء جميع تصوراته وخططه السياسية المقبلة[2].

ولا يُتَصَوَّرُ أن يُسَارِعَ مبارك بالحديث عن خطوط سياساته وخططه بهذه الطريقة، خاصةً أن هيكل ذَكَرَ في الكتاب ذاته قبلها على لِسَانِ أسامة الباز - مستشار الرئيس - ما يخالف هذا تمامًا، وأن أحد مفاتيح شخصية مبارك هي قدرته على الاحتفاظ لنفسه بنواياه، وأن الحذر غريزة عنده مرتبطة بفهمه لقوة السُّلْطَةِ[3]، وذكر على لسان زملائه في دفعة الطيران أنه "كتوم لا يعطي سِرَّهُ لأحد"[4]، فلا يُتَصَوَّرُ أن من كانت تلك صفاته أن يكون هذا هو حواره الأول مع صحفي معارض شهير خارج من السجن لتَوِّهِ.

58- قصة الرسائل المفتوحة إلى الرئيس مبارك:

ذَكَرَ هيكل أنه كتب سِتَّ مقالات في أوائل عهد مبارك في صورة رسائل مفتوحة إلى الرئيس، وأن الأستاذ مكرم محمد أحمد تَسَلَّمَهَا منه لنشرها في المصور، لكنه فوجئ بعد أسبوعين بالمقالات تعود إليه مرة ثانية في المظروف[5].

---

(1) https://en.wikipedia.org/wiki/United_Nations_General_Assembly_Resolution_3379, 11/8/2016.

(2) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص65.

(3) المصدر السابق، ص45.

(4) المصدر السابق، ص273.

(5) المقالات المحجوبة للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، المصري اليوم، 2008/1/13

ويُعَلِّقُ مكرم على ذلك قائلًا: "وقد يكون للأستاذ هيكل أسبابه في أن يروي الواقعة كما روى، لكن رواية الأستاذ هيكل أثارت شكوك الزملاء حول مدى أمانتي المهنية عندما بدا للكثيرين أنني تطوعتُ بإرسال المقالات الست إلى رئيس الجمهورية، لكن الذي حدث أن الأستاذ كتب مقالاته وذهبت إلى مكتبه كي أَتَسَلَّمَهَا منه، لكن الأستاذ هيكل فاجأني قائلًا: هذه المقالات تأتي في شكل خطابات مفتوحة موجهة إلى الرئيس مبارك، ومن حق الرئيس مبارك أن يكون أول من يقرأها؛ لأنني لا أريد لك أن تنفرد بالقرار ولا أريد أن أُحَمِّلَكَ فوق طاقتك، وأَذْكُرُ أنني جادلتُ الأستاذَ "هيكل" طويلًا في هذا الموقف؛ حرصًا على نشر المقالات، لكنه تَمَسَّكَ برأيه.. ولهذا السبب وحده أَرْسَلْتُ المقالات إلى الرئيس مبارك"[1].

في رواية الأستاذ مكرم المُصَحِّحَةِ لرواية هيكل نجد أن "هيكل" نفسه هو الذي طلب عَرْضَهَا على الرئيس مبارك، وذلك حرصًا على الأستاذ مكرم أو حرصًا على علاقته بالرئيس الجديد، وفي كل الأحوال فليس صحيحًا إذًا أنه فوجئ بالمقالات مع مستشار الرئيس يطلب منه عدم نشرها، كأن "مكرم" هو الذي تَطَوَّعَ بهذا الإجراء الذي فوجئ به هيكل[2].

59- قصة حواره مع المشير أبو غزالة:

في كتابه عن عهد مبارك أَوْرَدَ هيكل قصة حوار بينه وبين المشير "أبو غزالة"، وذكر أنه تَمَّ في سكن المشير وقتها في بيت على طريق مطار القاهرة مُوَاجِهٍ لمبنى الكلية الحربية، وأن أبو غزالة قال له: الرئاسة لم تخطر على بالي، فأنا أعرف من أحوال البلد ما فيه الكفاية لإقناعي بالبقاء حيث أنا، ويستدرك: إذا كانت الرئاسة ضمن مطالبي، وهي لم تكن كذلك، فخلال الأحداث (تَمَرُّد

(1) مكرم محمد أحمد: أنا وهيكل والمقالات، الأهرام، 2008/1/15.

(2) وكان الأستاذ مكرم على قيد الحياة -وما زال، أطال الله عمره-، فاستطاع أن يروي الواقعة الصحيحة، بينما لم تُتَحْ للكثير تلك المَزِيَّةُ.

الأمن المركزي) كانت دباباتي موجودة في كل مكان في العاصمة، ولو كان الاستيلاء على السُّلْطَةِ مَطْرُوحًا بالنسبة لي لما احتاج الأمر مني إلى أكثر من ضابط (وحتى برتبة ملازم) يذهب إلى استوديوهات الإذاعة والتليفزيون ويلقي بيانًا باسمي، وساعتها كان الشعبُ مُسْتَعِدًّا لأن يُرَحِّبَ، وأيضًا كان العالَمُ مُسْتَعِدًّا لأن يَقْبَلَ"[1].

والواقعة بالكامل بعيدة عن التصديق؛ فمَقَرُّ إقامة المشير "أبو غزالة" - كما يعرف الكثيرون - كان في مدينة الضباط القريبة من شارع جسر السويس، ولم يكن أبدًا في طريق المطار، وليس هناك مَقَرٌّ للقائد العام هناك، ولا يمكن أن يكون المشير أبو غزالة في تلك المرحلة وهو في منصبه قد تحدث بهذه الصراحة أمام هيكل، فإذا أَمِنَ "هيكل" وعَدَمَ تَحَدُّثِهِ، وهو أَمْنٌ غيرُ منطقي مع صحفي، فكيف يَأْمَنُ التسجيلات وغيرها، ولماذا يُصِرُّ الجميع أن يبوحوا للأستاذ هيكل بكل أسرارهم كأنه كاتمُ أسرار وليس صحفيًّا وظيفته النشر، وكيف لعسكري منضبط ما زال في الخدمة برتبة مشير أن يقول لهيكل: لو قمتُ بانقلابٍ كان الشعب سيُرَحِّبُ وكان العالم سيَقْبَلُ؟.

60- تشكيك الصنداي تايمز في محتويات كتاب (أوهام القوة والنصر):

عَقَّبَ أحدُ أهم كُتَّابِ صحيفة الصنداي تايمز في أثناء عرضه كتابَ (أوهام القوة والنصر) بما يلي: "يُقَدِّمُ هيكل "اسكتشات" مُسَلِّيَةً عن زعماء العالم وهم يُهْرَعُونَ للتليفون يَبُثُّونَ لبعضهم البعض مخاوفَهم وحساباتهم وهو لا يُقَدِّمُ

(1) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص142.

أيِّ مصدر لهذه المحادثات الخاصة التي لا يمكن التَّحَقُّقُ من مصداقيته عنها، ولكن لا ضَيْرَ، فالأمر لا يخرج عن هذا الذي تَخَيَّلَهُ"[1].

61- ثروة الرئيس مبارك:

أثار هيكل ضَجَّةً في أوائل ثورة 25 يناير 2011 حين ذَكَرَ أن لديه معلوماتٍ مُوَثَّقَةً عن ثروة مبارك من مصادر دولية محترمة، وحَدَّدَ تقريرين: تقريرًا بمعلومات متوافرة لدى البنك الدولي، وهي متوافقة مع تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، تتحدث عن هذه الأموال الموجودة بالخارج وتُقَدِّرُهَا فيما بين 9 و11 مليار دولار[2]، فلما اهْتَمَّ جهاز الكسب غير المشروع بمعلومات هيكل وطلب إفادته ذَكَرَ أنه ليست لديه مستنداتٌ أو وثائقُ تُعَضِّدُ معلوماته، مشيرًا إلى أنه اسْتَنَدَ إلى بعض التقارير والصحف الأجنبية في تحديد ثروة مبارك[3].

ومن جانبه عَقَّبَ المستشارُ عاصم الجوهري في بيان له بالقول: إن إطلاق أرقام الثروات جُزَافًا في الصحافة من شأنه أن يشيع في أوساط الرأي العام أشياءَ تُؤْخَذُ على أنها حقائق حال أنها أوهام، فيقع المجتمع في الشك، وتَنْتَابُهُ الفوضى، ونَاشَدَ الجهازُ الجميعَ أن يضع مصر وظروفها الحالية نصب عينيه"[4].

62- ثروة المشير أبو غزالة:

أثار هيكل ضَجَّةً أخرى واسعة في أكتوبر 2015 عندما أَعْلَنَ في حديث تليفزيوني أن ورثة المشير عبد الحليم أبو غزالة يتنازعون قضائيًا في الولايات المتحدة حول تَرِكَتِهِ التي تبلغ 100 مليون دولار[5]، وعلى الفور نَفَتْ أسرة المشير

---

(1) حنفي المحلاوي: هيكل وأوهامه عن القوة والنصر - حقائق حرب الخليج، مرجع سابق، ص64.

(2) ماذا قال هيكل حرفيًا حول ثروة مبارك، الأهرام، 2011/5/19.

(3) تحقيقات جهاز الكسب غير المشروع بخصوص ثروة مبارك، الحياة اللندنية، 2011/5/24.

(4) هيكل يؤكد أنه اسْتَقَى معلوماته حول ثروة مبارك من دوريات دولية، الشرق الأوسط، 2011/5/24.

(5) حوار هيكل مع الإعلامية لميس الحديدي، برنامج (هنا العاصمة)، قناة سي بي سي، 2015/10/23.

ذلك، مُعْلِنَةً أنها تَعْتَزِمُ مقاضاةَ هيكل، وأعلن محامي الأسرة أن هذا الكلام عارٍ عن الصحة تمامًا، وأن المشير لم يَتْرُكْ إلا قطعةَ أرض بُنِيَ عليها منزل[1].

63- حذف مقالة (مبارك أمانة في ضمير كل مصري):

نشر هيكل الجزءَ الثاني من كتابه (مبارك وزمانه) وله عنوان فرعي (ماذا جرى في مصر ولها)، وخَصَّصَهُ لجَمْعِ سلاسل المقالات التي نَشَرَهَا في عهد مبارك، وكانت منها سلسلةٌ عن صُنْعِ القرار السياسي في مصر، خَتَمَهَا بمقالة يُعَقِّبُ فيها على أحداث الأمن المركزي في فبراير 1986، وكانت بعنوان (سُلْطَة التحقيق وسلطان الحقيقة: مبارك أمانة في ضمير كل مصري)، وقد تضمن الكتاب مقالات السِّلْسِلَةِ عدا هذه المقالة[2].

في تلك المقالة ناقش بذكاء ودبلوماسية أحداثَ الأمن المركزي في إطار أسئلة تحتاج إلى إجابة وإلى تحقيق سياسي بجوار التحقيق الجنائي، وختم المقالة بقوله "وأخيرًا فإن الرجل الذي وضع الشعب على كتفيه مسؤولية مصر تاريخيًا وحاضرًا ومستقبلًا هو بدوره أمانة في ضمير كل مصري، ولنا جميعًا أن نتطلع إليه فوق كل الأزمات وفوق كل الخلافات وفوق كل الاجتهادات، وفي هذه الظروف فهو الحَكَمُ قبل أن يكون الحاكم، وكان الله في عونه"، وكان قد اسْتَهَلَّ مَقَالَتَهُ بقوله "في مثل هذه الظروف فإن الأمم كلها تقف وراء قياداتها التي تَحْمِلُ المسؤولية وتَتَمَتَّعُ بالشرعية، فهذه القيادات تُصْبِحُ المرجع الأخير والطليعة الأولى والرمز التاريخي.. وفي ظروف عادية أو طبيعية فإن الحوار مع القيادات حق، وفي الظروف الطارئة فإن الوقوف معها هو الواجب الوحيد"[3].

---

(1) محامي عائلة أبو غزالة: تصريحات "هيكل" عن نزاع الـ100 مليون دولار مُخْتَلَقَة، اليوم السابع، 2015/10/26.

(2) هيكل: مبارك وزمانه (2) – ماذا جرى في مصر ولها، مصدر سابق، ص ص 217-250.

(3) هيكل: سُلْطَة التحقيق وسلطان الحقيقة: مبارك أمانة في ضمير كل مصري، أخبار اليوم، 1986/3/2.

وقد حُذِفَت المقالةُ من النشر في الكتاب مع السلسلة التي هي مُتَمِّمَةٌ لها، رغم أن "هيكل" ذَكَرَ في مقدمة الكتاب ما يلي "لقد جمعت في هذه الصفحات سِجِلًا لهذا الحوار الذي تواصل بأحكام الضرورة ثلاثين سنة، وتركت السجل كما كتبته على الصفحات أو تحدثت به على الشاشات كما نُشِرَ أو ظهر على أصله، لا تتغير فيه جملة أو كلمة واحدة؛ لأن سِجِلً أي حوار سياسي يحتفظ بقيمته إذا حافظ على أمانته لا يَمَسُّهُ سن قلم - أو لمسة لون - بأثر رجعي"[1].

(1) هيكل: مبارك وزمانه (2) – ماذا جرى في مصر ولها، مصدر سابق، ص11.

64- السادات وليس الساداتي:

يذكر الأستاذ هيكل أن اسم جد السادات لم يكن يسمى (السادات) وإنما كان اسمه (الساداتي) أي التابع للسادة، ولما قامت ثورة يوليو غَيَّرَ السادات اسمه من الساداتي إلى السادات، وأخذ هيكل يُلِحُّ مراتٍ كثيرةً في كتابه (خريف الغضب) على اسم الساداتي في الإشارة إلى جد السادات[1].

غير أن أول من يرد رواية هيكل هو هيكل نفسه، فقد كتب بنفسه عام 1948 - أي قبل الثورة بأربعة أعوام - تحقيقًا صحفيًا عن اغتيال أمين عثمان ذكر فيه اسم (السادات) عدة مرات؛ حيث كان المتهم الثاني في القضية، بل وضح اسمه (السادات) تحت صورته في التحقيق الصحفي الذي نُشِرَ باسمه[2].

كما أن التغطيات الأخرى لمؤسسة أخبار اليوم - التي يعمل بها ويَطَّلِعُ على أرشيفها - للمحاكمات نفسها تؤكد اسم أنور السادات[3]. ولا يُتَصَوَّرُ أن يُغَيِّرَ ضابطٌ مشهور بالعمل السياسي اسمَه بعد سن الثلاثين ثم لا يظهر ذلك في أي موضع إلا عند هيكل.

ويذكر الأستاذ حلمي سلام أن هناك أربع وثائق في ملف خدمة السادات في الكلية الحربية تَدْحَضُ مزاعمَ هيكل؛ الوثيقة الأولى صورة للغلاف الخارجي لملف خدمة أنور السادات بالقوات المسلحة، وقد حمل رقم 2274، وإلى جانب الرقم حمل الملف اسمَ صاحبه بوضوح (محمد أنور السادات)، أما الوثيقتان الثانية

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 33-38.

(2) هيكل: أكبر قضية سياسية في تاريخ مصر، آخر ساعة، 1948/7/21.

(3) صور من محاكمات قَتَلَةِ أمين عثمان، أخبار اليوم، 1946/6/1.

والثالثة فهما صورتان لاثنين من التقارير السرية التي جرى النظام العام بالقوات المُسَلَّحَةِ على أن يكتبها القادة العسكريون كل عام عن الضباط العاملين تحت قيادتهم، وأول هذين التقريرين عن اليوزباشي محمد أنور السادات خلال المدة من أول مايو سنة 1942 حتى آخر سبتمبر من السنة نفسها، أي قبل قيام الثورة بعشر سنوات كاملة، وأما التقرير السري الثاني فكان عن الصاغ محمد أنور السادات خلال المدة من أول مايو سنة 1950 حتى آخر إبريل سنة 1951، وكلا التقريرين - وبينهما حوالي تسع سنوات - يُثْبِتُ اللقبَ كما نعرفه (السادات)، وأما الوثيقة الرابعة فهي صورة من إقرار كتبه أنور السادات في 24 نوفمبر سنة 1951 - قبل قيام الثورة بتسعة شهور - برغبته في دخول امتحان القبول بكلية أركان حرب، وقد وَقَّعَ الإقرار باسمه أنور السادات[1].

65- أصُولُ السادات:

يقول هيكل إن جد السادات لأُمِّهِ "رجل اسمه خير الله، وكان لسوء حظه من الذين وقعوا في أسر العبودية"[2].

وكل هذا الكلام ينفيه الدكتور محسن عبد الخالق، يقول "روى لي محمد توم التيجاني - وزير المعارف السوداني الأسبق - أن جد أنور السادات لأمه من كردفان، ولم يكن من الرقيق، بل كان حُرًّا سودانيًّا عربيًّا اسمه (خير الله)، من بلدة (بارة) حيث ذات البلدة التي نشأ بها عم الوزير السوداني، كان يسوق جماله من (بارة) إلى مصر حيث يبيعها هناك، وكثيرًا ما كان ينزل عند خير الله في بيته، وقصة خير الله معروفة في بلدته بارة"[3].

(1) حلمي سلام: هل غَيَّرَ السادات لَقَبَهُ بعد قيام الثورة، الوثائق تَرُدُّ على بركان الغضب، الجمهورية، 1983/5/12.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص35.

(3) محسن عبد الخالق: شاهد على تاريخ أنور السادات، الجمهورية، 1983/5/4.

66- انضمام السادات للضباط الأحرار:

يقول هيكل إن عبد الناصر عندما أراد ضَمَّ السادات لتنظيم الضباط الأحرار اعترض جميع زملائه بلا استثناء، لكن عبد الناصر أَصَرَّ وكان له ما أراد[1].

ويلاحظ أستاذ حلمي سلام أن هذه الرواية تسيء لعبد الناصر أكثر من إساءتها للسادات، وتُثْبِتُ ديكتاتوريته المبكرة مع أقرانه، فإذا كان هذا هو استبداده بالرأي والتنظيم في طور التكوين، فكيف كان وهو في السُّلْطَةِ؟[2].

ورواية هيكل تُعَارِضُهَا وتَنْفِيهَا شهادةُ عبد اللطيف البغدادي في مذكراته، التي ذكر فيها أنهم رَحَّبُوا بانضمام السادات إليهم، حيث كان واحدًا منهم خلال خلية تنظيمية سابقة عام 1940 (تلك الخلية المبكرة التي أشار إليها السادات أيضًا في مذكراته)، وأن جميعهم وافقوا على انضمامه، ولم يَعْتَرِضْ إلا واحدٌ هو عبد المنعم عبد الرؤوف[3].

67- واقعة مكالمة اسْتَغْرَقَتْ خمسًا وثلاثين دقيقة فور اغتيال السادات:

يكتب هيكل في خريف الغضب أن السيدة جيهان السادات أَمَرَت الطائرةَ المروحية الرئاسية التي كانت تقلُّ زوجَها المصاب في حادث المنصة بالهبوط في بيتها، وأجرت اتصالات هاتفية بابنها في الولايات المتحدة، ولما لم تَجِده قامتْ بِعِدَّةِ اتصالات أخرى، استغرقت خمسًا وثلاثين دقيقة، ثم عادت للطائرة لتكمل رحلتها نحو مستشفى المعادي[4].

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص72.

(2) حلمي سلام: هل غَيَّرَ السادات لَقَبَهُ بعد قيام الثورة، الوثائق تَرُدُّ على بركان الغضب، الجمهورية، 1983/5/12.

(3) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (ج1)، مصدر سابق، ص34.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 436-437.

هذه القصة تُثْبِتُ إلى أي مَدَى يمكن أن يذهب الغضبُ بهيكل بعيدًا عن المعقولية، ناهيك عن المصداقية أو الموضوعية، فكيف يمكن تَصَوُّرُ أن تَهْبِطَ زوجةُ الرئيس بالطائرة وزوجها يصارع الموتَ لتُجْرِيَ اتصالاتٍ هاتفيةً خارجية، وهَبْ أنها أرادت ذلك، فكيف يُوَافِقُهَا الطيارُ العسكري وهو لا يَتَلَقَّى أوامرَه منها، وهَبْ أنه وَافَقَهَا، فكيف تَصَرَّفَ الذين كانوا ينتظرون الطائرة في المستشفى العسكري لإنقاذ الرئيس، أَلَمْ يَتَّصِلُوا بالطيار؟ وهل كان رَدُّهُ أنه نَزَلَ في بيت الرئيس بأمرٍ من زوجته، وأنه ينتظر قدومها ليَسْتَكْمِلَ رحلتَه إلى المستشفى؟

ورغم أن القصةَ يُغْنِي بطلانُها عن إبطالِها، فإن شهود العيان جزموا بعدم صحتها، فالسيدة جيهان السادات اسْتَنْكَرَت القصة، وأَكَّدَتْ أنها غَادَرَت المنصة في سيارة وليس في الطائرة، وأنها بالتالي لم تُرَافِقْ جَسَدَ زوجها أصلًا في رحلته إلى مستشفى المعادي، واستشهدتْ بأسماء من رَافَقوها في السيارة[1]، كما أَكَّدَ العميد الفولي - في شهادته على حادث المنصة، وأثناء سَرْدِهِ محاولات إنقاذ الرئيس السادات ونقله إلى المستشفى - ما ذَكَرَتْهُ السيدةُ جيهان السادات، أنها لم تَسْتَقِلَّ الطائرةَ المروحية مع زوجها إلى المستشفى، وأنه بعد أن حَمَلَ - بمساعدةِ أحدِ زملائه - الرئيسَ المُصَابَ - وأسرعا إلى المروحية التي انْطَلَقَتْ برِفْقَةِ ضباطٍ من الحراسة الخاصة - عاد إلى السيدة الأولى لإخلائها[2]، واسْتَقَلَّت السيدةُ جيهان السادات مروحيةً من قصر القبة حَمَلَتْهَا وأحفادَها - الذين كانوا في حالة نفسية سيئة - إلى منزلها، ومنها اسْتَقَلَّتْ سيارةً إلى مستشفى المعادي[3]، وشهد بذلك حارس شخصي آخر للرئيس هو الأستاذ سيد الديب وأنهم حملوا الرئيس مباشرة بالمروحية إلى مستشفى المعادي حيث بدأت المحاولات اليائسة لإنقاذه[4].

---

(1) حوار مع جيهان السادات، برنامج (شاهد على العصر)، قناة الجزيرة، 2001/2/12.

(2) شهادة المقدم أحمد الفولي، الأهرام، 2011/3/28.

(3) جيهان السادات: سيدة من مصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1987، ص25.

(4) شهادة الأستاذ سيد الديب مع الإعلامي رامي رضوان، برنامج البيت بيتك، 2015/10/6.

68- ليس للسادات صورة واحدة وهو يقرأ:

. يقول هيكل "كان السادات بطبيعته لا يَمْتَلِكُ جَلَدًا كبيرًا على العمل، وفي كل الأحوال فقد كان يَكْرَهُ مجردَ رؤيةِ الأوراقِ الرسمية، ومما يلفت النظر أنه لا توجد له صورةٌ قَطّ بين كل آلاف الصور التي نُشِرَتْ له تُمَثِّلُهُ جالسًا على مكتب، ظهرت له صور كثيرة تحت الأشجار، في الحدائق، أو وهو يمارس رياضة المشي.. ولكن لم تَظْهَرْ له صورٌ على مكتبه الرسمي أو على مكتبه في بيته"[1].

ورغم أن هذا الاستدلالَ من الضَّعْفِ بحيث يمكن وَضْعُهُ في خَوَارِمِ الموضوعية -لتَهَافُتِهِ وضَعْفِ وسيلةِ الاستدلال جدًّا، ولتَجَاهُلِهِ أَوْجُهَ العملِ الأخرى في حياة مليئة بمقابلات رسمية، وزيارات ميدانية، واجتماعات دورية مع المسؤولين، وخطب، ووقت للتَّأَمُّلِ والتخطيط الفردي والجماعي، وبالتالي فلا يمكن الاستدلالُ بِمِثْلِ هذه المقدمة على ما وصل إليه من نتيجة - فإن عدمَ صحة المعلومة من الأساس جعل المؤلف ينقلها إلى خَوَارِمِ المصداقية؛ فبالرجوع إلى ألبوم الصور الذي أصدره الأهرام نفسه كما أصدر لعبد الناصر من قَبْلِهِ ولحسني مبارك من بعده، نَجِدُ سِتَّ صورٍ للرئيس السادات وهو يقرأ باهتمام تقاريرَ بين يديه، ثلاث منها على مكتبه، وثلاث على منضدة خارجية!![2]، [3]، والعجيب أن ألبوم صور عبد الناصر - للناشر نفسه وهو الأهرام - لا توجد به إلا صورتان لعبد الناصر وهو يقرأ[4]، وهذا يؤكِّد ضَعْفَ الاستدلالِ؛ إذ يعترف هيكل لناصر بالجَلَدِ في العمل، فالأمر إذًا ليس بعَدَدِ الصور وهو جالس على المكتب.

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص95.

(2) الأهرام: أنور السادات.. حياته بالصور، الطبعة الأولى، 1998، ص ص 46، 48، 72، 82، 84.

(3) هذا بالطبع خِلاف الصور التي تُظْهِرُهُ وهو يقرأ القرآن (ص87)، والصحف (ص36، 38، 74).

(4) الأهرام: عبد الناصر.. حياته بالصور، الطبعة الأولى، 1998، ص ص 46، 72، 82، 84.

69- تعليقات حسن عزت على روايات هيكل:

تَوَقَّفَ حسن عزت – أحد المتهمين الرئيسيين في اغتيال أمين عثمان - في مذكراته عند عِدَّةِ روايات ذَكَرَهَا هيكل، وفَنَّدَهَا، ومنها "أن السادات ألقى نفسه أمام الملك وقَبَّلَ يديه وطلب منه الصفح"[1]، وتساءل: ألا يتعارض هذا وكونه واحدًا من الحرس الحديدي المَرْضِيِّ عنهم بالفعل من الملك؟[2]، ويُعَلِّقُ على قول هيكل "إن إدارة الجيش أَبْعَدَتْهُ إلى سيناء لأنه عنصرٌ لا يتمتع بالثقة"[3]، فيتساءل: كيف يكون من الحرس الحديدي - وبالتالي من رجال الملك - ويكون الغرضُ إبعاده وتَجْرُؤُ رئاسةُ الجيش على ذلك، وقد كانوا خَدَمًا للملك وأعوانًا له؟[4].

ويُعَلِّقُ على ذِكْرِ هيكل لاسمه، وأنه هو الذي ذَكَّرَ "يوسف رشاد" بأن السادات في المعتقل[5]، بأنه كان هو نفسه في المعتقل مع السادات، وأنه لا يعرف "يوسف رشاد"[6].

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص71.

(2) حسن عزت: قصتي مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل، إي آر جي إيه، جنوا – إيطاليا، 1985، ص221.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص71.

(4) حسن عزت: قصتي مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل، مصدر سابق، ص222.

(5) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص54.

(6) حسن عزت: قصتي مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل، مصدر سابق، ص222.

2.3 اختلاف المحتوى بين الترجمات

الأصل في الترجمة أن تُطَابِقَ النَّصَّ الأصليَّ في الروح والمعنى ما كان هناك إلى ذلك سبيل، أو أن تُقَارِبَهُ إن تَعَذَّرَت المطابقةُ لظروفِ اختلافِ القراء بين الثقافات المختلفة، وحاجة القارئ الأصلي أو القارئ المُتَرْجَمِ له للمزيد من التفاصيل أو عدم الحاجة إلى ذلك، من هنا يُتَسَامَحُ مع الاختلافات المُبَرَّرَةِ في الترجمة التي تَتَخَفَّفُ من بعض التفاصيل أو تستطرد فيها في بعض المواضع دون الإخلال بالمعنى، وذلك مراعاةً لحاجة القارئ وثقافته هنا وهناك، ولا تُعَدُّ هذه الاختلافاتُ من القوادحِ في المِصْدَاقِيَّةِ.

أما أن تكون الاختلافات بين النص الأصلي والترجمة بالحذف أو الزيادة المُتَعَمَّدَتَيْنِ لجمل وكلمات بعينها تخفي من المعنى الأصلي هنا أو تزيد معنًى آخر هناك - خاصة ما كان في مَعْرِضِ ذِكْرِ الوقائعِ التاريخية - فهذا لا شَكَّ يَحْمِلُ شُبْهَةً تَقْدَحُ في المصداقية، وبعض الحالات تكون صارخةً واضحةً في مُرَادِهَا.

وهذه الاختلافات المُتَعَمَّدَةُ - التي كأنها تَتِمُّ بِمِبْضَعِ جراحٍ عليم يعرف تمامًا ما يَحْذِفُ وما يُضِيفُ - كثيرًا ما وقعت بين كتب هيكل الإنجليزية وترجماتها، ونَقْصُرُ البحثَ هنا على الترجمات العربية وحدها لبعض الكتب؛ حيث يفي ذلك بالغرض من البحث، وحيث تتجلى مسؤولية الأستاذ هيكل المباشرة عنها كتابةً أو اطِّلاعًا.

70- حجم الاختلافات بين النَّصَّيْنِ العربي والإنجليزي:

ذَكَرَ هيكل في الطبعة العربية أنها ترجمة للطبعة الإنجليزية، فهي ليست كتابًا جديدًا، ومع ذلك رَصَدَ المؤلف ثمانية وخمسين اختلافًا بين الطبعتين، معظمها - كما ذُكِرَ آنِفًا - مُتَعَمَّدٌ؛ لإيصال رسالة لهذا القارئ أو حَجْبِهَا عن ذاك، أما تلك التي كانت بِغَرَضٍ ظاهرٍ للاختصار أو الشرح فلم يُضَمِّنْهَا المؤلف في تلك الاختلافات، ولا يَتَّسِعُ المجالُ لرَصْدِ تلك الاختلافات جميعها، لذا سيَتِمُّ الاقتصارُ على بَعْضِهَا.

71- الفقرات المحذوفة عن الاتحاد السوفييتي:

نظرًا لأن الطبعة العربية صَدَرَتْ في مناخ يَتَحَسَّبُ هيكل لأنه قد يقود إلى تصادمٍ مع القيادة المصرية، وأن حلفاءه في الفترة القادمة قد يكونون من الأنظمة العربية الموالية للاتحاد السوفييتي، فإن النص العربي شهد حذف عدة فقرات قد تسيء للاتحاد السوفييتي، ومنها فقرة عن صواريخ ستريلا الروسية وأنها لم تكن ذات كفاءة في البداية.

72- تغيير التعبيرات لزيادة النقد لأمريكا في الطبعة العربية:

في الطبعة الإنجليزية وَرَدَ أن الأمريكيين كانوا (قلقين للغاية) من تحريك مصر للصواريخ حتى حافة القناة بعد دخول اتفاقية روجرز حَيِّزَ التنفيذ[1]، بينما في الطبعة العربية أن الأمريكيين (تظاهروا بالقلق)[2]، وفي السياق ذاته ذَكَرَ هيكل في الطبعة الإنجليزية أن الولايات المتحدة اتَّهَمَت المصريين بالتلاعب،

(1) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 92.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص105.

وَرَدَتْ (لمعاقبة مصر على هذا) بتزويد إسرائيل (بصورة استثنائية) بالمزيد من السلاح، ولم يعقب على ذلك[1]، بينما في الطبعة العربية أضاف أن مصر حاولت أن تَشْرَحَ موقفها للأمريكيين، ثم أضاف جملة تعقيب "وكان واضحًا أن حكاية الصواريخ مجرد ذَرِيعَةٍ لما يريدون"[2].

73- حَذْفُ ما لم يَفْعَلْهُ عبد الناصر:

الفقرتان التاليتان كانتا في الطبعة الإنجليزية ولم يَظْهَرَا في الطبعة العربية:

"السادات تَهَيَّأَتْ له الفرصةُ ليُحَرِّكَ الأمريكيين ناحيةَ تَفَهُّمِ الموقفِ المصري، ولنَكُونَ واقعيين هذا ما لم يَفْعَلْهُ عبد الناصر أبدًا، لقد كان عدمُ الثقة المتبادل بين عبد الناصر والأمريكيين راسخًا جدًّا، بينما كان السادات طَلِيقًا من هذا المَوْرُوثِ"[3]، [4].

"كَتَبْتُ مقالات عن ضرورة تَحْيِيدِ الولايات المتحدة، وأنه لا بُدَّ من التعامل معها، ونُشِرَ ذلك وعبد الناصر على قيد الحياة، وكان غير موافق على الفكرة، وإن كان لم يُحَاوِلْ مَنْعِي من طرح هذه المناقشة، لكن كان من الواضح أنه لن يحاول أبدًا السَّيْرَ في هذا الاتجاه، بينما كانت الفرصة متاحة للسادات"[5]، [6].

74- السادات ليس آسفًا لسقوط الطيارين الروس:

في الطبعة الإنجليزية يُعَقِّبُ السادات على حادثة سقوط خمس طائرات يقودها طيارون روس في مواجهة مع الطيران الإسرائيلي ومصرع طياريها "من ناحية أنا آسف لما حدث، ومن ناحية أخرى أنا لستُ آسفًا، لقد كان الروس دائمًا يَتَّهِمُونَ

(1) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 92.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص106.

(3) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 113.

(4)هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص128.

(5) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 114.

(6) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص128.

طيارينا بأنهم لا يتعلمون من التجارب، وكان طيارونا يشتكون من ضعف قدرات (الميج) أمام الطائرات (الفانتوم) الإسرائيلية، ولعل في هذا إثباتًا"[1]، بينما في الطبعة العربية المجاملة للسوفييت تتلطف العبارات بالحذف والزيادة، فيأتي على لسان السادات ثناءٌ على الطيارين الراحلين لم يَرِدْ له ذِكْرٌ في الطبعة الإنجليزية، ويختفي عدم الأسف "أنا أشعر بالأسف لسقوطهم، لقد حاربوا معنا وأعطوا حياتهم لهدفنا، لكنني من ناحية أخرى أجد في ذلك دليلًا مهمًا.."[2].

75- التفوق الإسرائيلي (مؤقت) في الطبعة العربية:

في الطبعة الإنجليزية يذكر هيكل "(بعد النكسة) أثبتت إسرائيل تفوقها على المستوى المحلي"[3]، بينما في الطبعة العربية "إسرائيل أثبتت تفوقها المؤقت على المستوى المحلي"[4].

76- أعداء أم غرباء:

في الطبعة الإنجليزية يذكر هيكل على لسان القذافي "أنا لا أُفَرِّقُ بين كيسنجر وكوسيجين، كلاهما أعداء (They Are Both Enemies)"[5]، بينما في الطبعة العربية "أنا لا أُفَرِّقُ بين كيسنجر وكوسيجين، كلاهما غريب عنا"[6].

---

(1) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 164.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص176.

(3) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 167.

(4) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص179.

(5) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 190.

(6) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص202.

77- نَفْي (الوَقْفَة التَّعْبَوِيَّة) في الطبعة الإنجليزية فقط:

الفقرة التالية كانت في الطبعة الإنجليزية ولم تَظْهَرْ في الطبعة العربية "وفي الواقع، فإن مصطلح (الوَقْفَة التَّعْبَوِيَّة) غير موجود في النظريات العسكرية، يمكن أن تكون هناك وقفةٌ فقط عندما تنتهي العملية العسكرية إلى تحقيق أهدافها بطريقة ناجحة"[1]، هذه الفقرة لا وجود لها في الطبعة العربية[2]، ولعل مَرَدَّ ذلك إلى رغبة الكاتب في تَجَنُّبِ سَيْلٍ من الردود من قادة حرب أكتوبر من العسكريين المتخصصين، الذين سيعارض أغلبهم هذه الفقرة من الناحية النظرية والعملية، وسيكون هيكل - وهو غير المتخصص - في وضع أضعف.

78- إسقاط الشكر للمشير أحمد إسماعيل من الطبعة العربية:

في الطبعة الإنجليزية "كان التخطيط على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي ممتازًا، شكرًا للفريق أحمد إسماعيل واللواء الجمسي"[3]، فسَقَطَ أحمد إسماعيل من الطبعة العربية بعد وفاته، وأصبحت "كان التخطيط على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي ممتازًا؛ نظرًا لكفاءة وامتياز اللواء عبد الغني الجمسي"[4].

(1) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 219.

(2) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص232.

(3) Heikal: The Road to Ramadan, op. cit., p. 246.

(4) هيكل: الطريق إلى رمضان، مصدر سابق، ص260.

79- حجم الاختلافات بين النَّصَّيْنِ العربي والإنجليزي:

تَعَهَّدَ الكاتبُ في مقدمة الطبعة العربية الصادرة في مصر - وبأوضح العبارات - "أنه لن يلمس بأي تغيير نصوصَ الكتاب كما صدرت في الطبعات الدولية المختلفة، وكما صدرت في الطبعات العربية خارج مصر، بمعنى أن هذه الطبعة المصرية هي ذات النص الأصلي، عدا هذه المقدمة"[1]، ومع ذلك رصد المؤلف 331 اختلافًا بين تلك الطبعة والنص الأصلي، منها 246 زيادة في الطبعة العربية عن النص الأصلي الإنجليزي، و36 زيادة في الأصل الإنجليزي حُذِفَتْ من الطبعة العربية، و49 موضعًا كانت طريقة تقديمها في الطبعة العربية مختلفة عن النص الأصلي، وفيما يلي نَذْكُرُ بعضًا من الأنواع الثلاثة من الاختلافات.

80- زيادات عن الطبعة الأصلية تَحْمِلُ فقرات سلبية عن السادات:

شمل النَّصُّ العربي الكثيرَ من الزيادات عن النص الأصلي تَحْمِلُ طابعَ التقليل من قَدْرِ السادات، تتراوح بين جمل أو فقرات بكاملها، فمن ذلك قوله إن وفاة والدة السادات قد أوجد عنده صدمةً أصابت أعصابَ قَدَمِهِ وأَثَّرَتْ في قدرته على المشي حتى آخر حياته، ذُكِرَ هذا في الطبعة العربية ولم يُذْكَرْ في النص الأصلي[2]، [3]، وإن السادات دائم التنقل "يهرب من مكان لمكان"[4]، [5]،

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص11.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص43.

(3) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 40.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص96.

(5) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 47.

وإنه دُفِعَ إلى حرب أكتوبر التي كان (يَتَهَيَّبُهَا)[1]، [2]، وأن طلعت السادات - أخا الرئيس الذي سُجِنَ عِدَّةَ أسابيع في بداية حُكْمِ الرئيس السادات - "كان يظن أنه وُضِعَ في السجن ظُلْمًا لُمجَرَّدِ تحسينِ صورة السادات أمام الرأي العام"[3]، [4]، وأن حديث السادات إلى الإعلام عَقِبَ قرارات سبتمبر 1981 "قد ترك لدى الناس انطباعًا سيئًا عن حالته العصبية، كان قد فَقَدَ مصداقيته تمامًا، وكذلك حدث لنظامه كله"[5]، [6].

81- زيادات عن الطبعة الأصلية تحمل فقرات إيجابية عن أدوار هيكل السياسية:

زاد في الترجمة العربية حديث هيكل عن دوره السياسي مقارنةً بالطبعة الأصلية الإنجليزية، فذَكَرَ في الطبعة العربية أنه "لا يحمل ضَغِينَةً شخصية للرئيس السادات"[7]، ولم يَذْكُرْ هذا في الطبعة الإنجليزية[8]، ولا يُتَصَوَّرُ عَدَمُ حَمْلِ الإنسانِ ضَغِينَةً شخصية ضد الشخص الذي أَقْصَاهُ من منصبه وأَبْعَدَهُ عن أَرْوِقَةِ الحُكْمِ ثم سجنه، ويذكر هيكل في الطبعة العربية فقط "كان عبد الناصر قد تعود في أي اجتماع أَحْضُرُهُ أن يبدأ بسؤالي عن رأيي في أي موضوع مطروح للمناقشة، وفي الليلة الحزينة اتَّبَعَ السادات نفس التقليد الذي كان يَتَّبِعُه عبدُ الناصر معي، فبدأ بسؤالي عما أراه الآن"[9]، [1]، وفي الطبعة العربية زيادةٌ تتعلق بدوره في إنشاء

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص144.

(2) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 73.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص440.

(4) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 272.

(5) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص409.

(6) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 251.

(7) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص16.

(8) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 3.

(9) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص89.

الكاتدرائية المرقسية في العباسية والتَّوَسُّطِ لدى الرئيس عبد الناصر من أجل مساهمة الدولة في إنشائها، حتى إن البابا طلب من اثنين من الأساقفة إقامةَ قُدَّاسِ بركات في منزل هيكل عرفانًا بدوره[2]، [3]، وفي الطبعة العربية زيادةٌ تُقَارِبُ صفحةً كاملة عن دور هيكل في مايو 1971 والإطاحة بمراكز القوى[4]، [5]، وفقرة أخرى مُطَوَّلَةٌ عن عودة العلاقات بينهما لفترة محدودة في أوائل عام 1975 وتَبَاحُثِ السادات معه في بعض أحداث تلك الفترة[6]، [7].

82- زيادات عن الطبعة الأصلية تَحْمِلُ مجاملةً لشخصيات أو تيارات سياسية:

اختصت الترجمة العربية ببعض عبارات المجاملة التي يخلو منها النص الأصلي، فأضاف عن محاميه المستشار ممتاز نصار أنه "عاش حياته في خدمة القانون"[8]، [9]، وعن الوزير محمد إبراهيم كامل أنه "كان رجلًا مشهودًا له بالوطنية"[10]، [11]، وعن الشيخ عمر التلمساني أنه "رجل يحظى باحترام

---

(1) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 44.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص287.

(3) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 166.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص99.

(5) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 49.

(6) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص210.

(7) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 111.

(8) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص209.

(9) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 111.

(10) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص215.

(11) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 115.

الكثيرين"[1]، [2]، وعن الإمام أحمد بن حنبل - المُفَضَّلِ عند التيار الأصولي - أنه "الفقيه الإسلامي العظيم"[3]، [4].

83- زيادات عن الطبعة الأصلية تَحْمِلُ حَطًّا من قَدْرِ شخصيات أو تيارات سياسية:

اختصت الترجمة العربية في موضعين مختلفين بالهجوم على النحاس باشا، فزاد في الترجمة العربية أن النحاس باشا "وقع في دائرة نفوذ زوجته الجميلة"[5]،[6]، وأن النحاس باشا في وزارته الأخيرة "كان مستعدًّا للمُهَادَنَةِ بغير حدود"[7]، [8]، كما زَاد فقراتٍ مُطَوَّلَةً غلبت عليها السَّلْبِيَّةُ في شرح أفكار سيد قطب[9]، [10].

84- زيادات عن الطبعة الأصلية تُخَاطِبُ القارئ العربي:

اختصت الترجمة العربية في عدة مواضع بإضافة معلومات تبدو على سبيل الإرضاء، ومعظمها يعرفها هذا القارئ، وكان الأَوْلَى بها القارئ الأجنبي، ومن ذلك أن "هيكل" أَتْبَعَ الحديث عن وقف إطلاق النار يوم 22 أكتوبر 1973 بالفقرة التالية في الترجمة العربية "استغل الإسرائيليون - كما هي عادتهم - حالة وقف إطلاق النار

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص229.

(2) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 125.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص232.

(4) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 127.

(5) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص53.

(6) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 27.

(7) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص238.

(8) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 132.

(9) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص ص 242-243.

(10)Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 134.

لصالحهم، فعَزَّزُوا مراكزهم ونَشَرُوا وجودهم إلى مواقع جديدة وبعيدة لم يكونوا فيها عندما بدأ تنفيذ وقف إطلاق النار"[1]،[2].

85- زيادات عن الطبعة الأصلية تَحْمِلُ معلومات غير موثقة:

اخْتُصَّت الترجمة العربية في عدة مواضع بإضافة معلومات غير موجودة في النص الأصلي، وتبدو مطروحةً للمرة الأولى وبطريقة تَفْتَقِرُ إلى التوثيق، ومن ذلك أن "ياسر عرفات" كان قد أوشك على النجاح في وَسَاطَاتِهِ بين مصر وليبيا في نوفمبر 1977 واتَّفَقَ مع القذافي على أن تُقَدِّمَ ليبيا لمصر 500 دبابة جديدة[3]، [4]، وشملت الترجمة العربية زيادةً في الحوار الذي دار بين الرئيس السادات ومرشد الإخوان عمر التلمساني أمام كاميرات التليفزيون، فبعد أن قال التلمساني إنه يشكو الرئيسَ السادات إلى اللهِ ورَدَّ السادات بأن طلب منه ألَّا يفعل، يَزِيدُ النَّصُّ العربي تَكْمِلَةً للحوار أن التلمساني قال "ولماذا تخاف أن أشكوك إلى الله يا سيادة الرئيس؟!، إنني أشكوك إلى أعدل الحاكمين، وهو لا يظلم أحدًا، فلماذا تخاف يا سيادة الرئيس؟"، هذه الزيادة لا وجود لها في النص الأصلي الإنجليزي[5]،[6]، بل لا وجودَ لها في الحقيقة طِبْقًا لتسجيلات هذا الحوار[7]، كذلك ذُكِرَ في الطبعة العربية دون الإنجليزية أن اعتقالات سبتمبر شملت مئات القساوسة[8]، [9].

---

(1) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص146.

(2) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 74.

(3) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص200.

(4) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 106.

(5) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص251.

(6) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 140.

(7) https://www.youtube.com/watch?v=jiRvHsQp00c.

(8) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص396.

(9) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 242.

86- محذوفات من الترجمة العربية متعلقة بالرئيس السادات:

حَذَفَت الترجمةُ العربية بعضَ الجمل والفقرات المتعلقة بالرئيس السادات من الطبعة الأصلية الإنجليزية، ومنها اعتراف هيكل أن عروض الترضية التي قَدَّمَهَا السادات له عَقِبَ إقصائه من الأهرام كانت بلا شك عروضًا صادقة ومخلصة"[1]، [2]، وأن السادات كان عند وفاة عبد الناصر هو نائب الرئيس الرسمي (الوحيد)[3]، [4]، وأن الأمير فهد قد تَمَنَّى التوفيق لجهود السادات بعد مبادرة السلام[5]، [6]، وأن الملك خالد قال إنه لا يمكن أن يتعاون مع الرئيس السادات، ولكن إذا اقتضت الضرورة فيمكن أن يكون ذلك عن طريق الأمير فهد[7]، [8]، مع إشارة إلى أنه قد أصبح ملك السعودية منذ عام 1982، وأن البابا شنودة صَدَّرَ اعتذارَه عن قبول مقترحات الرئيس السادات بالسماح للأقباط بالحج إلى بيت المقدس بأنه "يرحب بجهود السلام"[9]، [10]، كل هذا حُذِفَ من الطبعة العربية.

87- حذف دور هيكل في إخراج أحداث مايو 1971 من الترجمة العربية:

في النص الإنجليزي أن "هيكل" تَحَفَّظَ على رغبة السادات في إعلان إقصائه مراكزَ القوى بسبب اعتراضهم على مباحثاته مع روجرز، وقال هيكل "إن ما يودُّ

(1) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 4.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص18.

(3) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 44.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص91.

(5) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 105.

(6) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص199.

(7) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 107.

(8) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص202.

(9) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 230.

(10) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص379.

الناس سماعه هو أن ما حدث هو نقلة تؤدي لحريات وإجراءات ديموقراطية كبيرة"[1]،[2]، فحَذَفَ من الطبعة العربية هذا التوجيه من هيكل للسادات لإخراج الأمر من مظهره الحقيقي إلى ما يحب أن يَسْمَعَهُ الناسُ.

88- حذف دور كيسنجر في وقف إطلاق النار في حرب أكتوبر من الترجمة العربية:

اخْتُصَّت الطبعة الإنجليزية بالإشارة إلى الدور الذي قام به كيسنجر في وقف إطلاق النار نتيجة لزيارته العاجلة إلى موسكو، والذي صدر بناءً عليه قرارُ مجلس الأمن رقم 338[3]،[4].

89- وصف مختلف للوقائع بين النص الأصلي والطبعة العربية:

في النص الأصلي يوصل الفريق محمد صادق رسالةً للرئيس السادات قُبَيْلَ أحداث مايو 1971 عَبْرَ هيكل: قل لهذا الرجل أن يأخذ حذره، بينما في الطبعة العربية: قل لهذا الرجل (أن يصحو من نومه) ويأخذ حذره[5]،[6]، وفي النص الأصلي أن فكرة السادات أن معركة (محدودة) يمكن أن تشد القوتين الأعظم، وتَحَوَّلَتْ في الترجمة العربية إلى معركة (صغيرة)[7]، [8]، وفي الترجمة العربية فإن "إسرائيل

---

(1) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 51.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص104.

(3)Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 73.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص146.

(5) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 50.

(6) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص103.

(7) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 58.

(8) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص121.

بالنسبة للنظام العربي هي عدو رئيسي في المنطقة"، بينما النص الإنجليزي أَخَفُّ وَقْعًا بكثير "في النظام العربي فإن إسرائيل بالضرورة ليست جزءً منه"[1]، [2].

وفي النص الإنجليزي "إن النظام الخاص داخل الإخوان المسلمين كانت وظيفته (القيام بعمليات إرهابية)، ليس فقط ضد الإنجليز، ولكن أيضًا ضد أيٍّ من الخصوم الذين يَتِمُّ تحديدهم له"، فاعتبر النص أن العمليات ضد الإنجليز عمليات إرهابية، بينما في النص العربي اختلف التوصيف ليصبح "النظام الخاص تَمَّ تدريبه ليَكُونَ قوةً قادرةً على الضَّرْبِ والرَّدْعِ"[3]،[4]، وفي النص الإنجليزي رأي قاسٍ جدًا عن حركة مصر الفتاة، إذ وصفها بأنها حركة فاشية في أيديولوجيتها وفي تنظيماتها، بينما في الترجمة العربية جاءت العبارة مُخَفَّفَةً بأن حركة مصر الفتاة أنشأها مؤسسها في الثلاثينيات متأثرًا بتجربة الفاشية والنازية في إيطاليا وألمانيا[5]، [6]، وفي النص الإنجليزي أن السادات ألقى القبض على (170) من الأساقفة والرهبان المسيحيين في اعتقالات سبتمبر، وفي الترجمة العربية أنه ألقى القبض على (المئات) من الأساقفة والرهبان[7]، [8].

وفي النص الإنجليزي رَصْدٌ لتقرير معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن في أواخر عهد الرئيس السادات يذكر أن الجيش المصري هو (أقوى جيش) في الشرق الأوسط، بينما في الترجمة العربية تم تخفيف هذا الثناء على الجيش المصري في آخر

---

(1) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 80.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص185.

(3) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 131.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص237.

(5) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 213.

(6) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص358.

(7) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 248.

(8) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص405.

عهد السادات ليصبح الجيشُ المصري (من أقوى الجيوش) في الشرق الأوسط[1]،[2]، وفي النص الإنجليزي أن جمال السادات عاد من الولايات المتحدة بعد إطلاق النار على والده على متن طائرة خاصة وفرها له (صديق)، بينما ذكرت الترجمة العربية أن (إحدى الشركات الأمريكية) تَطَوَّعَتْ باستئجار طائرة خاصة له[3]،[4].

كتاب ملفات السويس

في هذا السياق رَصَدَ الكاتب محمد جلال كشك وحده في كتابه الشهير (ثورة يوليو الأمريكية) أكثرَ من عشرين اختلافًا مُغَيِّرًا للمعنى بين كتاب هيكل (ملفات السويس) وترجمته الإنجليزية[5]، بعضها يمكن تأويله والتماس المعاذير له، وبعضها الآخر يَعِزُّ على التأويل والتماس المعاذير، ومن ذلك ما يلي:

90- مقدمة ملفات السويس، أسباب الإقدام على الكتابة:

يبدأ كشك مع ملفات السويس منذ المقدمة، فيجد اختلافًا في سَبَبِ الإقدام على الكتابة، ففي الطبعة العربية يتحدث هيكل عن إلحاح ناشريه الإنجليز والفرنسيين عليه أن يكتب كتابًا عن أزمة السويس في ذكراها الثلاثين[6]، أما في الترجمة المنشورة بلغة هؤلاء الناشرين فقد اختفت حكاية الحشد المطالب بالنشر، وجاء مكانها أنه هو الذي يسأل نفسه: لماذا أكتب كتابًا عن السويس

---

(1) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 267.

(2) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص431.

(3) Heikal: Autumn of Fury, op. cit., p. 272.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص440.

(5) ولقد رَاجَعَ المؤلف بَعْضَ هذه الاختلافات على الطبعة العربية والإنجليزية وتَأَكَّدَ منها.

(6) هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص8.

بعد مرور هذا الوقت، ويجيب: لأن كل ما كُتِبَ كان من وجهة النظر الغربية، لكن الجانب المصري من الحكاية لم يُوَثَّقْ[1].

91- مقدمة ملفات السويس، مغزى الكتاب:

في مَغْزَى الكتاب لَخَّصَ الناشر الأجنبي أو المؤلف أو كلاهما معًا مغزى وأهمية رواية هيكل لحرب السويس - أو بمعنى أصح لقصة الناصرية من 1952 إلى 1956 - في هذه السطور: "الأهمية الحقيقية لهذا الكتاب تكمن في أنه لأول مرة يُمَكِّنُنَا من رَصْدِ أحداثٍ معروفة في ضوء جديد تمامًا، فهي ليست مجردَ كارثة نهاية إمبراطورية، ولكن كفصل من العملية التي حاولت بها الولايات المتحدة استبدال الاستعمار القديم بنوع جديد من الهَيْمَنَةِ، وهي ليست مجرد حَدَثٍ تَطْوِيهِ كُتُبُ التاريخ، بل فصل في دراما ما زالت تجري أحداثُها"، **كما جاء على غلاف الكتاب:**

"Not Simply As Disastrous Epilogue To Empire, But As One Stage In The Process By Which The United States Sought To Supplant The Old Imperialism With A New Form Of Hegemony Not As An Episode That Can Safely By Consigned To The History Books, But As One Act In A Drama That Is Still Played"

إذًا فتلك الأزمة ونتائجها - من وجهة نظر الطبعة الإنجليزية - ليست إلا فصلًا من قصة إحلال أمريكا سيطرتها أو هيمنتها محل الاستعمار القديم، وبالطبع هذا لم يُذْكَرْ في الطبعة العربية.

---

(1) Heikal: Cutting the Lion's Tale: Suez Through Egyptian Eyes, op. cit., p. XI.

92- ملفات السويس: لقاء الملك عبد العزيز مع الرئيس روزفلت:

في لقاء الملك عبد العزيز مع الرئيس روزفلت، يُورِدُ الكاتبُ في الطبعة العربية حوارًا مُطَوَّلًا يستخدم فيه الملكُ مَنْطِقًا واضحًا في المسألة الإسرائيلية، فيقول: لماذا لا يعود اليهود إلى بلادهم التي هاجروا منها خوفًا من النازي، إذ ما دمنا هزمنا النازية فلِمَ نُحَقِّقُ هدفَها باستبعاد اليهود من أوروبا؟! ولماذا يستمر فرار اليهود؟! ولماذا لا يُعَوَّضُونَ على حساب المحور؟! ما ذَنْبُ فلسطين لتَدْفَعَ ثَمَنَ خطايا الآخرين؟[1].

منطق معقول، لكنه اختفى تمامًا من الطبعة الإنجليزية، وظهر بدلًا منه موقفٌ متشدد دون إبداء أسبابه.

وفي النسخة العربية نَجِدُ الملكَ يقول لروزفلت "إن اليهود والعرب لن يتعاونوا أبدًا في فلسطين، والعرب يشعرون بالتهديد المتزايد"، فإذا بالحوار يَتِمُّ عرضُه في النسخة الإنجليزية على هذا النحو "أَصَرَّ الملك على استحالة التعاون بين العرب واليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر"[2]، فالنص في الطبعة العربية وقف عند فلسطين؛ حيث الأسباب واضحة ومعلومة، أما في الطبعة الإنجليزية فأضاف "أو في أي مكان آخر".

ويعزو كشك هذا الاختلاف في المواضع السابقة إلى رغبة هيكل في مجاملة السعودية وتسهيل توزيع الطبعة العربية فيها، بينما في الطبعة الإنجليزية

(1) حسنين هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص48.

(2) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 8.

يرغب في تشويه صورة موقف الملك السعودي، وإظهار موقفه في صورة موقف تَعَنُّتٍ عنصري شامل خارج نطاق المشكلة الفلسطينية[1].

93- ملفات السويس: لقاء الملك فاروق مع الرئيس روزفلت:

ثم يورد كشك حذفًا مهمًّا حدث من ترجمة وثيقة عن لقاء الرئيس روزفلت مع الملك فاروق في 13 فبراير 1945، هذا الحذف طال أهم ما فيها، ففي الطبعة العربية[2] حُذِفَ من الوثيقة أن روزفلت اقترح على الملك غير المتجاوب أن تُقَسَّمَ المِلْكِيَّاتُ الكبيرة في مصر وأن تُسَلَّمَ للفلاحين لزراعتها[3]، ويُعَقِّبُ كشك على الوثيقة قائلًا: ولقد بلغ الحرص على دِقَّةِ النص أن كلمة فلاحين كُتِبَتْ هكذا (Fellahin) لتحديد الطبقة المقصودة بالتوزيع، ويتساءل كشك لماذا ضَنَّ هيكل على قراء العربية بهذه الفقرة المهمة، ويجيب: حتى لا يُعَزِّزَ حُجَجَ القائلين بأن الإصلاح الزراعي كان في الأصل مَطْلَبًا أمريكيًّا قديمًا قبل الثورة بسبع سنوات[4].

94- ملفات السويس: وساطة أيزنهاور في المتهمين في قضية لافون:

وفي الحديث عن إعدام اليهود الذين أُدِينُوا في عملية (لافون) ذَكَرَت الطبعةُ العربية أن أيزنهاور طلب من عبد الناصر وَقْفَ تنفيذ الإعدام، وأن عبد الناصر اعْتَذَرَ عن عدم قبول شفاعة أيزنهاور[5]، والطبعة العربية بهذا توحي أن رفض عبد الناصر رفض مبدئي، وهذا يرضي الناصريين، بينما في الطبعة الإنجليزية أورد هيكل سبب الرفض (لمَّا كان ستة قد شُنِقُوا قبل شهور في محاولة اغتيال ناصر،

---

(1) جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، مرجع سابق، ص43.

(2) حسنين هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص49.

(3) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 8.

(4) جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، مرجع سابق، ص44.

(5) حسنين هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص49.

فقد كان مفهومًا أن المناسبة لا تسمح بالشفقة)[1]، فكأن الرفض إذًا ليس رفضًا مبدئيًا، وإنما اقْتَضَتْهُ الظروفُ؛ نظرًا لإعدام ستة أفراد من الإخوان المسلمين قبلها، وهو ما قد يُثِيرُ شبهات وحفائظ لا يريد عبد الناصر لها أن تُثَارَ[2].

95- ملفات السويس: أسباب تحجيم كيم روزفلت:

في الطبعة العربية يُفَسِّرُ هيكل إرسال الخارجية الأمريكية لأحد ممثليها ليحدَّ من اختصاصات كيم روزفلت رجل المخابرات الشهير في مصر والمقرب من عبد الناصر - كما تذكر ذلك مصادر كثيرة - بأن موقف روزفلت في القاهرة قد أصبح ضعيفًا[3]، بينما في الطبعة الإنجليزية يُورِدُ السببَ بنَصِّهِ كما جاء في الوثائق أن روزفلت قد أصبح طَرِيًّا جدًّا وودودًا جدًّا مع ناصر[4]، ولم يُورِدْ هيكل هذا في النص العربي؛ حتى لا يُؤَكِّدَ ما حاول نَفْيَهُ مرارًا بخصوص الصلات الوثيقة بين عبد الناصر وبعض رجال المخابرات المركزية الأمريكية[5].

96- ملفات السويس: لقاء عبد الناصر وهيكل قبل سفره لأمريكا عام 1952:

ذَكَرَ هيكل في كتاب "قصة السويس" أن عبد الناصر وَدَّعَهُ وهو ذاهب إلى أمريكا في أكتوبر 1952 قائلًا: "إن الكثيرين يعرفون علاقتك الوثيقة بي"[6]. وأَوْرَدَ كلام عبد الناصر بين مزدوجين، دليل على أنه نَصٌّ منقولٌ حرفيًّا من كلام عبد الناصر، أما في كتاب "ملفات السويس" فقد قام بتغيير النص،

---

(1) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 48.

(2) جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، مرجع سابق، ص51.

(3) حسنين هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص362.

(4) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 77.

(5) جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، مرجع سابق، ص56.

(6) حسنين هيكل: قصة السويس، مصدر سابق، ص71.

واستعاضَ عنه بإيضاحٍ وَرَدَ في الطبعة العربية يقول: "وكانت السفارة الأمريكية بالقاهرة قد أُخْطَرَتْ واشنطن عن سفري، وأضافت إليه أنني وثيقُ الصِّلَةِ بجمال عبد الناصر"[1]، أما في الطبعة الإنجليزية فقد حُذِفَ الحديثُ والتفسيرُ، واكتفى بطلب "عبد الناصر" منه أن يُقَيِّمَ له الموقف في أمريكا[2].

97- ملفات السويس: محادثة عبد الناصر وهيكل عقب الهجوم الإسرائيلي عام 1956:

ولقد أَوْرَدَ هيكل هذا النص في الطبعة الإنجليزية، وهو اتصال من عبد الناصر بهيكل عقب وصول أنباء الاجتياح الإسرائيلي لسيناء، قال: "حُوِّلَتْ لي مكالمة من ناصر على الفندق.. الإسرائيليون في سيناء ويبدو أنهم يحاربون الرمال؛ لأنهم يحتلون موقعًا خاليًا بعد موقع.. إننا نراقب ما يجرى عن كثب، ويبدو لنا كما لو أن كل ما يريدونه هو إثارة عاصفة رمال في الصحراء، لا نستطيع أن ندرك ما يجري.. أقترح أن تأتي"[3].

ويعقب كشك قائلًا: "ولولا أننا لا نَشُكُّ في وطنية عبد الناصر، ولا نَثِقُ إطلاقًا في رواية هيكل لظَنَنَّا (فيهم الظنون)، ألا يعرف زعيم مصر - الذي كان عسكريًّا - ماذا يريد الإسرائيليون في سيناء؟ ولا يفهم لماذا يَسْتَوْلُونَ على المواقع الخالية؟، وما ذنبُ الإسرائيليين إذا كانت المواقع قد تُرِكَتْ بلا مُدَافِعِينَ"[4].

ويُكْمِلُ الأستاذ جلال كشك قائلًا: يعفي هيكل قراءَ العربية من هذا النص المُرَوِّعِ.

---

(1) حسنين هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص186.

(2) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 34.

(3) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 177.

(4) جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، مرجع سابق، ص ص 71-72.

والمؤلف هنا يزيد على ما أورده الأستاذ جلال كشك، ويتساءل بدوره عن هذا النص: وما الذي جعل المواقعَ المصريةَ خاليةً مَوْقِعًا بعد آخر؟، وقد كان الجيش المصري في سيناء وقتها ولم تكن بريطانيا ولا فرنسا تَدَخَّلَتْ بعد، وبالتالي كان ذلك قَبْلَ قرار الانسحاب من سيناء، فما الذي جعل المواقع خالية؟، فلا شك أن هذا الحوار لم يَحْدُثْ مُطْلَقًا، ولا يمكن أن يكون رَدُّ فعل قائد دخلت قواتٌ غازية إلى بلاده أن يكتفي بالاندهاش و(المتابعة عن قرب) (Monitoring Closely)، ويبدو أن "هيكل" أراد أن ينقل للقارئ الغربي بهذه الحكاية أن عبد الناصر لم يكن يعلم حتى لحظة بدء الهجوم الإسرائيلي إمكانيةَ هذه المؤامرة، وهو ما تَبَيَّنَ عدمُ صِحَّتِهِ هو الآخر بشهادة ثروت عكاشة.

98- ملفات السويس: موقع الولايات المتحدة في الحرب:

في "ملفات السويس" حُذِفَ العنوان الواضح "الفارس الرابع على طريق السويس"، ليحل محله عنوان جديد هو "أمريكا.. الحكم"، فتَحَوَّلَت الولايات المتحدة من خصم إلى حكم، والولايات المتحدة في قصة السويس 1976 بنص عباراته "شريك رابع في العدوان الثلاثي"، ولكن في التعديل عام 1986 نجدها شريكًا في النصر مع عبد الناصر. إذ يختم حديثه في الطبعة الإنجليزية من ملفات السويس أو "قطع ذيل الأسد" بقوله "كثيرون خسروا حرب السويس.. ولكنْ هناك متنصران لا شَكَّ في انتصارهما.. الرئيس عبد الناصر والأمريكيون.. فمحاولة بريطانيا العودة إلى المنطقة انْتَهَتْ بكارثة، وكذا محاولة فرنسا للتسلل من الباب الخلفي، وهكذا أصبح الأمريكيون لا يَرَوْنَ منافسًا[1].

أما في الطبعة العربية فيجيب عن السؤال نفسه "من الذي انْتَصَرَ؟" بأن مصر هي المنتصرة، ولا ذِكْرَ للولايات المتحدة الأمريكية، فيقول للعرب: "انتهت حرب

(1) Heikal: Cutting the Lion's Tale, op. cit., p. 201.

السويس وقد حَقَّقَتْ مصر كلَّ طلباتها واسْتَرَدَّتْ كلَّ حقوقهما فيما عدا واحدًا، وهو منع إسرائيل من المرور في خليج العقبة"[1]، وهذا التَّحَفُّظُ أضيف بعد أن حَاوَلَ إخفاءَ هذه القضية في "قصة السويس"؛ فقد وَضَعَ أخطرَ قضية في الصراع العربي - الإسرائيلي في سطر واحد "ثم سَلَّمَت الولايات المتحدة لإسرائيل مذكرةً تؤيد فيها حقها في المرور البريء من مضايق العقبة"[2]، ويعلق كشك على هذا الاختصار "ولماذا هذه العُجَالَةُ والاختصارُ الشديد في ملفات تَصِلُ إلى ألف صفحة.. لماذا لا تحكي لنا عن ظروف قبول عبد الناصر لهذا (الأمر الأمريكي)"[3].

---

(1) حسنين هيكل: ملفات السويس، مصدر سابق، ص606.

(2) المصدر السابق، ص604.

(3) جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، مرجع سابق، ص569.

كتاب (المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين):

فإذا انتقلنا إلى باحثٍ آخر تَعَمَّقَ في اختلاف الطبعات وتَنَاوَلَ بالدراسةِ اختلافَ طبعات كتاب (المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين)، وهو د. وحيد عبد المجيد، نَجِدُ الرجلَ شديد الحماسة لهيكل، شديدَ الطعن على مخالفيه، وصَدَّرَ مقارناته لطبعات كتاب المفاوضات السرية بالتماس العذر للكاتب، وبَرَّرَ له مُقَدَّمًا اختلافاته، فقال "وقد يَظُنُّ المرءُ للوهلة الأولى أن الأستاذَ نَسِيَ تفسيرًا قَدَّمَهُ في الطبعة الإنجليزية فطَرَحَ غيره، أو أن ثمة تناقضًا في التفسير، غير أن تَجَاوُزَ النظرة الأولى السطحية يقود إلى إدراك أن اختلاف التفسير في بعض الحالات يُعَبِّرُ عن مزيد من تَأَمُّلِ الموقف، خصوصًا أن الانتقال إلى الطبعة العربية يُوَفِّرُ له مساحة أوسع مقارنة بالطبعة الإنجليزية، حيث يتم الاتفاق مع الناشر على عدد الكلمات وليس فقط عدد صفحاته، ومع ذلك فالحالات التي نَجِدُ فيها اختلافًا في التفسير قليلة للغاية، وقد قُمْتُ بحصرها في المقارنة الواردة في هذا الكتاب بين طَبْعَتَي كتاب المفاوضات السرية"[1].

إلا أن المؤلف قام بإحصاء عدد هذه الاختلافات التي أوردها د. وحيد في بحثه ووصفها بالقليلة للغاية فوجدها تزيد عن مائة وخمسة وسبعين اختلافًا، ووجد في بعضها حذفًا مُتَعَمَّدًا لا يمكن أن يُعْزَى إلى الأسباب التي ذَكَرَهَا د. وحيد، ذلك أن بعضها تخلو منه الطبعة العربية وتستفيض فيه الطبعة الإنجليزية، وبعضها يحوي معلومات مهمة يؤدي حَذْفُهَا أو إثباتها لتوجيه القارئ، ورغم تَفَهُّمِنَا لاختلافات القارئ العربي والغربي، فإن القارئ - أي قارئ - في النهاية يُشَكِّلُ وَعْيَهُ بالأمور طِبْقًا لما يُقَدِّمُهُ إليه الكاتب من معلومات،

---

(1) وحيد عبد المجيد: مدرسة هيكل بين الجريدة والكتاب، دار مصر المحروسة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004، ص47.

وبالتالي فلا يمكن اعتبارُ الحذف والإضافة في المعلومات بين الطبعات في بعض الأمثلة التالية عفويًّا.

99- المفاوضات السرية: لقاء عبد الناصر والملك حسين:

ويروي المؤلف في الطبعة الإنجليزية أن عبد الناصر قال لحسين: "على الرغم من أننا رفضنا التفاوض مع إسرائيل إلا أن الأردن يُعْتَبَرُ حالة استثنائية، اذهب إلى الأمريكيين وقَبِّلْ أيديهم إذا كان هذا ضروريًّا، وابحث عن وسيلة للتفاوض، فأهم شيء هو استعادة الضفة الغربية وغزة قبل أن يُغَيِّرَ الإسرائيليون طابعها، حتى إذا اضطررت إلى عَقْدِ اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل"، وعندما تحدث الملك حسين عن مخاطر إجراء اتصالات مع الإسرائيليين عرض عبد الناصر أن يُوَفِّرَ له غطاءً سياسيًّا إذا تَسَرَّبَتْ أنباءٌ عنها"[1].

ويرى المؤلف أن الرجلين اعتزما في هذا اللقاء القيام بمخاطرة كبرى، لأن "التابو" الذي يُسْهِبُ في شرح أبعاده في مواضع أخرى من الطبعتين كان أقوى في ذلك الوقت من أي فترة سابقة، وهو "التابو" الذي يبدو أكثر في الطبعة العربية أن السادات هو الذي كَسَرَهُ[2]، لكن هذه الرواية التي تَرِدُ في الطبعة الإنجليزية تحمل معنى أن عبد الناصر هو الذي بدأ عملية تجاوز "التابو"، كما يكشف هيكل - في الطبعة الإنجليزية أيضًا - أنه بناء على التفاهم الذي حصل بين عبد الناصر وحسين في أغسطس 1967، طار الأخير إلى نيويورك وعَقَدَ اجتماعين سِرِّيَّيْنِ مع وزير الخارجية الإسرائيلي وقتها أبا إيبان، كان الاجتماع الأول في فندق "والروف استوريا"، وكان الثاني في منزل وزير أمريكي سابق هو جوليان إيمري[3].

---

(1) المرجع السابق، ص59.

(2) المرجع السابق، ص59.

(3) المرجع السابق، ص60.

ولنا أن نتساءل، مَنْ مِنَ القراء العرب كان يعرف ما ذَكَرَهُ هيكل في الطبعة الإنجليزية فقط وضَنَّ به على الطبعة العربية المُطَوَّلَةِ؟، مَنْ مِنَ القراء العرب كان يعرف أن عبد الناصر قال للملك حسين بالنص "اذهب إلى الأمريكيين، وقَبِّلْ أيديهم إذا كان هذا ضروريًّا، وابحث عن وسيلة للتفاوض، فأهم شيء هو استعادة الضفة الغربية وغزة قبل أن يُغَيِّرَ الإسرائيليون طابعها، حتى إذا اضْطُرِرْتَ إلى عَقْدِ اتفاق سلام منفرد مع إسرائيل"؟، وهل يمكن أن يُعْزَى هذا الحذف - وبالتالي التَّجْهِيل الذي تَعَرَّضَ له القارئ العربي - لاختلاف طبيعة القارئ العربي عن الغربي؟ أم أنه حذف مقصود حتى لا يُصْدَمَ القارئُ العربي في صورة البطل التي يرسمها لعبد الناصر، وحتى تظل صورة عبد الناصر نقية وصورة الملك حسين هي المشوهة، بينما ذُكِرَتْ تلك التفاصيل في الطبعة الإنجليزية المختصرة - التي يتم الحساب فيها بالكلمة كما ذكر د. وحيد - حتى يَتِمَّ إثبات أن عبد الناصر هو أول من حاول كسر "التابو" بين العرب والإسرائيليين، وبالتالي تحسين صورة عبد الناصر عند القارئ الغربي، فهُنَا يَتِمُّ الحذف والإضافة بصورة مُتَعَمَّدَةٍ لتوجيه القارئ العربي في إتجاه وتوجيه القارئ الغربي في اتجاه آخر.

100- التدخل الأمريكي في تعيين رئيس الوزراء المصري:

يروي هيكل تفصيليًّا في الطبعة العربية قصة التغيير الوزاري الذي أجراه السادات عَقِبَ عودته من كامب ديفيد. ويكشف أن السادات عَهِدَ بتشكيل الوزارة الجديدة إلى نائبه في ذلك الوقت حسني مبارك الذي بدأ يُجْرِى اتصالات في هذا الشأن، ولكن السفير الأمريكي لدى القاهرة وهيرمان أيلتس ذهب إلى السادات ونصحه "بعدم تعريض منصب نائب رئيس الجمهورية لمشاكل العمل التنفيذي؛ لأنها قد تُؤَثِّرُ على مِصْدَاقِيَّتِهِ، ولأنه هو الاحتياطي الضروري للرئيس فإن المحافظة عليه مطلوبة"، كما نصح أيلتس "بالبحث عن مرشح

آخر مَارَسَ المسؤولية التنفيذية من قبل ويكون قابلًا للتغيير في أي وقت عندما تقتضي ظروفٌ سياسية ذلك"، فكان أن قرر السادات إسنادَ تشكيل الوزارة إلى الدكتور مصطفى خليل الذي أَبْدَى دهشة رغم أن الرئيس الراحل كان قد ألمح إليه قبل شهور برغبته في إسناد رئاسة الوزارة إليه.

وفيما تتوسع الطبعة العربية في رواية هذه القصة، تقتصر الإنجليزية على إشارة إلى أن السادات عزل رئيس الوزراء ممدوح سالم وعَهِدَ إلى نائبه حسني مبارك بتشكيل الوزارة. ولكن بعد 24 ساعة غَيَّرَ رأيه (دون ذِكْرِ نصيحة السفير الأمريكي لدى مصر) وعهد إلى مصطفى خليل الذي جرى تعريفه في هذه الطبعة بأنه كان نائبًا لرئيس الحزب الحاكم، والصحيح هو أن خليل تَوَلَّى منصبَ نائب رئيس الحزب بعد ذلك بسنوات، في حين كان حسني مبارك هو الذي شغل المنصب في ذلك الوقت عام 1978[1].

101- المفاوضات السرية: محادثات عبد الناصر ودالاس:

في موضع آخر، يرصد د. وحيد إضافةً في الطبعة الإنجليزية المختصرة لم تَرِدْ في الطبعة العربية المطولة، فيقول: "الغريب أن الطبعة العربية تخلو من إشارة إلى محادثات عبد الناصر مع دالاس وقتها، رغم أنها وَرَدَتْ في الإنجليزية، ومعها إيضاح مهم وهو أن دالاس لم يَطْلُبْ خلالها التَّوَصُّلَ إلى اتفاقٍ بين مصر وإسرائيل قبل الانسحاب البريطاني من مصر، وترجع أهمية موقف دالاس هذا إلى أن إسرائيل سَعَتْ إلى إقناع الولايات المتحدة بضرورة التوصل إلى اتفاق مع مصر قبل الانسحاب البريطاني[2].

(1) المرجع السابق، ص148.

(2) المرجع السابق، ص118.

هذا العجب من المؤلف من هذا الحَذْفِ لما يُسَمِّيه بالإيضاح المهم، يمكن أن يتلاشى فقط في ضوء الفهم لمخاطبة كل جمهور بما يريد هيكل لهذا الجمهور أن يصل إليه من النتائج.

102- المفاوضات السرية: لقاء هيكل بأينشتاين:

في موضع آخر يذكر د. وحيد أنه "يوجد اختلاف في بعض تفاصيل قصة لقاء هيكل بأينشتاين في كلٍّ من الطبعتين، ففي العربية يذكر المؤلف أن أينشتاين قال وهو يَشْرَحُ فحوى رسالته إلى عبد الناصر أنه - أي أينشتاين - كان قد تَلَقَّى دعوةً قبل أيام، بواسطة بن جوريون، ليكون رئيسًا لإسرائيل بعد أن تُوُفِّيَ رئيسها الأول حاييم وايزمان، واعتذر عن العرض؛ لأن ذلك خارج شواغله واستعداداته، لكنه أحس في الوقت الذي اعتذر فيه عن عدم رئاسة إسرائيل أن واجبه يدعوه إلى أن يفعل شيئًا من أجلها".

أما في الطبعة الإنجليزية فلا يَذْكُرُ المؤلف أن أينشتاين تَحَدَّثَ عن موضوع اعتذاره عن رئاسة إسرائيل خلال اللقاء الذي تَمَّ بينهما، وإنما يقول إنه تَبَيَّنَ لاحقًا أن توقيت أينشتاين كان ذا مَغْزًى؛ لأنه جاء عقب هذا الاعتذار، ويذكر تفاصيل - لم تَرِدْ في الطبعة العربية - عن أن أبا إيبان هو الذي بعث العرض إلى أينشتاين تلغرافيًّا، ويُورِدُ ما تَضَمَّنَتْهُ البرقية، وكيف رَدَّ أينشتاين عليها معتذرًا[1].

ففي الطبعة العربية أنه قال له وصرح، وفي الطبعة الإنجليزية أن هذا (تَبَيَّنَ لاحقًا)، وبالتالي لم يكن قد قال له ولا صرح، فهنا خَرْقٌ واضحٌ جديد للمصداقية، ولعل الدافع له أن "هيكل" يريد أن يَسْتَعْرِضَ تَبَسُّطَ أينشتاين معه في الحديث كأنه صديق حميم يفضي إليه بما عنده، بينما القارئ الإنجليزي - الأكثر تدقيقًا - سيتساءل مندهشًا: وما علاقة عبد الناصر بإسرائيل أو

(1) المرجع السابق، ص114.

حرصه عليها حتى يتفهم ويتجاوب مع رغبة أينشتاين في عمل شيء من أجلها، وحتى يكون تصريح أينشتاين برغبته في عمل شيء من أجل إسرائيل معلومة تُقَالُ لتَصِلَ لعبد الناصر وتُشَكِّلَ حافزًا له.

ولنا أن نعلم أن الرواية الأولى لهيكل عن لقائه بأينشتاين تقول إن هذا اللقاء كان عام 1951 - قبل ثورة يوليو - "وكان لقائي مع أينشتاين حينما سَمَحُوا لي في جامعة برنستون بربع ساعة من وقته قضيتها أتمشى إلى جواره تحت الأشجار الضخمة في حديقة الجامعة العريقة، في أمريكا، قال لي أينشتاين وقتها إن كارثة جيلنا أن عضلاته أصبحت أقوى من قلبه"[1]. فكان اللقاء في الواقع بينهما ربع ساعة كما يروي هيكل عام 1959، وكان الحديث في العموميات التي تُتِيحُهَا تلك الدقائق البسيطة، لكنه تَحَوَّلَ إلى ساعات في الروايات اللاحقة.

3.3- أسباب الحيود عن المصداقية

من خلال استعراضنا لتلك النماذج السابقة من حالات الحَيْدِ عن المصداقية، يمكن إرجاعها لعدة أسباب، حيث يمكن إرجاع ادعاءات مثل متابعة معركة العلمين، أو مقابلة عبد الناصر في حرب فلسطين، أو ليلة حريق القاهرة، ووجوده في بيت محمد نجيب ليلة الثورة، أو لقائه بالرئيس كينيدي، وغير ذلك من الأمثلة، إلى الرغبة الجامحة لصحفي ذي حِسٍّ تاريخي بأن يكون في موقع الحدث التاريخي، وقد صرح هو نفسه بأهمية هذا الأمر عنده فقال بالإنجليزية (There Is Nothing To Compare Like Being There) أي لا شيء يفوق (متعة) أن تكون هناك (في موضع الحدث)[2]، وقال "كنت أشعر شعورًا غامرًا

(1) هيكل: هذا هو دَوْرُنَا، الأهرام، 1959/1/3.

(2) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2005/8/25.

أن المقادير أتاحت لي أن أكون في وسط لحظة تاريخية لا تُعَوَّض"[1]، إلى غير ذلك مما يظهر في كتاباته.

كما يمكن إرجاع نماذج أخرى مثل ادعاء عمله لسنوات في الإجيبشيان جازيت، ودوره في إقناع عبد الناصر أن الإنجليز لن يتدخلوا ضد حركة الجيش مما حَسَمَ أمره للتحرك، أو دوره ليلة الثورة في مصاحبة محمد نجيب إلى مَقَرِّ القيادة، ثم قيامه بالوساطة الهاتفية بين نجيب الهلالي باشا من جانب ومحمد نجيب وعبد الناصر من جانب آخر، وغير ذلك من الأمثلة، إلى الرغبة في إعادة تكوين ماضٍ مجيد يكافئ الحاضر المجيد الذي أحرزه من خلال موقعه إلى جوار عبد الناصر وإنجازاته السياسية والصحفية، ولعل هذا يَرُدُّ على دهشة اللواء جمال حماد بعد تفنيد مرويات هيكل حين عَلَّقَ قائلًا "لم أَتَصَوَّرْ أن صحفيًّا كبيرًا وكاتبًا مرموقًا في منزلة الأستاذ هيكل يمكن أن يَخْتَلِقَ أحداثًا لم تَقَعْ، ويصنع لنفسه دورًا مهمًّا في ثورة 23 يوليو 1952 دون وجه حق أو تحري جانب الصدق"[2]، [3].

كما يمكن إرجاعُ نماذج مثل ادعاءِ دوره ليلة وفاة عبد الناصر، وفي الاجتماعات التي عُقِدَتْ بعده، واعتراضاته على طرد الخبراء الروس، وحواراته المطولة مع كيسنجر – التي نفاها الأخير – إلى الرغبة في تدعيم الحاضر المُشَرِّفِ الذي حازه في عهد عبد الناصر بأدوار أخرى مُسْتَقِلَّةٍ عن عبد الناصر وبعد رحيله.

---

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص27.

(2) ثم يُعَقِّبُ بمرارة "وإذا كان تاريخ هذه الثورة يُزَيَّفُ بهذه الجَرْأَةِ مع وجود بعض أبنائها الأحياء الذين مَدَّ اللهُ في أعمارهم حتى الآن، تُرَى ماذا سيكون عليه الحال حين تُصْبِحُ بلا شهودٍ أحياء، فيَتَّسِعُ المجالُ حينئذٍ لكل من يشاء ليَدَّعِيَ ويَخْتَلِقَ ويُزَوِّرَ ويَنْسِبَ لنفسه أدوارًا وَهْمِيَّةً وبطولاتٍ زائفةً وهو آمِنٌ ألاَّ يَرُدَّ عليه أحدٌ أو يُكَذِّبَهُ إنسانٌ".

(3) جمال حماد: أسرار ثورة 23 يوليو (ج2)، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2010، ص1234.

وفي مقابل ذلك، يمكن أن نَعْزُوَ نماذجَ أخرى، مثل تغيير رواية الخبر الأول، وإسقاط فترة العمل في روز اليوسف، ونفي الانضمام للتنظيم الطليعي، وحذف مقالة (مبارك أمانة)، إلى الرغبة في التخلص من بعض مشاهد الماضي التي لا يراها مُنَاسِبَةً لما حَصَّلَهُ من المجد.

ويمكن إرجاع عدد آخر من تلك النماذج، مثل واقعة تقبيل النحاس يَدَ الملك، أو ازدرائه بمجلس قيادة الثورة في لقائهم الوحيد، أو قبول نجيب لَمَبَالِغَ مالية من الولايات المتحدة، أو الوقائع غير الصحيحة عن اسم السادات وأصوله، أو اتهامه صراحةً باغتيال الزعيم السوداني الهادي المهدي، واتهامه باغتيال عبد الناصر، أو ثروة مبارك والتشكيك في جدوى الضربة الجوية، واتهام سامي شرف بسرقة خزانة عبد الناصر، ونفي اهتمام الصحف العالمية بالقبض على مصطفى أمين، إلى الرغبة في تشويه خصوم سياسيين والحَطِّ من قَدْرِهم، مثل النحاس باشا، ومحمد نجيب، والسادات، ومبارك، وسامي شرف، ومصطفى أمين، وغيرهم.

وتَرْجِعُ أسباب تغيير الوقائع في نماذج أخرى، مثل: نفي معرفة عبد الناصر بمعلومات مسبقة عن التآمر الثلاثي (البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي) وتجاهلها، وبيانات إسقاط طائرات العدو في حرب 1956، وتَحَرُّكِ الأسطول يوم الانفصال، والتجاوزات في مصر في الستينيات، والتجاوزات في سوريا وقت الوحدة، ونفي معرفة عبد الناصر بتجاوزات المشير عامر في وقتها، وبيانات ووقائع حرب 1967، ووقائع الثغرة في روايتها الأولى، إلى الرغبة في التغطية على بعض وقائع الفشل للنظام الذي ينتمي إليه.

وهناك نماذج أخرى لإضفاء هَالَةٍ من البطولة أو الزعامة على عبد الناصر وعهده، أو نسبة إنجازات أخرى إليه، مثل أن الخطة جرانيت - وهي الخطة التفصيلية للعبور - تَمَّ وضعُها وإقرارها في عهد عبد الناصر.

وكانت هناك نماذج أخرى الهدف منها تكوين جو من الإثارة الصحفية لإيصال الرسالة السياسية، مثل تصوير رَدِّ فعل محمود يونس حين عَلِمَ بقرار التأميم، أو حديث هيكل عن مغامرته في الرباط ولقائه بالثوار.

كذلك تَمَّ رَصْدُ الكثير من اختلافات الترجمة بين الطبعات الإنجليزية والعربية لكتب الأستاذ هيكل، التي كانت في جُمَلٍ أو فقرات مُحَدَّدَةٍ، مما ينفي أن حَذْفَهَا في تلك المواضع كان خَشْيَةَ التطويل، وكان لهذا التلاعب في الترجمة أغراض مختلفة:

فكان منها نماذج لمجاملة أنظمة عربية لها ولاءاتها وحساباتها، وكان لهيكل علاقات معها، مثل حذف عدة جمل مُسِيئَةٍ للاتحاد السوفييتي - أو بعض زعاماته أو بعض أنواع السلاح التي قَدَّمَهَا - من الطبعة العربية لكتاب الطريق إلى رمضان، وزيادة النقد للولايات المتحدة في الطبعة ذاتها، وحَذْف الشكر الذي أبداه الكاتب للمشير أحمد إسماعيل - في الطبعة الإنجليزية - من الطبعة العربية للكتاب ذاته، وموقف الولايات المتحدة ومكاسبها في حرب السويس 1956.

ومن ضمن الأغراض السَّعْيُ لتَجَنُّبِ الانتقادات، ومثال ذلك حذف نَفْيِ وجود ما يُسَمَّى بالوَقْفَةِ التَّعْبَوِيَّةِ من الطبعة العربية؛ خَشْيَةَ أن يَتَعَرَّضَ لانتقادات القادة العسكريين الذين شاركوا في حرب أكتوبر، كما حَذَفَ دَوْرَهُ في إخراج أحداثِ مايو 1971، ومحادثته مع عبد الناصر عَقِبَ الهجوم الإسرائيلي عام 1956 - التي جاءت في كتاب ملفات السويس -.

ومن الأغراض كذلك النِّكَايَةُ في الخصوم المحليين من أشخاص أو تيارات سياسية والحَطُّ من قَدْرِهِم، ومثال ذلك زيادة الفقرات السلبية عن السادات في الطبعة العربية لكتاب خريف الغضب، وأن النحاس باشا وقع في أَسْرِ زوجته، وأنه كان مُهَادِنًا جدًّا في وزارته الأخيرة، وزاد فقرات مُطَوَّلَةً غَلَبَتْ عليها السلبية

في شرح أفكار سيد قطب، وذلك في الكتاب نفسه، أو ادعاء التَّدَخُّلِ الأمريكي في تسمية رئيس الوزراء المصري في عهد السادات، كما في كتاب المفاوضات السرية.

وربما اشتملت الطبعة العربية على زيادات عن الطبعة الأصلية تَحْمِلُ مجاملةً للنفس وزيادة الأدوار الإيجابية للكاتب، مثل حديث هيكل عن أدواره في الطبعة العربية لكتاب خريف الغضب دون الطبعة الإنجليزية، ومثل حديثه عن دوره ليلة وفاة عبد الناصر في تثبيت تَوْلِيَةِ السادات، أو دوره في تسهيل إنشاء الكاتدرائية المرقسية، وغيرها.

وربما شملت الطبعات العربية زيادات عن الطبعة الأصلية تَحْمِلُ مجاملةً لشخصيات أو تيارات سياسية، مثل حذف ما لم يَفْعَلْهُ عبد الناصر، وكذلك تخفيف كلام القذافي من الطبعة العربية لكتاب الطريق إلى رمضان، وإضافة مجاملات للمستشار ممتاز نصار، أو الوزير محمد إبراهيم كامل، أو مرشد الإخوان عمر التلمساني، وذلك في كتاب خريف الغضب.

الفصل الرابع

خصائص أسلوب الكتابة

عند هيكل

اللغةُ وِعَاءُ المعرفة، وبالإضافة إلى دورها كناقل للعلم، فإن مفرداتها لها قدرة على التوجيه الذهني للقارئ، وهي عامل حاسم في ذلك، فالقُدْرَةُ على صياغة المحتوى والإقناع به هي قدرةٌ لها ذاتيتها المنفصلة عن المحتوى ذاته، فقد ترفع من قَدْرِهِ فوق مَوْضِعِهِ أو تخفض منه دون موضعه، وبالتالي تُقْنِعُ المتلقي بما هو أعلى من الحقيقة أو العكس، يتشارك في هذا التأثر أَعْلَمُ البشر وأجهلهم، ولا يُستثنى من ذلك حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بحُجَّتِهِ من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعةً من النار"[1].

وربما كان رسوخُ ارتباط السياسة باللغة هو السببَ وراء المفهوم الشعبي الشائع لها، فالمصريون حين يستخدمون كلمة السياسة في تعبيرات مثل "خُذهُ بالسياسة" أو "سَايسه" إنما يَعْنُونَ استخدامَ سُبُلٍ وأدوات لغوية بلاغية محددة، مثل بلاغة التحايل والتلطيفات والأسلوب غير المباشر والكناية والتمثيل والتورية.. إلخ، ومن هنا فإنه لا يمكن تصوُّر وجود سياسة بدون لغة[2].

وقد جمع الأستاذ هيكل بين نشاط الصحفي النابه، وذكاء السياسي المتمرس، وحضور الدور التاريخي، وعذوبة وحسن صياغة الأديب البارع، لذلك كانت كتاباته شديدة الجاذبية تجتذب حتى قطاعات من القراء بعيدة بطَبْعِهَا عن الكتابات التاريخية والسياسية، قال عنه الأستاذ فاروق جويدة "هو دائمًا يُطَارِدُ الكلمة الجميلة، ومن الصعب أن تجد في كتاباته لغة عادية،

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الأَقْضِيَة، (1713).

(2) د. عماد عبد اللطيف: استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، مرجع سابق، ص9.

إنه غواص ماهر يبحث دائمًا عن اللآلئ في أعماق البحار، ولا يَقْبَلُ أن يجلس على رمال الشواطئ"[1].

وامتازت كتابات الأستاذ هيكل بأساليب وظواهر أدبية أهمها كثرة استخدام التشبيهات والاستعارات، والمحسنات البديعية كالجناس بنوعيه التام والناقص، والمقابلة، والتوازي التركيبي للجمل، والإطناب، واستخدام الجمل الاعتراضية، وعَقْدِ المقارنات، وبراعة الاستهلال والختام، واستخدام أنماط الأسلوب القصصي، إلى غير ذلك مما سيستعرضه هذا الفصل.

1.4 التشبيهات والاستعارات:

التشبيهات والاستعارات وكثافة استخدامها والتَّفَنُّنُ فيها هي أظهر خصائص أسلوب الكتابة عند الأستاذ هيكل، وهي أكثر الوسائل البلاغية التي استخدمها لنَيْلِ استحسانِ القارئ من جهة، والتأثير عليه فكريًّا من جهة أخرى، فمعظم استعاراته لها هدف إقناعي، وهو يتوسل بالاستعارة للوصول إلى هذا الهدف بشكل غير مباشر، ويضمن الجمالية في الوقت ذاته.

وللاستعارة أهمية مطلقة في تصوراتنا للحياة، ذلك أن نَسَقَنَا التصوري يكون مبنيًّا جزئيًّا بواسطة الاستعارة، وبهذا لا تكون الاستعارات فقط تعابيرَ مشتقة من حقائق أصلية، بل تتحول هي نفسها لتصبح حقائق[2]، ويلاحظ أن استخدام الاستعارات يؤدي بالضرورة إلى التركيز على حقائق وإلى إخفاء حقائق أخرى؛ إذ ستؤدي الاستعارة إلى التوجيه نحو لوازمها وصرف الانتباه عما عداها[3].

---

(1) فاروق جويدة: حكايات مع "الأستاذ" وعن "الأستاذ"، الأهرام، 2015/9/21.

(2) جورج لايكوف: الاستعارات التي نحيا بها، مرجع سابق، ص12.

(3) المرجع السابق، ص159.

وقد بدأت التشبيهات والاستعارات تظهر منذ كتابات هيكل المبكرة واستمرت حتى النهاية، ففي كتابه الأول (إيران فوق بركان) يقول "مواكب الإشاعات تنساب في خِفَّةِ الأشباح فتداعب المقاعد تحت أصحابها ثم تهز بعنف وقسوة"[1]، كما تظهر التشبيهات في تقرير الانصراف الأخير، وفيه يوضح حقيقة هذا الانصراف الذي أراده "إن الانصراف ليس سقوطًا في بئر الغيبوبة، ولا سجنًا في قَبْوِ قلعة نائية وحول الرأس والرقبة قناع من حديد، وحول الأيدي أغلال من صلب، وفي الأقدام أساور وتُمْسِكُها سلاسل محبوكة تجرح وتدمي إذا تحرك الأسير، سيظل - على نحو ما - جهد الدارس الممارس، ولكن من ركنٍ ناءٍ بعيدٍ، هناك على طرفٍ قصيٍّ"[2].

وتتعدد أنماط التشبيهات التي يستخدمها الأستاذ هيكل، وتتدرج من التشبيهات البسيطة إلى المركبة، إلى التشبيهات التكرارية، حيث يتكرر موضع التشبيه عدة مرات في الفقرة الواحدة، وهناك التشبيهات المستطردة، حيث يستطرد في إكمال جزئيات التشبيه من جوانبها المختلفة.

4. 1. 1 التشبيهات البسيطة:

من التشبيهات البسيطة وصفه لميشيل عفلق منظِّر حزب البعث عندما تَحَدَّثَ للجرائد الفرنسية عام 1963 ينتقد المسلك الناصري في مباحثات الوحدة بأنه "لم يتكلم بمنطق فيلسوف من أثينا، وإنما بسُلْطَةِ إمبراطور روماني"[3].

ومنها ما ذكره عن ضعف احتمالية عَقْدِ أحد مؤتمرات القمة "الآمال قد اقْتُلِعَتْ من الجذور وطارت في مهاب العاصفة"[4]، فهنا جمع بين استعارة

---

(1) هيكل: إيران فوق بركان، مصدر سابق، ص10.

(2) هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص65.

(3) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج3)، مصدر سابق، ص358.

(4) هيكل: رحلة أفريقية (1)، الأهرام، 1965/11/5.

مكنية واستعارة تصريحية؛ ففي الأولى شَبَّهَ الآمالَ بالأشجار التي اقْتُلِعَتْ من جذورها، وذَكَرَ المُشَبَّهَ ولم يُصَرِّحْ بالمُشَبَّهِ به، وإنما أتى بصفة من صفاته وهي الجذور يكني بها عن الأشجار، وفي الثانية صَرَّحَ بتشبيه الوقائع بالعاصفة وحذف المُشَبَّهَ وصَرَّحَ بالمُشَبَّهِ به، ومن الاستعارات المكنية تشبيهه لمواجهة السادات مع مراكز القوى بأنه "كنسهم من فوق الأرض كنسًا"[1]، ومن الاستعارات التصريحية ما ذكره من أن "ذِكْر جمال عبد الناصر أصبح بقعة حمراء تستفز ثيرانًا كثيرة وهائجة في المنطقة"[2].

ويُكْثِرُ هيكل من (التشبيه البليغ)، وهو الذي تُحْذَفُ منه أداةُ التشبيه ووَجْهُ الشبه، ومن تلك التشبيهات التي استخدمها "انفجار السويس"[3]، مشبِّهًا حرب السويس في تأثيراتها بالانفجار المدوي.

كما يستخدم (المجاز المرسل) حتى في بعض أسماء كتبه، التي تكون في الغالب صريحة في تَعَرُّضِهَا لموضوع الكتاب، لكنه يستخدم المجازَ فيها أحيانًا، مثل (إيران فوق بركان)، و(سنوات الغليان)، و(السلام المحاصَر).

4. 1. 2 التشبيهات التكرارية:

من التشبيهات التكرارية التي يتكرر فيها وجه الشبه: "حوادث الانتحار التاريخي كثيرة في هذا القرن، وهي شائعة بين القوى الكبيرة والأفكار العظيمة، فالإمبراطورية في هذا القرن انتحرت بالحروب العالمية، والاستعمار العالمي انتحر بتَصَدِّيهِ لحركة الثورة الوطنية، وحركة الثورة الوطنية انتحرت بإغفال بُعْدِهَا الديموقراطي، والفردوس الشيوعي انْتَحَرَ بتَسَلُّطِ بيروقراطية الدولة، والرأسمالية انتحرت عندما أضاعت روحها وقلبها، والقومية والوطنية انتحرتا عندما أَسْلَمَتَا

(1) هيكل: علامات على طريق طويل، الأهرام، 1972/2/11.

(2) هيكل: السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة، مصدر سابق، ص27.

(3) هيكل: رحلة أفريقية (6)، الأهرام، 1965/12/10.

نفسيهما للتعصب، حتى الكلمة انتحرت عندما حاصَرَتْهَا الصورة، والصورة بدورها انتحرت عندما فقدت عُذْرِيَّتَهَا ومِصْدَاقِيَّتَهَا"[1]، فكرر وجه الشَّبَهِ وتعدد المشبه.

وأحيانًا تَجُرُّهُ التشبيهات إلى بعيد، فأحيانًا يستحسن تشبيهًا فيُكْثِرُ من تِرْدَادِهِ دُونَ حَدٍّ، ففي مقالةٍ مُطَوَّلَةٍ عن "بطرس غالي" - الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة - وكيف أن الحظ خدمه كثيرًا في البداية ثم تَخَلَّى عنه في النهاية، يُكَرِّرُ هيكل تعبير (إله الحظ) سبع عشرة مرة في المقالة[2].

4. 1. 3 التشبيهات المستطردة والمركبة:

ومن تلك التشبيهات ما وصف به السياسة الأمريكية عَقِبَ حرب 1956 في محاولاتها لوراثة القوى الاستعمارية التقليدية والتحالف مع حلفاء الاستعمار القدامى "إن الذين يحاولون التماس المعاذير لهذه "الخفة" الأمريكية لا يجدون ما يقولونه أحيانًا إلا أن أمريكا بلد شاب وغني وقوي، و"الخفة" أبسط ضريبة يمكن أن تفرضها الظروف على أي وارث سعيد آلَتْ إليه الثروةُ الطائلة وهو يُعَدُّ في مطلع الصبا من غير خبرة وبدون تجربة.. والذي زاد الطين بلة، أن الوارث السعيد، الجديد على عوالم الليل ومغامراتها، أحاط نفسه بمجموعة من البلطجية، يعرفون طريقهم تحت الظلام إلى بيوت الخطيئة، يفتحون أبوابها الحمراء كل ليلة للوارث السعيد، يتسلل وراءهم، وراء اللذة الحرام، ولكن هؤلاء البلطجية لا يعملون لحساب الوارث السعيد، إنهم يعملون لحساب أنفسهم أولًا وأخيرًا، ولا يخدمونه إلا بِقَدْرِ ما تكون خدماتهم له تحقيقًا لمصالحهم.. مصالحهم هم، إن جاءوه مثلًا بجارية من بغداد، تقاضوا الثمن منه، وتقاضوه من جارية بغداد!"[3].

---

(1) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج3)، مصدر سابق، ص358.

(2) هيكل: بطرس غالي بين الوساوس والحظوظ، مجلة وجهات نظر، 3/1999.

(3) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 30/3/1957.

2.4. المترادفات والجناس:

يبرز الجناس باعتباره أحد أهم المُحَسِّنَاتِ البديعية التي يستخدمها هيكل في كتاباته، وهي ظاهرة في أسلوبه من كتاباته المبكرة وحتى الختامية. ومن الأمثلة على ذلك:

"بريطانيا تاجر جَشِعٌ في أحسن أحواله، ومستعمر بَشِعٌ في خاتمة المطاف"[1]، فظهر الجناس الناقص بين (جشع) و(بشع)، ومنها قوله "الأخطاء في تجربة الوحدة سَبَّبَتْ موقفًا سلبيًّا، والأخطار في تجربة الوحدة سببت موقفًا دفاعيًّا، ومن هنا تَسَلَّلَ الانقلابُ، من هذه الثغرة التي فتحتها الأخطاء والأخطار"[2]، فكان الجناس بين (الأخطاء) و(الأخطار)، ومن أمثلتها "إن المعلم الحقيقي لخروشوف لم يكن الحزب وإنما كانت الحرب"[3].

وتَوَالَى استخدامُ الجناس والمترادفات في خطاب هيكل، فكانت ثنائيات: (يحكم) و(يتحكم)[4]، (الأمانة) و(الأمان)[5]، (الصدفة) و(الصدقة)[6]، (أقصى) و(أقسى)[7]، (الغني) و(الغبي)[8]، (تحدد) و(تعدد)[9]، (قُدرَة) و(قَدَر)[10]،

(1) هيكل: عودوا من روما.. واقطعوا هذه المحادثات!، الأهرام، 1957/9/2.
(2) هيكل: ما الذي جرى في سوريا (9)، الأهرام، 1961/12/1.
(3) هيكل: بقية أحاديث عن خروشوف.. ومعه، الأهرام، 1964/5/29.
(4) هيكل: إرادة التغيير.. والدائرة الأفريقية، الأهرام، 1964/7/24.
(5) هيكل: القوة العسكرية.. حساباتها وموازينها، الأهرام، 1964/9/25.
(6) هيكل: حديث يَتَجَدَّدُ عن العمل الداخلي ومشاكله (7)، الأهرام، 1965/1/1.
(7) هيكل: جسر إلى المسألة الداخلية في مصر، الأهرام، 1965/12/24.
(8) هيكل: نحن وأمريكا (1)، الأهرام، 1967/2/24.
(9) هيكل: علامات في الموقف الداخلي، الأهرام، 1967/7/28.
(10) هيكل: وقفة بقُرْبِ الجانب العسكري من النكسة (1)، الأهرام، 1967/10/6.

(يكتب) و(يكتم)[1]، (تكسد) و(تكسب)[2]، (انقضوا) و(انفضوا)[3]، (اختبار) و(اختيار)[4]، (تبرر) و(تبرئ)[5]، (الإعلام) و(الإعلان)[6]، (الالتزام) و(الإلزام)[7].

3.4. المقابلة والطِّبَاق:

من الأساليب البلاغية التي يَبْرَعُ هيكل فيها ويُكْثِرُ منها هي استخدام الطباق والمقابلة بأنواعهم المختلفة لإيضاح المعني للقارئ وتوكيده.

فمن الطِّبَاق – وهو الجمع بين المتضادَّيْنِ في الكلام – قوله عن السلاح السوفييتي الذي قُدِّمَ إلينا بلا شروط "كان سلاحًا اشتريناه ولم يكن سلاحًا اشْتَرَانَا"[8]، وقوله "نحن نملك أن نَصْنَعَ التفاصيل، ولكن المبادئ هي التي تَصْنَعُنَا"[9].

وقد اسْتَخْدَمَ الطباقَ في عناوين المقالات، مثل "الأبواب المفتوحة.. والباب المغلق"[10]، "هجوم الربيع الذي نجح في الخريف!"[11]، "ليس بالتهويل.. ولا بالتهوين"[12]، "الشباب بين النيران والثلوج"[1]، "الطمأنينة.. والخوف!"[2]، "الظلال والبريق"[3]، وغيرها.

---

(1) هيكل: حديث عن المؤتمر ودوره ومسؤوليته.. وجو المعركة، الأهرام، 1968/9/13.

(2) هيكل: أزمة الشك في الصحافة المصرية، الأهرام، 1968/12/20.

(3) هيكل: جنرال اسمه "الملل"!، الأهرام، 1969/5/23.

(4) هيكل: بوتو وباكستان، الأهرام، 1973/4/6.

(5) هيكل: 23 سنة بعد 23 يوليو (2)، صحف عربية، 1975/7/14.

(6) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص18.

(7) هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، مصدر سابق، ص83.

(8) هيكل: البحث عن نهاية (7)، الأهرام، 1958/12/20.

(9) هيكل: إطار لكفاحنا، الأهرام، 1959/1/7.

(10) هيكل: الأبواب المفتوحة والباب المغلق، الأهرام، 1959/1/1.

(11) هيكل: هجوم الربيع الذي نجح في الخريف، الأهرام، 1961/10/6.

(12) هيكل: ليس بالتهويل.. ولا بالتهوين، الأهرام، 1965/12/31.

ومن المُقَابَلَة - وهي مخالفة مَعْنَيَيْنِ أو أكثر في كلامٍ لمعنيين آخرين أو أكثر **في الكلام ذاته**- قوله في حديثه عن علاقة الاتحاد السوفييتي بتيار القومية العربية "كان حياد الشرق الأوسط في الماضي كَسْبًا للاتحاد السوفييتي، وأصبح حياد الشرق الأوسط في الحاضر خسارة للاتحاد السوفيتي"[4]، فتظهر المقابلة بين (كانَ وأصبح) و(الماضي والحاضر) و(كَسْبًا وخسارة)، وقوله عن قانون تنظيم الصحافة الذي انتقلت بمُقْتَضَاهُ إلى مِلْكِيَّةِ الاتحاد الاشتراكي "هو اتجاه لم يَسْبِقْنَا إليه أحدٌ، ولكن سوف يَلْحَقُنا إليه كثيرون"[5]، فتظهر المقابلة بين (يَسْبِقنا ويَلْحَقنا) و(أحد وكثيرون).

كذلك تَظْهَرُ المقابلة في وصفه للهزيمة "إن إسرائيل حَقَّقَتْ نصرًا أكبر من قدرتها حتى مع استعمال الحد الأقصى من طاقتها، بينما لَقِيَ العربُ هزيمةً أقل من قدرتهم حتى مع استعمال الحد الأدنى من طاقاتهم"[6]، وقوله "كل إنسان جسر، بين ماضٍ قادم من الأَزَلِ، وبين حاضرٍ ذاهب إلى الأَبَدِ"[7]، وقوله "المعضلة أحيانًا أن الذين يعرفون لا يكتبون، وأن الذين يكتبون لا يعرفون"[8]

---

(1) هيكل: الشباب بين النيران والثلوج، الأهرام، 1968/12/6.

(2) هيكل: الطمأنينة والخوف، الأهرام، 1970/4/10.

(3) هيكل: الظلال والبريق، الأهرام، 1974/2/1.

(4) هيكل: ما هو المستقبل في العراق، الأهرام، 1959/4/6.

(5) هيكل: الصحافة لم تُؤَمَّمْ، الأهرام، 1960/6/3.

(6) هيكل: أعمدة الحكمة السبعة، الأهرام، 1967/12/29.

(7) هيكل: رحلة إلى عصر جديد (6)، الأهرام، 1972/12/16.

(8) كلمة هيكل في مقدمة كتاب كريم ثابت: ملك النهاية – فاروق كما عرفته، مصدر سابق، ص12.

4 .4 التوازي التركيبي والثنائيات المتقابلة:

يُكْثِرُ الأستاذُ هيكل من استخدام (التوازي التركيبي)؛ أي أن الجملةَ تتكون من عددٍ من المقاطع الصوتية المتساوية، وهذا النوع من المقابلات المُدَعَّمَةِ بالتوازي الصوتي أداة مهمة لتوليد الإعجاب من القراء والجمهور، كما يكثر من الثنائيات المتقابلة التي تعتمد على مزج التوازي التركيبي بالتضاد.

وقد ظهر هذا الأسلوب مبكرًا أيضًا في كتابات هيكل، ففي كتابه الأول يقول "هذا الجزء من العالم.. يخضع لنفس المؤثرات، وتتقاذفه نفس التيارات، وتُمَزِّقُهُ نفس المؤامرات، وتَفْتَرِسُهُ نفس القوى"، "وما أكثر الأحداث التي وقعت ولم تلمحها عيناي.. وما أكثر الأسرار التي قيلت ولم تلتقطها أذناي"[1].

وهناك مئات الأمثلة عليها في كتابات الأستاذ هيكل من الكتب والمقالات، منها ما يلي:

"لم يصبح مثلًا، وإنما أصبح أمثولة.. لم يصبح نموذجًا، وإنما أصبح عبرة"[2].

"وقف جمال عبد الناصر.. يقاوم ويتصدى.. ثم يتقدم ويتحدى"[3]، فجمع بين الثنائيات المتقابلة والسجع في (يتصدى) و(يتحدى).

---

(1) هيكل: إيران فوق بركان، مصدر سابق، ص5.

(2) هيكل: العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط (5)، الأهرام، 1958/1/18.

(3) هيكل: عن الأحداث الأخيرة في موسكو، الأهرام، 1964/10/23.

4. 5 الإطناب:

الإطناب أحد أوضح خصائص الكتابة عند هيكل، وهو الاهتمام بإتمام المعنى وتأكيده وإشباعه ولو أدَّى ذلك إلى زيادة حجم المقالات والكتب، والإطناب غير (التطويل) الذي هو نقيض (الإيجاز)، ويُعَدُّ من مَثَالِبِ الكتابة، ومخالِف للبلاغة، بينما الإطناب في تعريف البلاغيين هو "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة"، فالإطناب صِفَةٌ محمودة في الكلام بخلاف التطويل[1].

ويستخدم الأستاذ هيكل أنواعًا عِدَّةً من الإطناب، فمن ذلك الإطناب بالتكرار، مثلما ذكر في مقالته الأولى بعد اندلاع حرب أكتوبر "لقد انكسرتْ أساطيرُ كثيرة في ذلك اليوم السادس من شهر أكتوبر: أسطورة العجز العربي عن اتخاذ القرار، أسطورة الخوف الذي تَمَكَّنَ في القلوب رهبةً من العدو، أسطـورة القوة الرادعة الإسرائيلية التي لا قِبَلَ لأحدٍ بتَحَدِّيهَا، وبالتالي فإنه لا بديلَ غير الخضوع لها"[2]، فكَرَّرَ كلمة أسطورة للتأكيد أنها لم تكن تصوراتٍ مبنية على أشياء حقيقية، وإنما هي أوهام تَرَسَّخَتْ في العقول.

واستمرَّ هذا النوع من الإطناب ملازمًا لكتابات هيكل حتى النهاية، ففي كتابه الأخير (مبارك وزمانه – من المنصة إلى الميدان) يذكر أن جريدة واشنطن بوست نشرت يوم 7 أكتوبر 1981 مُعَلِّقَةً على تولي مبارك للحكم "إنه حتى هؤلاء الذين يُقال إنهم يعرفون «مبارك» هم في الحقيقة لا يعرفون عنه شيئًا"، ويُعَقِّبُ هيكل "والآن بعد ثلاثين سنة وقفت أمام هذه الجملة، وشيء ما في مكنونها يوحي بأنها «مفتاح» المقال كله؛ لأننا بالفعل أمام رجل رأيناه كل يوم

---

(1) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل - دراسة في البِنْيَةِ والأسلوب، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2016، ص13.

(2) هيكل: محاولة تَصَوُّر للموقف، الأهرام، 1973/10/12.

وكل ساعة، وسمعناه صباح مساء، واستعرضنا الملايين من صوره على امتداد ثلاثين سنة، لكننا لم نكن نعرفه ولا نزال، وكان سؤالي التالي لنفسي: إذا لم تكن للرجل صورة معتمدة تؤدي إلى تَصَوُّرٍ معقول عنه، فكيف أتفرغ شهورًا لجمع ونشر ما سمعت منه مباشرة خلال مرات قليلة تقابلنا فيها، أو ما قُلْتُهُ له بطريق غير مباشر، أي بالحوار والكتابة والحديث ثلاثين سنة، وتردَّدْتُ، لكنني بإلحاح أن تلك ثلاثون سنة بأكملها من حياة وطن، وهي نفسها ثلاثون سنة من المتغيرات والتحولات في الإقليم وفي العالم، قادنا فيها رجل لا نعرفه إلى مصائر لا نعرفها"[1]، فكان تكرار (ثلاثين سنة) خمس مرات متعاقبة للتأكيد على طول عهد مبارك.

ومن أنواع الإطناب التي استخدمها هيكل كذلك (الإطناب بذِكْرِ الخاص بعد العام) لبيان أهميته، وأمثلته كثيرة في كتاباته، ومن ذلك وصفه لاستبداد الرئيس مبارك "إصراره على استمرار عدوانه على الحق العام، وإصراره على استمرار خرقه المستبد لعهده الدستوري مع الأمة"[2].

وهناك أنواع أخرى من الإطناب توجد في كتابات الأستاذ هيكل، وإن كانت أقلَّ انتشارًا، ومنها (الإطناب بالتتميم) و(الإطناب بالإثبات ثم النفي أو العكس)، و(الإطناب بالإيغال في المعنى)، وغيرها من الأنواع التي وُجِدَتْ في كتابات هيكل وأشار إليها الباحث عماد عبد الراضي في رسالته عن البنية والأسلوب في مقالات هيكل[3].

---

(1) هيكل: مبارك وزمانه – من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص ص 14-15.

(2) المصدر السابق، ص6.

(3) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل – دراسة في البنية والأسلوب، مرجع سابق، ص ص 195-211.

6.4 براعة الاستهلال:

الافتتاحيات هي أول ما يُقَابِلُ القارئ، وبالتالي فهي أول ما يجذبه، لذلك كانت براعة الاستهلال هي أحد فنون علم البديع[1]، وقد أكد هيكل نفسه اهتمامَه بكتابة المقدمة وأنها تأخذ منه جهدًا مضاعفًا، فالقارئ "قد يكون مَلُولًا أو مُسْتَشْهِلًا، لذلك يحب أن أكون من البداية واضحًا ومفهومًا وبسيطًا"[2].

ومن أوسع الأساليب الأدبية – التي استخدمها هيكل في افتتاحيات مقالاته – انتشارًا هو الأسلوب الاستفهامي، فمن بين مائة وسبعة وستين مقالًا افتتحها هيكل بالأسلوب الإنشائي نَجِدُ مائة وثمانية وثلاثين مقالًا افتتحها بالاستفهام[3]، فمن ذلك أن يبدأ بسؤال يجذب القارئ لموضوع المقالة، ويشي بأنه سيحظى في نهاية المقالة بالإجابة عن هذا السؤال أو هذه التساؤلات، مثل "من الذي يَحْكُمُ إسرائيل اليوم"[4]، أو يفتتح بأسئلة تثير تفكير القارئ، مثل "إلى أين تمضي هذه المنطقة من حولنا؟ وما الذي ينتظرنا عند المنحنى القادم من الطريق؟"[5]، ويلعب الاستهلال بالاستفهام كذلك دورًا مهمًّا في التماسك النَّصِّيِّ لمقالات هيكل، حيث تتمحور أجزاءُ المقالة حول النقاط المتعلقة بالاستفهام وعناصر الإجابة عنه[6].

ومن بين العناصر التي اسْتَخْدَمَهَا هيكل في استهلال مقالاته الاستهلالُ بالحوار، فيستخدمه مَدْخَلًا لطرح موضوع المقالة، ومثال ذلك "دخل عليَّ

(1) المرجع السابق، ص ص 213-216.

(2) مفيد فوزي: هيكل الآخر، مرجع سابق، ص107.

(3) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل – دراسة في البنية والأسلوب، مرجع سابق، ص221.

(4) هيكل: من الذي يحكم إسرائيل؟، الأهرام، 1962/3/16.

(5) هيكل: البحث عن نهاية (1)، الأهرام، 1958/12/7.

(6) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل – دراسة في البنية والأسلوب، مرجع سابق، ص240.

سكرتير تحرير "آخر ساعة" هذا الصباح يسألني: هل بدأت تكتب الافتتاحية؟، قلتُ: على وشك أن أبدأ كتابة السطر الأول منها، قال وكأنه كشف السر الذي لم أُفْضِ به بعد إلى الصفحة البيضاء التي تنتظر على مكتبي بنفاذ صبر: هي عن بيان أيزنهاور.. أليس كذلك؟!"[1]، وقد يَسْتَهِلُّ المقالة بالأسلوب الخبري عوضًا عن الإنشائي الذي يُفَضِّلُهُ معظم الكتاب، ومثال ذلك "أريد في هذا الحديث أن أتعرض للفارق بين الاشتراكية العربية، وبين الشيوعية"[2]، ويقول "واليوم، وقفة سريعة أمام تجربة المشاكل الصغيرة في سوريا بعد الوحدة"[3].

وقد يخرج هيكل عن الموضوع الرئيسي ليَسْتَهِلَّ بموضوع فرعي متصل، أو بجملة طريفة جَذْبًا للقارئ، مثل "عندي اليوم نصيحة للرئيس أيزنهاور، نصيحة تساوي مليون دولار"[4].

وكثير من عناوين المقالات حملت طابع الإثارة الصحفية، ومن ذلك (الخديعة الكبرى)[5]، (أسرار غريبة من حرب السويس تتكشف)[6]، (نار تحت الرماد في المشرق العربي)[7]، (على الذروة الخطرة)[8]، (الصيف الخطر!)[9].. وغيرها.

---

(1) هيكل: ليس هذا المقال تعليقًا على بيان أيزنهاور، آخر ساعة، 1957/1/9.

(2) هيكل: نحن والشيوعية، الأهرام، 1961/8/4.

(3) هيكل: ما الذي جرى في سوريا؟ (6)، الأهرام، 1961/11/10.

(4) هيكل: نصيحة تساوي مليون دولار، آخر ساعة، 1957/1/30.

(5) هيكل: الخديعة الكبرى، الأهرام، 1958/6/15.

(6) هيكل: أسرار غريبة من حرب السويس تتكشف، الأهرام، 1960/1/24.

(7) هيكل: نار تحت الرماد في المشرق العربي، الأهرام، 1963/1/18.

(8) هيكل: على الذروة الخطرة، الأهرام، 1964/10/16.

(9) هيكل: الصيف الخطر، الأهرام، 1965/3/19.

7.4 الخاتمة المؤثرة:

من أهم ما يُمَيِّزُ أسلوبَ هيكل (الخاتمة المؤثرة) للمقالات والكتب، فالخاتمة هي آخر ما يَعْلَقُ بذهن القارئ، فكان إدراك هيكل لهذا دافعًا له لكي يجعل الخاتمةَ دومًا هي أكثر الفقرات تأثيرًا في القارئ.

ومثل كثير من أساليب هيكل ظهر هذا الأسلوب مبكرًا في كتاباته، ففي أول مقالاته يختتم مقالته عن لقاء الملك بالطلاب المتفوقين قائلًا "حقًّا إنها لساعة مجيدة يا مولاي.. وإنه لعصر جديد يشرق.. وإنه لعصر رائع مجيد"[1]، ويختتم مقالته في عيد جلوس الملك "يا مولاي.. هذه ثمان سنوات، وأنت وهذا الشعب تتقاسمان السراء والضراء وتسيران في طريق الحياة بأزهارها وأشواكها، وستبقيان معًا إلى الأبد، لأن هناك رباطًا من الحب يوثق بينكما.. رباطًا من الحب الخالد.. صورة ملك.. صورة شعب"[2]، ويقول بعد استعراض عسكري كبير عام 1949 "وتبقى كلمة أخيرة.. كلمة حق وإنصاف.. إن هذا الرجل محمد حيدر يستحق تمثالًا من ذهب"[3]، وقال في نهاية مقالة أثناء أزمة مارس 1954 "وتجتاز مصر بسلام الفترة الفاصلة التي تسير فيها على الحافة الوعرة العميقة لجبل التجربة، وتصل بعدها إلى القمم المشرقة التي تسطع عليها الشمس"[4]، ويقول "الشرق الأوسط النار في قلبه، وحلم أيزنهاور أن يضع جيشًا كبيرًا هناك عند أقصى الشمال كي يحمي الحدود من لص أثيم يريد أن يتسلل تحت جنح الظلام.. صباح الخير أيتها الأوهام!!"[5].

---

(1) هيكل: كنت أتمنى أن أكون معهم، روز اليوسف، 1943/8/19.

(2) هيكل: في يوم عيدك يا مولاي، روز اليوسف، 1944/5/11.

(3) هيكل: هذا أكبر استعراض على الأرض المصرية، آخر ساعة، 1949/11/23.

(4) هيكل: مشكلة الشهور الأربعة الخطيرة القادمة، آخر ساعة، 1954/3/17.

(5) هيكل: صباح الخير أيتها الأوهام، آخر ساعة، 1957/1/16.

وتزايَدَ هذا الأسلوبُ وضوحًا في مقالات الأهرام، فمن تلك النهايات كان ما يلي:

في ختام مقالة ناقدة للموقف السوفييتي "إنما ثروتنا وقيمتنا كلها هي في شخصيتنا المستقلة التي خُضْنَا كل ما خُضْنَاهُ لكي نُحَدِّدَ معالمها ونرسم حدودها، وإن أكبر خطأ يمكن أن نقع فيه في حق أنفسنا وفي حق أصدقائنا هو أن نسكت إذا أَحْسَسْنَا أن المعالم والحدود لشخصيتنا المستقلة قد لمستها يد أو خَطَتْ عليها قدم!"[1].

وفي ختام مقالة عن نظام عبد الكريم قاسم الحاكم في بغداد "وستمر أيام لا أحد يعرف عددها.. وأسابيع.. وشهور وربما سنون.. وملايين يموتون وملايين يولدون.. ولكن التاريخ، نفس التاريخ العربي الواحد.. سيمضي إلى نفس المصير العربي الواحد"[2].

لم تقتصر الخاتمة المؤثرة على المقالات، بل كانت الخاصية ذاتها واضحة في الكتب، فيختتم كتابه (الحل والحرب) بقوله "إنني أفضل أن أكون واحدًا من القادرين على تحمُّل كل الأكاذيب على أن أكون واحدًا من العاجزين عن تحمُّل بعض الحقائق"[3]، ويختتم كتابه (آفاق الثمانينات) بقوله "لا أستطيع أن أرى فيما حولي الآن أسبابًا تدعو إلى التفاؤل، تفاؤلي كله الآن في جيل عربي قد يستطيع في الثمانينات، أخشى أن الجيل الذي نعيش وسطه الآن مهزوم، الغريب أنه لم يُهْزَمْ فعلًا وإنما تصرَّف كأنه مهزوم، وهذه هي المأساة ونحن على أبواب حقبة جديدة من الزمان!"[4].

---

(1) هيكل: عتاب من خروشوف وعتاب على خروشوف، الأهرام، 1959/1/29.

(2) هيكل: ماذا حدث وماذا يمكن أن يحدث في بغداد، الأهرام، 1961/2/10.

(3) هيكل: الحل والحرب، مصدر سابق، ص222.

(4) هيكل: آفاق الثمانينات، مصدر سابق، ص212.

8.4 الأسلوب الصريح:

في أوائل كتبه كان هيكل يعتمد على الأسلوب المباشر في التواصل مع القارئ، ولم يكن قد اسْتَخْدَمَ بعد على نطاق واسع الأسلوبَ الأكثر وقعًا وتأثيرًا وهو أسلوب الإيماء والإيحاء، وهو ما تَوَسَّعَ فيه في كتبه الأخيرة، بل إنه في كتابه الأول كان يعيد بعض العبارات المفروغ منها ليتأكد أن القارئ قد وصله المعنى، ومن ذلك أنه يتحدث عن حواره مع أرملة رئيس الوزراء الإيراني (رزم آراه) الذي قُتِلَ في ذلك الوقت، "قالت لي زوجته - فيما بعد - و- كانت قد أصبحت أرملة حين قابلتها في بيتها – قالت لي بعد أن ظلت في خارج الغرفة ربع ساعة تجاهد تأثرها.."[1].

هنا أتى هيكل بجملتين اعتراضيتين متتاليتين لم يكن لأي منهما إضافة في المعنى على الإطلاق، فطبيعي أن تكون زوجة الجنرال قد حدثته (فيما بعد) إذ متى عرفها وعرفته إلا عندما جاء إلى طهران ليغطي حدث اغتيال زوجها، و(كانت قد أصبحت أرملة حين قابلتها)، جملة أخرى لا تضيف شيئًا البتة وقد قَصَّ توًّا على قرائه تفاصيل واقعة اغتيال زوجها، وهو الحدث الذي جاء بهيكل إلى طهران، لكن هذا يوضح إلى أي درجة كان هيكل قليل الثقة في فهم قارئه لما يرويه، وإلى أي درجة كان هيكل يجنح إلى المباشرة في خطابه مع القارئ، وهذا ما تغير بصورة جذرية لاحقًا كما سنتبين.

كذلك لم تكن كتابات هيكل في العصر الملكي تلجأ للُّغة الخشنة الصريحة، وذلك تبعًا للنهج الذي اتبعه في عدم الاصطدام السياسي مع الأطياف السياسية في مصر، ولكن في عهد الثورة، وبعد أن بدأت المصطلحات الخشنة تظهر في خطب وكتابات أعضاء مجلس قيادة الثورة العسكريين، بدأ الإعلام يتأثر بالنبرة نفسها، ويَنْسِجُ على المنوال ذاته، فبدأت المصطلحات الخَشِنَةُ تظهر في كتابات هيكل،

(1) هيكل: إيران فوق بركان، مصدر سابق، ص13.

وزادت في فترة المد الناصري في أعقاب حرب 1956، فمن ذلك قوله "إن كلمة "أعور" هي في رأيي خير وصف لبيان أيزنهاور، إنه بيان يَنْظُرُ بعين واحدة، ويَقْتَلِعُ بيده عَيْنَهُ الأخرى، حتى لا تغافله صدفة وتختلس نظرة إلى الحقائق الماثلة أمامها"[1]، ويقول "وحين وقعت تغييرات فبراير ومارس (1963) في العراق وسوريا بدا للوهلة الأولى وكأن السباق مع الزمن على نقطة الفوز أو بقربها، خصوصًا بعد انتصارات ثورية تأكدت قبل ذلك في الجزائر وفي اليمن، لكن الغينات الثلاثة لحزب البعث، الغباء والغدر والغرور - وكلها بحرف الغين تبتدئ - تَدَخَّلَتْ في العراق وسوريا معًا وعَطَّلَتْ وعَرْقَلَتْ"[2]، وقوله "الحلف الإسلامي الذي يحبو الآن على الأرض العربية كمواليد الخطيئة ينكرهم آباؤهم في النهار أمام الناس ويعترفون بهم في الليل بعيدًا عنهم!"[3].

وبالإضافة للغة الخَشِنَةِ التي كانت طابع الستينيات، ظل الأسلوب المباشر مسيطرًا على كتابات هيكل في تلك الفترة، فكثيرًا ما كان هيكل يقوم بشرح التشبيه الذي يأتي به تأكيدًا للمعنى عند القارئ، وذلك على عكس المنهج البلاغي الذي يعتبر البلاغة هي تقديم التشبيه في أقل روابط متحررًا من أداة الربط ووجه التشبيه، وتركه يُقْنِعُ السامع مُسْتَمِدًّا قُوَّتَهُ من ذاته، لكن هيكل كان يشرح تشبيهه أحيانًا، ومن ذلك: "في الواقع فإنه ليس هناك خط فاصل بين الموضوعين (الداخلي) و(الخارجي)، وإذا وُجِدَ مثلُ هذا الخط فهو مثل خطوط الطول والعرض الجغرافية، خط وهمي يُفْتَرَضُ افتراضًا لتسهيل الحساب والقياس.. لكنه ليس قائمًا على الطبيعة، وليس عازلًا ماديًّا تُمْسِكُهُ اليد وتراه العين"[4].

---

(1) هيكل: ليس هذا المقال تعليقًا على بيان أيزنهاور، آخر ساعة، 1957/1/9.

(2) هيكل: محاولة للرد على سؤالين، الأهرام، 1963/10/11.

(3) هيكل: نظرة على القاعدة قبل الانطلاق إلى المعركة، الأهرام، 1966/4/29.

(4) هيكل: جسر إلى المسألة الداخلية في مصر، الأهرام، 1965/12/24.

غير أن تلك الظواهر بدأت تخفت في كتابات هيكل منذ الثمانينيات، فبدأت الكلمات الخشنة تقل بوضوح، وبدأ الأسلوب المباشر يُفْسِحُ مكانه للإيحاء، وبدأت مصطلحات مثل (الرجعية) و(العمالة) و(الإقطاع) تترك مكانها لمرادفات أخرى مثل (المُحَافِظَة) عوضًا عن (الرَّجْعِيَّة)، و(كبار ملاك الأراضي) عوضًا عن (الإقطاعيين)[1].

9.4 الهجاء الشخصي:

أحد أنواع الأسلوب الصريح الذي استخدمه هيكل في الفترة الناصرية كان الهجاء الشخصي، فكثيرًا ما اسْتَخْدَمَ هيكل في كتاباته في تلك الفترة أسلوبَ الهجاء الشخصي الصريح جدًّا في لغته، الذي يَمَسُّ السُّمْعَةَ أحيانًا، وكان نصيب الأسد منها لخصوم النظام الناصري في الداخل والخارج، وعلى رأسهم القوى الاستعمارية إنجلترا وفرنسا ووريثتهما الولايات المتحدة، والأنظمة المَلَكِيَّة وبصفة خاصة الملك حسين والملك سعود، ومن الجمهوريين خَصَّ عبد الكريم قاسم، والبعثيين في العراق وسوريا، وبورقيبة في تونس بهجومه الشخصي.

ففي هجومه على القوى الاستعمارية وصل إلى أن يَصِفَ (إيدن) رئيس وزراء بريطانيا بغَلَبَةِ هرمونات الأنوثة عليه مما أَثَّرَ على قراراته في أزمة السويس[2]، ووصف وزير خارجيته (سلوَين لويد) بأنه متآمر صغير خائب[3]، ووَصَفَ استقبال المتظاهرين لرئيس وزراء فرنسا (جي موليه) بأنهم "قذفوه بالطماطم المتعفنة ثم بَصَقُوا عليه، ثم مع ألف حبة من حبات الطماطم.. ألف

---

(1) هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص ص 130، 219.

(2) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، العدد 632، 1956/12/15.

(3) هيكل: ليس هذا المقال تعليقًا على بيان أيزنهاور، آخر ساعة، 1957/1/9.

بصقة على الأقل"[1]، ووصف رئيس لجنة الوساطة أثناء أزمة السويس - الأسترالي روبرت منزيس بأنه بغل أسترالي[2].

وكانت المَلَكِيَّاتُ في المنطقة هي الهدفَ الإقليمي المفضَّل لهيكل، وكان للملك حسين النصيب الأوفى من التعريض الشخصي به، وقد ذهب هيكل في ذلك بعيدًا جدًّا؛ مسايرةً لتيار الإعلام في مصر في تلك الفترة، فكانت عبارات مثل "إن المال يشتري حسين بن طلال.. وربما الملكة زين (والدته) أيضًا.. ولكنه لا يستطيع أن يشتري الرجال"[3]، وأنه "ورث الخيانة مع نفس العرش الذي جلس عليه، ذلك العرش الذي أقامه ونستون تشرشل على الرمال"[4]، وأنه "القزم الذي لا يكاد يبين من الأرض، ومع ذلك يحاول أن يزاحم العمالقة بطريقة تثير الرثاء والسخرية"[5].

وذَكَرَ عن الملك سعود "أنه يتصرف بكل الدهاء الذي يملأ أجواء الحريم المُعَبَّقَةِ بالبخور والعطور والسموم"[6]، وأنه "لم يَعُدْ مقبولًا يا صاحب الجلالة أن يكون في قصرك أكثر من ألف جارية ومحظية، وأن يكون لك من الأولاد والبنات ما يقترب من المائة، كل منهم له مرتباته ومخصصاته وحاشيته وقصوره"[7]، وأنه "حاقد أبله"[8]، وأنه أرسل أحد مستشاريه بهدية إلى أحد كبراء العرب، وكانت الهديةُ جاريةً، فتاة شابة مخطوفة اشتروها شراءً من لبنان"[9].

---

(1) هيكل: همرشولد لم يَلْقَ أي متاعب في مصر، آخر ساعة، 1957/3/27.

(2) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 1957/4/13.

(3) هيكل: أسرار الموقف.. 4 أسئلة كان هندرسون يحملها معه عن سوريا، الأهرام، 1957/9/2.

(4) هيكل: عبد الكريم قاسم وعرش الطاووس، الأهرام، 1960/8/4.

(5) هيكل: تقرير من دمشق، الأهرام، 1958/3/10.

(6) هيكل: ما الذي جرى في سوريا (9)، الأهرام، 1961/12/1.

(7) هيكل: هل هو طبيعي ما يحدث في العالم العربي اليوم، الأهرام، 1962/5/11.

(8) هيكل: عَدُوُّهُ هو التاريخ، الأهرام، 1962/8/3.

(9) - هيكل: يا صاحب الجلالة، الأهرام، 1958/3/8.

- هيكل: مرة أخرى يا صاحب الجلالة، الأهرام، 1962/2/2.

وفي هجومه على البعثيين بعد الانفصال قال "حين الْتَقَيْتُ بميشيل عفلق، تَبَدَّدَ خيالي القديم عنه، فلقد كان يستريح نصف ساعة بين الكلمة والكلمة، وكان الاستماع إليه في المرات التي أُتِيحَ لي أن ألتقي فيها معه، عذابًا ليس فوقه عذاب[1].

وأما داخليًّا فقال عن "الإخوان" إنهم باعوا أنفسهم رخيصًا للملك فيصل[2].

10.4 الانتقال إلى الإيحاء:

كانت نكسة 1967 علامةً فارقة في أساليب الكتابة عند هيكل مثلما كانت علامة فارقة في تاريخ مصر وتاريخ الأمة، وكذلك في أساليب الحرب الإعلامية التي كان يَتَّبِعُهَا النظامُ الناصري، فسرعان ما نُحِّيَ أحمد سعيد - المذيع الأشهر في إذاعة صوت العرب، والمكافئ لهيكل في الإذاعة - المعروف بأسلوبه المباشر في التشهير بخصوم عبد الناصر، كما حدث تغيُّر واضح في أسلوب هيكل ترك على أثره أغلب مفردات اللغة الصريحة والتشهير المباشر التي كان يستخدمها، وصَرَّحَ فعلًا بأنه بدأ يتحفظ على استخدام مصطلحات مثل (الرجعية)[3]، وبمرور الوقت أنتج لنفسه أسلوبًا آخر في التعريض بالإيحاء، وصل به أحيانًا إلى مراحل لا تَقِلُّ قسوة، ووجد أنه أكثر نَجَاعَةً مع القارئ، وبعض تلك الحالات أثارت ضَجَّةً.

ومن ذلك اتهامُه للنظام السعودي بالتواطؤ مع الولايات المتحدة قبيل حرب 1967، مستخدمًا في ذلك الإيحاء، متسائلًا عن الرسالة التي حملها مدير المخابرات المركزية إلى رئيس الولايات المتحدة عن نتائج لقائه مع الملك "فيصل" في فندق دورشستر بلندن يوم 29 مايو 1967، ومعقبًا "للأمانة فإنه لا توجد

---

(1) هيكل: ما الذي جرى في سوريا (7)، الأهرام، 1961/11/17.

(2) هيكل: هل وصلنا إلى نقطة اللاعودة مع فيصل؟، الأهرام، 1967/2/10.

(3) هيكل: دور الضمير، الأهرام، 1972/5/5.

في الأوراق الإسرائيلية فيما اطَّلَعْتُ عليه إجابة عن هذا السؤال، لا مباشرة ولا بالإيحاء! لكن الملابسات تُثِيرُ ظنونًا قد يكون لها أساس وقد لا يكون!"[1].

ومن ذلك اتهامه للسادات باغتيال عبد الناصر بالسم في فنجان القهوة، حين ذكر أن البعض يَتَّهِمُ الرئيس السادات بأنه دَسَّ السم لعبد الناصر في فنجان قهوة أعده له بنفسه في فندق الهيلتون، ويُعَقِّبُ هيكل أن "هذا الاتهام غير مقبول"[2]، ولم يُوَضِّح الأستاذُ هيكل مَنْ هذا البعض الذي يَتَّهِمُ السادات بهذه الرواية، وأَجْمَعَتْ تعليقات المتابعين أنها المرة الأولى التي يُسْمَعُ فيها عن هذه الرواية، التي تأتي بعد أربعين سنة من الحدث، فيصبح من المؤكد أن (البعض) الذي يَتَّهِمُ الرئيس السادات ليس إلا الأستاذ نفسه، مُسْتَخْفِيًا وراء تعبيرات مثل (البعض يقول) و(البعض يروي)[3]، بينما كل ما رواه يُوَجِّهُ القارئَ إلى أنه كان بمَقْدُورِهِ أن يفعلها، وقد عَلَّقَ د. الصاوي حبيب - طبيب عبد الناصر - مدينًا أسلوب الإيحاء الذي يَتَّبِعُهُ هيكل "وحتى إن ذَكَرَ ذلك على أنه شائعة، فإن ترديد الشائعة نشر لها، ومن شخص في قامة هيكل فهو نَشْرٌ لها على مستوى العالم"[4].

ومن ذلك تشكيكه في نزاهة الرئيس مبارك بخصوص صفقة طائرات الميراج التي تَمَّتْ قُبَيْلَ حربِ أكتوبر، وكان مبارك وقتَها رئيسًا للقوات الجوية[5].

وهناك مظاهر تؤكد نجاح أسلوب الإيحاء، ليس فقط مع القارئ العادي؛ بل حتى مع بعض المتخصصين المُتَمَرِّسِينَ في أساليب الكتابة، فعندما استخدمَ هذا الأسلوبَ ببراعةٍ في كتابه الشهير (بين الصحافةِ والسياسة) كتب الصحفي الأستاذ عزت صافي - في مقدمة موضوعه الذي استغرقَ عدة حلقات في الجريدة

(1) هيكل: كلام في السياسة – عام من الأزمات، مصدر سابق، ص464.

(2) هيكل: برنامج (مع هيكل)، قناة الجزيرة، 2010/9/16.

(3) المصدر السابق.

(4) د. الصاوي حبيب: عبد الناصر بين طبيبه وكاتبه، الأهرام، 2010/9/22.

(5) هيكل: مبارك وزمانه، من المنصة إلى الميدان، مصدر سابق، ص ص 95-96.

عن رسائل مصطفى أمين من السجن لأخيه - يُعَلِّقُ على العلاقة بين مصطفى أمين وهيكل كما وَرَدَتْ في كتاب هيكل "لم تكن تنقص "هيكل" المعلومات والوقائع بالوثائق والتواريخ والتسجيلات الصوتية لإثبات التهمة بحق مصطفى أمين، لكن "هيكل" - وهو يعرض وثائق الإدانة - نَأَى بنفسه عن أن يُصَادِقَ على التهمة أو أن يُصَدِّقَهَا، فقد تَرَكَ للوثائق أن تتكلم، أما هو فقد ابتعد عن دور «القاضي» الذي يَتَّهِمُ ويَدِينُ ويَحْكُمُ ويُنَفِّذُ الحكم"[1].

والحق أن "هيكل" لم يَتْرُكْ الوثائق كي تتحدث مُنْفَرِدَةً، بل ساعدها في إيصال الرسالة التي يريدها للقراء، فعندما يقول هيكل إنها (اعتراف)، وإنه (لم يُصَدِّقْ ما سَمِعَ)، فإن هذه الجُمَلَ - بطبيعة الحال - ليست في مَتْنِ الوثيقة، لكنها تُمَثِّلُ الأسلوبَ الذي يُوَجِّهُ به القارئَ ليُنْطِقَ الوثيقةَ بما يريد، وقد لاحظ أحد قراء الجريدة فأَرْسَلَ لهم مُعَقِّبًا "تبدو الملاحظة التي وَرَدَتْ في المقدمة، والتي تقول إن "هيكل" (نَأَى بنفسه عن أن يُصَادِقَ على التهمة أو أن يُصَدِّقَهَا، فقد ترك الوثائق تتكلم، أما هو فقد ابتعد عن دور «القاضي» الذي يتهم ويدين ويحكم وينفذ الحكم) ملاحظةً بعيدة عن الصحة.. لأن الخطة التي اتَّبَعَهَا في سَرْدِ الوثائق وتصنيفها، والتساؤلات والتأويلات والتحليلات كافةً التي وضعها تدين مصطفى أمين بقوة، بل تمد التهمة إلى شقيقه علي أمين، على رغم كل ما ذُكِرَ بكتابه من عطفٍ وتعاطفٍ وعدم تصديق وذهول وأحيانًا ذَرْف الدموع"[2].

ومن ذلك ما رَصَدَتْهُ الباحثةُ نجوى إبراهيم من "تَغَيُّرِ لغة هيكل تجاه الملك حسين من لغة الهجاء السافر في الخمسينيات والستينيات إلى التماس المعاذير له في مقالاته في مجلة (وجهات نظر) عام 1999"[3]، والمؤلف يختلف مع

(1) عزت صافي: طبيعة علاقة مصطفى أمين وهيكل بعيدًا عن مقص الرقابة، الحياة اللندنية، 2009/9/3.

(2) شعبان يوسف: رسائل مصطفى أمين وثائق، الحياة اللندنية، 2009/9/20.

(3) نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص129.

الباحثة في أن "هيكل" في (وجهات نظر) لم يكن يَلْتَمِسُ للملكِ الأعذارَ، وإنما استمر في الانتقاص من الملك وكَيْلِ أخطر الاتهامات له[1]، ولكن بالأسلوب الناعم واستخدامِ الإيحاء وسَرْدِ معلومات واستخدامِ كلمات الشك والتعجب دون إطلاق أوصاف[2]، وذلك بديلًا عن الهجاء المباشر الذي غلب على فترة الستينيات ولم تَعُدْ تَسْتَسِيغُهُ الأَنْفُسُ العربيةُ عَقِبَ النكسةِ.

ومثلما اسْتَخْدَمَ هيكل أسلوبَ الإيحاء مع أطراف داخلية وعربية استخدمَ الطريقةَ نفسها مع أطرافٍ خارجية، فكان أن رَفَعَ مديرُ المخابرات الفرنسية السابق الكونت ألكسندرو دي مارانش قضيةً ضد ناشر الطبعة الفرنسية من كتاب (مدافع آيات الله)؛ لأن "هيكل" أوحى بأن مديرَ المخابرات أَمَرَ بتصفيةِ أحدِ مساعديه بسبب تَسَرُّبِ أسرارٍ عسكرية خطيرة كان مسؤولًا عنها، واضْطُرَّ هيكل للاجتماع مع الناشر ومدير المخابرات الفرنسية، وتَمَّ تغييرُ عدة كلمات لرفع هذا الإيحاء[3]، دون أن يَتَطَرَّقَ هيكل لما كان عليه النص الأصلي ولما تَمَّ التعديل إليه.

---

(1) ومنها اتهامه بالتواطؤ مع إسرائيل خلال حروب 1956 و1967 و1973، وأنه كان عميلًا أمريكيًّا، والإيحاء بأنه تَخَلَّصَ من زوجته الملكة علياء؛ حيث ذَكَرَ هيكل أنها (قُتِلَتْ) في حادث طائرة، ووضع بعد هذه الجملة علامةَ تَعَجُّبٍ، ولا يُتَصَوَّرُ أن يَخْفَى على كاتبٍ في دِقَّةِ هيكل أنَّ مَنْ يموت في حادث قَدَرِيٍّ لا يُقال عنه إنه قُتِلَ، بل يُقال مات أو لقي مَصْرَعَهُ، ولا يُقال قُتِلَ إلا من مات في حادث عَمْدِيٍّ!

(2) هيكل: شخصية الملك حسين، مجلة وجهات نظر، 4/1999.

(3) هيكل: كلام في السياسة – العربي التائه، المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002، ص ص 123-124.

11.4 السخرية:

ويستخدم هيكل السخريةَ اللاذعة أحيانًا للإقناع بحُجَّتِهِ أو إضعافِ الحُجَجِ والمواقفِ المقابلة، وكان للخصوم السياسيين - الذين تَنَاوَلَهُم بالتعريض الشخصي المباشر - النصيبُ الأوفى من سخريته.

فيسخر من الاستعمار البريطاني قائلًا "لقد مضى الزمان الذي كانت فيه شعوبنا تَخْشَى حركة الأسطولِ البريطاني وتَرْهَبُهَا، وعندما قيل لي إن حاملة الطائرات "إيجل" في طريقها من مالطة إلى عدن فلقد كان أول ما تَبَادَرَ إلى ذهني أن ذلك دَخْلٌ إضافي لقناة السويس.. عشرة آلاف جنيه إسترليني على الأقل لحاملة الطائرات غير حساب ما يَصْحَبُهَا من المُدَمِّرَاتِ، وليت الأسطولَ البريطاني كله، يقضي عمره ذهابًا وإيابًا بين شرق البحر الأبيض والمحيط الهندي.. عابرًا قناة السويس.. ودافعًا رسوم العبور"[1].

ويَسْخَرُ من السياسة الأمريكية بقوله "إن الرئيس أيزنهاور في بيانه عن الشرق الأوسط أشبه ما يكون بجندي نشيط، أَمْسَكَ بندقيته بحزم، ووقف على باب بيت ليمنع اللصوص أن يَتَسَلَّلُوا إليه، ولكن نارًا شَبَّتْ في البيت، وانتقلت من غرفة إلى غرفة، وبدأت ألسنةُ اللهب المشتعل تطلُّ من النوافذ تعوي وتصرخ، ولكن الجندي النشيط ببندقيته المتحفزة، ما زال واقفًا في مكانه على الباب.. متأهبًا للُّصوص.. على هذه الأرض معارك لا تنقطع، بين الجوع والجشع، بين العلم والخرافات، بين الأحرار والاستعمار.. معارك لا تنقطع، وانتصارات وهزائم، وقتلى وصَرْعى، كل هذا في قلب الشرق الأوسط، ثم يجيء

(1) هيكل: حكاية الوزير البريطاني.. وأهميته، الأهرام، 1965/10/1.

الرئيس أيزنهاور ويشير إلى الحدود البعيدة للشرق الأوسط ويقول: إن هناك من تُحَدِّثُهُ نفسه بالدخول!"[1].

ويُمْعِنُ في السخرية من الأنظمة العربية المواجهة للنظام الناصري، فيَسْخَرُ من النظام الملكي العراقي وتَبَعِيَّتِهِ للاستعمار "باع الإنجليز للعراق بعضَ الوحدات المُدَرَّعَةِ من دبابات سنتوريون.. ولكن أين ذخيرة هذه المدرعات؟ الجواب: الذخيرة في المخازن وليست مع الجيش! وأين المخازن؟ المخازن في قبرص وليست في العراق! الصندوق في العراق، والمفتاح في قبرص"[2]، ويَسْخَرُ من الملك سعود فيقول "صاحب الجلالة يدفع الذهب، ثم ينهمك بعده في عَدِّ حباتِ سبحته خشوعًا لله وتَبَتُّلًا"[3]، ويسخر من مواقف حزب البعث "المعادلة (الخاصة بهم) تبدو لنا الآن مفهومة، اتجاه وحدوي.. لكن على شرط أن لا يَصِلَ إلى وحدة، واتجاه تقدمي.. ولكن على شرط أن لا يَصِلَ إلى تطبيق اشتراكي"[4].

كما يستخدم السخرية مع خصوم الداخل، ومن ذلك قوله للمطالبين بمزيد من الديموقراطية "هل الديموقراطية هي مطلب الذين يجلسون على الشرفات في النوادي الأنيقة الفواحة بالزهر والعطر، يَحْتَسُونَ الويسكي بالصودا ساعة الغروب، ثم يُبْدُونَ الحَسْرَةَ على الديموقراطية التي تضيع والحرية المُهَدَّدَةِ بالخطر؟ هل هذه هي الديموقراطية؟"[5].

واسْتَخْدَمَ هيكل كذلك السخرية المبطنة مثلما استخدم السخريةَ الصريحة، فمن ذلك أنه في مقالة واحدة عن الملك سعود استخدم تعبير (يا صاحبَ الجلالة) مائة وسبعًا وخمسين مرة! وكانت المقالة بأكملها تقريعًا للملك سعود بخصوص ما أُذيع

(1) هيكل: صباح الخير أيتها الأوهام – مشكلة فلسطين مع وزير خارجية لبنان، آخر ساعة، 1957/1/16.
(2) هيكل: البحث عن نهاية (3)، الأهرام، 1958/12/11.
(3) هيكل: ثلاث قُوَى تتجمع ضدنا، الأهرام، 1961/12/22.
(4) هيكل: محاولة لاستكشاف الحقيقة (1)، الأهرام، 1963/5/31.
(5) هيكل: الصحافة: لماذا يَتَحَتَّمُ أن يملك الشعب وسائل التوجيه، الأهرام، 1960/6/1.

عن مؤامرة لاغتيال عبد الناصر مَوَّلَهَا الملك، وختمها بقوله "أجب يا حامي الحرمين.. يا حارس الكعبة المُقَدَّسَةِ.. يا صاحب الجلالة"[1]، والأسلوب نفسه اتَّبَعَهُ في مقالة عن عبد الكريم قاسم استخدمَ فيها تعبير (سيدي الزعيم) أربعًا وخمسين مرة، وكانت المقالة بأكملها لومًا وعتابًا لعبد الكريم قاسم[2].

وبمرور الوقت قَلَّت السخريةُ اللاذعة وحَلَّتْ مَحَلَّهَا السخريةُ الهادئة أحيانًا، مثل قوله عن ابتذال الكلمات مثل السلام وغيرها "إننا بدأنا باستعمال عنوان (السلام) في السياسة ثم سَحَبْنَاهُ بعد ذلك مسافات إلى مقهى (السلام)، و(مقلاة السلام)، و(بقالة السلام)، و(جزارة السلام)، بل و(سجن السلام)"[3].

4. 12 التَّفَكُّه:

يستخدم هيكل الطُّرْفَةَ والفكاهةَ أحيانًا في كتاباته، وكان أكثر استخدامًا لها في بداياته مُتَأَثِّرًا بكتابات أستاذه التابعي ومدرسة آخر ساعة، حيث كان هذا الأسلوب في الكتابة يُسْتَخْدَمُ بكثافة، ثم بدأ يَقِلُّ تدريجيًّا، لكنه ظل موجودًا حتى كتاباته الأخيرة، والأمثلة في كتاباته كثيرة؛ إذ يكتب عن حديثه الصحفي مع تيتو زعيم يوغوسلافيا "اتفقتُ معه أن أكتب ما فهمتُ وأعرضه عليه، فإن كان تمثيلًا حقيقيًّا لوجهات نظره فحقي أن أنشره، وإن لم يكن فحَقُّهُ المُطْلَقُ هو أن يلقي به من الشُّرْفَةِ إلى أمواج البحر القابع تحت الفيلا البيضاء، ومن حسن حظي أن الماريشال قرأ ما كتبتُ ولم يَخْرُجْ إلى الشُّرْفَةِ!"[4].

---

(1) هيكل: مرة أخرى.. يا صاحب الجلالة، الأهرام، 1958/3/12.

(2) هيكل: يا سيادة الزعيم الأوحد (1)، الأهرام، 1959/1/27.

(3) هيكل: مصر والقرن الواحد والعشرون – ورقة في حوار، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1994، ص9.

(4) هيكل: مع خروشوف في الطريق إلى الوطن، الأهرام، 1964/5/8.

ويستخدم ذلك الأسلوب أحيانًا في السخرية غير المباشرة من مُنْتَقِدِيه، أو توضيحًا لموقفه بالنفي الساخر لما عداه، فمن ذلك "إن ماركس لم يُوصِ الشيوعيين بالعرب خيرًا، ولا لينين تَرَكَ لهم حقًّا على روسيا في وصيته، وإنما كان الأمر.. مصالح"[1]، ويقول "لا يدور بخلدي أن انتصاري لمكاريوس أسقف قبرص العنيد، يفرض عليَّ أن أقف بجواره غدًا أمام المذبح، راكعًا، أردد وراءه صلوات الروم الأرثوذكس"[2]، ومن ذلك رَدُّهُ على منتقدي عبد الناصر في أمر تعاونه مع السوفييت "ماذا بقي من الدعاوى ضد جمال عبد الناصر وأمر علاقته بالسوفييت، يقال مثلًا: هم مُلْحِدُونَ.. وسلاحهم ملحد! ولستُ أعرف إذا كان الإيمان يشع من عيون الأمريكيين.. ونور الحق يلمع من سلاحهم؟! لكني أعرف شيئًا واحدًا: أن السلاح "الملحد" الذي عَبَرْنَا به قناة السويس إلى الشرق.. أفضل ألف مرة من السلاح "غير الملحد" الذي عَبَرَتْ به إسرائيل قناة السويس إلى الغرب!"[3].

13.4 استخدام الجُمَلِ الاعتراضية:

استخدام الجمل الاعتراضية هو أحد الوسائل الأدبية المهمة التي يستخدمها هيكل بحِرَفِيَّةٍ ليُدْخِلَ للقارئ لَمْحَةَ مَعْنًى في توقيت محدد، وهو نوع من أنواع الإطناب، ولكنه سيُذكر هنا ذِكْرًا مُسْتَقِلًّا لكَثْرَةِ ما استخدمه الأستاذ هيكل في كتاباته، وله فيه منافع شَتّى.

أحيانًا يستخدم هيكل الجملةَ الاعتراضية لإثبات أن الواقع عكس الادعاء، فيستخدمها في النفي أو التشكيك أو الغمز؛ فعلى سبيل المثال يقول منتقدًا حزب البعث "بدلًا من "وحدانية الزعيم".. يتحكم الآن "تَسَلُّطُ الحزب"،

(1) هيكل: العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط (7)، الأهرام، 1958/1/22.

(2) هيكل: مسألة عقائد، الأهرام، 1959/1/10.

(3) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص153.

وأعرف أنه عند هذه النقطة، سوف يقفز عدد من زعماء حزب البعث وفلاسفته - إن كان للحزب حقًا زعماء وفلاسفة- ليقولوا بأعلى أصواتهم: هو الآن يغالط"[1]، وقوله "وحين عاد السيد عبد الخالق حسونة، الأمين العام لجامعة الدول العربية، من رحلته في دمشق واجتماعاته ببعض الذين يحكمون - أو في الحقيقة لا يحكمون في سوريا - عاد ومعه فكرة عقد اجتماع ثنائي"[2].

وفي بداية حديثه عن نكسة 1967 قال "في أوقات المِحَنِ الكبرى - وما أكثرها على طريق بناء الأمم - لحظات يشعر فيها الذي يمسك بالقلم أنه لا يكتب ما يكتبه على الورق بقطرات من الحبر، ولكن بقطرات من دمه"[3]، فاستخدم الجملة الاعتراضية في تهيئة القارئ بوجود نظائر (كثيرة) لهذه المحنة التي سيتحدث عنها، وأنها مِحَنٌ معتادةٌ في طريق (البناء).

وقد يستخدمها لتوضيح استثناء، ومثال ذلك "وكانت أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية عمومًا - وباستثناءات أَرْغَمَهَا القَهْرُ على الخوف أو الصمت أو النفاق- أصواتًا مُؤَيِّدَةً لنضالنا"[4]، أو على العكس يستخدمها لنفي الاستثناء، ومثال ذلك "كان كل الخبراء العسكريين في العالم - وبغير استثناء - يَرَوْنَ عملية العبور صعبة"[5].

أو يستخدمها لتوضيح تَحَفُّظٍ ما قبل أن يَسْتَرْسِلَ، ومثال ذلك "إن ذلك الجيل خرج يُعَبِّرُ عن نفسه في فبراير 1968، ولقد كانت مظاهراتُ تلك السنة في

---

(1) هيكل: التاريخ يعيد نفسه، الأهرام، 1963/8/16.

(2) هيكل: 5 أسئلة قبل الاجتماع المُنْتَظَرِ، الأهرام، 1962/8/17.

(3) هيكل: أقصى درجات العنف، الأهرام، 1967/6/16.

(4) هيكل: علامات، الأهرام، 1967/6/30.

(5) هيكل: محاولة تصور للموقف، الأهرام، 1973/10/12.

القاهرة والإسكندرية - بصَرْفِ النَّظَرِ عما شَابَهَا - صرخةَ أَلَمٍ أَطْلَقَتْ نفسها في الشوارع.. ورَدَّ جمال عبد الناصر عليها بنداءِ أملٍ يتمثل في بيان 30 مارس"[1].

ولها استخدامات أخرى متعددة منتشرة في سائر كتبه، وظل استخدامُ الأستاذ هيكل للجملة الاعتراضية كثيفًا حتى النهاية، بل إنه زاد في كتاباته الأخيرة، فمقالتاه (استئذان في الانصراف) احْتَوَتَا على أكثر من مائة جملة اعتراضية[2].

14.4 التَّلْطِيف اللفظي:

يمكن تعريف التلطيف اللفظي Euphemism في الخطاب السياسي بأنه: استخدام تعبيراتٍ مُخَفَّفة أو غامضة أو غير مباشرة للإشارة إلى ظاهرةٍ أو سلوكٍ أو حدثٍ ما، بهدف توجيه إدراك مستخدمي اللغة لهذه الظاهرة أو السلوك أو الحدث وِجْهَةً معينة، ويشير هذا التعريف إلى أن التلطيف اللفظي يؤثِّر في إدراك البشر للواقع الذي تقدِّمه التعبيرات المُلَطِّفة، كما يفترض التعريف أن التلطيف اللفظي يحدث في حالة إمكان وجود أكثر من تعبير أو تسمية للإشارة إلى شيء واحد، أحدهما يقدم الشيء كما هو، والآخر يقدمه مُلَطَّفًا والثالث يقدِّمه مُهَوِّلًا[3].

وإذا أَخَذْنَا بيان التنحي نموذجًا، والمناقشات التي دارت بين عبد الناصر وهيكل أثناء صياغته[4]، نجد أن شطرًا كبيرًا من النقاش تَعَلَّقَ مباشرةً باختيارات بلاغية، مثل الاختيار بين مُفْرَدَتَي "النكسة" و"الهزيمة" أو الاختيار بين تركيب "على استعدادٍ لتَحَمُّلِ" و"أتحمل" أو الاختيار بين

---

(1) هيكل: هذا الجيل، الأهرام، 1972/1/28.

(2) هيكل: استئذان في الانصراف، الأهرام، 2003/9/30.

(3) د. عماد عبد اللطيف: (بيان التنحي) وذاكرة الهزيمة – مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، مرجع سابق.

(4) هيكل: كلام في السياسة – عام من الأزمات، مصدر سابق، ص ص 217–228.

"نصيبي من المسؤولية" و"المسؤولية كلها"، وهي اختيارات أَثَّرَتْ في مُحَصِّلَةِ البيان النهائية، وهي تَشِي بوجود اختلافٍ بين الكاتب والحاكم في نوع البلاغة التي يميل إلى استخدامها، ففي حين يبدو عبد الناصر أميل إلى إنتاج بلاغةٍ مباشرة، تُسَمِّي الأشياءَ بأسمائها وتقول الأشياء بأوضح الطرق وأوجزها، يبدو هيكل أميل إلى استخدامِ بلاغةٍ مُرَاوِغَةٍ، تُكَنِّي وتُلَطِّفُ، وتخفي أكثر مما تُصَرِّحُ، ويظهر من صيغة البيان النهائية أن الكاتب والحاكم كليهما قد انحازا إلى بلاغة المراوغة في نهاية المطاف، وهو ما يتجلى على سبيل المثال في شيوع ظاهرة التلطيف اللفظي في بيان التنحي[1].

ويُلاحَظُ أن "هيكل" فَعَلَ العكسَ تمامًا في صياغته لبيان (النصر) الذي ألقاه السادات في مجلس الشعب في 16 أكتوبر عام 1973 في ذروة المَجْدِ العسكري المصري؛ إذ قرأ الرئيس السادات - بأسلوبه المميز في الإلقاء - كلماتِ هيكل الرَّنَّانَةَ وهو يَمُطُّ الكلمات ويؤكد عليها "ربما جاء يوم نجلس فيه جميعًا.. لا لكي نتفاخر ونتباهى؛ ولكن لكي نَتَذَكَّرَ وندرس، ونُعَلِّمَ أولادنا وأحفادنا.. جيلًا بعد جيل.. قصةَ الكفاح ومَشَاقِّهِ، مرارةَ الهزيمةِ وآلامها، وحلاوةَ النصر وآماله"، فاستخدم هنا كلمة (الهزيمة) ولم يَسْتَخْدِمْ كلمة (النكسة) في مقابل (النصر)، وذلك ليُعَظِّمَ الفارق ويُظهره بين ما كان وما أصبح، ويبرز قيمته، وهكذا فعندما أراد تهوين الهزيمة أسماها (نكسة)، وعندما أراد تعظيم قيمة الانتصار ذَكَرَهُ في مقابل (الهزيمة).

وقد لَفَتَتْ أساليبُ التلطيف اللفظي نظرَ بعض الباحثين حتى من أشد المتحمسين للتجربة الناصرية، فتعلق د. بثينة التكريتي على إجابة هيكل عن سؤال محاوره عن حرب 1967: ".. لقد كانت لعبد الناصر حسابات معينة

---

(1) د. عماد عبد اللطيف: (بيان التنحي) وذاكرة الهزيمة – مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، مرجع سابق.

عندما قاد البلد إلى معركة في يونيو 1967، حدث شيء من الخلل في الحسابات، ومع أنه قد يتحمل جزءًا من المسؤولية السياسية، إلا أنه ليس مسؤولًا عن أمور كثيرة"[1]، فتقول "يحاول هيكل التخفيف ما أمكنه، فيشير إلى (شيء من الخلل) بينما هو خلل عظيم، خلل كارثي أَدَّى إلى نتائج كارثية، ونكسة مصرية لم يُعَانِ ناصر وحده منها، بل عانت مصر والوطن العربي بأَسْرِهِ، وما زالت تُعَانِي منها، كما يشير إلى أنه (قد يتحمل جزءًا من المسؤولية السياسية) بينما يعترف عبد الناصر نفسه، ومن موقع القيادة، بكامل المسؤولية عما حدث"[2].

ويدرك هيكل جيدًا استخدامات التلطيف اللفظي، ويتصدى لها ويفندها إذا كانت في غير اتجاهه، ففي معرض حديثه عن هزيمة 1948، وفي سياق هجومه على الأنظمة العربية في ذلك الوقت، يقول "ورُحْنَا نخفِّف الأمر على أنفسنا ونسمي عام 1948 عامَ النَّكْبَةِ، ولقد كانت هذه التسمية في حد ذاتها تعكس منطق الهروب، راحت تتمسح بالقَدَرِ وتلقي عليه المسؤولية في كل ما حدث، والقَدَرُ بريء لا ذنب له، لكننا نريد مواصلة الهرب والفرار"[3].

---

(1) فؤاد مطر: بصراحة عن عبد الناصر، مرجع سابق، ص ص 148-149.

(2) د. بثينة التكريتي: نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2000، ص306.

(3) هيكل: في ذكرى 15 مايو 1948، الأهرام، 1962/5/18.

15.4 عَقْد المُقارَنات:

يستخدم الأستاذ هيكل أسلوب المقارنات، إما لتعظيم إنجاز يريد تعظيمه - فيقارِن حالة ما قبل بحالة ما بعد - وإما لتهوين خطأ يريد تهوينه - فيقارنه بحالات أخرى معاصرة فيَهُون في عين القارئ - وإما ليُثْبِتَ صِحَّةَ أوضاعٍ عَبْرَ مقارنتها بأوضاع أخرى.

على سبيل المثال، يُقَدِّمُ مقارنةً بين عصر ما قبل ثورة يوليو وما بعدها "قُبَيْلَ الثورة كانت القاهرة فيها رماد الحريق، والملك في القصر، والإنجليز في قاعدة قناة السويس، وقناة السويس ذاتها مِلْكٌ للشركة العالمية لقناة السويس، والأحزاب تتعاقب على مقعد الحكم، والإقطاع في الأرض، ورأس المال المتحالف مع الإقطاع يملك المصانع وعمالها والفرصة حِكْرٌ للقِلَّةِ، والفقر مَشَاعٌ للأغلبية، ونصف في المائة من السكان يملكون وحدهم خمسين في المائة من الدخل القومي، وإسرائيل عَبْرَ خط الهُدْنَةِ سعيدة بهذا كله وهانئة.. وبعد عشر سنوات تغير كل شيء من أساسه، القاهرة أصبحت أعظم مراكز الإشعاع لحركة التحرير الثورية الشاملة، والملك هناك في إيطاليا، والإنجليز لم يعودوا في قاعدة قناة السويس، وقناة السويس لم تَعُدْ مِلْكًا للشركة العالمية لقناة السويس، وتحالُف الإقطاع ورأس المال الذي كان يسيطر على الحكم سقط، والأرض للفلاحين، والمصانع للعمال، والفرصة متكافئة، والعمل من أجل الكفاية والعدل على أشده، وإسرائيل على الناحية الأخرى من خطوط الهدنة ليست سعيدة"[1].

ويعقد مقارنة بين موقف الجبهة المصرية في حرب 1967 وموقف الجبهات العربية الأخرى فيوضح "أن أحدًا منهم لم يتحدث عن تجاربه فيها، وكأن

(1) هيكل: عَدُوُّهُ هو التاريخ، الأهرام، 1962/8/3.

العيب تخطَّاهم جميعًا ليَسْتَقِرَّ على خطوطنا وحدها، مع أنه كان على الجبهات الأخرى أكثر مما لدينا بغير مبالغة، لكن الصمت هناك.. والكلام هنا"[1].

ومن ذلك محاولته المقارنة بين تجاهُلِ الصحافة البريطانية تَدَهْوُرَ الجبهة الغربية عام 1940 - ونشر أخبار أخرى أقل أهمية مثل الأخبار الفنية وغيرها، مما أبقى القارئَ البريطاني غَيْرَ مُطَّلِعٍ على نكسات الجبهة - وما نَشَرَتْهُ الصحف المصرية أثناء حرب 1967[2]، وهي مقارنة بعيدة؛ لأن الصحف المصرية لم تَكْتَفِ بتَجَاهُلِ الأخبار أو كَتْمِهَا؛ بل اسْتَبْدَلَتْهَا بأخبار عَكْسِيَّةٍ تمامًا تتحدث عن انتصاراتٍ كبرى وإسقاطِ مئات الطائرات المُعَادِيَةِ.

16.4 الاستشهادات الأدبية والشعرية:

يتداول بعض المتحدثين عن الأستاذ هيكل مقولةً غَدَتْ أَشْبَهَ بالأسطورة، هي أنه يحفظ الآلاف من أبيات الشعر العربي[3]، وبعضهم يذكر رقم عشرة آلاف بيت[4]، وأحدهم وصل بالرقم إلى مائتي ألف بيت من الشعر يحفظها الأستاذ هيكل، من معلقة امرئ القيس مرورًا بالمتنبي وحتى حافظ إبراهيم وأحمد شوقي[5].

غير أن كتابات هيكل - على كَثْرَةِ ما فيها من الأساليب الأدبية الأخرى كما يستعرضها هذا الفصل - تَقِلُّ فيها جدًّا الاستشهادات المباشرة بالأدب عمومًا وبالشعر خصوصًا، فكثير من كتب هيكل الكبيرة تخلو من استشهاد أدبي واحد، سواء من شعرٍ أو رواية أو مسرحية، فمن الكتب الكبيرة لهيكل التي

---

(1) هيكل: كان العدو يعرف أكثر مما ينبغي، الأهرام، 1968/6/28.

(2) هيكل: كلام في السياسة – عام من الأزمات، مصدر سابق، ص ص 192-195.

(3) ناجح إبراهيم: هيكل بين عبد الناصر والسادات، المصور، 2016/2/20.

(4) عادل حمودة: هيكل (الحياة – الحرب – الحب)، مرجع سابق، ص8.

-محمد سعيد: هَزَمَ الشَّيْخُوخَةَ بالسِّبَاحَةِ وحِفْظِ أبياتِ الشِّعْرِ، الوطن، 2016/3/28.

-عبد الله السناوي: أحاديث برقاش-هيكل بلا حواجز (4)، الشروق، 2017/2/20.

(5) أحمد عز الدين: هيكل هو هيكل، المصور، 2016/2/20.

تخلو من الاستشهادات الأدبية بمختلف أنواعها (عبد الناصر والعالم)، (الطريق إلى رمضان)، (مدافع آية الله)، (خريف الغضب)، (ملفات السويس)، (سقوط نظام)، بالإضافة إلى كتب أخرى أقل حجمًا وأهمية.

ولكن هناك بالفعل- في مواضع أخرى- استشهادات بالشعر العربي، منها استشهاده ببيت الشعر للشاعر الجاهلي دُرَيْد بن الصِّمَّةِ:

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى   فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلّا ضُحَى الْغَدِ[1]

ويستشهد بقول البُحْتُرِيّ:

لَقَدْ نَطَقَ الْبَشِيرُ بِمَا ابْتَهَجْنَا   لَهُ لَوْ كَانَ يَصْدُقُنَا الْبَشِيرُ[2]

كما يستشهد بالبيت الشهير للمتنبي:

وَكَمْ ذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَات   وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكَا[3]

وببيت شعر مُعَاصِرِهِ "أبو فِرَاس الحَمْدَانِيّ":

إِذَا مِتُّ ظَمْآنًا فَلا نَزَلَ الْقَطْرُ[4]

وفي مواضع نادرة يستشهد بالشعر غير العربي، مثل بيت شعر فارسي لناظم سعدي[5]، كما يستشهد بشعر طاغور الشاعر الهندي الكبير[6]، وبأبيات من شعر لورنس العرب[7].

وله استشهادات قليلة بالأدب العربي الحديث، منها رواية يوسف القعيد (الحرب في بر مصر)[8].

---

(1) هيكل: 28 سبتمبر.. الأربع والعشرون ساعة الأخيرة، الأهرام، 1970/10/16.

(2) هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص181.

(3) هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص87.

(4) هيكل: أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص152.

(5) هيكل: عودة إلى أزمة الشرق الأوسط (10)، الأهرام، 1973/7/13.

-هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص13.

(6) هيكل: "البانجو باندو" في دكا مأساة الطبيعة ومأساة الإنسان!، الأهرام، 1973/3/23.

(7) هيكل: لقاء مع الدكتور محمود فوزي، الأهرام، 1970/11/1.

(8) هيكل: 1995 – باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين، مصدر سابق، ص29.

كما يستشهد بالأدب الأجنبي، فتتعدد استشهاداته بشخصيات شكسبير ومسرحياته (أوديب) و(هاملت) و(تاجر البندقية)[1]، ويُشَبِّهُ ناصر ونهرو وتيتو بالفرسان الثلاثة في الرواية الشهيرة لألكسندر دوما[2]، ويُشَبِّهُ الواقع الكابوسي بقصص الأديب التشيكي (كافكا)[3]، ويستشهد بقصص مغامرات جيمس بوند للروائي البريطاني (إيان فليمنج)[4]، ورواية (دون كيشوت) لميجيل سيرفانتس[5]، ورواية أندريه موروا (غير المتوقع يحدث دائمًا)[6]، ويستطرد في وصف رواية (جسر على نهر درينا)[7]، ورواية (العملية هِبرون)[8]، ومسرحية (شارع الغروب)[9]، وغير ذلك، كما يستشهد أحيانًا بفن السينما، ومن ذلك فيلم (لورنس العرب)[10]، وفيلم (خياط بنما)[11]، وفيلم (Wag the dog)[12].

ويستخدم الأستاذ هيكل الاستشهادات الأدبية في أغراض متعددة تصل إلى السخرية، فأثناء الحرب الإعلامية مع حزب البعث يوضِّح أن الحزب قبل الوحدة شارك في عدة حكومات ولم يَقُمْ بأي إجراءات ثورية، مكتفيًا بترديد

---

(1) هيكل: أشباح السويس، الأهرام، 1966/9/16.

-هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج3)، مصدر سابق، ص437.

-هيكل: سقوط نظام، مصدر سابق، ص231.

-هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص61.

(2) هيكل: عبد الناصر والعالم، مصدر سابق، ص355.

(3) هيكل: أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص36.

(4) – هيكل: الحقيقة العارية، الأهرام، 1966/9/23.

– هيكل: عن الملك حسين (4)، الأهرام، 1966/12/23.

(5) هيكل: السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة، مصدر سابق، ص169.

(6) هيكل: الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، مصدر سابق، ص151.

(7) هيكل: كلام في السياسة – قضايا ورجال، مصدر سابق، ص ص 270-276.

(8)هيكل: كلام في السياسة – العربي التائه، مصدر سابق، ص ص 144-148.

(9) هيكل: المقالات اليابانية، مصدر سابق، ص165.

(10) هيكل: العروش والجيوش (ج1)، مصدر سابق، ص165.

(11) هيكل: كلام في السياسة – العربي التائه، مصدر سابق، ص246.

(12) هيكل: كلام في السياسة – قضايا ورجال، مصدر سابق، ص53.

الشعارات المَسْكُوكَةِ التي لها رنين، يطرب لها ويستعيدها، مشابهًا البطل الأسطوري الإغريقي (نرسيس)، الذي كان من فرط إعجابه بحسن صورته يطيل النظر إليها في الماء ولا يرفع بصره عنها[1].

17.4 التضفير الديني والاستعارات الدينية:

الأستاذ هيكل مُقِلٌّ جدًّا أيضًا في الاستشهاد المباشر بالمصادر الدينية مثل القرآن والسُّنَّة والكتاب المقدس والمراجع الدينية، وهو أوسع استخدامًا لاستعارة بعض التعبيرات الدينية مثل (شيطان)، (مغفرة)، (خطيئة)، (الصراط)، (الصَّلب).. وغير ذلك.

فمن الكتب الكبيرة لهيكل التي تخلو من الاستشهادات المباشرة بالمصادر الدينية بمختلف أنواعها (عبد الناصر والعالم)، و(الطريق إلى رمضان)، و(سنوات الغليان)، و(الانفجار)، و(أكتوبر 73 - السلاح والسياسة)، بالإضافة إلى كتب أخرى كثيرة أقل حجمًا وأهمية.

ومن الاستشهادات المباشرة بالقرآن ما اسْتَهَلَّ به كتابه (بين الصحافة والسياسة) بقول الحق سبحانه "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى"[2]، مفتتحًا بذلك استنكاره افتراءات أستاذه الصحفي وخصمه السياسي مصطفى أمين، حيث يتمحور كتابه حول رواية قصته والرد عليه، ومنها قول الحق سبحانه "سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ" أَوْرَدَهُ في مقدمة كتابه (حديث المبادرة) ردًّا على اتهام الصحف الحكومية له وقتها بالكذب[3]، وقوله سبحانه "وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ" التي يستدل بها خصوم الثورة في رفضهم لمبدأ تذويب الفوارق بين الطبقات[4].

---

(1) هيكل: نقطة اللاعودة مع قيادة البعث السوري، الأهرام، 1963/5/17.

(2) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص7.

(3) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص11.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص244.

ومن الاستشهادات المباشرة بالسُّنَّةِ ما استهل به فصل (الإسلام السياسي) في كتابه (خريف الغضب)، إذ اسْتَهَلَّهُ بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّرْهُ بيده، فإن لم يَسْتَطِعْ فبلسانه، فإن لم يَسْتَطِعْ فبِقَلْبِهِ، وذلك أضعف الإيمان"[1]، وحديث "الحلال بيِّن والحرام بيِّنٌ"[2]، وحديث الرسول المبشر بفتح مصر والموصي بأقباطها خيرًا[3]، وحديث "أنتم أعلم بأمور دنياكم" في مَعْرِضِ نفيه لوجود اقتصاد إسلامي وسياسة إسلامية[4]، وحديث "اسْتَفْتِ قلبك" ونسبه للإمام علي رضي الله عنه[5] [6]، وحديث "كيفما تكونوا يُوَلَّ عليكم"[7]، [8].

ويستشهد أحيانًا بأقوال الصحابة وأفعالهم، مثل رفض عمر رضي الله عنه الصلاة في كنيسة القيامة عقب فتح بيت المقدس[9]، وينسب مقولةً لأبي ذَرٍّ رضي الله عنه "ثلاث للناس جميعًا، النار والماء والكلأ"، ويستدل بها على وجوب ملكية المجتمع لوسائل الإنتاج[10]، وينقل مقولة عن الإمام علي "إنما

---

(1) المصدر السابق، ص207.

(2) هيكل: حديث عن المؤتمر ودوره ومسؤوليته.. وجو المعركة، الأهرام، 13/9/1968.

(3) المصدر السابق، ص264.

(4) هيكل: المقالات اليابانية، مصدر سابق، ص26.

(5) المصدر السابق، ص26.

(6) والصحيح أن جُمْلَةَ "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ" جزءٌ من حديثٍ نَبَوِيٍّ شريفٍ أَخْرَجَهُ أحمدُ في مُسْنَدِهِ (17545)، والمُنْذِرِيُّ في الترغيب والترهيب، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في صحيح الترغيب (1734).

https://islamqa.info/ar/137267.

(7) هيكل: أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص285.

(8) حديث ضعيف، أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ من حديث أبي بَكْرَةَ، وأَخْرَجَهُ البيهقي مُرْسَلًا من حديث أبي إسحق السُّبَيْعِيِّ، وضَعَّفَهُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيُّ، وضَعَّفَهُ الألباني كذلك وأَوْرَدَهُ في السلسلة الضعيفة.

http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Id=18065&Option=FatwaId

(9) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص264.

(10) المصدر السابق، ص247.

يبعث الله الأنبياء والرسل لإيقاظ دفائن العقول"[1]، ومن أقوال التابعين نقل "الساكت عن الحق شيطان أخرس"[2].

وتكاد تنعدم الاستشهادات بالمراجع الأصولية أو الفقهية إلا فيما نَدَرَ، ومنها نقله لمقولة الإمام الشاطبي (حيثما توجد المصلحة فثَمَّ شرع الله)[3].

وينقل من العهد الجديد بعض الاستشهادات، ومنها مقولة المسيح لأحد أتباعه "اذهب وبِعْ ما تملك وأعطه للفقراء"، و"أَعْطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، كما نقل نَصَّ قانون الإيمان المسيحي، وذلك في أثناء استعراضه لتاريخ الكنيسة القبطية[4]، وينقل "من كان منكم بلا خطيئة فليَرْمِهَا بحَجَر"، وذلك في معرض حديثه عن دفاع الرئيس الأمريكي كلينتون عن نفسه[5]، وينقل من الإنجيل أيضًا "في البداية كانت الكلمة" ويُرْدِفُ مُفَسِّرًا: أي الفكرة[6]، بينما الصحيح أن الآية في مطلع إنجيل يوحنا هي "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ"، أي المسيح، والسياق اللاحق يتحدث عن المسيح، كما ينقل من العهد القديم "أتَمَشَّى متمهلًا كل سني، من أجل مرارة نفسي"، يستهل به الفصل الخاص بالكنيسة القبطية في كتابه (خريف الغضب)[7]، كما ينقل نصوصًا من التوراة سلبية عن الشعب المصري ذاكرًا أنها نَصٌّ[8]، دون أن يُحَدِّدَ مَوْضِعَهَا في التوراة

(1) هيكل: أزمة العرب ومستقبلهم، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995، ص44.

(2) هيكل: تشيكوسلوفاكيا، الأهرام، 1968/8/30.

-هيكل: لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق، ص15.

(3) هيكل: أحاديث في العاصفة، مصدر سابق، ص675.

-هيكل: المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص306.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص261.

(5) هيكل: كلام في السياسة – قضايا ورجال، مصدر سابق، ص18.

(6) هيكل: زيارة جديدة للتاريخ، مصدر سابق، ص396.

(7) المصدر السابق، ص246.

(8) هيكل: العروش والجيوش (ج2)، مصدر سابق، ص108.

وبصفة عامة فإن جميع استشهادات الأستاذ هيكل بالنصوص الدينية لا يُحَدِّدُ موضعها في مصادرها، وأحيانًا يستشهد الأستاذ هيكل بالشَّطْرِ من الآية أو الحديث، ويَرُدُّه إلى (القول المأثور)، أو (المقولة)، أو (القاعدة)[1].

ويستخدم الأستاذ هيكل الاستعارات الدينية على نوع أوسع مما يفعل مع الاستشهاد المباشر من المصادر الدينية، وهو ما يُطْلَقُ عليه (التضفير الديني)، وأمثلته متعددة في كتبه ومقالاته، ومن ذلك قوله لعبد الكريم قاسم "لقد اسْتَعَنْتَ يا سيدي بالشيطان ضد عبد السلام عارف، ولكن الشيطان يا سيدي لم يحارب المعركة لوجه الله، كانت للشيطان - يا سيادة الزعيم الأوحد - أهدافه وأغراضه ومقاصده"[2]، ويقول عنه بعدها بسنوات "حوّل عبد الكريم قاسم العراق إلى معبد وَثَنِيٍّ، وأراد لشعبه أن يُصَلِّيَ من دون الله لصنم"[3]، ومن تلك الاستعارات قوله "كانت الدول المحايدة، وهي تؤكد حيادها، أشبه بمن يمشي على الصراط"[4].

18.4 استخدام الأمثال الشعبية وضرب الأمثلة:

يستخدم هيكل الأمثال الشعبية أحيانًا في إيصال الفكرة، من باب التأثير ومن باب التغيير كذلك، ومن ذلك "لقد أكل قاسم الحِصْرِمَ في بغداد، وضرست الجمهورية العربية المتحدة كلها.. في دمشق وفي القاهرة"[5]، وقوله "منطق الملك سعود يمكن فهمه وتلخيصه في كلمة سريعة هي أنه إذا لم يسارع هو ويتغدى بالاشتراكية فإن الاشتراكية سوف تتعشى بجلالته"[6]، وقد يستخدم

---

(1) - هيكل: رسالة إليه من واشنطن، الأهرام، 1966/6/24.

- هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيليين (ج2)، مصدر سابق، ص306.

(2) هيكل: يا سيادة الزعيم الأوحد، الأهرام، 1959/1/27.

(3) هيكل: بريطانيا.. وما الذي تفعله هذه الأيام، الأهرام، 1962/1/19.

(4) هيكل: هذا ما حدث في نيويورك، الأهرام، 1960/10/5.

(5) هيكل: ما الذي جرى في سوريا (7)، الأهرام، 1961/11/17.

(6) هيكل: ما الذي جرى في سوريا (9)، الأهرام، 1961/12/1.

أمثلة شعبية من ثقافات أخرى، ومن ذلك المثل الروسي "لا تَبِعْ جلد الدب قبل أن تصطاده"[1]، والمثل الأوروبي من التراث الذي يُسْتَخْدَمُ للتخويف "فيليب (المقدوني) على الأبواب"[2].

ونادرًا ما يستخدم جملًا عامية، وإذا فعل فإنه في العادة يُقَدِّمُ لها بتعبير (كما يقولون في الريف)، أو ما شابه، ومثال ذلك "هكذا ببساطة وعلى "بلاطة" كما يقولون هنا في ريف مصر"[3]، وقوله "مضت ستة أسابيع بلا حس ولا خبر"[4]، وقوله "اقفلوا هذا الموضوع وفضوا سيرته"[5]... وغير ذلك.

19.4 الغموض:

يستخدم هيكل سلاحَ الغموض أحيانًا لإطلاق العنان لخيال القارئ دعمًا لموقفه، ويكون في حِلٍّ - في الوقت ذاته - من أن يبين أو يبرهن على ما يذهب إليه كل قارئ في خياله في تفسيره لكلمات هيكل.

ومن أمثلة ذلك حديثه عن الأسباب التي حسمت قراره بالانتقال من أخبار اليوم إلى الأهرام بعد عام من التردد والإحجام "في ربيع سنة 1957 كانت هناك قصص وحكايات في دار أخبار اليوم لا أرى الوقت مناسبًا أن أخوض في تفاصيلها، ولم تكن هذه القصص والحكايات شيئًا طَرَأً فجأة، فقد كانت أعراضه ظاهرة وإن راحت تزيد مع السنين، وكنت فيما سبق قد أَثَرْتُ أمرَها وأوضحت بما لا يَقْبَلُ مجالًا للشك أن اختلاط الخاص والعام في أي عمل من

(1) هيكل: العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط (4)، الأهرام، 1958/1/16.
(2) هيكل: عودة إلى أزمة الشرق الأوسط (10)، الأهرام، 1973/7/13.
(3) هيكل: ما الذي جرى في سوريا (9)، الأهرام، 1961/12/1.
(4) هيكل: طاقة مدهشة، الأهرام، 1971/6/18.
(5) هيكل: العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط (3)، الأهرام، 1958/1/13.

شأنه أن يُؤَثِّرَ على مساره"[1]، فهذه الفقرة معبرة عن الغموض الذي يلف الكثير من كتابات هيكل ويستخدمه للتبرير أو التمرير، ويستغل فيه خيال القارئ لسَدِّ ثغرات في النص، فللقارئ أن يتصور ما يشاء بخصوص ماهية القصص والحكايات التي ذاعت في أخبار اليوم في ربيع 1957، حيث لم يكن معظم القراء قد عاصروها، وللقارئ أن يتصور ما يشاء عما هو العام الذي اختلط بالخاص، ولماذا لا يريد أن يخوض في التفاصيل، وهذا أحد أساليب الطريقة الصحفية في كتابة التاريخ.

ومنها إشارته – في لقاءات مع الأديب يوسف القعيد – إلى شريط تسجيل جاء به مصطفى أمين إلى جريدة أخبار اليوم ويبدو أن به أشياء تَمَسُّ حزب الوفد، ويسأله يوسف القعيد سؤال مباشر "ما هو الشريط الذي أحضره مصطفى أمين وماذا كان عليه؟!"، وغم أن السؤال كان محددًا فقد شملت إجابة هيكل صفحة كاملة، وأسماء سبعة شخصيات تاريخية، وذهب بنا حتى عصر الثورة الفرنسية، وكل هذا ليس له علاقة بالسؤال، وفي النهاية لم تَتِمَّ إجابة السؤال[2].

ومن الأمثلة ما ذكره في معرض حديثه عن تَوَقُّعِ الخطة المصرية قبل حرب أكتوبر لاحتمالية قيام العدو بهجوم مضاد "ومن الغريب أن تفاصيل هذه الخطة تكاد تشير بالتحديد لمنطقة "الدفرسوار"، وتعهد إلى احتياطي القيادة العامة، وهو فرقتان من المشاة الميكانيكية المتحركة تظلان غربي القناة، ولا تشاركان في العبور لتكون لهما حرية الحركة في أي لحظة إزاء أي مفاجأة، (وهذه الخطة كانت وراءها قصة تُقَارِبُ الخيالَ، ولَعَلَّهَا تستحق أن تُحْكَى ذات يومٍ بتفاصيلها وأبطالها)"[3]، وللقارئ أن يذهب بخياله كما يشاء في تأويل كلام هيكل عن القصة التي تُقَارِبُ

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص69.

(2) يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر – عبد الناصر والمثقفون والثقافة، مرجع سابق، ص ص 184-185.

(3) هيكل: استئذان في الانصراف، مصدر سابق، ص16.

الخيال، وهل هناك تواطؤ في الأمر أم إهمال أم أشياء أخرى وعوامل مختلفة أَدَّتْ لدفع هذا الاحتياطي إلى الأمام، لم يُوَضِّحْ هيكل أبدًا، وهذا أسلوب بالطبع تَقْبَلُهُ الإثارة الصحفية، لكنه أمر قادح تَأْبَاهُ الكتابةُ التاريخية.

20.4 استخدام الخطاب العاطفي:

استخدم هيكل الأسلوبَ العاطفي في مخاطبة القارئ واستمالته في بعض المواضع؛ ليوازن به ضغوطًا مُعَاكِسَةً إعلامية أو شعبية، متحدثًا عَبْرَ ذلك الأسلوب عن مشاعره الشخصية أو عن مواقف مشحونة بالعاطفة مَرَّ بها على المستوى الشخصي أو الأُسَرِيِّ.

فمن ذلك تعليقه على زيارة السادات للقدس المعروفة باسم (مبادرة السلام)، التي استقبلها الشعب المصري - كما يؤكد هيكل نفسه - استقبالًا حافلًا، غير أنه يعلِّق عليها قائلًا "أعترف على استحياء أنني لم أتمالك نفسي ذات مرة حين سمعت إذاعة القاهرة تتحدث عن ترتيبات وصول الرئيس السادات إلى القدس مساء يوم 19 نوفمبر، وتقول أول ما تقول إن سربًا من مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلي سوف يخرج للقاء طائرة الرئيس السادات، لم أتمالك نفسي ولا أعرف لماذا لحظتها، فإذا أنا أُغَطِّي عيني بكَفِّي وأجهش في بكاءٍ لم أعرفه منذ تلك اللحظة الرهيبة التي وقفت فيها بجوار فراش جمال عبد الناصر وهو يَجُودُ بالنَّفَسِ الأخير، ولم أَسْتَطِعْ ضبط مشاعري إلا عندما أَحْسَسْتُ بيد تمس كتفي في رفق والتفت لأجد طفلي الصغير يرقبني بعينين تَمْلَؤهما الدموع والدهشة، شاعرًا أن شيئًا أَلَمَّ بي، ولكن مداركه لا تُسْعِفُهُ بتفسير لهذا الذي لم يَعْهَدْهُ فِيَّ من قبل"[1]، ويذكر قصة أخرى عن ابنه وكيف ملأت الدموع عينيه عندما وجد صحيفة أمام طاولة والده وكُتِبَ عليها عنوان ضخم في الصفحة الأولى (الكذاب)، وكان الموضوع عن والده، وحاول الأب مواساة ابنه أن الحقيقة ستظهر يومًا ما، فقَبَّلَ الابنُ رأس والده وانصرف[2].

---

(1) هيكل: حديث المبادرة، مصدر سابق، ص39.

(2) المصدر السابق، ص11.

21.4 عبارات التوكيد:

من الأساليب التي استخدمها هيكل في كتاباته الإسراف في استخدام عبارات التوكيد، فهي من أساليب التأثير المباشر على القارئ، وقد قَلَّلَ منها هيكل لاحقًا، مُفَضِّلًا الأساليبَ غير المباشرة، فمن أمثلة عبارات التوكيد "شيء واحد فقط.. هو الحقيقة، هو - ولا شيء غيره - كل الحقيقة، وما عداه مجرد خيال"[1]، "تقيم الدليل المادي عليها بما لا يقبل.. حتى مجرد المناقشة"[2]، "تلك حقيقة لا تحتمل الجدل أو النقاش"[3]، "تلك حقيقة لا مجال لإنكارها"[4]، "وأنا واثق مما أقول"[5]، "الوحدة هي حتمية التاريخ، قادمة، قادمة، دون شك أو ريب"[6]، "وتَحَقَّقَ انتصارٌ عسكري لا سبيل إلى مناقشته في اليمن"[7].

ومن أساليب التوكيد التي يستخدمها هيكل التكرار، تكرار كلمة أو جملة كثيرًا لتأكيد وقعها ومعناها في الكلام؛ ففي إحدى مقالاته كرر كلمة (وحدة) اثنتي عشرة مرة، وكرر كلمة (استعمار) ست عشرة مرة[8]، وفي مقالة أخرى - مُثْنِيًا على عبد الناصر وشجاعته في المواقف المختلفة- كَرَّرَ جملة (كيف كانت دَقَّاتُ قلبه) إحدى وعشرين مرة[9]، وتكرَّر هذا في مقالاته.

---

(1) هيكل: هل بحث الأقطاب العرب الأربعة مشروع أيزنهاور، آخر ساعة، 1957/3/6.

(2) هيكل: سؤال واحد - ماذا فعل إذًا جيش إسرائيل؟، آخر ساعة، 1957/4/3.

(3) هيكل: بلغاريا وتصرفاتها العجيبة معنا، الأهرام، 1960/1/28.

(4) هيكل: أزمة المثقفين (1)، الأهرام، 1961/6/2.

(5) - هيكل: البحث عن نهاية (7)، الأهرام، 1958/12/20.

-هيكل: عاصفة على العالم العربي، الأهرام، 1962/3/23

(6) هيكل: مشهد مثير من التاريخ الحي القريب، الأهرام، 1962/4/20.

(7) هيكل: فكرت إسرائيل في القيام بغارة على قواعد الصواريخ المصرية، الأهرام، 1963/4/26.

(8) هيكل: تطور هام في الموقف، الأهرام، 1959/2/10.

(9) هيكل: تحية له، الأهرام، 1960/1/10.

4. 22 وَضْع الحوار على أَلْسِنَةِ الآخرين لتوكيده:

من الأساليب الإقناعية التي اتَّخَذَهَا هيكل كذلك وَضْعُ ما يريد أن يقوله على أَلْسِنَةِ الآخرين تعضيدًا لكلامه، وقد بدأ هذا الأسلوب منذ مقالاته الأولى، من ذلك قوله مُوَجِّهًا حديثه للملك في يوم مولده "أذكر أنني سألت السيناتور "ميد" - أحد الشيوخ الأمريكان الذين زاروا مصر منذ عدة أشهر.. وكان قد تَشَرَّفَ بمقابلة جلالتكم ظهر اليوم نفسه - عن رأيه فيكم، فقال: صدقني يا بني لقد رأيتُ ملوكًا كثيرين قبل ملككم، وقابلتُ عظماء كثيرين قبل أن أقابله، ولكني لم أَجِدْ من أحدهم هذا الحبَّ لبلاده، الذي يبدو واضحًا خلال حديثه عنها كما هو الحال مع فاروق[1]، ويسأل الوزير الصيني المفوض: كيف رأيت ملكنا، فيجيبه "هو أذكى ملك قابلته في حياتي الطويلة في السلك السياسي"[2].

ومنها قوله "قال لي (روبرت فورد) سفير كندا في موسكو: "لا أعرف إذا كنتم ترون بوضوح مدى الأهمية التي علقوها على مجيء وفدكم هنا، أن يخرج الثلاثة الكبار بريجينيف وكوسيجين وميكويان في كل مناسبة مع عبد الناصر هذا شيء لم يَحْدُثْ من قبل لأي زائر أجنبي جاء موسكو، ثم قال: هل تعرف أنني معجب بالطريقة التي تحتفظون فيها بتوازن سياستكم الخارجية"[3]، وفي سياق مُقَارِبٍ يقول "أحد مساعدي الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي قال لي: إن الصيغة التي عثر عليها جمال عبد الناصر فيما يحصل عليه من العالم الخارجي مذهلة: سلاح ومصانع من روسيا، وقمح من أمريكا، أمريكا لم تكن تستطيع أن تبيعه سلاحًا أو مصانع.. ذلك ضد سياستها، وروسيا لم تكن

(1) هيكل: في يوم عيدك يا مولاي، روز اليوسف، 1944/5/11.

(2) هيكل: مصر والصين.. حديث مع الوزير الصيني المُفَوِّض، روز اليوسف، 1944/10/5.

(3) هيكل: بعد زيارة لندن، الأهرام، 1965/8/6.

تستطيع أن تبيعه قمحًا.. ليس لديها فائض منه، واستطرد محدثي: قل لي كيف عثر على هذه الصيغة، وكيف استطاع بهذا النجاح تطبيقها؟!"[1].

وأحيانًا يستخدم أسلوبَ المتحدث المجهول ليضع على لسانه ما يريد قوله، مثل (يعتقد البعض..)، أو (يرى الكثيرون أنه..)، فيُسْنِدُ إلى المجاهيل، ومن ذلك قوله "جاء دخول العراق إلى الكويت هدية من السماء لصناع القرار الأمريكي، مما دعا كثيرين إلى الظن بأنه (تدبير أمريكي) وليس خطأ حسابات عراقيًا"[2].

4. 23 الأسلوب القصصي:

يستخدم الأستاذ هيكل الأسلوبَ القصصي أحيانًا في كتاباته لإيصال المعني المراد من خلال هذا الشكل المحبَّب إلى كثير من القراء، وقد تَتَّسِعُ القصة لتُشَكِّلَ كاملَ المقالة أو صفحات مطوَّلة من كتاب، وقد تقتصر على جزء من مقالة أو صفحة من كتاب، وقد تكون قصة مكتملة بالمعنى البنائي للقصة أو تكون جزءًا من قصة[3]، وتظهر بين الحين والآخر في مقالات الأستاذ هيكل وكتبه الأنماطُ الثلاثة للفن القصصي وهي العنصر السَّرْديّ الروائي، والعنصر الوَصْفِيّ، والعنصر الحِوَارِيّ[4].

والنمط هو الطريقة المستخدمة في إعداد النص وإخراجه من أجل تحقيق غاية الكاتب، ولكل فن أدبي نمط يتناسب مع موضوعه، ولكل نمط بنية تتلاءم مع الموضوع المطروح، وعادة ما تتداخل الأنماط بحيث يجمع الكاتب عدة

---

(1) هيكل: ليس بالتهويل.. ولا بالتهوين، الأهرام، 1965/12/31.

(2) هيكل: الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، مصدر سابق، ص317.

(3) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل - دراسة في البنية والأسلوب، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص276.

(4) المرجع السابق، ص275.

أنماط في النص الواحد، حيث يندر وجود نص أحادي النمط، أما إطلاق نمط معين على نص ما فيكون إشارةً للنمط الغالب عليه، فالنمط السَّرْدِيّ مثلًا قد يتضمن النمطَ الوَصْفِيّ أو الحِوَارِيّ أو كليهما[1].

وقد يجمع الاستخدامُ القصصي لهيكل في المقالات أو الكتب توازنًا بين الأنماط الثلاثة مرة واحدة، وقد يركّز على نمط منها، فيتمحور الاستخدام القصصي مثلًا حول السرد مع الاستعانة بقليل من الوصف أو الحوار، أو يتمحور حول الحوار مع قليل من السرد والوصف، وذلك دون أن تحتوي بالضرورة في كل موضع الشكلَ البنائي التقليدي للقصة من مقدمة وعقدة وحل - كما سيَتَبَيَّنُ لاحقًا - كما يمكن أن يعتمد أسلوب اليوميات، كما في رِحْلَتَيْهِ لموسكو والجزائر مع عبد الحكيم عامر[2]، ووصفه لرحلات آسيا[3]، كما يمكن أن يأتي الأسلوب القصصي في صورة صفحة من مذكرات السيرة الذاتية، ومن أمثلتها مقالة اشتملت على قصة تعيينه وزيرًا للإرشاد القومي شارحًا بالتفصيل ملابساتها، ومستخدمًا الأنماط الثلاثة المذكورة آنفًا[4]، وفي كل تلك المواضع كانت القصة وسيلةً وليست غاية، وسيلةً لجذب القارئ ولإيصال الرسائل السياسية المختلفة إليه، فظل هيكل الأديب دومًا في خدمة هيكل الصحفي والسياسي.

وقد اكتسب هيكل تلك الأنماطَ القصصية مبكرًا من خلال التحقيقات الصحفية المُطَوَّلَةِ التي كان يجريها وحاز بواسطتها جائزة فاروق الأول

---

(1) خصائص السرد والوصف، منهج التعليم الثانوي بدولة الجزائر.
http://www.amaltilimsan.net/t2378-topic#ixzz2AxlJ0bS7

(2) هيكل: أسرار رحلة عبد الحكيم عامر للاتحاد السوفييتي، الأهرام، 1957/11/21.
- هيكل: ليلة طويلة.. طويلة في الجزائر، الأهرام، 1965/6/25.

(3) - هيكل: موعد مع الشمس: نظرة طائر على آسيا، الأهرام، 1973/2/16.
- هيكل: بوتو وباكستان، الأهرام، 1973/4/6.

(4) هيكل: إيضاح، الأهرام، 1970/5/8.

للصحفيين الشبان عدة مرات، ومنها تحقيقات (خط الصعيد)[1] و(الكوليرا)[2] و(النار فوق الأرض المقدسة) قُبَيْلَ حرب فلسطين[3]، وغيرها.

ويستخدم هيكل القالبَ القصصي في إيصال المعلومة بطريقة غير روتينية والرسائل غير المباشرة، كما في مقالة (كيسنجر وأنا) عن قصة المحاولات والاتصالات التي تَمَّتْ لإجراء لقاءٍ بينه وبين كيسنجر قبل حرب أكتوبر، فكشفت بطريقة شبه مباشرة عن الاتصالات بين الولايات المتحدة ومصر في تلك الفترة[4].

كما يستخدمه في تبسيط التحليل السياسي للقارئ، فيُورِدُ القصة متضمنة التحليل، أو التحليل في صورة قصة، وذلك حين يريد العودة لجذور المسائل السياسية[5]، ففي مقالته (نحن وإسرائيل) يستعرض قصة الصراع العربي الإسرائيلي وتطوره مع المراحلِ المختلفة منذ ما قبل وعد بلفور ومرورًا بالحربين العالميتين وما تلاهما من نمو الوعي القومي وصعود حركة القومية العربية[6].

ويروي قصة الجاسوس الإسرائيلي (إيلي كوهين) الذي وصل لمواقع مُقَرَّبَةٍ من الحكم في سوريا في أواسط الستينيات، موضحًا دَوْرَ المخابرات المصرية في كشفه رغم أنه يعمل في سوريا، وهي رسالة تحمل في طياتها مفاخرةً بالدور المصري، وإحراجًا لأجهزة الحكم البَعْثِيَّةِ في سوريا، التي كانت تُزَايِدُ وقتها على الحكم المصري[7].

---

(1) هيكل: خُطّ الصعيد، آخر ساعة، 1947/8/13.

(2) هيكل: الموقعة الأولى في حرب الكوليرا، أخبار اليوم في ميدان المعركة (1)، أخبار اليوم، 1947/9/27.

(3) هيكل: النار فوق الأرض المقدسة، أخبار اليوم، 1948/5/1.

(4) هيكل: كيسنجر وأنا، الأهرام، 1972/12/29.

(5) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل – دراسة في البنية والأسلوب، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص305.

(6) هيكل: نحن وإسرائيل، الأهرام، 1961/5/12.

(7) هيكل: دور مصر، ومسؤوليتها، وقَدَرها!، الأهرام، 1968/1/19.

ويستخدم هيكل أحيانًا أسلوب (الراوي العليم) أو الراوي الخارجي، الذي يروي القصة باعتباره عليمًا بما يَعْتَمِلُ في نفوس أصحابها وما يدور في عقولهم[1]، ومن ذلك قصة لقاء سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا بعبد الناصر، ثم معرفته بعد اللقاء أن جلوب باشا القائد البريطاني للجيش الأردني قد تَمَّ طَرْدُهُ، ويصف هيكل مرارته في مقر إقامته وإحساسه أن عبد الناصر قد خَدَعَهُ مما حَرَمَهُ من النوم ليلتها[2]، وقد اسْتَرْسَلَ في وصف خبايا مشاعر وزير الخارجية وأحواله داخل مَقَرِّهِ على طريقة الراوي العليم، تاركًا للقارئ رسالة على مدى تأثير صانع القرار المصري حتى على وزير خارجية الإمبراطورية التي كانت لا تغرب عنها الشمس، والتي كانت حتى سنوات قليلة سابقة تَسْتَقِرُّ بقواتها فوق الأرض المصرية.

4. 23. 1 النمط السَّرْديّ الروائي:

السَّرْدُ اصطلاحًا هو إخبار من ضميم الواقع أو نسج الخيال أو من كليهما معًا في إطار زماني ومكاني بِحَبْكَةٍ فنية مُتْقَنَةٍ، ويغلب عليه الزمن الماضي وكثرة الروابط الظرفية والأسلوب الخبري، وهو من أكثر أنواع الفنون الأدبية جذبًا للقارئ وتشويقًا له[3].

قد يسترسل هيكل في السرد ليتمكن من إيصال رسالة سياسية معينة للقارئ، ففي روايته لقصة زيارة جمال عبد الناصر لدمشق للمرة الأولى يسترسل لِيَمْلَأَ نفسَ القارئ بالفخر برئيسه والثقة بقوة روابط دولة الوحدة الجديدة[4]، وأحيانًا

(1) عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل – دراسة في البنية والأسلوب، رسالة دكتوراه، مرجع سابق، ص295.

(2) هيكل: الخطر الناصري، الأهرام، 1963/1/25.

(3) خصائص السَّرْد والوصف، منهج التعليم الثانوي بدولة الجزائر.

http://www.amaltilimsan.net/t2378-topic#ixzz2AxlJ0bS7

(4) هيكل: جمال في دمشق، الأهرام، 1958/2/25.

يمتزج السرد بالوصف، مثلما حدث في سرده للوقائع الأخيرة في حياة رئيس الأركان الفريق عبد المنعم رياض[1].

4. 23. 2 النمط الوصفي:

الوصف اصطلاحًا هو الرسم بالكلام الذي ينقل مشهدًا حقيقيًا أو خياليًا للأحياء أو الأشياء أو الأمكنة بتصوير خارجي أو داخلي من خلال رؤية موضوعية أو ذاتية أو تأملية، أما النمط الوصفي فهو الطريقة التقنية المستخدمة، ويقوم على: النظر الثاقب، والملاحظة الدقيقة، والمهارة في التعبير والربط[2].

والاستغراق في الوصف وصولًا لأدق الأشياء إحدى وسائل هيكل للتأثير على القارئ من ناحية جذبه لكتاباته وكَسْرِ الأنماط التقليدية لتقديم المعلومات السياسية، وفي الوقت ذاته يكون الوصف دومًا مؤديًا رسالةً ما تصل للقارئ، إما عن حرارة استقبال، وإما عن أبهة مكان، وإما عن مكانة ضيف أو مضيف، إلى غير ذلك من الرسائل.

فعلى سبيل المثال يستغرق هيكل في وصف استقبال الاتحاد السوفييتي للواء عبد الحكيم عامر في نوفمبر عام 1957 "سيارة سوداء من طراز "زيس"، تمرق من الباب الرئيسي للكرملين، وتلف حول القصر الرئيسي، ثم تَعْبُرُ أمام الكنائس الصغيرة بِقِبَابِهَا المتعددة التي تقع وسط الساحة الكبرى للكرملين، ثم تتجه إلى اليسار حيث باب صغير لأحد القصور الكبيرة في هذا المكان العجيب، الذي يلعب سادته دورًا هائلًا في توجيه مجرى الحوادث في العالم، ويسيطرون على قُوًى هائلة، تبدأ بالفكرة الحمراء نفسها، وتنتهي بالأقمار السابحة في الفضاء.. تنتظر أقمارًا أخرى في الطريق إليها.. ربما هذه الدقيقة

---

(1) هيكل: في تحية عبد المنعم رياض "الجنود القُدَامَى لا يموتون"!، الأهرام، 1969/3/14.

(2) خصائص السرد والوصف، منهج التعليم الثانوي بدولة الجزائر.

http://www.amaltilimsan.net/t2378-topic#ixzz2AxlJ0bS7

بالذات وربما الليلة أو غدًا.. من يدري؟! السيارة السوداء الكبيرة طراز "زيس" تتوقف، يهبط منها عبد الحكيم عامر، يتبعه الماريشال "مالاندين" الذي كان مُكَلَّفًا بمرافقته طوال فترة إقامته في الاتحاد السوفييتي"[1]، فهو هنا يصف أمرين: عظمة الاتحاد السوفييتي، وتفوقه علميًا، وكذلك حُسْن استقباله للقائد العام للقوات المسلحة المصرية.

ويصف هيكل إقلاعه مع إحدى قاذفات القنابل لتقصف مواقع المتمردين باليمن، فيصف بِدِقَّةٍ كُلَّ ما داخل الطائرة، ويصف كابينة القيادة التي دُعِيَ للجلوس داخلها، ويصف دِقَّةَ التصويب والروح المعنوية وغير ذلك[2]، وهكذا يستخدم الوصف في إيصال صورة التفوق العسكري في اليمن، ودِقَّةِ العمليات والتحضير والنتائج، كل ذلك في أسلوب قصصي ذي نمط وصفي لا يُفَوِّتُ أَدَقَّ التفاصيل.

ويصور رفاهية تيتو رغم أنه زعيم دولة شيوعية "كنت أسير بجوار تيتو نتحدث وعلى الأرض تجري أمامنا أسراب طائر الفيزان الملكي، أغلى طائر في العالم، وفي "فانجا" من هذه الطيور ألفان، وبالقرب منا كانت تتهادى قطعان الغزلان، وماريشال يوغوسلافيا يهوى النظر إلى قُطْعَانِ الغزلان"[3].

وبالإضافة إلى التشويق، فإن استخدام النمط الوصفي هو من أساليب الكتابة التاريخية في المدرسة الصحفية، وفيه فائدتان، الأولى إمتاع القارئ، والثانية - وربما هي الأهم - هي جذب القارئ إلى تصديق الكاتب بطريقة لا شعورية، فعلى سبيل المثال يصف هيكل قصة انضمامه للأهرام عام 1957 بعد امتناعه في العام السابق، وحديثه بخصوص ذلك مع علي الشمسي باشا أثناء وجودهما في نادي الجزيرة "وقال الشمسي (باشا): (إن الماء يكذِّب الغطاس، وها هو بيت الأستاذ

---

(1) هيكل: أسرار رحلة عبد الحكيم عامر للاتحاد السوفييتي، الأهرام، 1957/11/21.

(2) هيكل: تقرير من اليمن، الأهرام، 1963/3/8.

(3) هيكل: رأيتُ الدنيا على حافة الهاوية (6)، الأهرام، 1958/07/27.

ريمون شميل (المسؤول القانوني للأهرام) على طرف نادى الجزيرة البحري فلنذهب إليه الآن ونتكلم)، وذهبنا إلى بيت ريمون شميل على غير موعد، وكان الرجل جالسًا في صالون بيته إلى البيانو وأصابعه تجري على المفاتيح بلَحْنٍ كَنَسِيٍّ لـ(باخ)"[1]، فالقارئ الذي يقرأ هذه التفاصيل المحددة يخرج من ذهنه أن الكاتب يمكن أن يكون قد خادعه، وأنه لم يكن هناك لقاء من الأصل ولا كان هناك لقاء في النادي ولا بيانو ولا كان يَعْزِفُ لـ"باخ"، فالقارئ هنا يَقَعُ لا شعوريًّا أسيرًا للتسليم بمصداقية للكاتب طالما أنه من شِدَّةِ دِقَّتِهِ يحدِّد موعد اللقاء ومكانه تمامًا ويَذْكُرُ المَعْزُوفَةَ التي كانت تُعْزَفُ.

4. 23. 3 النمط الحِوَارِيّ:

يستخدم هيكل النمط الحواري في القصة التي يأتي بها لا ليقوم الحوار بإيصال المعلومات والأفكار المباشرة فقط، وإنما أيضًا لإيصال كل الرسائل والإيحاءات غير المباشرة التي يريد هيكل أن تصل للقارئ.

وكمثال على ذلك يُقَدِّمُ هيكل قصة اللقاء الذي جرى بين عبد الناصر وبعض ضباط الانفصال: " أَقْبَلَ (جمال عبد الناصر) وعلى وجهه ابتسامة، ومَدَّ إليهم يدًا وقال بهدوء:

- أهلًا وسهلًا.

وتقدَّموا نحوه واحدًا واحدًا يصافحونه، وقال لهم:

- تفضلوا.

وجلس على أحد المقاعد.. وجلسوا أمامه، كل منهم شَدَّ نفسه على طرف مقعده وراح يتطلع إليه.. ومضت لحظات صمت.

---

(1) هيكل: بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص71.

وتَنَحْنَحَ أحدُهم مُتَأَهِّبًا للكلام وقال:

- سيادة الرئيس..

وسكت كأنما يحاول تجميع أوتار صوته معًا واستطرد:

- إنه كرمٌ منكم أن تتفضلوا بمقابلتنا بعد كل ما حدث، وقد كنا نثق أن هذا سيكون موقفكم بالنسبة لما نعلمه من حبكم لسوريا وللشعب السوري، وكان هناك من زملائنا من يقولون إن سيادتكم سترفضون الاستماع إلينا لأن ما حدث منا قد آلمكم، ولكن - سيدي - نحن نقسم لكم أن كل ما حدث لم يكن في حسابنا ولا في تصورنا.

وقال جمال عبد الناصر:

- أنا أعلم أن بعضًا منكم انساقوا في هذا الموضوع بحُسْنِ نية، وغُرِّرَ بهم، وصُوِّرَتْ لهم الأمور على غير صورتها الصحيحة، لكن ما حدث لم يَعُدْ مشكلة نوايا.. إنكم بما حدث، مهما كان من نواياكم، أسلمتم وطنكم إلى الرجعية المعادية لمصالح الشعب والمتعاونة مع الاستعمار.

وقال أحدهم وأظنه العقيد زهير عقيل :

- سيدي أقسم لكم أن بيننا كثيرين لا ينامون الليل، وهم يشعرون أن الأمة العربية ترميهم بالانفصال والرجعية.

وأضاف أحدهم:

- سيدي إن كثيرين بيننا واجهوا عقابَ ضمائرهم قبل أن يواجِهوا أي عقاب غيره.

وقال جمال عبد الناصر:

- إن الموضوع بالنسبة لي ليس موضوع عقاب.. إنه موضوع أكبر من ذلك، إنه مسألة مبدأ. وأقول لكم بوضوح إنني في حرب مع الاستعمار والرجعية ولستُ في حرب معكم، لقد اسْتَعْمَلُوكُم، وأنا أعرف أن بعضكم أخذ الأمور بالعاطفة السطحية، ولقد كنت طوال الفترة الأخيرة أقول لزملائي هنا: "نحن في حرب مع الاستعمار والرجعية.. ذلك مبدأ لا بُدَّ أن نمضي فيه إلى النهاية، لكن الحرب مع السطحية تصبح مجرد انتقام.."[1].

وهكذا بالحوار وحده الذي ينقله يوحي هيكل إلى القراء دون الحاجة إلى أي جهد إضافي مدى ندم السوريين على الانفصال وتسرُّعهم فيه، وأنهم وافقوا – صمتًا – على حقيقة أنهم خُدعوا، وأنهم استُدرجوا لفخ.

(1) هيكل: الحديث بين عبد الناصر وبين ضباط قيادة الانفصال في دمشق، الأهرام، 27/4/1962.

4. 24 الأسلوب الإنشائي والمبالغات:

أحيانًا يقع الأستاذ هيكل فريسة للمبالغات اللفظية، فيغلبه اللفظ الذي هو بارع في صياغته، وينقلب السحر بذلك على الساحر أحيانًا، وينتج عن ذلك ضَعْفٌ في المبنى أو خلل في المعنى، من جهة أصل المعنى أو من جهة دِقَّتِهِ.

فمن ذلك قوله "اختراع الصواريخ عابرة القارات جعل قاذفات القنابل مهما كانت سرعتها من الأسلحة القديمة.. توضع في المتاحف ولا تصلح للحروب"[1]، وفي ذلك مبالغة متسرعة، فحتى الآن - وبعد ستين عامًا على ذلك المقال - ما زالت قاذفات القنابل ذات أهمية كبيرة في الترسانة العسكرية للدول المالكة لها.

ويقول لعبد الكريم قاسم في بداية الخلاف بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة وعندما بدأت الإذاعة العراقية تكيل الشتائم لعبد الناصر ونظامه "ليت الصمم أصاب آذاننا لكي لا نسمع ما نسمعه الآن في بغداد يا سيدي، وليت العمى أصاب عيوننا لكى لا نراه الآن في بغداد يا سيدي، وليت الخرس أصاب ألسنتنا لكى لا تبدر منا حتى كلمة عتاب يا سيدي.. ولقد كان ذلك كله - أؤكد لك يا سيدي - يهون ولا يجري الذي جرى أو يكون"[2]، ثم يقول عنه بعد عدة أسابيع أن استحكم الخلاف "إنه من النوع الذي يحالف الشيطان، أي شيطان، وكل شيطان، ليساعده على ما يريد ويشتهي، إنه يريد أن يرتفع برأسه ولكن على جماجم الآخرين، إنه يريد أن يعلو مجده ولكن على الحطام وعلى الركام الباقي من أي مجد غيره، إنه يريد أن يعيش ولكن لا يُطَمْئِنُهُ على العيش إلا أن يتأكد أن الموت من حوله قد شمل كل كائن حي"[3].

---

(1) هيكل: البحث عن نهاية (7)، الأهرام، 1958/12/20.

(2) هيكل: يا سيادة الزعيم الأوحد، الأهرام، 1959/1/27.

(3) هيكل: ما هو المستقبل في العراق، الأهرام، 1959/4/6.

ويقول راسمًا صورة طوباوية للاتحاد الاشتراكي المنتظَر "أي شرارة يمكن أن تتولد من التقاء تجربة فلاح تعاوني صغير مع وزير مسؤول عن التعاون الزراعي!.. أي ثروة فكرية يمكن أن يعطيها طالب شاب بكل حماسة لمدير مصنع كبير تدور فيه ملايين الجنيهات.. وأتصور أنه في شهر المعركة الانتخابية سيكون الوطن كله خليةً ثورية متحركة.. المساجد تتحول إلى منابر لدراسة ميثاق العمل الوطني.. المدارس ستكون كلها حلقات بحث فيه وتعليم.. الجامعات سوف تحمل الميثاق إلى قلب القرية وإلى داخل المصنع لتشرحه بعلمها للسواعد التي تَبْنِي عِزَّةَ الوطن"[1].

ويتحدث مبالغًا مباهيًا بقوة الجيش والأسطول "جيشنا يملك الآن أقوى أسطول بحري في شرق البحر الأبيض، وغواصاته أكثر عددًا من غواصات الأسطول الأمريكي السادس العامل في البحر الأبيض، كذلك يملك أحدث قوة من قاذفات القنابل النفاثة البعيدة المدى، عدا أسلحته البرية التقليدية، وعدا أسلحته الأخرى التي تقطع بتفوق العلم العربي"[2]، ويقول "إن الجمهورية العربية تبني أقوى جيش في الشرق الأوسط وأقوى بحرية وأقوى طيران وأحدث سلاح للصواريخ"[3]، ويقول "إن مصر بصواريخ القاهر والظافر قد دخلت عصر الفضاء، وأحدثت نقلة تكنولوجية غير متصورة"[4]، كما يتحدث مبالغًا مباهيًا بالتجربة السياسية المصرية في الستينيات "من أهم المسائل التي تعرَّض لها الميثاق - في رأيي- إشاراته الواضحة المتكررة إلى ما يمكن أن نسميه هنا: "الطريق الثالث" نحو التقدم، إن مسألة "الطريق الثالث" هي من المسائل التي

---

(1) هيكل: ما هو الميدان الحقيقي للثورة الاجتماعية، الأهرام، 1961/11/7.

(2) هيكل: خطاب إلى صاحب الجلالة الملك سعود، الأهرام، 1962/1/26.

(3) هيكل: الفرق بين فلسطين والجزائر، الأهرام، 1962/9/14.

(4) هيكل: شعاع ضوء في أفكار القيادة العليا في إسرائيل (2)، الأهرام، 1962/12/14.

- هيكل: فكرت إسرائيل في القيام بغَارَةٍ على قواعد الصواريخ المصرية، الأهرام، 1963/4/26.

تخرج بأهمية الميثاق وقيمته، من النطاق المَحَلِّيِّ المصري، أو الدائرة القومية العربية إلى المجال العالمي الكبير.. وإني أثق أن مسألة "الطريق الثالث" سوف تثبت صلاحيتها، كمفتاح من أعظم مفاتيح التقدم التي أضافتها التجربة الثورية العربية في مصر إلى الفكر الثوري العالمي[1]، ويقول "إن التحول الثوري الذي تَمَّ في مصر يكاد - بغير مبالغة - أن يكون أروع نموذج أَنْجَزَتْهُ حركة الثورة الوطنية منذ بدأت دورتها الجديدة العظيمة بعد الحرب العالمية الثانية"[2].

وحتى بعد النكسة ظلت بعض المبالغات - وإن قَلَّتْ كَمًّا وكيفًا - لكنها ظلت موجودة، مثل "الكم العربي - حتى في أوضاعه الحالية - له طاقة كيفية يمكن تحريكها بسرعة خصوصًا في ظروف تحدي البقاء.. الثورة تيار غَلَّابٌ لا يسير في اتجاه التاريخ فحسب، وإنما هو نفسه صانع التاريخ"[3].

ويقول عن بعض القوانين التي صدرت في عهد السادات "وبصرف النظر عن أية نتائج إيجابية أسفرت عن القانونَيْنِ (قانون العيب)، و(قانون المدعي العام الاشتراكي) - ولم يحدث ذلك إلا بعد غياب السادات عن الساحة - فإن هذين القانونين يظلان رغم كل شيء من أكثر القوانين التَّحَكُّمِيَّةِ التي عرفها أي بلد من البلدان في أي عصر من العصور"[4].

وسقوط الأستاذ هيكل أحيانًا في بَرَاثِنِ الأسلوب الإنشائي البحت - المعتمد كلية على براعة اللغة على حساب المضمون - قد أعطى فرصة لناقديه ليأخذوا عليه هذا المأخذ، ففي كتابه (حرب الخليج - أوهام القوة والنصر)، وتعليقًا على فقرة يقول فيها "للتاريخ في الخليج حكايات طويلة يصعب أن يُمْسِكَهَا أحدٌ

(1) هيكل: الطريق الثالث، الأهرام، 1962/6/15.

(2) هيكل: حديث يَتَجَدَّدُ عن العمل الداخلي ومشاكله (3)، الأهرام، 1964/12/4.

(3) هيكل: ثم ماذا، الأهرام، 1967/11/3.

(4) هيكل: خريف الغضب، مصدر سابق، ص455.

بيديه، ويقبض على الحقائق فيها؛ لأنه سوف يكتشف أن إحدى يديه تملؤها قبضة من رمال الصحراء، كلما زاد الضغط عليها تَمَسُّكًا بها تسربت الرمال، ولم يَبْقَ منها غير ما يَعْلَقُ بالكف، وأما اليد الثانية فقبضة من مياه الخليج يتفحصها صاحبها فإذا بالماء كله يسيل ولا يترك إلا أثرًا من بَلَلٍ"[1]، يعلق د. حمد قائلًا "إن هذا النوع من الكتابة مجرد قصيدة هجاء، وموضوعات إنشاء غير مترابطة وتفتقر للدلالة"[2]، وفي موضع آخر يُعَلِّقُ "الأستاذ هيكل لا يُعْنَى بتحديد مدلول المصطلحات، بل إن النص في مجمله أقرب ما يكون للعمل الأدبي أو الروائي وليس بحثًا تاريخيًّا أو سياسيًّا أو علميًّا"[3].

4. 25 استخدام أساليب التشويق والإثارة الصحفية:

من أكثر ما يميز المدرسة الصحفية في الكتابة التاريخية - ويُؤْخَذُ عليها في آنٍ واحد - أنها كثيرًا ما تعمد لاستخدام أساليب الإثارة الصحفية في الكتابة التاريخية، فتستجلب المزيد من القراء ولكن على حساب الموضوعية وأحيانًا المعقولية، ولا تخلو كتابات الأستاذ هيكل من هذه المسألة المتسربة للكتابة التاريخية من الصحافة.

وقد أَوْرَدَ مرة إشارة موحية إلى ذلك حين قال "منذ بضع سنوات في كلية الصحافة بجامعة كولومبيا، حضرت حلقة دراسية افتتحها "مونتجمري كورتيس" مدير معهد الصحافة في الجامعة، بمحاضرة عن الخبر المثير المشوِّق، وأذكر أن "مونتي" كما كنا نسميه قال في محاضرته الأولى: إن الخبر المثير المشوق هو الذي يضم أربعة عناصر تجذب الناس أكثر مما يجذبهم أي شيء آخر: الدين،

(1) هيكل: أوهام القوة والنصر، مصدر سابق، ص261.

(2) د. حمد المرزوقي: أزمة الخطاب السياسي العربي - هيكل وحرب الخليج نموذجًا، مرجع سابق، ص ص113-114.

(3) المرجع السابق، ص118.

والمَلَكِيَّة، والجنس، والسر"، ثم يُرْدِفُ في المقالة ذاتها "إن القصة التي تجري في العالم العربي - في بعض جوانبها - تحوي كل هذه الملامح من عناصر الإثارة والتشويق، إن لكل من هذه العناصر دورًا في الصراع، الدين..؟ الملك سعود يحاول إقحامه في المعركة ليقاوم به الاشتراكية، الملكية..؟ أليس سعود ملكًا، وحسين ملكًا؟ وكان البدر ملكًا، وفيصل يريد أن يكون ملكًا.. إن الملوك بالجملة في القصة.. والأمراء من غير عدد، والجنس..؟ حريم الملك سعود يكفي لتوفير عنصره، ثم السر..؟ وفي قصة العالم العربي أسرار، يكفي أن يكون فيها لغز اللواء عبد الكريم، وشخصيته الغامضة الغريبة التي تحتاج إلى علماء النفس في الأرض كلها، ليَفُضُّوا مَغَالِيقَهَا، ويكتشفوا سراديبَها المُظْلِمَةَ المُوحِشَةَ!"[1].

ويرصد د. عبد المنعم سعيد الاستخدامَ المُوَسَّعَ لهذا، ليس فقط على مستوى المقالات العابرة؛ وإنما على مستوى الكتب المرجعية "فأول ما يلفت النظر في كتاب حرب الخليج أن اللغة المستخدمة فيه من المقدمة وحتى النهاية تقوم بدور المحيط الغامض في القصص البوليسية الذي يجعل القارئ يلهث دائمًا حول مفاجآت وشخوص وظلال لا يعرف متى تظهر لتنفرج الحبكة بعد تَوَتُّرٍ طويل.. تعالوا نتأمل لغة القصة البوليسية، والمؤثرات الصوتية لأفلام الرعب في عناوين بعض الفصول في الطبعة العربية: عالم غريب.. غريب!، عوالم الوهم، آفاق من الفراغ، وساوس إسرائيلية، نقطة اللاعودة، ساعات فاصلة، ضباب حول القمة، الأبواب المغلقة! وفي الطبعة الغربية: زمن الغربة، عقد الأوهام، موعد في حقل ألغام، الغبار قبل العاصفة، الفرصة الضائعة، خنجر في ظَهْرِ من؟ الطريق إلى الهاوية.. اللغة هنا موظَّفة عمدًا لإثارة الغموض والتوتر الذي هو مقدمة لتحليل يلقي المسؤولية على أطراف عديدة، إلا الطرف الأصيل في المشكلة"[2].

---

(1) هيكل: نار تحت الرماد في المشرق العربي، الأهرام، 18/1/1963.

(2) د. عبد المنعم سعيد: حرب الخليج والفكر العربي، مرجع سابق، ص21.

26.4 استخدام الاستدلال التاريخي العقلي:

يصف هيكل انسحاب الجيش المصري من سيناء عام 1956 ليتجنب الحصار بانسحاب الجيش الإنجليزي من دنكرك، وهو استدلال تاريخي يقارن الجيش المصري بجيش أقوى فينزع عن ذهن القارئ أي حرج في الأمر[1]، ثم يستعين بتشبيه دنكرك مرة أخرى بعد 1967 ليؤكد صمود الشعب المصري كما صمد الشعب الإنجليزي بعد دنكرك[2].

ويستدل على أن تلقي ضربة الانفصال ليس معناها خسارة معركة أمام الرجعية العربية بأن مصر لم تَخْسَرْ معركة التسليح عندما رفض الغرب أن يبيع السلاح عام 1955، ولم تَخْسَرْ معركة بناء السد العالي لمّا سحب دالاس عرض أمريكا بالمساعدة في بنائه[3].

وفي مَعْرِضِ تَصَوُّرِهِ لكيفية القضاء على إسرائيل يرى أن ذلك لن يحدث في حرب واحدة حاسمة، وإنما يحدث إذا ظهرت قوة عربية تستطيع أن تُلْحِقَ بالقوة الإسرائيلية هزيمة تلو هزيمة، فإن النتيجة المرجحة هي أن يهود إسرائيل سوف يدركون أنه لا مستقبل لهذه الدولة المصنوعة من الخرافات القديمة، وفي الغالب فإن كثيرين منهم في هذه الحالة سوف يَبْدَأُون مواكب الرحيل.. ويرى أن ذلك هو ما حدث في الحروب الصليبية، فإنها عبر عشرات السنين لم تَنْتَهِ بمعركة حاسمة واحدة، وإنما تعاقبت سلسلة من الهزائم

(1) هيكل: يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، 2/3/1957.

(2) هيكل: مجرد تمهيد لحرب أخرى، الأهرام، 24/5/1968.

(3) هيكل: تيار التاريخ لم يَتَوَقَّفْ، الأهرام، 2/3/1962.

أدركت بعدها الدولة الصليبية أنها ليست قادرة على التوسع، وليست قادرة على البقاء، ومن ثَمَّ بدأ التفكك والتحلل[1].

ويستدل على طبيعية ظهور مراكز القوى في الأجهزة الأمنية في غيبة النقاش المجتمعي عنها لحَصَانَتِهَا بما حدث حتى في أمريكا من سيطرة (إدجار هوفر) مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي الشهير الذي ظل في منصبه أكثر من أربعين سنة، و(آلان دالاس) مدير المخابرات المركزية الأمريكية الذي لم تَظْهَرْ مفاسدُ عهده إلا بعدِ إزاحته[2].

4. 27 الإثبات بنَفْيِ الضِّدِّ:

يستخدم هيكل هذه الطريقة المنطقية داخل بعض المَوَاطِنِ في المواضيع الجدلية التي يَكْثُرُ فيها اللَّغطُ، فيُثْبِتُ صوابَ رأيه فيها بإبطال ما دُونَهُ من الآراءِ.

ومن ذلك قانون تأميم الصحافة الذي أسماه قانون تنظيم الصحافة، فيستعرض في مناقشة مُطَوَّلَةٍ الشبهات ويُفَنِّدُهَا "والافتراضات التي يمكن أن تُنَاقَشَ جميعها تبدأ بسؤال واحد: هل كان التنظيم الذي صدر منذ يومين أو ثلاثة يستهدف تحقيق هَوًى أم أنه كان تطبيقًا لمبدأ؟ ونبدأ نستعرض افتراضات الاحتمال الأول، وهو أن يكون التنظيم الجديد استهدافًا لتحقيق هَـوًى، وفي هذه الحالة: ما الذي يمكن أن يكون هذا الهوى؟ هل يمكن أن يكون "هوى" الدولة من هذا التنظيم أن تَكْبَحَ جماح معارضة عنيفة ضد سياستها في الصحف؟.. معارضة تهز أركانها وتزلزل دعائمها؟! والرد البدهي على ذلك بالنفي الواضح؛ أولًا: لأن مفهوم الدولة عندنا استقام معناه منذ

---

(1) - هيكل: خط التفكير الاستراتيجي العربي، الأهرام، 1968/6/14.

- هيكل: مجموعة ملاحظات، الأهرام، 1968/8/23.

(2) هيكل: كيف تنشأ مراكز القوة، الأهرام، 1968/10/25.

تحملت ثورة 23 يوليو مسؤولياتها التاريخية، باعتبار الحكومة التي نتجت عنها إرادة شعبية، ولم تَعُدْ صِلَةُ الشعب بالحكومة صلة الصيد بالصائد - على حد تعبير سعد زغلول.. فهل يمكن أن يكون هذا الهوى هو الرغبة في إضافة موارد الصحف إلى خزينة الدولة علّها تسدُّ عجزًا أو تواجه نفقة؟ والرد البدهي على ذلك - أيضًا - هو بالنفي الواضح؛ أولًا: لأن مجموع ما تكسبه الصحف التي خضعت للتنظيم لا يزيد على مائة أو مائتي ألف من الجنيهات كل سنة، وهو مبلغ لا يمكن أن يكون في خزينة الدولة غير قطرة في بحر"[1].

وفي محاولته لربط مظاهرات الشباب في أواخر عام 1968 بحركة الشباب العالمية -للتقليل الضمني من ربطها برفض الأوضاع الداخلية - يقول "إن لديَّ سؤالًا بسيطًا أُوَجِّهُهُ إلى هؤلاء الذين يرون بانقطاع الصلة بين قضية الشباب في العالم وقضية الشباب في بلادنا، وهذا السؤال هو: هل شبابنا يعيش في عالمه وفي عصره أو هو في عُزْلَةٍ عنهما؟ إذا كان يعيش في عالمه وفي عصره فهو متأثر بما يتأثر به غيره.. وهذا طبيعي، وإذا كان لا يتأثر فهو إذًا في عُزْلَةٍ عن عالمه وعصره.. وهذا غير طبيعي، ولو صح لكانت تلك مشكلة أخطر، وإذًا - هكذا أظن - فإن قضية الشباب في بلادنا ليست بعيدة إلى هذا الحد عن قضية الشباب خارج بلادنا في الشرق أو في الغرب، في الدول المتقدمة أو في الدول النامية"[2].

---

(1) هيكل: الصحافة، الأهرام، 1960/5/28.

(2) هيكل: الشباب بين النيران والثلوج، الأهرام، 1968/12/6.

4. 28 الحكمة البَعدية والاعتراف:

أحيانًا يظهر في كتابات هيكل الاعتراف بالخطأ ولكن ليس في الصورة المباشرة؛ وإنما في صورةِ الحكمة المتأخرة، فمن ذلك حديثه عن تورُّط الجيش المصري في حرب فلسطين، فرغم أنه كان من الداعين لدخول الجيش المصري إلى فلسطين، فإنه بعد ذلك كتب يقول "وكان كل شيء يوحي بأن فَخًّا قاتلًا قد أُعِدَّ للجيش المصري لتحطيمه وإذلاله، وإنهاء أي حُجَّةٍ تنادي بالاعتماد عليه في ملء الفراغ الذي كانوا لا يَمَلُّونَ الإشارة إليه أو الحديث عنه[1].

وفي موضوع الوحدة فقد اعتمد هيكل في هذه القضية على استخدام بعض الأطروحات والحُجَجِ العاطفية، وخاصة في أسباب قيام الوحدة، أما في أسباب انهيار الوحدة فقد دعم أفكاره وآراءه ببعض الأطروحات والحجج العقلية والمنطقية والتاريخية.. وبالتالي يؤخذ عليه تأييده الكبير للتجربة في بدايتها، وأنه لم يلفت النظر لأخطائها إلا بعد حدوث الانفصال حينما عَرَضَ أسباب فشل التجربة ودور حزب البعث والرجعية العربية وقوى الاستعمار في التآمر على الوحدة[2].

وفي عام 1965 يكتب مقالًا كاملًا عن وجوب السماح للشيوعيين بحرية الحركة وطرح الأفكار دون تعامل بوليسي[3]، ولكن كان هذا بعد ست سنوات من مقالاته التي كانت تكيل الاتهامات لهم، والتي تزامنت مع بدء محنتهم مع السُّلْطَةِ، حيث عايشوا المعتقلات والتعذيب خلال تلك الفترة.

---

(1) هيكل: مَوْعِدٌ مع القَدَرِ، الأهرام، 1964/5/15.

(2) نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ص 134-135.

(3) هيكل: حديث يتجدد عن العمل الداخلي ومشاكله (10)، الأهرام، 1965/1/29.

وفي إدراك متأخر جدًّا يقول عن حرب 1967 "إننا قبل معركة الأيام الستة كنا قد أسأنا كثيرًا إلى صورتنا السياسية أمام العالم كله - الصديق فيه والعدو على حدٍ سواء - كانت إسرائيل تتحدث عن السلام وتستعد للحرب، وكنا نحن نتحدث عن الحرب.. ولا يبدو أننا كنا على استعداد لها، ونحن في عالم لا يريد الحرب.. وهذه حقيقة يجب أن نَعِيَهَا تمامًا ونُدْرِكَ أبعادها، إن شعوب العالم كلها مشغولة بمشاكلها، وليس فيها من يرضيه بسهولة - مهما كانت صداقته للعرب ولِحَقِّهِم المشروع - أن يجد أمامه من يَتَّخِذُ من الحرب لعبة قمار غير مسؤول.. أو ما يبدو أنه كذلك، وهذا خطأ وقعنا فيه كثيرًا.. وهو خطأ فادح، وأفدح منه أن الناس لا يغفرون لهؤلاء الذين تَرِنُّ ألفاظهم بأكثر مما تَرِنُّ أفعالهم"[1].

ويقول عن الحرب العربية الباردة - التي كان هو أحد أشهر فرسانها كما استعرضتُ سالفًا - "كان الصراع عنيفًا وقبيحًا بين التقدمي والتقليدي في العالم العربي، إن العالم العربي كله - التقدمي والتقليدي - لا يجب أن يشغله شيء عن صراعه الأساسي ضد عدوه"[2]، ويقول - بعد أربعين عامًا من وفاة عبد الناصر، وفي مَعْرِضِ تعليقه على طول عهد الرئيس مبارك - إن عَهْدَ عبد الناصر طال أيضًا أكثر مما ينبغي[3].

ويوضح د. جمال الشلبي أن مقالات هيكل ذات أهمية كبرى لفهم الوضع المصري في زمنه، لكن نشرها كان يحصل دائمًا متأخرًا بعض الشيء، مما كان يُضْعِفُ مصداقيتها وتأثيرها[4].

---

(1) هيكل: الحل بالقوة، الأهرام، 1967/11/10.

(2) هيكل: ختام تقرير عن ليبيا، الأهرام، 1969/9/19.

(3) هيكل: مبارك وزمانه (2)، ماذا جرى في مصر ولها؟، مصدر سابق، ص406.

(4) جمال الشلبي: محمد حسنين هيكل - استمرارية أم تحوُّل، مرجع سابق، ص209.

4. 29 سَكّ المصطلحات واستخدامها:

سك المصطلحات أحد أهم الوسائل التي استخدمها الأستاذ هيكل في نشر آرائه وفي توجيه القارئ - في آنٍ واحد - حيث يقود القارئ نحو فكرة معينة بأقل قَدْرٍ من الكلمات، فاشتهرت عنه مصطلحات أصبحت علامات يستخدمها الجميع من بعده، مثل: (النَّكْسَة)، (مراكز القوى)، (زُوَّار الفجر)، (المجتمع المفتوح)، (القوة الناعمة)، (سُلْطَة شَاخَتْ على مواقعها)، (بحر السياسة في مصر قد جَفَّ).. وغيرها من المصطلحات.

ويُلاحَظُ أن تلك المصطلحات كان لها أثر ذاتي كبير في الحياة السياسية المصرية وقتها، وأصبحت لها قوة دفع ذاتية من كثرة ترديد الناس لها جعلتها منفصلة عن تأثير كتابات هيكل، بل – للمفارقة - خارجة عن سيطرته أحيانًا.

فأما عن مصطلح النكسة فقد أراد له الذيوعَ والانتشارَ ليخفف من وطأة الهزيمة الكبيرة، وقد تناولت دراسةٌ تأثيرَ خطاب التنحي وكيف أَثَّرَتْ صياغته على موقف الرأي العام وحَشَدَتْهُ للتعاطف مع عبد الناصر، ويروي هيكل أن عبد الناصر ناقشه في سبب استخدام مصطلح (النكسة) بديلًا عن (الهزيمة)، فذكر له أن الهزيمة توحي بانكسار الإرادة، أما النكسة فلا تَشِي بالتوقف، غير أن "هيكل" نفسه لم يقع أسيرًا أبديًّا لمصطلحه، فكثيرًا ما استخدم وصف (الهزيمة) تعبيرًا عن واقع حرب 1967، فسرعان ما بدأ هو ذاته يصفها بهزيمة (الأيام الستة السوداء)[1]، و(محنة الهزيمة العسكرية في سيناء)[2]، وعندما تحدث عن مطلب

(1) هيكل: الجبهة الداخلية، الأهرام، 1967/11/17.

(2) هيكل: مجرد تمهيد لحرب أخرى، الأهرام، 1968/5/24.

تحييد أمريكا قال "أنا لا أطالبها ولا أتوقع منها أن تَفُكَّ ارتباطها بالعدو، ولكني مُطالَب – كمهزوم – بألَّا أترك سبيلًا إلى كسب الوقت إلا وسَلَكْتُه"[1].

ويفاخر هيكل أنه أول من سَكَّ عبارة (مراكز القوى) مبكرًا خلال خطبة كتبها هو - كسائر خطب عبد الناصر - وألقاها الأخير أمام مجلس الأمة الذي انْتُخِبَ على أساس دستور سنة 1964، والذي رَأَسَهُ أنور السادات، وكان نَصُّهَا "إن سيادة القانون لا بُدَّ لها أن تعلو على مراكز القوة"[2]، ثم كرر المصطلح بعد النكسة حتى اشتهر[3]، وأعاد استخدامه في صراعه مع المخابرات عام 1968[4]، ثم كرره بعد سقوط مجموعة مايو عام 1967، حتى أصبح هذا المصطلح هو التعبير الرسمي عن تلك المجموعة، ولم يَعُدْ في مقدور هيكل لاحقًا أن يُقنِعَ بأن الأمر كان صراعًا على السُّلْطَةِ بين طرفين لكل منهما رؤاه الوطنية[5]، كما اسْتُخْدِمَ في إدانة العهد بأكمله، فكان أحد المصطلحات التي خرجت عن سيطرة هيكل، فأضاف إليه، لكنه خصم من العهد الذي يدافع عنه، وعلى النقيض من ذلك، فهو أيضًا الذي أدخل مصطلحات اسْتَخْدَمَتْهَا لاحقًا بعض الأجهزة في مصر، مثل مصطلح (الشَغَب) و(القِلَّة المُنْحَرِفَة)، ففي إشارته إلى مظاهرات الشباب في أواخر عام 1968 قال إن الذين أثاروا الشغب قِلَّةٌ، دون السواد الأعظم من الطلاب[6].

---

(1) هيكل في حوار مع طلال سلمان، مجلة الصياد اللبنانية، 1971/6/10.

(2) حوار مع هيكل، الأسبوع، 2008/1/12.

(3) هيكل: نقطة على حرف، الأهرام، 1967/10/27.

(4) هيكل: كيف تنشأ مراكز القوة؟، الأهرام، 1968/10/25.

(5) كما ذُكِرَ في الفصل السابق.

(6) هيكل: الشباب بين النيران والثلوج، الأهرام، 1968/12/6.

الخاتمة

النتائج

رغم الأهمية البالغة لكتابات هيكل التَّأْرِيخِيَّة، فإن المكتبة الأكاديمية العربية ظلت تُعَانِي حتى الآن من ندرة الأبحاث الأكاديمية التي تتناول بالنقد والتقييم إنتاجَ هذا الكاتب، خاصةً في مجال الكتابة التاريخية التي له فيها إسهامات كبيرة كانت مثار اهتمامٍ وجدل بين المؤرخين المعاصرين، وكذلك بين قطاع كبير من المُهْتَمِّينَ بتاريخ مصر الحديث والمعاصر، فكان من المناسب إفراد دراسةٍ أكاديمية لتَنَاوُلِ الكتابات التاريخية عند محمد حسنين هيكل وتحليلها، وكان هذا الكتاب الذي اشتمل على أهم فصولها.

وتتضح أهمية هذه الدراسة في النظر إلى ما يُثَارُ في العقود الأخيرة حول الكتابة الجديدة في التاريخ؛ إذ تأتي هذه الدراسة كي تُضِيفَ جديدًا إلى البحوث التاريخية حول مدرسةٍ من مدارس الكتابة التاريخية التي يَتَأَثَّرُ بها جمهورٌ عريض من القراء، وهي (المدرسة الصحفية في الكتابة التاريخية)، هذه المدرسة مُمَثَّلَةٌ في هذه الدراسة بأشهر مُمَثِّلِيهَا على الإطلاق، ومن ثَمَّ مناقشة أداء هذه المدرسة، وخصائص إسهامها في الكتابة التاريخية، وتقييم هذا الإسهام بما له وما عليه.

تركز هذا الكتاب على الفصول التي تتناول الموضوعية والمصداقية في كتابات الأستاذ هيكل، وأجاب على التساؤل المتعلق بمدى الالتزام بالدِّقَّةِ وشمول العَرْضِ وغير ذلك من أَوْجُهِ الموضوعية، وذلك من خلال دراسة محدِّداتٍ وضعتها الدراسة للوقوف على مدى ارتباط كتابات الأستاذ هيكل بمعايير الموضوعية، ومن تلك المحددات الإحاطة بمعظم دقائق ووقائع الموضوع التاريخي، وتشمل الإحاطة بالأطراف المتداخلة فيه، والعوامل الفاعلة فيه، ومن تلك المحددات الدِّقَّةُ في إيراد

الوقائع التاريخية، والتحقق من المصادر ذات الصلة والمصداقية، ومنها عدم ظهور (الأنا) الصارخة للمؤرخ، الذي يظهر في إبراز دور الذات ومدح المقرَّبين وتشويه الخصوم، ومنها التوزيع المتوازن للكتابة طبقًا للأهمية، فلا يُسَلِّطُ المؤرخُ الأضواء على أحداث بعينها ويُلْقِي الظلال على أحداثٍ أخرى ليقود القارئ لنتيجة يريدها، ومنها استخدام معايير مُوَحَّدَةٍ – أو على الأقل متوازنة – لسرد وتقييم الأحداث التاريخية، أو بعبارة أخرى مشهورة: الكيل بمكيال واحد، لا بمكيالين أو مكاييل متعددة، تختلف باختلاف الأشخاص أو باختلاف العلاقة مع الشخص الواحد وتغيرها، ومنها الاهتمام بالسياق التاريخي للأحداث؛ فلا يُجَرِّدُ المؤرخُ الأحداثَ التاريخية من سياقها التاريخي مما يقود القارئ لنتائج مغايرة، ومنها عدم الانسياق وراء ميول دينية أو عرقية أو طبقية أو سياسية، أو الانصياع لضغوطات سُلْطَوِيَّةٍ انصياعًا يُوجِدُ فرزًا يُغَيِّرُ وقائع الحدث التاريخي.

وقد تَمَّتْ خلال هذا الفصل دراسةُ تلك المحددات عبر استعراض الكثير من نماذج كتاباته التَّأْرِيخِيَّة، وثبتَ وجودُ نقائص موضوعية حقيقية متعلِّقة بعدم شمول تلك الكتابات للمواضيع التي تبحثها، مما يُغَيِّبُ الصورةَ الكلية للقارئ إذا اكتفى بها، وافتقارها للتوزيع المتوازن للكتابة عبر الأحداث المختلفة، واستخدام الكاتب للأضواء والظلال على نطاق واسع، فيُسَلِّطُ الضوءَ على جانبٍ رفيع من المشهد، ويتجاهل حقائق أخرى ويضعها في الظلال، كما يستخدم الكاتب معايير غير مُوَحَّدَةٍ للتقييم التاريخي، ويُسْرِفُ في مَدْحِ المقربين كما يُسْرِفُ في تشويه الخصوم على أسس شخصية.

كما أجاب الكتاب عبر ذات الفصل عن التساؤل البحثي المتعلق بالتوثيق وطُرُقِهِ في كتاباته التاريخية، وذلك من خلال مناقشة مُوَسَّعَةٍ لمدى توثيق كتابات الأستاذ هيكل، ومناقشة طرق الحصول على الوثيقة، والتعامل مع مصدر الوثيقة، ثم في التعامل مع لغتها، ثم تعامله اللغوي معها في التعليق عليها

واستخدامها في توجيه القارئ، ومناقشة عدم التوثيق في بعض كتابات هيكل وأنواعه وأسبابه، ثم دراسة إحصائية تحليلية لمدى توثيق بعض الكتب التَّأْرِيخِيَّة الرئيسية لهيكل، مع تحليل ملاحقها الوثائقية، وقد خلصت الدراسة إلى أن الملاحق الوثائقية لكتب الأستاذ هيكل تتضخم بلا مبرر توثيقي حقيقي لكثرة ما فيها من وثائق منخفضة الأهمية، في الوقت الذي يعاني فيه مَتْنُ تلك الكتب من وجود الكثير من المعلومات غير الموثقة، ولم تَزِدْ نسبةُ توثيق المعلومات الرئيسية في أيٍّ من كتب الأستاذ هيكل عن 60%، في الوقت الذي لم تَزِدْ فيه نسبةُ الوثائق ذات الأهمية الحقيقية في أي من الملاحق الوثائقية للكتب عن الثلث.

ولعل أوضح ما رَصَدَتْهُ الدراسة من خَوَارِمِ الموضوعيةِ يدور حول علاقة هيكل بالسُّلْطَةِ، فحتى في تلك العهود التي عارض فيها كانت لغةُ معارضته وحِدَّتُهَا واتساعها وشمولها تختلف في أثناء العهد وبعد انقضائه؛ ففي أثناء تلك العهود تكون المعارضةُ ذاتَ شكل موضوعي ومحدَّد وتُحَافِظُ على ما أسماه هيكل (مقام الرئاسة)، بينما بعد انقضاء العهد يَزُولُ التحرزُ أو الاعتبار لمقام الرئاسة، وتغدو المعارضة أكثر شراسةً وسُفُورًا شكلًا وموضوعًا، وتصل إلى أوصاف مسيئة للحاكم.

كما يؤثِّر الانحيازُ السياسي والأيديولوجي للتجربة الناصرية على قراءة الأستاذ هيكل لتواريخ الحقب التي عاصرها وبعض ما قبلها، فتخرج قراءةً أيديولوجية يَشُوبُهَا التَّحَيُّزُ، تَنْتَقِي وتَحْذِفُ تبعًا لتلك التحيزات.

وقد تناولت الدراسة مرحلةَ نقد التجربة التي مَارَسَهَا هيكل عقب النكسة، وأوضحت أنها تَمَّتْ تحت رعاية عبد الناصر وحمايته، لكنها تظل تجربة مهمة ولافتة للنظر وجديرة بالمزيد من الدراسة، وأوضحت الدراسة - عبر أمثلة كثيرة - أن تَرَدُّدَ هيكل بين رغبته في المُضِيِّ قُدُمًا في نقد التجربة الناصرية - من باب سَدِّ ثغرة موضوعية في كتاباته - وبين خَشْيَتِهِ وضِيقِهِ من استخدامها

أيديولوجيًا - ضد الفكرة الناصرية وضده شخصيًا - هو الذي قاده أحيانًا نحو التخبط في مسيرته النقدية تلك، فما يثبته في موضع ينفيه في آخر، وما ينتقده في موضع يدافع عنه في آخَر.

وقد أجابت الدراسة عبر الفصل الثالث عن التساؤل البحثي حول مدى المصداقية في كتاباته التاريخية، وذلك عبر نَقْدِ العشرات من مرويات الأستاذ هيكل، ومقارنة مروياته بعضها ببعض، ومقارنتها بروايات الآخرين لها، ومنها ما يتعلق بالخطوات الأولى في حياة الأستاذ هيكل، ومنها ما يتعلق بالخطوات الأولى في علاقته بعبد الناصر، ومنها ما يتعلق بمسيرته السياسية والمواقف التي جمعته بالشخصيات السياسية الكبيرة، وأثبتت الدراسة عبر استعراض تلك الأمثلة الكثيرة ومضاهاتها أن كثيرًا من روايات الأستاذ هيكل لا تستقيم، فبعض تلك الروايات ينفي بعضها الآخر بصفة كُلِّيَّةٍ، وفي مواضع كثيرة تُنَاقِضُ بعضها بطريقة يتعذر معها الجمع بينها، ورصدت الدراسة أسباب الحَيْدِ عن المصداقية؛ إذ أُرْجِعَ بعض تلك النماذج إلى الرغبة الجامحة لصحفي ذي حِسٍّ تاريخي في أن يقول إنه كان في موقع الحدث التاريخي، وأُرْجِعَتْ نماذجُ أخرى إلى الرغبة في إعادة تكوين ماضٍ مجيد يكافئ الحاضر المجيد الذي أَحْرَزَهُ من خلال موقعه إلى جوار عبد الناصر وإنجازاته السياسية والصحفية، وبعضها كان للرغبة في التخلص من بعض مشاهد الماضي التي لا يراها مُنَاسِبَةً لما حَصَّلَهُ بعد ذلك من المجد، وتم عزو نماذج أخرى إلى الرغبة في تشويه خصوم سياسيين والحَطِّ من قَدْرِهِم، مثل النحاس باشا، ومحمد نجيب، والسادات، ومبارك، وسامي شرف، ومصطفى أمين، وغيرهم، وأُرْجِعَتْ وقائع منها إلى الرغبة في التغطية على بعض وقائع الفشل للنظام الذي ينتمي إليه، وبعض تلك النماذج غلب عليها الطابع الروائي، وكان غرضها تكوين جو من الإثارة الصحفية لإيصال الرسالة السياسية، كذلك تَمَّ رَصْدُ الكثير من اختلافات الترجمة بين الطبعات الإنجليزية والعربية لكتب الأستاذ هيكل، التي كانت في جُمَلٍ أو فقرات مُحَدَّدَةٍ، مما ينفي أن حَذْفَهَا في تلك المواضع كان خَشْيَةَ

التطويل، وكان لهذا التلاعب في الترجمة أغراض مختلفة.. إلى آخر ما تَمَّ استعراضُه في ذلك الفصل وأجاب عن التساؤل البحثي إجابة تفصيلية.

كما ركز الكتاب في الفصل التالي على أساليبَ التلطيف اللفظي عند هيكل، وعقد المقارنات، والاستشهادات الأدبية والشعرية، والتضفير الديني والاستعارات الدينية، واستخدام الأمثال الشعبية وضرب الأمثلة، واستخدام لغة الغموض، واستخدام الخطاب العاطفي، وعبارات التوكيد، ووضع الحوار على ألسنة الآخرين لتوكيده، والأسلوب القصصي بأنماطه السردية والوصفية والحوارية، واستخدام الأسلوب الإنشائي والمبالغات، واستخدام أساليب التشويق والإثارة الصحفية، واستخدام الاستدلال التاريخي العقلي، والإثبات بنفي الضد، وسَكّ المصطلحات واستخدامها.

وكشفت الدراسة في ذلك الفصل عن الخصائص التي ظهرت مبكرًا - في معظمها - في أساليب هيكل الكتابية، واستمرت معه وزادها الزمن ثقلًا وصقلًا، بينما توارت بعض الظواهر عبر الزمن مُفْسِحَةً المكان لغيرها، مثل الأسلوب المباشر والصريح في الهجاء الذي تَرَاجَعَ بعد النكسة مُفْسِحًا المجال لأساليب أخرى غير مباشرة تعتمد على التعريض والإيحاء كما ذُكر آنفًا، كما أوضح أن الاستعارات والتشبيهات هي أكثر الوسائل البلاغية التي استخدمها الأستاذ هيكل لنَيْلِ استحسانِ القارئ من جهة، والتأثير عليه فكريًّا من جهة أخرى، فمعظم استعاراته لها هدف إقناعي، وأن استخدام الاستعارات يؤدي بالضرورة إلى التركيز على حقائق وإلى إخفاء حقائق أخرى؛ إذ ستؤدي الاستعارة إلى التوجيه نحو لوازمها وصرف الانتباه عما عداها.

ويشتمل الكتاب على أربعة ملاحق، **اشتمل الملحق الأول** على رصد لمقالات هيكل في مرحلة ما قبل الأهرام، وهو أول رصد من نوعه لتلك المقالات، واشتمل الملحق الثاني على لائحة بكتب الأستاذ هيكل، وأشتمل الملحق الثالث على الدراسة التحليلية لتوثيق معلومات كتاب (بين الصحافة والسياسة)، مع تقييم

للملحق الوثائقي لذلك الكتاب، كما اشتمل الملحق الرابع على صورة أول مقالة **نُشِرَتْ للأستاذ** هيكل بتوقيعه، وكانت بعنوان (كنت أتمنى أن أكون معهم)، حيث نُشِرَتْ في روز اليوسف في 1943/8/19، ولم يُشِرْ أيٌّ من المراجع إلى تلك المقالة قبل هذه الدراسة، واشتمل كذلك على صور عدة وثائق أخرى.

وقد وصلت الدراسة إلى نتيجةٍ مُؤَدَّاهَا أن كتابات الأستاذ محمد حسنين هيكل لا تُعَدُّ تأريخًا منهجيًّا؛ لافتقارها إلى الأدوات المنهجية حتى في مجال توثيق المعلومات التاريخية التي تَحُوزُ فيها تلك الكتابات شُهْرَةً شَعْبَوِيَّةً بخصوصها، كما لا تُعَدُّ تلك الكتابات شهادةً تاريخيةً يُعْتَدُّ بها؛ بسبب افتقارها إلى الموضوعية في مُحَدِّدَاتِهَا المختلفة التي تم سردها في الفصل الثاني، ولِضَعْفٍ في خاصية المصداقية كما ورد تفصيلًا في الفصل الثالث، على أنها تظل ذات أهمية كبيرة باعتبارها المرجعَ الأشهر للقراءة السياسية الناصرية للتاريخ، وهي مهمة للتعرف على الفَهْمِ والتصور الناصري لتلك المراحل والوقائع، فكتابات هيكل التَّأْرِيخِيَّة - حتى في تناولها للعصور القديمة والوسطى - تُعَدُّ قراءةً سياسية أيديولوجية في المقام الأول، تُرَكِّزُ على ما يَدْعَمُ تلك القراءة، وتَنْفِي ما يخالفها وتُبْقِيهِ في الظلام.

الملحق (1)

فهرس مقالات الأستاذ هيكل قبل مرحلة الأهرام

المطبوعة	العدد	التاريخ	العنوان
روز اليوسف	792	19/08/43	كنت أتمنى أن أكون معهم
روز اليوسف	803	04/11/43	رجل الدولار
روز اليوسف	809	16/12/43	ليس لأنه الملك
روز اليوسف	812	06/01/44	المرأة في السياسة
روز اليوسف	818	17/02/44	إنه الفاروق
روز اليوسف	827	20/04/44	أحاديث تهمك
روز اليوسف	830	11/05/44	في يوم عيدك يا مولاي
روز اليوسف	837	29/06/44	الغرام الأول
روز اليوسف	851	05/10/44	مصر والصين....حديث مع الوزير الصيني المفوض
روز اليوسف	859	30/11/44	الموقف الحالي يبرر الشدة الحاسمة_حديث مع اسماعيل صدقي باشا
آخر ساعة	567	19/08/45	حديث مع اسماعيل صدقي باشا
آخر ساعة	571	16/09/45	حديث مع هيكل باشا
آخر ساعة	577	28/10/45	حديث مع حسين سري باشا
آخر ساعة	580	18/11/45	حديث مع على ماهر باشا
آخر ساعة	582	02/12/45	حديث مع النقراشي باشا
آخر ساعة	588	13/01/46	سنلتقي من جديد
أخبار اليوم	83	08/06/46	رسالة مؤتمر بلودان
أخبار اليوم	93	17/08/46	فيضانات جرجا
آخر ساعة	632	04/12/46	قصة الفرار من سجن الحدراء
آخر ساعة	637	08/01/47	الخلية الشيوعية
أخبار اليوم	130	04/05/47	أخبار اليوم تتابع أسطورة آفاك في القدس
آخر ساعة	668	13/08/47	خط الصعيد

أخبار اليوم	151	27/09/47	الموقعة الأولى في حرب الكوليرا، أخبار اليوم في ميدان المعركة (1)
أخبار اليوم	152	04/10/47	الموقعة الأولى في حرب الكوليرا، أخبار اليوم في ميدان المعركة (2)
آخر ساعة	691	21/01/48	باب جرائم الأسبوع، سجن النساء
آخر ساعة	693	04/02/48	باب جرائم الأسبوع، سجن الرجال
آخر ساعة	700	24/03/48	مقتل الخازندار
آخر ساعة	701	31/03/48	ضبط مراسلات مع موسكو
أخبار اليوم	182	01/05/48	النار فوق الأرض المقدسة
أخبار اليوم	183	08/05/48	أسرار سقوط حيفا، الهاجاناه وأسرار العاصفة التي تجتاح فلسطين
أخبار اليوم	186	29/05/48	قائد الكوماندوز المصري يتكلم (مع أحمد عبد العزيز قائد القوات الأمامية الخفيفة للجيش المصرى)
آخر ساعة	710	02/06/48	جوارى لاظوغلي
أخبار اليوم	187	05/06/48	عند الخط الأول في ميدان القتال
آخر ساعة	712	16/06/48	الحرب في صومعة فيلسوف
أخبار اليوم	190	26/06/48	(أبو ديا)، أسطورة جريحة من فلسطين تعالج في القاهرة
آخر ساعة	714	30/06/48	في بيت لحم
آخر ساعة	717	21/07/48	أكبر قضية سياسية في تاريخ مصر
أخبار اليوم	198	21/08/48	ضابط مصري يهرب من تل أبيب
أخبار اليوم	199	28/08/48	أخبار اليوم تنشر مذكرات أحمد عبد العزيز
أخبار اليوم	209	06/11/48	معجزة تعيد النور إلى عيني بطل
آخر ساعة	734	17/11/48	كيف ضرب الأسطول المصري تل ابيب ونهاريا وقيصرية
أخبار اليوم	212	27/11/48	قصة الفالوجا تذاع لأول مرة
أخبار اليوم	218	08/01/49	هدية مصر إلى تل أبيب في رأس السنة
آخر ساعة	743	19/01/49	قصة الطيار الذي عاد من الآخرة
أخبار اليوم	226	05/03/49	الفالوجا تشهد أعظم أربعة أشهر في تاريخ مصر

آخر ساعة	751	16/03/49	السماء تمطر وردًا وشوكولا على أبطال الفالوجة
آخر ساعة	752	23/03/49	المفوضية الملكية في أثينا أجمل بنوت مصر في الخارج
أخبار اليوم	229	26/03/49	النشاط الشيوعي يقلق حلف الأطلنطي (أثينا من محمد حسنين هيكل)
آخر ساعة	753	30/03/49	الشيوعيون يحملون الملوك على الأعناق
أخبار اليوم	231	09/04/49	الباب الذي سيدخل منه الجيش الأحمر إلى الشرق (تركيا)
آخر ساعة	755	13/04/49	شعب يعبد الله وحكومة تعبد ترومان
آخر ساعة	757	27/04/49	ملكة اليونان تروي قصة عرشها لآخر ساعة
آخر ساعة	758	04/05/49	الملك عبد الله يسال: ما هو لون لحية مفتي فلسطين
آخر ساعة	759	11/05/49	الضباط الأردنيون يبكون إعتذارًا لمصر
آخر ساعة	765	22/06/49	من الذي سرق ثلاث يهوديات أسيرات
آخر ساعة	767	06/07/49	ثلاث نواب عرب في إسرائيل
آخر ساعة	769	20/07/49	كلمة سر الليل
آخر ساعة	771	03/08/49	الملك يريد جهاز تسجيل
آخر ساعة	773	17/08/49	ضبع الفالوجا ليس معتقلًا في الطور
آخر ساعة	774	24/08/49	أسرار من إنقلاب سوريا
أخبار اليوم	250	30/08/49	أخبار اليوم تعثر على أرملة حسني الزعيم
آخر ساعة	779	28/09/49	إسرائيل، العدو اذي حاربناه
آخر ساعة	782	19/10/49	قائد سرب الموت عبد الحميد أبو زيد، هل هو على قيد الحياة
آخر ساعة	787	23/11/49	كان هذا أكبر إستعراض على ارض مصرية
آخر ساعة	789	07/12/49	تقرير من إسرائيل
أخبار اليوم	268	24/12/49	سر خطير في إنقلاب سوريا
آخر ساعة	792	28/12/49	الإنقلب السوري الثالث
أخبار اليوم	269	31/12/49	دمشق عاصمة الإنقلابات والمؤامرات والمطامع
أخبار اليوم	273	28/01/49	العصابات الإرهابية اليهودية تتآمر على هياة بيفن وهو في القاهرة
آخر ساعة	799	15/02/50	الخطة دمشق من الذي باعها لليهود
آخر ساعة	801	01/03/50	مصري يملك مليون جنيه ويعيش في أدغال الحبشة

أخبار اليوم	276	04/03/50	تقرير من السودان، ألف باء السودان
آخر ساعة	804	22/03/50	ملك الملوك يخاف على عرشه من كنيسة قديمة
آخر ساعة	810	03/05/50	بعد عامين من الحرب الحكومة لم تصرف التعويضات
أخبار اليوم	291	03/06/50	أخبار اليوم تطير مع الأميرة فايقة إلى مصر (من اسبانيا)
أخبار اليوم	292	10/06/50	في إيطاليا حرب دافئة
آخر ساعة	822	26/07/50	مصر ترقص على البارود...تجمعات خطيرة على الحدود
آخر ساعة	823	02/08/50	مصر ترقص على البارود...القاهرة تصدر أسلحة إلى تل أبيب
آخر ساعة	824	09/08/50	مصر ترقص على البارود...حدود مصر مفتوحة أمام إسرائيل
آخر ساعة	825	16/08/50	الجيش غير مستقر
أخبار اليوم	304	02/09/50	كيف تعقب الموت 54 روحًا في السماء
آخر ساعة	830	20/09/50	57 جثة في يوم واحد
أخبار اليوم	313	04/11/50	قاتل الحناوي يقول أنه لا يعرفه !!
آخر ساعة	842	13/12/50	إذاعة سر حربي خطير.....هل السفير الأمريكي في تل أبيب هو الذي أنقذ مصر
أخبار اليوم	332	17/03/51	أخبار اليوم تطير إلى طهران للتحقيق في مصرع رئيس الوزراء
أخبار اليوم	333	24/03/51	الشاه إيران يتحدث إلى أخبار اليوم
أخبار اليوم	334	31/03/51	إنذار لإيران من أجل ثلاث عجول روسية هاربة
آخر ساعة	858	04/04/51	شاه إيران يتحدث......سر إبنته الأميرة شاهناز
أخبار اليوم	339	05/05/51	صحفي من شرفة الزوار يقترح على مجلس النواب الإيراني تأميم البترول
أخبار اليوم	342	26/05/51	أخبار اليوم في الخطوط الأمامية المصرية بفلسطين (الحدود المصرية)
آخر ساعة	867	06/06/51	وثيقة خطيرة ....أسرار الجيوش العربية توزع في منشورات

أخبار اليوم	351	28/07/51	أخبار اليوم تبحث عن سر ولي العهد
آخر ساعة	875	01/08/51	8 ملوك ورؤساء يشعرون أنهم سيغتالون
آخر ساعة	876	08/08/51	ميزانية ملك.. الملك عبد الله يترك وراءه ديونًا ضخمة
آخر ساعة	882	19/09/51	سر جيش إسرائيل
آخر ساعة	883	26/09/51	خمسون يومًا وصيًا على العرش...الأمير نايف الوصي السابق لعرش الأردن
آخر ساعة	884	03/10/51	لغز الأمير بهلوي
الجيل	1	01/11/51	هيا بنا إلى القصر الملكي
آخر ساعة	891	21/11/51	8 رجال من السودان
آخر ساعة	895	19/12/51	قاموس علاقات مصر الدولية، أين مصر من العالم اليوم
آخر ساعة	896	26/12/51	هذه هي الحقيقة في السودان
آخر ساعة	905	27/02/52	قبل أن يخنقنا الدخان.. من نحن، أين نحن، ماذا نريد، حوار مع محمود فوزي
آخر ساعة	915	07/05/52	هل يقول كافري.. وهل تسمع واشنطن
أخبار اليوم	396	07/06/52	الملك طلال يقرر قتل أحد وزرائه بالرصاص
آخر ساعة	921	18/06/52	لغز الملكة زين
آخر ساعة	927	30/07/52	أسكتوا أنتم ودعوا غيركم يتكلم !!
آخر ساعة	929	13/08/52	تطهير الصحافة
آخر ساعة	931	27/08/52	الكتب في خدمة الثورة، وليست الثورة في خدمة الكتب
			من هم ضباط قيادة محمد نجيب، (الأول: السكون الذي ترقد تحته عاصفة) [يقصد عبد الناصر وكان وقتها هناك إتفاق بعدم نشر أسماء الضباط أو الدعاية لهم]
آخر ساعة	932	04/09/52	أتركوا الجيش وأبتعدوا عنه وعن مصر
أخبار اليوم	410	13/09/52	مستوى الأدب ينحدر بسرعة في المعركة الإنتخابية.. الرئيس ترومان وأمهات أعضاء الحزب الجمهوري
آخر ساعة	934	17/09/52	ما هي الثورة ؟!!
أخبار اليوم	426	03/01/53	أخبار اليوم في كوريا.. هيكل أول صحفي مصري يطير إلى ميدان القتال
أخبار اليوم	428	17/01/53	النجم الأحمر فوق أفق اليابان

أخبار اليوم	431	07/02/53	أخبار اليوم في الصين.. هيكل عائدًا من فورموزا
آخر ساعة	957	25/02/53	إتجاهات الريح
أخبار اليوم	434	28/02/53	من الذى يحاسب ضباط مجلس القيادة
آخر ساعة	958	04/03/53	إتجاهات الريح
آخر ساعة	959	11/03/53	إتجاهات الريح
آخر ساعة	960	18/03/53	إتجاهات الريح
آخر ساعة	961	25/03/53	أسرار مملكة سيام
آخر ساعة	962	01/04/53	ثلاث حقائق تحم أسيا
آخر ساعة	963	08/04/53	حديث إلى الأمريكيين
أخبار اليوم	440	11/04/53	القصة الحقيقية وراء رحلة جمال عبد الناصر إلى المنصورة
آخر ساعة	964	15/04/53	حديث صريح عن صحافة مصر
أخبار اليوم	441	18/04/53	أحالوني إلى مجلس تأديب
آخر ساعة	965	22/04/53	بقية للحديث الصريح عن صحافة مصر
			كوريا سوف تصبح شيوعية
آخر ساعة	966	29/04/53	بدأت المباحثات
آخر ساعة	968	13/05/53	قدموا عبد الناصر معي إلى مجلس التأديب
			حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة بعد خمس سنوات(1)
آخر ساعة	969	20/05/53	بعد زيارة دالاس الموقف لم يتغير
			حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة بعد خمس سنوات(2)
آخر ساعة	970	27/05/53	على أبواب المعركة
			حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة بعد خمس سنوات (3).. حوار مع عبد الرحمن عزام
آخر ساعة	971	03/06/53	حرب فلسطين لأول مرة بلا رقابة بعد خمس سنوات (4).. حوار مع الحاج أمين الحسيني
أخبار اليوم	449	13/06/53	من حقى أن أقول لا وارفض التبرع لمهرجان شعبي
آخر ساعة	973	17/06/53	البكباشي عبد الناصر...لا إكراه ولا إلزام ولا ضغط في جمع أي تبرعات لأى هيئة
آخر ساعة	974	24/06/53	مصر جمهورية

آخر ساعة	976	08/07/53	6 تهم أمام مجلس التأديب
آخر ساعة	979	29/07/53	الحرب الخطأ في المكان الخطأ (حرب كوريا)
آخر ساعة	981	12/08/53	كلمات غير محترمة
			جمال عبد الناصر يروي فلسفة الثورة (1)
آخر ساعة	982	19/08/53	مصر في حاجة إلى تمثيل دبلوماسي جديد
أخبار اليوم	459	22/08/53	محمد حسنين هيكل يكتب عن أسرار إنقلاب إيران
آخر ساعة	986	16/09/53	جمال عبد الناصر يروي فلسفة الثورة (2)
آخر ساعة	987	23/09/53	هؤلاء الأشخاص بالذات
آخر ساعة	991	21/10/53	برقع الحياء على وجه مصر
آخر ساعة	992	28/10/53	النجم الذي يسطع في سماء الشرق الأوسط
آخر ساعة	993	04/11/53	أمريكا تحت ذل الشيطان
آخر ساعة	994	11/11/53	كلمات يجب أن تقال...
آخر ساعة	995	18/11/53	دعوا البشر بشرًا
آخر ساعة	997	02/12/53	إستعدوا للنهار..بعد الفجر الرائع المنتصر
آخر ساعة	1000	23/12/53	ممكن الثورة بغير سجون ولا مشانق
آخر ساعة	1001	30/12/53	إذا كانت الوطنية عمل فهذا هو الطريق
آخر ساعة	1002	06/01/54	جمال عبد الناصر يروي فلسفة الثورة (3) ما هي القوى الثلاث تحكم العالم من وراء الستار
آخر ساعة	1003	13/01/54	الشيوعية الدولية واسرار إنتشارها في الولايات المتحدة
آخر ساعة	1004	20/01/54	إنقلابات عسكرية في أمريكا اللاتينية
آخر ساعة	1007	10/02/54	لماذا لم يضع وزير الخارجية نفسه في طائرة إلى نيويورك
أخبار اليوم	486	27/02/54	رأيت حكم الشيشكلي ينهار في دمشق
آخر ساعة	1011	10/03/54	لا قيود.. لا أشباح.. لا ظلمات (ذهب الرقيب)
آخر ساعة	1012	17/03/54	مشكلة الشهور الأربعة القادمة
آخر ساعة	1015	07/04/54	ماذا أقول
آخر ساعة	1016	14/04/54	هذه هي الولايات المتحدة، ماذا تريد منا بعد ذلك
آخر ساعة	1019	05/05/54	العقد النفسية التي تحكم العالم العربي
آخر ساعة	1020	12/05/54	أسرار الأزمة الأخيرة في الأردن

آخر ساعة	1021	19/05/54	الإله الأبيض الذي ضربته أسيا..لماذا ضاعت الصين، ولماذا تسير اليابان على الطريق
آخر ساعة	1022	26/05/54	الدول العربية لا تثق بسكرتارية الأمم المتحدة
آخر ساعة	1026	23/06/54	دعوة إلى إجتماع الرجال الأقوياء في العالم العربي
آخر ساعة	1029	14/07/54	المستقبل بعد 20 عامًا
آخر ساعة	1031	28/07/54	لقد عثرنا أخيرًا على طريق المستقبل
آخر ساعة	1032	04/08/54	كم دفعنا من أجل الحرية.. أعجبني جمال عبد الناصر في موقفين
آخر ساعة	1037	08/09/54	أسرار الحصار العسكري الذي جرى على مصر
آخر ساعة	1038	15/09/54	يجب أن نستعد لتسلم قناة السويس من اليوم
آخر ساعة	1039	22/09/54	أسرار وراء ثعلب العراق العجوز
آخر ساعة	1041	06/10/54	تجربة جديدة في الدبلوماسية (طلب فرنسي بهدنة من الحملات الإعلامية)
آخر ساعة	1042	13/10/54	واشنطن تبحث عن حل سريع وهادئ لمشكلة السفينة بات حليم
آخر ساعة	1043	20/10/54	أماني ما بعد الجلاء أسرار المحادثات تذاع لأول مرة
آخر ساعة	1044	27/10/54	الدنيا بخير
أخبار اليوم	521	30/10/54	الجاني يتكلم، لماذا أطلقت الرصاص على عبد الناصر محمد حسنين هيكل يدخل الزنزانة ويتحدث مع المتهم ساعتين
أخبار اليوم	522	06/11/54	الهضيبي يتكلم محمد حسنين هيكل المحرر بأخبار اليوم ورئيس تحرير آخر ساعة في حوار غير رسمي
آخر ساعة	1046	10/11/54	محارب سقط في الميدان (وفاة د. محمود عزمي)
آخر ساعة	1048	24/11/54	كيف إنهار النظام السري بهذه الطريقة المذهلة
آخر ساعة	1049	01/12/54	هذه هي النقطة التي نقف عندها بالتحديد.. جمال عبد الناصر يتحمل المسؤولية كاملة منذ هذه اللحظة
آخر ساعة	1150	08/12/54	إبعثوا الحياة في الجامعة العربية أو إدفنوها بشجاعة
آخر ساعة	1051	15/12/54	أخطر حديث لصلاح سالم

آخر ساعة	1052	22/12/54	قضينا على الفوضى ويجب أن نحقق الإستقرار
آخر ساعة	1056	19/01/55	القصة كاملة لإتصالات نوري السعيد وحركاته
آخر ساعة	1057	26/01/55	أحداث مصر خلال ستار من الدموع
آخر ساعة	1060	16/02/55	ثلاث ملاحظات في المنطقة العربية اليوم
آخر ساعة	1061	23/02/55	ماذا تريد الولايات المتحدة من منطقة الشرق الأوسط
آخر ساعة	1065	23/03/55	اللهم إحم الثورة من بعض أصدقائها
آخر ساعة	1066	30/03/55	متى يصبح قانون الشركات وثبة إلى الأمام وليس خطوة إلى الخلف
أخبار اليوم	543	02/04/55	أنا قادم من الصفوف الأمامية محمد حسنين هيكل الصحفي الوحيد الذي صحب جمال عبد الناصر
أخبار اليوم	545	16/04/55	عبد الناصر في رانجون
أخبار اليوم	546	23/04/55	أزمة في المؤتمر
أخبار اليوم	548	07/05/55	تحقيق صحفي في الأزمة بين الهند وباكستان
آخر ساعة	1072	11/05/55	ما أجمل مصر من بعيد
آخر ساعة	1073	18/05/55	اللعنة التي حلت بأرضنا، بعد 7 سنوات، أين نحن من العدو المشترك
آخر ساعة	1074	25/05/55	من هو الزعيم الحق
أخبار اليوم	552	04/06/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1076	08/06/55	خيبة أمل
أخبار اليوم	553	11/06/55	أسرار أزمة غزة
			يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	554	18/06/55	سر راديو مصر الحرة يذاع لأول مرة
			يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	555	25/06/55	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	556	02/07/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1080	06/07/55	الجنرال بيرنز يساعد شاريت في الإنتخابات
أخبار اليوم	558	16/07/55	هيكل يطير إلى جنيف ليتابع لقاء الأربعة الكبار
			يوميات أخبار اليوم

آخر ساعة	1082	20/07/55	هناك أمل، أم كلام وأوهام
أخبار اليوم	559	23/07/55	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	560	30/07/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1090	14/09/55	حديث عن السودان، وبصراحة
أخبار اليوم	567	17/09/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1091	21/09/55	الأسلحة الروسية لمصر وهذه الضجة حولها
أخبار اليوم	568	24/09/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1092	28/09/55	الأسلحة الروسية من أجل من ؟!!
أخبار اليوم	570	08/10/55	أسرار صفقة الأسلحة
آخر ساعة	1094	12/10/55	شكرًا ديفيد بن جوريون
أخبار اليوم	572	22/10/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1096	26/10/55	سر ملف واحد من وزارة الخارجية الأمريكية
أخبار اليوم	573	29/10/55	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	574	05/11/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1098	09/11/55	7 أسرار وراء تصرفات إسرائيل
أخبار اليوم	575	12/11/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1099	16/11/55	أيها العرب.. أيديكم من أمريكا والأرض
أخبار اليوم	576	19/11/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1100	23/11/55	يا حسرة على دوايت أيزنهاور
أخبار اليوم	577	26/11/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1103	14/12/55	موعد صدور الدستور، ومتى يعلن وأين
آخر ساعة	1104	21/12/55	1955 نقطة البداية
أخبار اليوم	581	24/12/55	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1106	04/01/56	نقط فوق الحروف
آخر ساعة	1107	11/01/56	نعرف عدونا من غير شعرن ومن غير ذعر
أخبار اليوم	584	14/01/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1108	18/01/56	صاحب الجلالة الشعب
أخبار اليوم	585	21/01/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1109	25/01/56	خيلاء.. لأ

أخبار اليوم	586	28/01/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1111	08/02/56	جحا في واشنطن.. والسلطان هنا
أخبار اليوم	588	11/02/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1112	15/02/56	وثيقة هامة من داخل سفارة إسرائيل في واشنطن
أخبار اليوم	590	25/02/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1115	07/03/56	الحرية تنتصر في كل مكان على أرضنا
أخبار اليوم	592	10/03/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1116	14/03/56	معني واحد هام في مؤتمر القاهرة الكبير
آخر ساعة	1117	21/03/56	أرض الخيال أصبحت أرض الأحداث
أخبار اليوم	594	24/03/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1118	28/03/56	الكل ضد حلف بغداد.. دمشق، بيروت، بنغازي، عمان، الخرطوم
أخبار اليوم	595	31/03/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	596	07/04/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1120	11/04/56	أرفعي البراقع يا بريطانيا
أخبار اليوم	597	14/04/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	598	21/04/56	عبد الناصر في جدة
أخبار اليوم	599	28/04/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1124	09/05/56	نقابة الأطباء تستنجد بالرقابة لتحميها
أخبار اليوم	601	12/05/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	602	19/05/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1126	23/05/56	بين مايو 1948 ومايو 1956
أخبار اليوم	603	26/05/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1127	30/05/56	إذا فقدت بريطانيا العرب
أخبار اليوم	604	02/06/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1128	06/06/56	خطاب جمال عبد الناصر نقطة تحول
أخبار اليوم	607	23/06/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1131	27/06/56	هذا الأسبوع (العرض العسكرى والإستعمار)
أخبار اليوم	608	30/06/56	يوميات أخبار اليوم

أخبار اليوم	609	07/07/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	611	21/07/56	أسرار مؤتمر بريوني
أخبار اليوم	612	28/07/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1136	01/08/56	7 حقائق في الموقف.. الرجل الأسطورة جمال عبد الناصر
أخبار اليوم	613	04/08/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1137	08/08/56	كل هذا بدا من طهران (جلسات حلف بغداد)
أخبار اليوم	614	11/08/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1138	15/08/56	حقائق تأميم القناة
أخبار اليوم	616	25/08/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	617	01/09/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1141	05/09/56	الذي يحدث في صحافة لندن.. سره ومفتاحه فضيحة شهدتها باريس
أخبار اليوم	618	08/09/56	سر الموقف بين لجنة منزيس ومصر
أخبار اليوم	619	15/09/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	624	20/10/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1148	24/10/56	مصر تبدي رأيها لأول مرة في حكاية إستعمال القوة
أخبار اليوم	625	27/10/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	626	03/11/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	627	10/11/56	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	628	17/11/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1152	21/11/56	ماذا تحطم في بورسعيد
أخبار اليوم	629	24/11/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1153	28/11/56	نحن وأمريكا بصراحة
آخر ساعة	1155	12/12/56	الحرب العالمية الثالثة بدأت فعلًا
أخبار اليوم	632	15/12/56	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1156	19/12/56	10 دروس من التجربة العظيمة التى مرت بنا
أخبار اليوم	635	05/01/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1159	09/01/57	ليس هذا المقال تعليقًا على بيان أيزنهاور
أخبار اليوم	636	12/01/57	يوميات أخبار اليوم

آخر ساعة	1160	16/01/57	صباح الخير أيتها الأوهام-مشكلة فلسطين مع وزير خارجية لبنان
أخبار اليوم	637	19/01/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1161	23/01/57	الأسابيع الثامنة القادمة أخطر فترة في تاريخ الشرق الأوسط
أخبار اليوم	638	26/01/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1162	30/01/57	نصيحة تساوي مليون دولار
أخبار اليوم	639	02/02/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1163	06/02/57	هل قالها أيزنهاور أو هو لم يقلها
أخبار اليوم	640	09/02/57	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	643	02/03/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1167	06/03/57	هل بحث الأقطاب العرب الأربعة مشروع أيزنهاور
أخبار اليوم	645	16/03/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1169	20/03/57	قصة صغيرة بين الرئيس جمال عبد الناصر والسفير الأمريكي
آخر ساعة	1170	27/03/57	همرشولد لم يلق أي متاعب في مصر
أخبار اليوم	647	30/03/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1171	03/04/57	ماذا فعل إذًا جيش إسرائيل
أخبار اليوم	648	06/04/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1172	10/04/57	6 مبادئ، و6 تفسيرات لها
أخبار اليوم	649	13/04/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1173	17/04/57	نفس الدور.. نفس الملامح.. أمريكا تلعب نفس دور بريطانيا
أخبار اليوم	650	20/04/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1175	01/05/57	هذه هي الحقيقة الواضحة في الأردن
أخبار اليوم	653	11/05/57	يوميات أخبار اليوم
أخبار اليوم	654	18/05/57	يوميات أخبار اليوم
آخر ساعة	1178	21/05/57	سياسة عزل مصر وإتجاهاتها

الملحق (2)

فهرس كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل

الترتيب العام	الترتيب في العهد	إسم الكتاب /_(دار النشر)	سنة الاصدار	نوعه
عهد الملك فاروق (كتاب واحد)				
1	1	إيران فوق بركان (دار أخبار اليوم)	1951	كتاب
عهد الرئيس جمال عبد الناصر (سبعة كتب)				
2	1	العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط (الشركة العربية للطباعة والنشر)	1958	مقالات
3	2	نظرة إلى مشاكلنا الداخلية على ضوء ما يسمونه أزمة المثقفين (الشركة العربية المتحدة للتوزيع)	1961	مقالات
4	3	ما الذي جرى في سوريا (دار الكتب القومية للنشر والتوزيع)	1962	مقالات
5	4	يا صاحب الجلالة (دار الكتب القومية للنشر والتوزيع)	1963	مقالات
6	5	خبايا السويس (دار العصر الحديث)	1966	مقالات
7	6	الإستعمار لعبته الملك (دار العصر الحديث)	1967	مقالات
8	7	نحن وأمريكا (دار العصر الحديث)	1968	مقالات
عهد الرئيس أنور السادات (أحد عشر كتاباً)				
9	1	عبد الناصر والعالم (دار النهار للنشر- بيروت)	1972	كتاب
10	2	أحاديث في آسيا، موعد مع الشمس (دار المعارف)	1973	مقالات
11	3	الطريق إلى رمضان (دار النهار للنشر- بيروت)	1975	كتاب
12	4	لمصر لا لعبد الناصر (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1976	مقالات
13	5	قصة السويس.. آخر المعارك في عصر	1977	كتاب

		العمالقة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)		
14	6	الحل والحرب (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1977	مقالات
15	7	حديث المبادرة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1978	مقالات
16	8	حكاية العرب والسوفييت (الخليج للنشر – الكويت)	1979	كتاب
17	9	وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الإشتراكي (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1979	مقالات
18	10	السلام المستحيل والديموقراطية الغائبة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1980	كتاب
19	11	آفاق الثمانينات (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1981	مقالات
عهد الرئيس مبارك (أربعة وثلاثون كتابا)				
20	1	مدافع آيات الله.. قصة إيران والثورة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1982	كتاب
21	2	عند مفترق الطرق.. أكتوبر وما قبلها وما بعدها (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1983	مقالات
22	3	خريف الغضب (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1983	كتاب
23	4	بين الصحافة والسياسة (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1984	كتاب
24	5	زيارة جديدة للتاريخ (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت)	1985	كتاب
25	6	حرب الثلاثين سنة – ملفات السويس (مركز الأهرام للترجمة والنشر)	1986	كتاب
26	7	أحاديث في العاصفة (دار الشروق)	1987	أحاديث
27	8	حرب الثلاثين سنة – سنوات الغليان (مركز الأهرام للترجمة والنشر)	1988	كتاب

28	9	الزلزال السفييتي (دار الشروق)	1990	كتاب
29	10	حرب الثلاثين سنة – الإنفجار (مركز الأهرام للترجمة والنشر)	1990	كتاب
30	11	حرب الخليج – أوهام القوة والنصر (مركز الأهرام للترجمة والنشر)	1992	كتاب
31	12	حرب الثلاثين سنة - حرب أكتوبر السلاح والسياسة (مركز الأهرام للترجمة والنشر)	1993	كتاب
32	13	إتفاق غزة أريحا – السلام المحاصر (مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت)	1994	محاضرة
33	14	مصر والقرن الواحد والعشرين (دار الشروق)	1994	ورقة بحثية
34	15	1995 باب مصر إلى القرن الواحد والعشرين (دار الشروق)	1995	محاضرة
35	16	أزمة العرب ومستقبلهم (دار الشروق)	1995	محاضرة
36	17	المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين ج1 (دار الشروق)	1996	كتاب
37	18	المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين ج2 (دار الشروق)	1996	كتاب
38	19	المفاوضات السرية بين العرب والإسرائيليين ج3 (دار الشروق)	1996	كتاب
39	20	المقالات اليابانية (دار الشروق)	1997	مقالات
40	21	الخليج العربي.. مكشوف (دار الشروق)	1998	محاضرة
41	22	العروش والجيوش ج1 (دار الشروق)	1998	كتاب
42	23	حرب من نوع جديد (دار الشروق)	1999	محاضرة
43	24	العروش والجيوش ج2 (دار الشروق)	2000	كتاب
44	25	كلام في السياسة – قضايا ورجال (المصرية للنشر العربي والدولي)	2000	مقالات
45	26	كلام في السياسة – عام من الأزمات (المصرية للنشر العربي والدولي)	2001	مقالات
46	27	كلام في السياسة – العربي التائه (المصرية للنشر العربي والدولي)	2002	مقالات
47	28	كلام في السياسة – الزمن الأمريكي (من نيويورك إلى كابول) (دار الشروق)	2002	مقالات

48	29	سقوط نظام (دار الشروق)	2003	مقالات
49	30	الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق (دار الشروق)	2003	مقالات
50	31	إستئذان فى الإنصراف (دار الشروق)	2003	مقالات
51	32	على هامش صراع الحضارات (دار الشروق)	2010	محاضرات
52	33	كلمات لها مناسبات (دار الشروق)	2010	محاضرات
53	34	المستقبل الآن (دار الشروق)	2010	محاضرة
عهد المجلس العسكري (ثلاثة كتب)				
54	1	مبارك وزمانه (1).....من المنصة إلى الميدان (دار الشروق)	2012	كتاب
55	2	مبارك وزمانه (2).....ماذا جرى في مصر ولها (دار الشروق)	2012	مقالات
56	3	مصر إلى أين....ما بعد مبارك وزمانه (دار الشروق)	2012	مقالات وأحاديث

الكتب التي صدرت بالإنجليزية

1	The Cairo Documents	1971
2	The Road To Ramadan	1975
3	The Sphinx And The Commissar	1978
4	The Return Of Ayatollah	1981
5	Autumn Of Fury	1983
6	Cutting The Lion Tail	1986
7	Illusions Of Triumph	1992
8	Secret Channels	1996

الملحق (3)

تقييم ملحق كتاب (بين الصحافة والسياسة) ومدى توثيقه:

1- بين الصحافة والسياسة، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 1984

ملحق وثائق به ثلاثين وثيقة

رقم الوثيقة	موضوعها	تعليق عليها	درجة الأهمية *
1	إقرار بخط الأستاذ مصطفى أمين وتوقيعه إلى جانب توقيع الأستاذ علي أمين، وهي وصية بتاريخ 31 ديسمبر 1953 أنه في حالة وفاتهما يشكل مجلس لإدارة أخبار اليوم مكون من: التابعي، وأحمد عنان، وأم كلثوم، وكامل الشناوي، ومحمد حسنين هيكل، وجلال الدين الحمامصي، وزكي عبد القادر، وعبد العزيز إبراهيم، وحسين فريد، وحافظ جلال.	ذكر اسم هيكل في الوسط بين عشر أسماء، وأهمية هيكل في أخبار اليوم في نهاية عام 1953 لا تحتاج إثبات ولا وثيقة. وبالتالي فالوثيقة لم تضف أي معلومة جديدة، بل وضعت هيكل بين عشر أسماء للإدارة	منخفضة
2	إكمال الوصية السابقة لنفس العشر أسماء		منخفضة
3	صفحة من رسالة من علي أمين إلى هيكل	رسالة من مراسل الأهرام إلى رئيس تحريرها، وفوق ذلك تربطهما صداقة وتزامل طويل، وليس في الوثيقة ما يضيف اي معلومة للقارئ بخصوص	منخفضة
4	صفحة من رسالة من علي أمين إلى هيكل بتاريخ 4 يونيو 1965		منخفضة

	موضوع الكتاب		
متوسطة	ذكر موقف الحكومة من قضية مصطفى أمين، ومواجهة السفير، وترديد ذات الإتهامات التي اعلنتها أجهزة الأمن للشعب. وبالتالي ليس في الوثيقة ما يضيف اي معلومة للقارئ بخصوص موضوع الكتاب، إلا أنها كانت توضح رد فعل السفير الأمريكي	صورة من تقرير محمود رياض عن مقابلته بالسفير الأمريكي بتاريخ 23 يوليو 1965	5
منخفضة	الوثيقة لم تضف أي معلومة جديدة القارئ	تقرير من سامي شرف إلى عبد الحميد غالب سفير مصر في لبنان يردد فيه نفس الإتهامات الرسمية لمصطفى أمين	6
مرتفعة	هذه وثيقة مفيدة للقارئ وتوضح الدسائس بين البطانة الناصرية، وتوجهها نحو هيكل، وتوضح مدى تسبب هذه القضية في إحراج لهيكل	تقرير من سامي شرف إلى عبد الناصر بتاريخ 24 يوليو 1965 عن ترد الحديث بين الكوادر السياسية أن هيكل تسبب في الإفراج عن مصطفى أمين لأنه تتلمذ على يديه، ويحمله بعض المسؤولية	7
مرتفعة	وهو خطاب هام وبالتالي فهي وثيقة هامة، وإن كان قد وضع جزء من الخطاب فقط في الملحق، ويلاحظ أنه وضعه تحت اسم خطاب الاعتراف، وفي هذا توجيه للقارئ لأن صاحب الخطاب لم يرسله كاعتراف ولكن كتوضيح، وكان عليه من باب الأمانة أن يقول (خطاب مصطفى أمين إلى عبد الناصر).	صورة من خطاب مصطفى أمين إلى عبد الناصر	8
متوسطة	هذه الوثيقة تثبت اتصالات وتبادل معلومات بين مصطفى أمين والسفارة البريطانية، ولقد	صورة من تقرير السفير البريطاني إلى وزير الخارجية بتاريخ 19 فبراير 1952	9
متوسطة	دافع هيكل نفسه لاحقًا عن حق	صورة من مذكرة السفارة	10

	البريطانية إلى وزارة الخارجية بنفس التاريخ	الصحفي في الاتصال بمصادر المعلومات ومنها السفارات، بل وأتى بنص من عبد الناصر في ذات الكتاب أن هذا مفهوم ومعروف. وليس في الوثيقة ما يدين مصطفى أمين من وجهة نظر هيكل نفسه.	
11	صورة من مذكرة داخلية من السكرتارية المالية للأهرام لرئيس مجلس الإدارة بتاريخ 22 يوليو 1965 بخصوص راتب الأستاذ على أمين	هذه المذكرة تثبت تربص الأهرام بالأخوين أمين، فتاريخها في اليوم التالي للقبض على مصطفى أمين، وقبل نشر القضية اصلًا، وما هي علاقة راتب الأستاذ علي أمين بقضية أخيه.	سلبية
12	صورة من مذكرة داخلية للإدارة المالية للأهرام لرئيس مجلس الإدارة بتاريخ 25 أكتوبر 1965 بخصوص راتب الأستاذ على أمين		سلبية
13	صورة من برقية تهنئة بعث بها علي امين من لندن بتاريخ 19 أكتوبر 1965	هذه البرقية تثبت أن علي أمين كان حتى وقتها حسن الظن بهيكل.	مرتفعة
14	نص أمر الإحالة في قضية مصطفى أمين في أكتوبر 1965 (بدون تاريخ اليوم !)	وثيقة رسمية في عصر لم يكن فيه حرية قضاء، وبالتالي فهي لا تثبت أكثر مما تثبته الرواية الرسمية، وليس فيها معلومة جديدة للقارئ.	منخفضة
15	صورة من مذكرة بخط يد هيكل – بدون تاريخ- إلى الدكتور قاسم فرحات المدير العام لأخبار اليوم بخصوص راتب ومستحقات الأستاذ مصطفى أمين	وثيقة تثبت محاولات هيكل للوقوف بجوار مصطفى أمين، ولكن كيف السبيل إلى إثبات صحتها	متوسطة
16	صورة من مذكرة المشرف العام على إدارة أخبار اليوم بتاريخ 18 نوفمبر	الوثيقة ليس فيها إدانة في ذاتها، قراءة هيكل التوجيهية هي التي	منخفضة

	1965 بخصوص النزاع مع الضرائب، وفيه بند بخصوص مبالغ واردة بإسم صاحبي الدار ومرحلة لرأس المال أو إلى العهد والأمانات	تحمل الإدانة	
17	مذكرة بخط يد سامي شرف إلى عبد الناصر بتاريخ 7 نوفمبر 1965 يذكر طلب هيكل تجميد التنظيم الطليعي في أخبار اليوم (التي آلت رئاستها إلى هيكل)	وثيقة هامة، وهي في إطار محاولات هيكل للحفاظ على إستقلاليته	مرتفعة
18	خطاب من محامي إبنتي مصطفى امين إلى هيكل ليقوم بصرف الراتب المتأخر لمصطفى أمين	هذه الوثيقة على هيكل وليست له	سلبية
19	صورة من مذكرة للمستشار الفني لأخبار اليوم وعليها تأشيرة هيكل	الوثيقة غير واضحة بالمرة للقراءة، وبالتالي غير مفيدة للقارئ	منخفضة
20	صورة إذن صرف الشيك بالراتب المتأخر لمصطفى أمين	وما الذي جعله متأخرًا ستة أشهر ؟! والقاعدة المعروفة أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته، وهي قاعدة يحب أن تكون سارية حتى في العصر الناصري.	سلبية
21	خطاب إيجابي من علي أمين إلى هيكل بتاريخ 30 مارس 1966 يرد فيه على الشبهات التي تطاله	كما ذكرت في التعليق على الوثيقة 13، هذه الرسالة تثبت أن علي أمين كان حتى وقتها حسن الظن بهيكل.	مرتفعة
22	صورة من خطاب علي أمين إلى جمال عبد الناصر.	لم يضف جديدًا للقارئ حيث ذكر في متن الكتاب ولا يوجد سبب للتشكك فيه حتى يوضع في ملحق الوثائق.	منخفضة
23	صورة مذكرة من سامي شرف للرئيس عبد الناصر بخصوص سفر خيرية خيري زوجة علي أمين وأبنته للخارج.	حذف هيكل من الوثيقة بما قد يبطل مغزاها أو يغيره، والوثيقة على كل حال مسيئة للنظام وتثبت التفاهات التي ترفع لرئيس البلاد ليقرأها بينما	سلبية

		الجيش على الجبهة	
24	خطاب من مصطفى أمين إلى سيدة من أقاربه بتاريخ 4 مارس 1968.	لا يضيف شيئًا للقارئ، ولا يوجد سبب للتشكك فيه حتى يوضع في ملحق الوثائق	منخفضة
25	خطاب من علي أمين إلى هيكل بتاريخ 5 أكتوبر 1968.	وعلي أمين يعاتبه فيه عتاباً رقيقًا على عدم الرد خلال تلك السنوات ويوضح طبيعة عمله في ذلك الوقت ومصادر دخله لا يضيف شيئًا للقارئ، ولا يوجد سبب للتشكك فيه حتى يوضع في ملحق الوثائق	منخفضة
26	خطاب هيكل إلى عبد الناصر بتاريخ 26 إبريل 1970 معتذرًا فيه عن قبول وزارة الإرشاد القومي	هو خطاب غير رسمي ومن هيكل نفسه فلا يمكن الإستناد إليه، وقد كرر نفس ما ذكره في المتن في عدد من كتبه. لا يضيف شيئًا للقارئ، ويحتاج للتأكيد من مصدر مستقل.	منخفضة
27	خطاب من علي أمين إلى مصطفى أمين بتاريخ 11 أكتوبر 1970 بعد وفاة عبد الناصر	يثبت تعلق على أمين بعبد الناصر والتعلق بمصر كذلك والحرص على دورها ومكانتها	متوسطة
28	مذكرة بخط يد سامي شرف بتاريخ 30 يونيو 1970 ومؤشر عليها من عبد الناصر أن علي أمين تقابل في لندن مع احد الأشخاص وقال له إن الوضع في مصر سينتهي أواخر عام 1970	الوثيقة بها حذف وتظليل، وتدل على إهتمام عبد الناصر البالغ بما يخص أمن نظامه حتى إستماعه للشائعات أو الأقوال المرسلة، وليس بها أكثر من محاولة تشويه صورة علي أمين بلا إثبات مباشر أكثر من أقوال وصلت إلى عبد الناصر	متوسطة
29	فقرة من خطاب بخط يد علي أمين من لندن عن مبنى الأهرام الجديد	لا يضيف شيئًا للقارئ، ولا يوجد سبب للتشكك فيه حتى يوضع في ملحق الوثائق	منخفضة
30	صورة من مقالة لم تنشر لعلي أمين كتبها أواخر يناير موضوعه عن هيكل	مقالة هامة وفيها بين السطور ما يوضح الأسلوب التوجيهي لسياسات الأهرام	سلبية

محصلة مراجعة ملحق وثائق كتاب بين الصحافة والسياسة

- درجة الأهمية: من وجهة نظر الباحث طبقًا لموضوعها وعلاقتها بموضوع الكتاب وأهميتها أو الداعي لإدراجها في الملحق لأهمية محتواها ووجود استفاضة فيه تثقل على المتن.
- إجمالي وثائق الملحق 30،
- إجمالي الوثائق الواضح أهمية إدراجها في الملحق 6،
- نسبة الوثائق الواضح أهمية إدراجها في الملحق إلى إجمالي عدد وثائق الملحق 20%
- وعلى الجانب الآخر يمكن إعتبار الوثائق 11، 12، 18، 20، 23، 30 وثائق سلبية أي أن بها ما يؤخذ على هيكل نفسه أو المنظومة التي يتحرك فيها مثل الحكم أوالأهرام.

2.1- بيان بأهم المعلومات الواردة في الكتاب (بين الصحافة والسياسة) وبيان مدي توثيقها

ترتيب المعلومة	موضوعها	الصفحة	توثيقها	تعليق عليها
1	فترة هيكل الأولى في الإيجبشيان جازيت	25	لا	لا يوجد توثيق
2	هيكل مراسلا في معركة العلمين	27	لا	لا يوجد توثيق، ولا صورة ولا غير ذلك
3	التابعي يدعو هيكل للعمل معه	28	لا	لا يوجد توثيق، والتابعي توفي
4	التابعي يخبره أن الأخوين أمين يريدونه بالأسم	32	لا	لا يوجد توثيق، والتابعي توفي
5	عرض أمين زيدان على هيكل رئاسة تحرير مجلة الإثنين	33	لا	لا يوجد توثيق، وأمين زيدان توفي
6	علي أمين أصر على إنضمامه للأخبار	34	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفي
7	النقراشي يطلب هيكل ليسأله عن فلسطين	42	لا	لا يوجد توثيق، والنقراشي توفي
8	لقاء مع عبد الناصر والقاهرة تحترق	42	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
9	لقاء مع عبد الناصر قبل الثورة في الجريدة يسأله عن الإنقلابات السورية	42	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
10	لقاء مع عبد الناصر قبل الثورة في الجريدة يسأله عن كتاب إيران	42	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
11	نجيب الهلالي يأخذ رأي هيكل عن مرشحين محتملين للمقاعد الوزارية	43	نعم	إستشهد بشاهد على قيد الحياة وهو زوج ابنة الهلالي
12	وصية بخط مصطفى أمين يضع فيها إسم هيكل ضمن عشرة أسماء لإدارة الدار في حال حدوث مكروه للأخوين	44	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
13	إتصال بين هيكل والهلالي باشا ليلة الثورة	54	لا	لا يوجد توثيق، والهلالي وعبد الناصر توفيا

14	حوار بين هيكل وعبد الناصر في مقر القيادة ليلة الثورة	56	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
15	الملك حاول الإستنجاد بالإنجليز	57	لا	لا يوجد توثيق
16	المسافة من مالطا إلى الأسكندرية كانت خالية من القطع البحرية البريطانية عدا مدمرة واحدة	57	لا	لا يوجد توثيق
17	زيارة عبد الناصر للهلالي باشا بطلب من هيكل وكان معهما	57	لا	لا يوجد توثيق، والهلالي وعبد الناصر توفيا
18	حوار بين هكل وعبد الناصر عقب القبض على الأخوين أمين في اول الثورة	58	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
19	حوار بين هيكل وعبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة	58	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي، ولا ذكر لأسماء الأعضاء الحاضرين
20	هيكل أخذ الأخوين أمين عقب الإفراج عنهما وقدمهما لعبد الناصر ومعهما التابعي	58	نعم	أحد الشهود على قيد الحياة هو مصطفى أمين
21	حوار مع عبد الناصر عن تقارير يقدمها له مصطفى أمين	59	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
22	مصارحة هيكل لمصطفى أمين في وجود علي أمين	60	نعم	أحد الشهود على قيد الحياة هو مصطفى أمين
23	دعوة لهيكل من السفير الأمريكي لزيارة الولايات المتحدة عام 1952	62	لا	لا يوجد توثيق
24	هيكل يلتقي هناك بجنرال أيزنهاور	62	لا	لا يوجد توثيق، ولا صورة ولا غير ذلك
25	عبد الناصر يطلب من هيكل رئاسة تحرير الجمهورية وهيكل يعتذر	63	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
26	علي الشمسي باشا يعرض على هيكل رئاسة تحرير الأهرام عام 1956	64	لا	لا يوجد توثيق، وعلي الشمسي توفى
27	جرت مفاوضات لهذا بحضور الأستاذ مصطفى مرعي المحامي وريمون شميل العضو المنتدب للأهرام	65	لا	لا يوجد توثيق، وجميع الشهود توفوا
28	حوار عاطفي بين هيكل والأخوين أمين ينتهي بإعتذار هيكل عن الإنتقال	67	نعم	أحد الشهود على قيد الحياة هو مصطفى أمين

29	تجدد الحوار مع علي الشمسي لينتقل هيكل للأهرام	70	لا	لا يوجد توثيق، وعلي الشمسي توفي
30	حوار لهيكل مع عبد الناصر يبدي فيه الأخير تخوفه من خطوة هيكل وتشجيعه لها في النهاية	72	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
31	حوار بين هيكل والأخوين أمين للإتفاق على العلاقات في المرحلة التالية	73	نعم	أحد الشهود على قيد الحياة هو مصطفى أمين
32	هيكل وقف وحده تقريبًا بين 1956-1960 في مجال الدفاع عن الصحافة	76	لا	لا يوجد توثيق
33	حوار مع عبد الناصر قبيل تأميم الصحافة يحاول فيه هيكل معارضته	76	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
34	حوار بين هيكل وأسرة تحرير الأهرام	79	نعم	رغم التجهيل فإن أسرة تحرير الأهرام مازال بها شهود على قيد الحياة
35	حوار مع عبد الناصر يعاتبه فيه ناصر على موقفه من القانون في الإجتماع	79	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
36	حوار بين هيكل والأخوين أمين إنتهى بمحاولة التوسط لإضافة أسميهما لمجلس إدارة أخبار اليوم	81	نعم	أحد الشهود على قيد الحياة هو مصطفى أمين
37	حوار مع عبد الناصر لهذه الوساطة	82	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
38	خلاف الخوين أمين مع رئيس مجلس الإدارة الجديد	84	نعم	إستشهد بمضابط الإجتماع وحدد تاريخه
39	ذهاب هيكل مع الأخوين أمين لأخبار اليوم بعد إنتهاء الأزمة	88	نعم	واقعة علنية حدثت أمام الجميع
40	حوار مع عبد الناصر أبدى فيه الأخير ضيقه من تصرفات الأخوين أمين	89	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
41	ذهاب هيكل مع الأخوين أمين مرة ثالثة لأخبار اليوم بعد إنتهاء الأزمة	90	نعم	واقعة علنية حدثت أمام الجميع
42	حوار بين هيكل وعلي أمين يبلغه فيه الأخير بضيقه من الجميع بما فيهم أخوه	99	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفي
43	حوار مع عبد الناصر حول تعيين علي أمين مراسلًا للأهرام في لندن	101	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي

44	لقاء بين عبد الناصر وهيكل وعلي أمين	103	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر وعلى أمين توفيا
45	حوار مع عبد الناصر يطالبه فيه بالتحفظ مع مصطفى أمين	104	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
46	رسالة من علي أمين إليه حول فترته الأولى في لندن	106	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
47	رسالة من علي أمين إليه حول زيارته لصحيفة الصنداي تايمز	109	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
48	زيارات هيكل مع علي أمين في لندن	113	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفى
49	حوار مع عبد الناصر يبلغه فيه بالقبض على مصطفى أمين	115	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
50	حوار بين هيكل وسامي شرف بخصوص تسجيلات مصطفى أمين	117	نعم	السيد سامي شرف مازال على قيد الحياة
51	تفريغ للتسجيلات الصوتية	123	نعم	هي وثائق محفوظة عند هيئة الأمن القومي
52	تقرير لسامي شرف إلى عبد الناصر عن مسؤولية هيكل الضمنية مع مصطفى أمين لتوسطه له كثيرا	152	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
53	راسلة مصطفى أيمن إلى عبد الناصر	156	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
54	علي أمين هو الذي ذهب للمعتقل يحمل إذن الإفراج الملكي عن مكرم عبيد	239	لا	لا يوجد توثيق، ومكرم عبيد وعلى أمين توفيا
55	تقرير من السفير البريطاني لوزير الخارجية البريطانية في فبراير 1952 ويتضمن آراء للأخوين أمين	240	نعم	صورة منه في ملحق الوثائق
56	نفي لقصة ذهابه مع مصطفى أمين لهنري بايرود وتصوير مستندات	247	-	-
57	نفي قصة مبادلة طائرة ميج 15 سوفييتية بموقف أمريكي في حرب السويس	248	-	-
58	مناقشات مع عبد الناصر حول الملكية التعاونية للصحف	255	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
59	مذكرة لهيكل من السكرتير المالي لإدارة	256	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق

	التحرير بخصوص راتب علي أمين			
60	هيكل يناقش د. فؤاد إبراهيم ود. جمال العطيفي المستشار القانوني للأهرام بخصوص تحويل راتب علي أمين	257	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة د. فؤاد إبراهيم
61	مذكرة لهيكل من الشؤون المالية والقانونية بخصوص راتب علي أمين	258	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
62	التعسف مع علي أمين جاء من السكرتارية المالية للأهرام	258	لا	
63	هيكل يناقش د. فؤاد إبراهيم ود. جمال العطيفي مرة أخرى بخصوص صرف مبالغ لأسرة علي أمين	259	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة د. فؤاد إبراهيم
64	صرف مبالغ لأسرة علي أمين شهريًا من مكتب هيكل	259	نعم	ذكر شهودًا على قيد الحياة وقت نشر الكتاب، زوجة علي أمين وأ. نوال المحلاوي
65	مكالمة هاتفية مع عبد الناصر بخصوص ضم الأخبار إلى هيكل لتكوين مؤسسة الصحافة العربية	260	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
66	طلب هكيل من أنيس منصور أن يكتب بابا ثابتًا فب الأخبار وأقترح عليه إسمه	262	نعم	ذكر شاهدًا على قيد الحياة وقت نشر الكتاب
67	طلب هيكل من عبد الناصر أن يكون إسناد جريدة الأخبار إليه مؤقتًا	262	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
68	برقية تهنئة من علي أمين لضم الأخبار إلى هيكل	262	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
69	مكالمة من عبد الناصر بخصوص قرار الإتهام في قضية مصطفى أمين وإعتذار هيكل عن مهمة شرح الأمر لمحرري الأخبار	263	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
70	تفهم عبد الناصر لوجهة نظره وإرسال ضابط لشرح الأمر وعرضه على محرري الأخبار	263	نعم	واقعة عامة أمام محرري الأخبار
71	قرار هيكل لصرف بعض مستحقات مصطفى أمين	265	نعم	صورة منه في ملحق الوثائق
72	جاءه البعض من أخبار اليوم معاتبين	267	لا	لا ذكر لأسماء هؤلاء

	ومشفقين من تعريض نفسه لمشاكل			
73	إتصال معاتب من السادات	267	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
74	حوار مع عبد الناصر بخصوص نفس القرار	267	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
75	حوار مع عائلة مصطفى أمين	268	نعم	ذكر إسم شهود على قيد الحياة وقت نشر الكتاب، ابنتي مصطفى أمين
76	حوار لهيكل مع سعيد فريحة الصحفي اللبناني ومحمد أحمد محجوب رئيس الوزراء السوداني الأسبق حول كيفية مساعدة مصطفى أمين	272	لا	لا يوجد توثيق، وسعيد فريحة والمحجوب توفيا
77	رسالة لهيكل من مصطفى أمين مع عباس لبيب يطلب رؤيته وبعض الأدوية	273	لا	لا يوجد توثيق، وعباس لبيب توفي
78	حوار لهيكل مع عبد الناصر حول زيارة مصطفى أمين	273	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
79	حوار لهيكل مع مصطفى أمين أثناء زيارته في السجن	275	نعم	ذكر شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب وهو مصطفى أمين
80	حوار بين هيكل ومصطفى أمين ومامور السجن	275	نعم	رغم تجهيل إسم مأمور السجن لكنه ذكر شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب وهو مصطفى أمين
81	حوار لهيكل مع نفسه بصوت مسموع في حضور محمود عبد العزيز حسين رئيس قسم الحوادث بالأهرام وقتها	280	لا	لا يوجد توثيق، ومحمود عبد العزيز حسين توفي
82	مذكرة لهيكل من إدارة الأخبار بخصوص مطالبات ضرائبية بخصوص مبالغ موردة للدار مجهولة المصدر إبان إدارة الأخوين أمين	281	نعم	صورة من التقرير مرفقة بملحق الوثائق
83	حوار لهيكل مع صادق أبو النجا المشرف على إدارة الأخبار بخصوص مبالغ موردة للدار مجهولة المصدر	283	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت صدور الكتاب

84	حوار لهيكل مع أحد المسؤولين في مالية أخبار اليوم بخصوص نفس الموضوع	283	لا	لا يوجد توثيق، ولا ذكر قسم المسؤول
85	هيكل يذكر بعض المواقف عن المصروفات الخاصة للأخوين أمين	285	لا	لا يوجد توثيق
86	حوار لهيكل مع عبد الناصر حول هذا الموضوع	285	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
87	قصة إبعاد سكرتيرة مصطفى أمين من أخبار اليوم لأنها تأولت عليه	288	لا	لا يوجد توثيق
88	طلب هيكل تجميد التنظيم الطليعي في أخبار اليوم	289	نعم	مذكرة من سامي شرف بهذا الخصوص في ملحق الوثائق
89	هيكل يطلب من قاسم فرحات مدير الأخبار أن يبحث التسوية المالية لحالة مصطفى أمين وان يكون سخيا	290	لا	لا يوجد توثيق، وقاسم فرحات توفي
90	مذكرة من قاسم فرحات يختار لمصطفى أمين أفضل الإختيارين الموجودين	290	نعم	صورة من المذكرة مرفقة بملحق الوثائق
91	حوار بين عبد الناصر وهيكل وسعيد فريحه ومحمد المحجوب حول علي أمين	294	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر وفريحه والمحجوب جميعهم توفوا
92	خطاب من علي أمين لهيكل ينفي الإتهامات التي ذكرها عبد الناصر	297	نعم	صورة من الرسالة مرفقة بملحق الوثائق
93	خطاب من علي أمين إلى عبد الناصر	298	نعم	صورة من الرسالة مرفقة بملحق الوثائق
94	حوار بين عبد الناصر وهيكل عن علي أمين وكيفية معيشته في لندن بعد توقف راتبه	300	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفي
95	كانت الأدوية والطعام يرسل إلى مصطفى أمين من مكتب هيكل	300	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب هو مصطفى امين
96	جهات عارضت سفر أسرة علي أمين بعد أن توسط لها هيكل	301	نعم	صورة من تقرير سامي شرف في ملحق الوثائق
97	حوار بين هيكل وعبد الناصر ينتهي بموافقته على سفر اسرة علي أمين	302	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
98	حوار بين عبد الناصر وهيكل حول مصطفى أمين	303	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى

99	حوار بين هيكل وسعيد فريحة حول علي أمين	309	لا	لا يوجد توثيق، وسعيد فريحة توفى
100	حوار بين عبد الناصر وسعيد فريحة في وجود هيكل حول علي أمين	310	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر وسعيد فريحة توفيا
101	حوار في السجن بين مصطفى أمين وسعيد فريحة وهيكل	313	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة هو مصطفى امين
102	حوار بين هيكل وسعيد فريحة حول علي أمين	314	لا	لا يوجد توثيق، وسعيد فريحة توفى
103	حوار بين هيكل وعبد الناصر يمنعه فيه من زيارة مصطفى أمين مجددًا	313	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
104	حوار بين عبد الناصر وهيكل يتوقع في الحرب في ربيع 1971	324	لا	لا يوجد توثيق، وعبد الناصر توفى
105	خطابات من علي أمين إلى مصطفى أمين،	327	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب هو مصطفى امين
106	خطاب كامل من علي أمين إلى مصطفى أمين بعد رحيل عبد الناصر فيه رثاء له	330	نعم	صورة منه في ملحق الوثائق
107	تأشيرة عبد الناصر لسامي شرف بخصوص تنبؤ علي أمين لمحدثه في لندن بتغير الأحوال في مصر أواخر عام 1970	334 –	نعم	صورة منه في ملحق الوثائق
108	حوار بين هيكل وأركان الدولة في الساعة التي تلك رحيل عبد الناصر	350	لا	بعض الأحياء مثل أمين هويدي وسامي شرف شككوا في توصيف هيكل لتصدره المشهد والحديث
109	حوار بين السادات وهيكل أمام مجلس الوزراء لترتيبات إذاعة بيان الرحيل	352	نعم	إستشهد بمضابط مجلس الوزراء وفيهم من الأحياء وقت نشر الكتاب
110	حوار بين هيكل والسادات يطلب فيه الإستقالة مبكرًا	353	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفى
111	هيكل يقترح محمود فوزي ليرأس الوزارة	353	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفى
112	ذهاب هيكل للدكتور فوزي لإقناعه بالقبول وكان معه أسامة الباز	355	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب هو أسامة الباز

113	هيكل هو الذي إقترح على السادات تصفية الحراسات وجاء بجمال العطيفي ليضع القانون بذلك	355	لا	لا يوجد توثيق، والسادات والعطيفي توفيا
114	حوار بين هيكل السادات وسعيد فريحة حول مصطفى أمين	356	لا	لا يوجد توثيق، والسادات وفريحة توفيا
115	حوار بين هيكل وسعيد فريحة بعد خروجهما من عند السادات وينتقد فيه فريحة السادات لتشدده	357	لا	لا يوجد توثيق، وسعيد فريحة توفي
116	هيكل يعارض السادات في تحديده لسنة 1971كسنة الحسم	357	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
117	هيكل يعارض السادات طريقته لمعالجة تظاهرات الطلبة	357	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
118	هيكل يعارض السادات طريقته لمعالجة مواضيع الفتنة الطائفية	357	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
119	هيكل يعارض السادات في موضوع الوحدة مع ليبيا	357	نعم	ظهرت ملامح هذه المعارضة في مقالات هيكل عن تلك الوحدة التي كان متحمسًا لها
120	أعتذر هيكل عن لقاء القذافي منذ 1973 حتى إصدار الكتاب دفعًا لشبهة المجاملة أو العمالة	358	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب هو القذافي
121	هيكل يعارض السادات في الإتصالات الخفية مع الولايات المتحدة	358	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
122	هيكل يعارض السادات حول علاقاته ببعض الأطراف السعودية	358	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
123	هيكل يعارض السادات في طريقة إخراج الخبراء الروس	358	نعم	ظهرت ملامح هذه المعارضة في مقالات هيكل
124	هيكل يعتذر للسادات عن إجراء محادثات سرية مع كيسنجر	358	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
125	هيكل يعارض في نقل 80 صحفيًا ويرفض تنفيذ ما يخص الأهرام	358	نعم	بانت ملامح تلك المعارضة من رحلة هيكل الخارجية وبقاء صحفيي الأهرام
126	هيكل يصف لقاء عاصف مع السادات في ديسمبر 1973	359	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي

127	مكالمة بين هيكل وعلي أمين يخبره فيها أنه ينوي العودة للقاهرة قريبًا	360	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفى
128	ترحيب هيكل بزيارة حسين أبو الفتح له في الأهرام والتجول معه في أنحائها	361	نعم	هناك عشرات الشهود الأحياء من موظفي وكتاب الأهرام
129	خطاب من علي أمين لهيكل عام 1969 يهنئه فيها بمبنى الأهرام الجديد	362	نعم	صورة منه في ملحق الوثائق
130	مقالة اراد فيها علي أمين أن يسجل زيارته للأهرام وطبيعة الإختلافات بينها وبين الأخبار، ولم ينشرها هيكل	365	نعم	صورة منها في ملحق الوثائق
131	حوار بين هيكل وعلي أمين حول هذه المقالة	369	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفى
132	حوار بين هيكل والسادات حول رحيله من الأهرام	371	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفى
133	حوار بين هيكل والسادات حول الإفراج عن قادة الطيران في حرب 1973، وجاء فيه ذكر مبارك	372	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
134	حوار بين هيكل والسادات حول الإفراج عن مصطفى أمين	373	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفى
135	حوار بين هيكل وعلى أمين حول إحتمالات الإفراج عن مصطفى أمين وحول لقاءات علي أمين مع صهر السادات	375	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفي
136	حوار بين هيكل ومصطفى أمين بعد الإفراج عنه	376	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب هو مصطفى امين
137	رسالة لهيكل من السادات عبر صديق مشترك أن السادات غاضب من كتاب الطريق إلى رمضان	378	لا	لا يوجد توثيق، ولا ذكر لإسم الشاهد
138	مكالمات علي أمين من مكتبه فور توليه منصبه	379	نعم	إستشهد بسجلات الأهرام
139	ذكر هيكل أن إفتتاحيات أربعة صحف عالمية كبرى، الواشنطن بوست والتايمز والموند والفليت ركزت على خبر رحيله من الأهرام	381	لا	بمراجعة الواشنطن بوست والتايمز ثبت أن هذا غير صحيح

140	إثنان من الكتاب العالميين ألمحوا إلى دور كيسنجر في خروجه من الأهرام	381	نعم	أحال إلى المراجع
141	ذكر هيكل أن السادات في مؤتمر صحفي اشار أن الإتحاد السوفييتي طلب منه عام 1971 إبعاد هيكل	382	نعم	ذكر تاريخ المؤتمر وهو المؤتمر الصحفي في مبنى الإتحاد الإشتراكي في 18 يوليو 1972
142	كتب سعيد فريحه في الأنوار عن دفاع هيكل عن مصطفى أمين -	387	لا	لا يوجد توثيق، ولا ذكر للأيام ولا الأعداد، وسعيد فريحة توفي
143	نشرت جريدة الأنوار كاركاتير للغدر والخيانة على شكل توأم (مصطفى وعلي أمين)	387	لا	لا يوجد توثيق، ولا ذكر للأيام ولا الأعداد، وعرض هيكل فلم يذكر مصطفى وعلي امين بالإسم، وسعيد فريحة توفي
144	حوار بين هيكل وسعيد فريحة حول ما ينشر عنه بخصوص الأخوين أمين	388	لا	لا يوجد توثيق، وعلي أمين توفي
145	حوار بين هيكل والسادات أواخر عام 1974	390	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
146	السادات يشبه لهيكل سيناء بقطعة من العظم حولها بعض اللحم	392	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
147	حوار مع السادات في إبريل 1975 يدعوه للعودة مظفرًا كنائب رئيس وزراء للإعلام بصلاحيات كبيرة	392	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
148	حوار مع ممدوح سالم في إبريل 1975 يدعوه للعودة كنائب رئيس وزراء للإعلام بصلاحيات كبيرة	393	نعم	ذكر إسم شاهد على قيد الحياة وقت نشر الكتاب هو ممدوح سالم
149	حوار بين السادات وهيكل يعتذر فيه عن الكتابة تأييدًا لإتفاقية فض الإشتباك، وكان هذا آخر حوار بين السادات وهيكل	394	لا	لا يوجد توثيق، والسادات توفي
150	تحقيقات المدعي العام الإشتراكي في وجود ممتاز نصار ونقيب الصحفيين وقتها صلاح جلال وأمام المستشار ناجي إسحق وفيها معلومات ضد هيكل مصدرها مصطفى أمين	402	نعم	ذكر أسماء شهود على قيد الحياة وقت نشر الكتاب

151	قيل لأحد كبار القانونيين زورًا أثناء الحملة على هيكل عقب خريف الغضب أن هيكل أذاه	404	لا	لا يوجد توثيق، ولا ذكر لإسم القانوني الكبير
152	قيل لأحد كبار الصحفيين أنه دعي لتولي منصب كبير وحجب هيكل الدعوة عنه	404	لا	لا يوجد توثيق، ولا ذكر لإسم الصحفي الكبير

محصلة مراجعة توثيق كتاب بين الصحافة والسياسة

- إجمالي المعلومات الرئيسية في الكتاب 152
- إجمالي المعلومات الموثقة 57،
- نسبة المعلومات الموثقة 37.5%
- نسبة المعلومات غير الموثقة 62.5%
- اجمالي المعلومات المنسوبة لشهود متوفين 76
- نسبة المعلومات المنسوبة لشهود متوفين 50%

المقالة الأولى لهيكل في الصحافة العربية



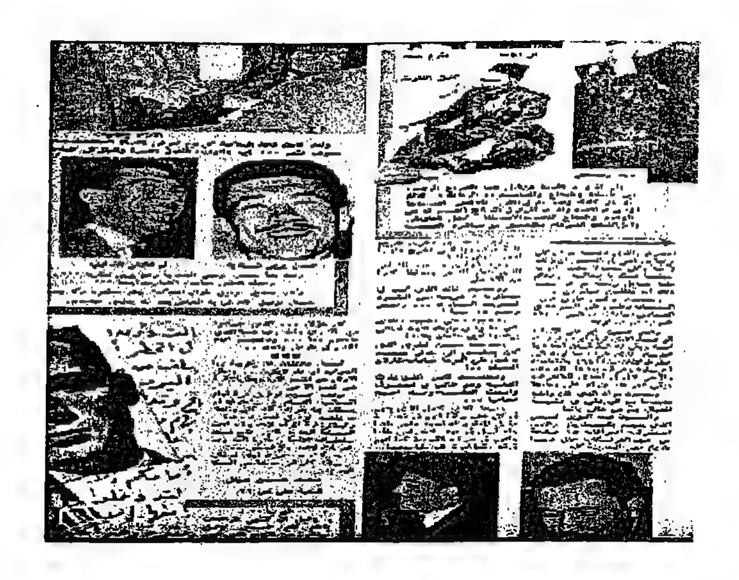
كنت أتمنى أن أكون معهم ..

والدة أبيه ـ هي « أم محمد الساداتية » . وقبل أن يولد ابنها الوحيد « محمد » فقد رزقت بأربع بنات قبله . ولكن ـ وكما هي العادة أحيانا في الريف وقبل أن يولد الذكر لأم من الأمهات ، فقد عرفت « أم محمد » بهذه الكنية حتى من قبل أن ترزق بابنها المنتظر . فقد كانت تلقب بـ « أم محمد » حتى من قبل أن يجيء « محمد » الى الدنيا . وعندما رزقت بالمولود الذكر فانه من السهل تصوُّر مدى الفرحة التي نزلت على « أم محمد » ، كما أنه من

---

(١) السادات جمع للسادة ، وهم في العادة من الأشراف أو من مشايخ الطرق الصوفية . لكن الساداتي تعني أتباع السادة أو السادات ، ومن المحتمل كثيرا أن يكون التعبير هنا منسوبا إلى أحد مشايخ الطرق الصوفية التي تنتشر في الريف المصري . ودلالة اللقب هنا أن الساداتي كان تابعا للسادات ولم يكن واحدا منهم . وبعد ثورة سنة ١٩٥٢ فإن أنور السادات حذف من اسمه « ياء » النسبة لكي يصبح لقب أسرته هو « السادات » ، لكن ملفه في الكلية الحربية لايزال يحمل اسمه الأصلي وهو « الساداتي » .







قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أولاً: المصادر العربية:

1-مصادر غير منشورة:

محاضر جلسات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي.

2- مصادر منشورة:

أ- المذكرات والذكريات:

1- إبراهيم الورداني: فلاح في بلاط صاحبة الجلالة، دار المعارف، القاهرة، 1975.

2- أحمد إسماعيل: مشير النصر - مذكرات أحمد إسماعيل، دار نهضة مصر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2013،

3- أكرم الحوراني: مذكرات أكرم الحوراني، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000.

4- أمين هويدي: مع عبد الناصر، دار الوحدة، بيروت، 1984.

5- أمين هويدي: خمسون عامًا من العواصف- مذكرات أمين هويدي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2004.

6- ثروت عكاشة (دكتور): مذكراتي في السياسة والثقافة (جزأين)، دار الهلال، الطبعة الثانية، القاهرة، 1990.

7- جيهان السادات: سيدة من مصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1987.

8- حسن عزت: قصتي مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل، إي آر جي إيه، جنْوا - إيطاليا، 1985.

9- الحسن الثاني (ملك): ذاكرة ملك، الشرق الأوسط للطباعة والنشر، الرياض، 1992.

10- خالد محيي الدين: والآن أتكلم، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992.

11- سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج1)، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة، 2014.

12- سامي شرف: سنوات وأيام مع عبد الناصر (ج2)، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006.

13- سعد الدين الشاذلي: مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، الطبعة الرابعة، سان فرانسيسكو، 2003.

14- شمس بدران: مذكرات شمس بدران، مركز النخبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014.

15- عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2000.

16- عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1977.

17- كريم ثابت: ملك النهاية – فاروق كما عرفته، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة، 2003.

18- محمد أنور السادات: البحث عن الذات، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1979.

19- محمد حافظ إسماعيل: أمن مصر القومي في عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987.

20- محمد حسني مبارك: كلمة السر (مذكرات حسني مبارك 1967-1973)، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013.

21- محمد نجيب: كلمتي للتاريخ، دار الكتاب النموذجي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1975.

22- محمد نجيب: كنت رئيسًا لمصر، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة 1984.

ب- كتب محمد حسنين هيكل:

الملحق (2) بهذا الكتاب

ثانيًا: المصادر الأجنبية:

1- مصادر غير منشورة:

1-British Foreign Office Documents.

2-U.S. Department Of State Documents.

2- مصادر منشورة:

كتب الأستاذ هيكل الصادرة باللغة الإنجليزية

1- Heikal, Mohamed: - The Cairo Documents, New York 1972.

2- The Road to Ramadan, Ballantine Books, New York 1975 .

3- The Sphinx and the Commissar, Collins, London 1978 .

4- The Return of the Ayatollah, Andre Deutsch, London 1981.

5-Autumn of Fury, Corgi Books, third edition, London 1984.

6- Cutting the Lion's Tale: Suez Through Egyptian Eyes, A. Deutsch, Londo 1986.

7- Illusions of Triumph: An Arab View of the Gulf War, Collins, London 1992.

8- Secret Channels: The Inside Story of Arab-Israeli Peace Negotiations, Collins, London 1996 .

المراجع:

أولاً: مراجع باللغة العربية:

1- إبراهيم عبده (دكتور): تاريخ بلا وثائق، دار سجل العرب، القاهرة، 1975.

2- إبراهيم الويشي: خريف هيكل، دار النمر، القاهرة، 1988.

3- أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج1)، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1983.

4- أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج2)، مجتمع عبد الناصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1983.

5- أحمد حمروش: قصة ثورة 23 يوليو (ج4)، خريف عبد الناصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1984.

6- أحمد حمروش: وثائق ندوة السويس الدولية - حرب السويس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1989.

7- أحمد حمروش: زيارة جديدة لهيكل، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005.

8- أحمد عبد الله (دكتور): تاريخ مصر بين المنهج العلمي والصراع الحزبي (أعمال ندوة الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ مصر المعاصر 1919-1952)، دار شهدي للنشر، القاهرة، 1978.

9- إدوارد سعيد (دكتور): المثقف والسلطة، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006.

10- أنتوني ناتنج: ناصر، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1993.

11- أنيس منصور: من أوراق السادات، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2010.

12- بثينة عبد الرحمن التكريتي (دكتورة): نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2000.

13- توفيق الحكيم: عودة الوعي، دار الشروق، القاهرة، 2006.

14- جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، 2003.

15- جمال حماد: المعارك الحربية على الجبهة المصرية، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002.

16 - جمال حماد: أسرار ثورة 23 يوليو (جزآن)، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2010.

17- جمال الشلبي: محمد حسنين هيكل - استمرارية أم تحوُّل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1999.

18- جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005.

19- جميل عارف: أنا وبارونات الصحافة، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 2000.

20- جميل موسى النجار (دكتور): دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2011.

21- جورج لايكوف: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2009.

22- حازم فودة: نجوم شارع الصحافة، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، 1972.

23- حسن البدري: حرب رمضان - الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة السادسة، القاهرة، 2006.

24- حسنين كروم: سقوط الحكيم، دار مأمون للطباعة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1975.

25- حسين مؤنس (دكتور): باشوات وسوبر باشوات - صورة مصر في عصرين، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1988.

26- حمادة حسني (دكتور): عبد الناصر والتنظيم الطليعي السري، مكتبة بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008.

27- حمد المرزوقي (دكتور): أزمة الخطاب السياسي العربي - هيكل وحرب الخليج نموذجًا، المنتدى العربي للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1994.

28- حنفي المحلاوي: هيكل وأوهامه عن القوة والنصر - حقائق حرب الخليج، الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992.

29- حنفي المحلاوي: السادات بين هيكل وموسى، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1994.

30- رجب البنا: هيكل بين الصحافة والسياسة، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003.

31- رمزي ميخائيل (دكتور): - أزمة الديمقراطية ومأزق الصحافة القومية 1952-1984، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1987.

32- رمزي ميخائيل (دكتور): تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يوليو إلى نصر أكتوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.

33- رول ماير: الدراسات التاريخية المصرية المعاصرة (1936-1952)، ترجمة أحمد صادق سعد، دار شهدي للنشر، القاهرة، 1985.

34- رؤوف عباس (دكتور): كتابة تاريخ مصر... إلى أين؟، مركز تاريخ مصر المعاصر، القاهرة، 2009.

35- رؤوف عباس (دكتور): صفحات من تاريخ الوطن، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، 2011.

36- رياض الصيداوي: هيكل أو الملف السري للذاكرة العربية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000.

37- سليمان البواب: محمد حسنين هيكل وسقوط المُحَرَّمَات - العروش والجيوش، الطبعة الأولى، دار المنارة للدراسات، بيروت، 2000.

38- سليمان صالح (دكتور): أزمة حرية الصحافة في مصر (1945-1985)، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1995.

39- سليمان الفرزلي: حروب الناصرية والبعث، دار نوفل، الطبعة الأولى، بيروت، 2016.

40- سمير صبحي: الجورنالجي - النشأة والصراع، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1998.

41- سَيَّار الجميل (دكتور): تفكيك هيكل، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2000.

42- شريف يونس (دكتور): نداء الشعب - تاريخ نقدي للأيديولوجيا الناصرية، دار الشروق، القاهرة، 2011.

43- صلاح عيسى: شخصيات لها العجب، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.

44- صلاح عيسى: مثقفون وعسكر، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1986.

45- صلاح قنصوة (دكتور): الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007.

46- ضياء الدين بيبرس: هوامش على قصة محمد حسنين هيكل، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1975.

47- طارق البشري: الديمقراطية ونظام 23 يوليو (1952-1970)، دار الهلال، القاهرة، 1991.

48- عادل حمودة: - حوار مع هيكل حول لعبة السُّلْطَة في مصر، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، 1995.

49- عادل حمودة: هيكل (الحياة - الحرب - الحب)، الفرسان للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000.

50- عادل غنيم (دكتور): جمال عبد الناصر وعصره، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013.

51- عبد الله إمام: علي صبري يتذكر، دار الوحدة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1988.

52- عبد الله حارب (دكتور): زيارة لبيت العنكبوت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الطبعة الثالثة، الكويت، 1995.

53- عبد الله السناوي: أحاديث برقاش-هيكل بلا حواجز، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة 2017.

54- عبد الرحمن الرافعي: - عصر إسماعيل (ج1)، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1987.

55- عبد الرحمن الرافعي: مقدمات ثورة 23 يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1987.

56- عبد الرحمن شاكر: الطغيان والانتحار القومي – ما لم يَقُلْهُ هيكل في حرب الخليج، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 1992.

57- عبد العظيم أنيس (دكتور): قراءة نقدية في كتابات ناصرية – حوار مع هيكل وعكاشة، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1989.

58- عبد العظيم رمضان (دكتور): - أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

59- عبد العظيم رمضان (دكتور): هيكل والكهف الناصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995.

60- عبد المنعم سعيد (دكتور): حرب الخليج والفكر العربي، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 1993.

61- عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

62- عماد عبد اللطيف (دكتور): استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي - خطب الرئيس السادات نموذجًا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012.

63- عمر عبد الله: حقائق القوة وأوهام هيكل في حرب الخليج، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 1993.

64- فاروق فهمي: هيكل وعبد الناصر، مؤسسة آمون للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1988.

65- فؤاد زكريا (دكتور): كم عمر الغضب – هيكل وأزمة العقل العربي، دار القاهرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، 1984.

66- فؤاد مطر: - بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل، دار القضايا، الطبعة الأولى، القاهرة، 1975.

67- فؤاد مطر: للقائد التاريخي قلم ينصفه، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، 2006.

68- كرم شلبي: بصراحة عن هيكل، مطبعة عابدين، القاهرة، 1975.

69- كمال محمد علي: هيكل - المملكة والظل والتاريخ، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1988.

70- لطيفة سالم (دكتور): أزمة السويس (1954-1957)، مكتبة مدبولي، القاهرة - دون تاريخ.

71- لويس عوض: أقنعة الناصرية السبعة - مناقشة توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987.

72- مارلين نصر (دكتورة): التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1981.

73- ماري رامبولا: دليل الكتابة التاريخية، ترجمة د. محمد بن عبد الله الفريح، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1434هـ.

74- مايلز كوبلاند: لعبة الأمم، دار الصادق، بيروت - دون تاريخ.

75- محمد جلال كشك: ثورة يوليو الأمريكية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1988.

76- محمد جلال كشك: الفضيحة - دفاع هيكل عن الملك حسين، المكتبة الثقافية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992.

77- محمد جلال كشك: كلمتي للمُغَفَّلِينَ، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1989.

78- محمد حماد: الرئيس والأستاذ، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012.

79- محمد سعد العوضي: حسن التهامي يفتح ملفاته... عبد الناصر، السادات، وسكين المخابرات الأمريكية، دار ديوان، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998.

80- محمد السيد سليم (دكتور): تأميم شركة قناة السويس: دراسة في عملية اتخاذ القرار، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

81- محمد الشافعي: هيكل... حوار الفكر والثقافة، دار الهلال، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013.

82- محمد الطويل: لعبة الأمم وعبد الناصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1986.

83- محمود حسين: الصراع الطبقي في مصر (1945-1970)، دار الطليعة، بيروت، 1971.

84- محمود فوزي: اعترافات مصطفى أمين بين عبد الناصر وهيكل والسادات، دار سفنكس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992.

85- مصطفى عبد الغني (دكتور): المثقفون وعبد الناصر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.

86- مصطفى عبد الغني (دكتور): المثقفون وثورة يوليو، مركز الأهرام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.

87- مفيد فوزي: هيكل الآخر - حوار مع هيكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004.

88- ممدوح لطفي: هيكل خلف قضبان السُّلْطَة، مركز الراية للنشر والإعلان، القاهرة، 1998.

89- وجيه أبو ذكري: مذبحة الأبرياء في 5 يونيو، المكتب المصري الحديث، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1994.

90- وحيد عبد المجيد (دكتور): مدرسة هيكل بين الجريدة والكتاب، دار مصر المحروسة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004.

91- ويلتون واين: عبد الناصر... قصة البحث عن الكرامة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.

92- يوسف إدريس: جبرتي الستينات، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2009.

93- يوسف القعيد: محمد حسنين هيكل يتذكر - عبد الناصر والمثقفون والثقافة، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1-Badaeu, John S.: The Middle East Remembered, The Middle East Institute, Washington D.C.,1983.

2-Brecher, Michael: Decisions in Crises – Israel, 1967 and 1973, University of California Press, Berkeley, California, 1980 .

3-Copeland, Miles: Without Cloak or Dagger, Simon and Schuster, New York, 1974.

4-Eveland, Wilbur C.: Ropes Of Sand, W.W. Norton & Company, First Edition, New York 1980.

5-Horne, Alistair: Kissinger: 1973, the Crucial Year, Simon & Schuster, New York, 2009.

6-Nasser, Munir K.: Press, Politics, and Power- Egypt's Heikal and Al Ahram, the Iowa State University Press, First Edition, Iowa 1979.

7-Oren, Michael: Six Days of War – June 1967 and the Making of the Modern Middle East, Oxford University Press, 2002.

8-Parker, Richard B.: The Politics of Miscalculation in the Middle East, Indiana University Press, 1993.

9-Quandt, William B.: Peace Process: American Diplomacy and the Arab-Israeli Conflict since 1967, A Brookings Institution Press, Third Edition, Washington D.C., 2005.

10-Sheehan, Edward: The Arabs, Israelis, and Kissinger, Thomas Crowell, New York, 1976.

الدوريات:

أولاً: الدوريات العربية:

1- مقالات هيكل في مجلة روزاليوسف (1943-1944).

2- مقالات هيكل في مجلة آخر ساعة (1944-1957).

3- مقالات هيكل في جريدة الأخبار (1946-1957).

4- مقالات هيكل (بصراحة) في جريدة الأهرام 1957-1974.

5- مقالات هيكل في جريدة الوطن الكويتية وجريدة السفير اللبنانية في النصف الثاني من السبعينيات.

*- وعشرات المقالات عن هيكل في الجرائد والدوريات العربية المختلفة

ثانيًا: الدوريات الأجنبية:

1-Chronicle Telegram, Egypt May Urge Control Of All Major Waterways, 03-08-1956, Elyria, Ohio.

2-European Stars and Stripes, 03-02-1974, Darmstadt, Hesse .

3-Oakland Tribune, Visitors Say Middle East Unrest Result of Moves For Self-Rule, 11-12-1952, Oakland, California.

4-Pacific Stars and Stripes, Ready for Israeli Army, Egypt Hints, 08-01-1956, Tokyo, Japan.

5-Portsmouth Herald, Suez Conference Still On Despite Contrary Report, 03-08-1956, Portsmouth, New Hampshire.

6-San Antonio Express, Egypt Report-Arms Arrival, 08-01-1956, San Antonio, Texas.

الخطابات الرئاسية وألبومات الصور:

1- خطابات الرئيس جمال عبد الناصر، الهيئة العامة للاستعلامات.

2- خطابات الرئيس أنور السادات، الهيئة العامة للاستعلامات.

3- الأهرام: عبد الناصر... السجل بالصور، الأهرام، الطبعة الثانية، القاهرة، 1997.

4- الأهرام: السادات... حياته بالصور، الأهرام، الطبعة الأولى، القاهرة، 1998.

الرسائل الجامعية غير المنشورة:

أولاً: الرسائل الجامعية العربية غير المنشورة:

1- جمال شقرة: الحركة السياسية في مصر من ثورة يوليو 1952 إلى أزمة مارس 1954، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب - جامعة عين شمس، 1985.

2- نجوى إبراهيم: الخطاب الصحفي للكاتب محمد حسنين هيكل في مجال علاقات مصر الدولية في جريدة الأهرام ومجلة وجهات نظر: دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الإعلام - جامعة القاهرة، 2008.

3- هاني نصر: التماسك النَّصِّيّ في مقالات (بصراحة) المرتبطة بالشرق الأوسط للكاتب محمد حسنين هيكل، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، 2009.

4- عماد عبد الراضي: مقالات محمد حسنين هيكل - دراسة في البِنْيَةِ والأسلوب، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2016.

ثانيًا: الرسائل الجامعية الأجنبية غير المنشورة:

1- Idriss, Shahira: The Political Role of a Journalist: The Case of Mohamed Hassanein Heikal (1952-1974), Master Thesis, The Department of Economics, Political Science, and Mass of Communication, AUC, Cairo 1987.

2- Coldwell, Dominic: Egypt's 'Autumn of Fury': The Construction of Opposition to the Egyptian-Israeli Peace Process between 1973 and 1981, Master Thesis, Faculty of Oriental Studies, University of Oxford, UK 2003.

قائمه المحتويات

الفصل	المحتوى	رقم الصفحة
مقدمة		7
التمهيد	المدرسة الصحفية في الكتابة التاريخية	15
	كتابات هيكل التاريخية	19
الفصل الأول	حياة هيكل وكتاباته من البدايات حتى إعلان الإنصراف	23
	1. 1 النشأة والعصر الملكي	25
	1. 2 بعد قيام الثورة	30
	1. 3 مع عبد الناصر	31
	1. 4 عصر السادات	40
	1. 5 ما بعد الخروج من الأهرام وحتى نهاية عصر السادات	43
	1. 6 عصر مبارك	51
	1. 7 إعلان الانصراف	56
	1. 8 ما بعد الانصراف	57
	1. 9 ثورة يناير وما بعدها	59
	1. 10 الرحيل	60
الفصل الثاني	الموضوعية في كتابات هيكل	61
	دراسة محددات الموضوعية في كتابات هيكل	66
	2. 1 الإحاطة بمعظم وقائع الموضوع التاريخي	69
	2. 1. 1 الشمول والصورة الكلية	69
	2. 1. 2 حرية الصحافة في العهد الناصري (مثال)	71

2.2 الدقة في إيراد الوقائع التاريخية، والتحقق من المصادر ذات الصلة والمصداقية 76
2.2. 1 الدقة 76
2.2. 2 الوثائق (نظرة عامة على التوثيق في كتابات هيكل التاريخية) 82
2.2. 2. 1 الحصول على الوثائق 83
2.2. 2. 2 التعامل مع مصدر الوثيقة 86
2.2. 2. 3 التعامل مع لغة الوثيقة 86
2.2. 2. 4 التعامل اللغوي خارج الوثيقة 89
2.2. 2. 5 أحداث ومعلومات مفصلية لم توثق 90
2.2. 2. 5. 1 عدم التوثيق بإغفال ذكر المصدر 92
2.2. 2. 5. 2 عدم التوثيق بتجهيل ذكر المصدر 93
2.2. 2. 5. 3 عدم التوثيق بالإحالة على الأموات أو الغائبين 95
2.2. 2. 6 الوثائق السلبية 97
2.2. 2. 7 حرب يونيو عام 1967 (دراسة حالة) 99
2.2. 2. 8 متابعة لمدى التوثيق في كتب هيكل (دراسة حالة 105
2. 3 ظهور (الأنا) والذاتية 110
2. 3. 1 الأنا المباشرة 110
2. 3. 2 تأثر الكتابة التاريخية بالعلاقات الشخصية وتغيرها، والتحالفات السياسية وتبدلها 114
2. 3. 3 مدح المقربين (د. محمود فوزي والعقيد القذافي نموذجين) 117
2. 3. 4 تشويه الخصوم 120
2. 4 التوزيع المتوازن للكتابة طبقًا للأهمية 123
2. 4. 1 استخدام الأضواء والظلال 123

2. 4. 2 استخدام المبني للمعلوم والمبني للمجهول كطريقة للإظهار 128
2. 4. 3 اختلال التوازن بين حجم تناول الأحداث وأهميتها 130
2. 5 استخدام معايير موحدة أو متوازنة لسرد وتقييم الأحداث 132
2. 5. 1 الكيل بمكيالين 132
2. 5. 2 وضع المعايير والاحتكام إليها 137
2. 6 الاهتمام بالسياق التاريخي للأحداث 139
2. 6. 1 الانفلات من السياق التاريخي (أزمة المثقفين نموذجًا) 139
2. 6. 2 التبرير باستخدام سياقات تاريخية أخرى 141
2. 6. 3 الاستناد لأمثلة محدودة أو كلمات للاعبين غير أساسيين (الانتقائية والاختزال) 143
2. 7 عدم الانسياق وراء ميول دينية أو شوفينية أو عرقية أو طبقية أو سياسية، أو الانصياع لضغوطات سلطوية 146
2. 7. 1 هيكل والانحيازات السياسية والأيديولوجية 146
2. 7. 2 هيكل والسلطة، و(مقام الملك والرئاسة) 153
2. 7. 3 نظرية ولي النعم 162
2. 7. 4 التضارب والتناقض 163
2. 7. 5 نقد التجربة 166
2. 7. 6 الدفاع السلبي وشخصنة النقد 175
2. 8 تأثر الباحثين والقراء بنقائص الموضوعية في كتابات هيكل 176
الفصل الثالث المِصْداقِيَّةُ في كتابات هيكل 179
3. 1 نقد مرويّات هيكل 183
3. 2 اختلاف المحتوى بين الترجمات 253
3.3- أسباب الحيود عن المصداقية 279

الفصل الرابع	خصائص أسلوب الكتابة عند هيكل	285
	4. 1 التشبيهات والاستعارات	288
	4. 1. 1 التشبيهات البسيطة	289
	4. 1. 2 التشبيهات التكرارية	290
	4. 1. 3 التشبيهات المستطردة والمركبة	291
	4. 2 المترادفات والجناس	292
	4. 3 المقابلة والطباق	293
	4. 4 التوازي التركيبي	295
	4. 5 الإطناب	296
	4. 6 براعة الاستهلال	298
	4. 7 الخاتمة المؤثرة	300
	4. 8 الأسلوب الصريح	302
	4. 9 الهجاء الشخصي	304
	4. 10 الانتقال إلى الإيحاء	306
	4. 11 السخرية	310
	4. 12 التفكه	312
	4. 13 استخدام الجمل الاعتراضية	313
	4. 14 التلطيف اللفظي	315
	4. 15 عقد المقارنات	318
	4. 16 الاستشهادات الأدبية والشعرية	319
	4. 17 التضفير الديني والاستعارات الدينية	322
	4. 18 استخدام الأمثال الشعبية وضرب الأمثلة	326

4. 19 الغموض 327
4. 20 استخدام الخطاب العاطفي 329
4. 21 عبارات التوكيد 330
4. 22 وضع الحوار على ألسنة الآخرين لتوكيده 331
4. 23 الأسلوب القصصي 332
4. 23. 1 النمط السردي الروائي 335
4. 23. 2 النمط الوصفي 336
4. 23. 3 النمط الحِواري 338
4. 24 الأسلوب الإنشائي والمبالغات 341
4. 25 استخدام أساليب التشويق والإثارة الصحفية 344
4. 26 استخدام الاستدلال التاريخي العقلي 346
4. 27 الإثبات بنفي الضد 347
4. 28 الحِكمة البَعدِية والاعتراف 349
4. 29 سك المصطلحات واستخدامها 351
الخاتمة النتائج 353
الملاحق الملحق الأول: فهرس مقالات الأستاذ هيكل قبل مرحلة الأهرام 359
الملحق الثاني: فهرس كتب الأستاذ هيكل 372
الملحق الثالث: الدراسة التحليلية لتوثيق معلومات كتاب (بين الصحافة) 376
الملحق الرابع: وثائق متفرقة 394
المصادر 397
المراجع 400

يحيى حسن حسني عمر

- بكالوريوس الهندسة قسم قوى وآلات كهربية – كلية الهندسة - جامعة عين شمس 1995.
- ماجستير الهندسة – قسم قوى وآلات كهربية – كلية الهندسة - جامعة عين شمس 2000.
- دبلوم دراسات إسلامية – المعهد العالي للدراسات الإسلامية القاهرة 2001.
- ليسانس آداب، قسم التاريخ، كلية الآداب – جامعة عين شمس 2004.
- ماجستير في التاريخ، – كلية الآداب – جامعة القاهرة 2017، الرسالة بعنوان (تاريخ مصر في كتابات محمد حسنين هيكل 1942-2003)، تقدير امتياز.

الكتب

- المسلمون والآخر.. ظلال الماضي وآفاق المستقبل، مكتبة الآداب، القاهرة 2008.
- الشهور الحسان بين ربوع لبنان....شتاء النار وثورة آذار، مكتبة الآداب، القاهرة 2008.
- الرد على القول الضعيف بأخذ الأحكام من الضعيف (جمع وترتيب)، دار الذكر الحكيم، الإسكندرية 2010.
- رواية (حنان)، دار أكتب، 2015.

يح

كتابات
هـ
بين المص

دراسة علمية موثقة





دراستي، ثم كانت الصُّحْبَة،
، من خلال رسالة الماجستير
تحدُّثني عن تاريخ مصر
ا وقُدْرَتِهَا، وأسعى وراءها
المصداقية، وأرصد زِينَتَهَا

يع ما كَتَبَهُ الأستاذ "هيكل"
ومتابعيه، وعقدتُ مقابلات
بننا مشاغلُه وأسفاري وكان
ما عامًا ونصف العام، فكان
ي أبحرت فيها وأبحر فيها
الرضا، وكان الكتاب على
سنوات الأخيرة في مجالها
"هيكل" مُطْلَقًا.

رضاك (عزيزي القارئ) ما
لا ما نَالَتْهُ على أيديهم، وأن
الصحفيّ والإعلاميّ.

وأن يكون ما تُنْفِقُهُ فيه -

تصميم الغلاف : عصام أمين
WWW.alarabipublishing.com.eg
9 78